الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع تخصص علم الاجتماع الحضري

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم

بعنوان:

القصبة بين الهوية الحضرية والواقع المعيش في ظل التغير الاجتماعي

إعداد الطالبة تحت إشراف

وداش خاوية أ/د العربي إشبودان

العام الدراسي 2015-2016

كلمة شكر

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم

الشكر لله رب العالمين الذي وفقني لإتمام هذا العمل

كما أبقي شكري موصول إلى أستاذي المشرف لعربي اشبودان على كل ما قدمه من دعم وتوجيه في بحثي وقبل ذلك من دروس ومحاضرات في مشواري الدراسي .و إلى كل أستاذ نهلت من علمه وطالب قرأت له. وإلى كل الذين قدموا لي يد المساعدة من مسؤوليين وإداريين وموظفين في قطاع الثقافة وبلدية القصبة .

إهداء

إلى روح الوالد الحبيب الذي لطالما تمنيت أن يشاركني فرحتي هذه ،إلى الوالدة العزيزة شفاها الله وعافاها وبارك لنا في عمرها.

إلى من كان سندا لي في مشواري الدراسي و الحياتي وساعدني على تحقيق هدفي وتجاوز كل العقبات التي مررت بها... إلى زوجي الكريم تقديرا و عرفانا وشكرا ،

إلى كل أفراد وأحفاد العائلة ،إلى كل من يقدر العلم وكبده، أهدي باكورة عملي هذه...

ضاوية

الفهرس **الصفحة**

مقدمة

الباب الأول: التناول النظري والمنهجي للدراسة

الفصل الأول : المقاربة النظرية والتوجه المنهجي

المبحث الأول: تحديد المشكلة

أ- الدراسات السابقة..... **1**

ب- الإشكالية..... **9**

ت- الفرضيات..... **11**

ث- تحديد المفاهيم الأساسية..... **12**

المبحث الثاني: الاقتراب النظري

أ- النظرية الوظيفية..... **17**

ب- النظرية التنشئة الاجتماعية..... **18**

ت- نظرية ابن خلدون..... **19**

ث- مدرسة شيكاغو..... **21**

خلاصة الفصل الأول..... **23**

الفصل الثاني: الهوية

تمهيد

المبحث الأول :الهوية كمفهوم نفس- اجتماعي

أ- مفهوم الهوية..... **25**

ب- وجهات نظر في الهوية من البعد النفس –اجتماعي..... **28**

ت- بعض الدراسات المتعلقة بها من هذا المنظور..... **31**

ث- أزمات الهوية ومشكلاتها..... **32**

المبحث الثاني: الهوية كبعد ثقافي

أ- مفهوم الهوية الثقافية..... **35**

ب- بعض الإتجاهات المفسرة لها..... **36**

ت- بعض الدراسات المتعلقة بها..... **38**

المبحث الثالث: الهوية كبعد مجالي حضري

أ- بعض تعاريف الهوية الحضرية والمجالية..... **40**

ب- بعض الآراء في الهوية من بعدها الحضري والمجالي..... **41**

ت- أهم الدراسات المتطرقة لها من هذا المنظور..... **47**

خلاصة الفصل الثاني..... **61**

الفصل الثالث: قصبة الجزائر

تمهيد

المبحث الأول :القصبة تاريخيا

أ- المصطلح والنشأة..... **64**

ب- القصبة عبر مختلف حقبها الزمنية..... **65**

ت- سكان المدينة ولغتهم..... **70**

المبحث الثاني: القصبة عمرانيا

أ- القصور والمنازل..... **81**

ب- الأحياء و الدروب..... **88**

ت- العيون..... **90**

المبحث الثالث: القصبة دينيا

أ- المساجد..... **93**

ب- الزوايا والأضرحة و الأوقاف..... **96**

ت- المدارس..... **99**

خلاصة الفصل الثالث..... **100**

الفصل الرابع :الممارسات الثقافية والاجتماعية بالقصبة

تمهيد

المبحث الأول: مفاهيم ،الممارسات ،التقاليد والعادات

أ- تعريف العادات والتقاليد..... **103**

ب- الممارسات الاجتماعية..... **106**

ت- الممارسات الاجتماعية واليومية بالقصبة..... **108**

ث- أشهر العادات والتقاليد في الاحتفالات بالقصبة..... **113**

المبحث الثاني: الممارسات الاجتماعية و الثقافية

أ- الفنون و الحرف والصنائع بالقصبة..... **118**

ب- فن الطبخ و الموسيقى..... **121**

ت- فن التطريز واللباس التقليدي العاصمي..... **123**

ث- الحياة الاجتماعية بالقصبة(السوق، المقهى، الحمام)..... **128**

المبحث الثالث: أشهر الشخصيات بالقصبة

أ- على المستوى العلمي الديني..... **131**

ب- على المستوى الثقافي والفني..... **133**

ت- على المستوى السياسي الثوري..... **135**

خلاصة الفصل الرابع..... **136**

الفصل الخامس: التغير الاجتماعي

تمهيد

المبحث الأول: المفهوم، الخصائص والأبعاد ،المظاهر والآليات

أ- مفهوم التغير الاجتماعي..... **137**

ب- صفات التغير الاجتماعي..... **138**

ت- أشكال التغير الاجتماعي..... **139**

ث- أقسامه..... **139**

ج- عوامل و عوائق التغير الاجتماعي..... **140**

المبحث الثاني : نظريات التغير الاجتماعي

أ- التطورية..... **144**

ب- الوظيفية..... **146**

ت- الاقتصادية القائمة على أساس الصراع..... **147**

ث- النظرية التكنولوجية..... **148**

ج- النظرية التطورية الحديثة (فوكوياما)..... **149**

ح- التغير الاجتماعي و التغير الثقافي..... **150**

خ- التغير الاجتماعي و التحضر..... **152**

د- بعض الدراسات التي تعرضت للتغير الاجتماعي بالجزائر..... **153**

المبحث الثالث: مظاهر التغير الاجتماعي بالقصبة

أ- على مستوى مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة، المسجد، الزوايا)..... **160**

ب- على مستوى علاقات الجوار ورمزية الحي..... **162**

ت- على المستوى الثقافي (القيم، العادات والتقاليد)..... **163**

ث- على مستوى الاقتصاد المحلي (الأسواق ،الحرف التقليدية)..... **165**

ج- على مستوى الذاكرة الجمعية للأفراد..... **166**

خلاصة الفصل الخامس..... **168**

الفصل السادس: الاستراتيجية المتبعة من طرف الجزائر في الحفاظ على تراث القصبة

تمهيد

المبحث الأول: مفهوم التراث

أ- بعض التعاريف الخاصة بالتراث..... **172**

ب- أهمية التراث ومستوياته..... **174**

ت- أنواع التراث حسب القانون الجزائري..... **175**

المبحث الثاني: آليات الحفاظ على تراث بالجزائر

أ- الآليات القانونية و السياسية لحماية التراث الوطني..... **176**

ب- الآليات المؤسساتية والتقنية الوطنية..... **178**

ت- الهيئات العالمية غير الحكومية المختصة في حماية التراث..... **179**

ث- الإجراءات الواجب اعتمادها في عمليات حماية المعالم التاريخية القديمة..... **181**

المبحث الثالث : بعض الامثلة عن المحافظة على المدن التاريخية الاثرية

أ- غربيا..... **184**

ب- عربيا..... **191**

ت- قصبة الجزائر و مخطط الدائم الحفظ وإعادة الاعتبار للقطاع المحفوظ لها..... **195**

خلاصة الفصل السادس..... **208**

الباب الثاني: الإقتراب الميداني للدراسة

الفصل السابع: المنهجية والتقنيات المستعملة في جمع المعطيات

أ- منهجية البحث..... **215**

ب- التقنيات المستعملة في جمع المعطيات..... **216**

ت- تحديد مجتمع البحث..... **217**
ث- مواصفات العينة..... **220**
ج- تحديد المكاني والزماني لمجتمع البحث..... **222**
ح- التقنيات المستعملة في تحليل المعطيات..... **222**
الفصل الثامن: تحليل المعطيات الميدانية
المبحث الأول: تحليل نتائج الفرضية الأولى
تمهيد
أ- جداول الفرضية الأولى..... **223**
ب- استنتاج الفرضية الأولى..... **255**
المبحث الثاني : تحليل نتائج الفرضية الثانية
تمهيد
أ- جداول الفرضية الثانية..... **263**
ب- استنتاج الفرضية الثانية..... **289**
المبحث الثالث: تحليل نتائج الفرضية الثالثة
تمهيد
أ- جداول الفرضية الثالثة..... **293**
ب- استنتاج الفرضية الثالثة..... **313**
المبحث الرابع: تحليل نتائج الفرضية الرابعة
تمهيد
أ- جداول الفرضية الرابعة..... **317**
ب- استنتاج الفرضية الرابعة..... **341**
ت- الاستنتاج العام و الاقتراحات..... **344**
ث- الخاتمة..... **348**
ج- المراجع
ح- الملاحق

قائمة الجداول

رقم الجدول	العنوان
جدول رقم 1	توزيع المبحوثين حسب مكان الميلاد والسن مع الطريقة المعتمدة في احتفالاتهم بالمناسبات.
جدول رقم 2	توزيع العينة حسب مكان الميلاد و السن ونوع الموسيقى المفضلة.
جدول رقم 3	المبحوثين حسب مكان الميلاد والسن ونوع الأطباق المفضلة في المناسبات.
جدول رقم 4	توزيع المبحوثين حسب مكان الميلاد والسن وعلاقتهما بتبييض السكان للمساحات المشتركة بينهم في الدويرة الواحدة.
جدول رقم 5	توزيع حسب م الميلاد والسن مع طريقة ترميم مساحاتهم المشتركة.
جدول رقم 6	يمثل توزيع المبحوثين حسب مكان الميلاد والسن وعلاقتهما في الانخراط بأحدى الجمعيات التي تعنى بالحفاظ على تراث القصبة.
جدول رقم 7	توزيع المبحوثين حسب مكان الميلاد ومدة الإقامة والمساهمة في حل مشاكل الحي.
جدول رقم 8	يوضح توزيع المبحوثين حسب مكان الميلاد ومدة الإقامة بالحي على سيرورة تبادل الزيارات بين الجيران.
جدول رقم 9	توزيع المبحوثين حسب مكان الميلاد ومدة الإقامة بالحي وعلاقتهما بوجود التعاون بين الجيران في المناسبات.
جدول رقم 10	توزيع البحوثين حسب مكان الميلاد ومدة الإقامة وعلاقتهما بالرغبة في البقاء أو الرحيل من القصبة.
جدول رقم 11	توزيع المبحوثين حسب سيرورة تناوبهم على تنظيف المساحات المشتركة بينها وبين جيرانها وحالة الدويرة.
جدول رقم 12	توزيع المبحوثين حسب الطريقة المعتمدة لديهم في ترميم المساحات المشتركة وحالة الدويرة ككل.
جدول رقم 13	توزيع المبحوثين حسب قيامهم بعملية تبيض مساحاتهم المشتركة مع حالة منازلهم.
جدول رقم 14	توزيع المبحوثين حسب ترميمهم لمنازلهم وتأثيره على وتيرة ترميم المساحات

	المشتركة بينهم.
جدول رقم 15	توزيع المبحوثين حسب كيفية استهلاكهم للسطح وعلاقتها بحالة المنزل.
جدول رقم 16	توزيع المبحوثين حسب كيفية استهلاكهم لوسط الدار وحالة المنزل.
جدول رقم 17	يمثل توزيع المبحوثين حسب طرق التعديلات على الحيز المملوك مع نوعية امتلاكهم للمنزل ومدة إقامتهم بالحي.
جدول رقم 18	توزيع المبحوثين حسب عدد الغرف وكيفية استهلاك مساحة المنزل.
جدول رقم 19	توزيع المبحوثين حسب أسباب اختيار القصبة للسكن وعلاقته بحالة المنزل.
جدول رقم 20	توزيع المبحوثين حسب مكان ميلادهم وكيفية استعمال مساحة المنزل .
جدول رقم 21	توزيع المبحوثين حسب حالة المنزل وعلاقتها بممارسة أي حرفة تقليدية.
جدول رقم 22	توزيع المبحوثين حسب حالة المنزل وسيرورة تبادل الزيارات الجوارية بينهم .
جدول رقم 23	توزيع المبحوثين حسب حالة منازلهم ومدى مساهمتهم في حل مشاكل حييهم.
جدول رقم 24	توزيع المبحوثين حسب حالة المنزل ورأيهم في الخصائص المميزة القصبة.
جدول رقم 25	توزيع المبحوثين حسب حالة المساحات المشتركة لدويراتهم وعلاقتها بوجود تعاون بين الجيران في المناسبات.
جدول رقم 26	توزيع المبحوثين حسب حالة المساحات المشتركة وكيفية احتفالهم بمناسباتهم.
جدول رقم 27	توزيع المبحوثين حسب حالة مساحاتهم المشتركة وعلاقتها باختيار أماكن إقامة الأفراح والمناسبات.
جدول رقم 28	توزيع السكان حسب حالة المنزل وعلاقتها بنظرة السكان في أهم الخصائص التي تميز القصبة.
جدول رقم 29	توزيع المبحوثين حسب حالة المنزل وأهم التفاصيل التي يحرصون عليها في احتفالاتهم .
جدول رقم 30	توزيع المبحوثين حسب حالة المنزل ورغبتهم بالبقاء أو الرحيل عن القصبة.
جدول رقم 31	يمثل توزيع السكان حسب استفادتهم من عمليات الترميم وحالة المساحات المشتركة للدويرة.
جدول رقم 32	توزيع المبحوثين حسب استفادتهم من عمليات الترميم واستعمالات وسط الدار
جدول رقم 33	توزيع المبحوثين حسب الاستفادة من عمليات الترميم وكيفية استهلاك مجال

	السطح.
جدول رقم 34	جدول يبين توزيع المبحوثين حسب استفادتهم من عمليات الترميم ومدى رضاهم عنها لدى السكان.
جدول رقم 35	توزيع المبحوثين حسب استفادتهم من عمليات الترميم وتقييم حالة منازلهم.
جدول رقم 36	توزيع المبحوثين حسب استفادتهم من عمليات الترميم وعلاقتها بإجراء تعديلات على المنزل.
جدول رقم 37	توزيع المبحوثين حسب استفادتهم من عمليات الترميم وعلاقتها بإجراء تعديلات على المنزل.
جدول رقم 38	توزيع العينة المبحوثة حسب استفادتها من عمليات الترميم وعلاقتها باختيار مرمم المنزل.
جدول رقم 39	يمثل توزيع المبحوثين حسب استفادتهم من عمليات الترميم وتأثيرها على كيفية استهلاكهم لمساحة بيوتهم.
جدول رقم 40	يمثل توزيع المبحوثين حسب درجة رضاهم عن عمليات الترميم وعلاقتها بمساهمة السكان في حل مشاكل أحيائهم.
جدول رقم 41	:توزيع المبحوثين حسب استفادتهم من عمليات الترميم ومدى علاقتها برغبتهم بالبقاء أو الرحيل من القصبة.
جدول رقم 42	توزيع المبحوثين حسب نوعية امتلاك منازلهم وعلاقتها باستفادتهم من عمليات الترميم.
جدول رقم 43	يمثل توزيع المبحوثين حسب استفادتهم من عمليات الترميم وطريقة ترميم اصلاح اعطاب المساحات المشتركة بين السكان في الدويرة.

مقدمة

مقدمة

سنتناول في موضوعنا هذا مفهوم الهوية، معرجين في ذلك على أبعادها الفلسفية والنفسية لأسبقية التناول لها في هذه الدراسات، مركزين في هذا على بعديها الاجتماعي و المجالي الحضري المتمثل في المدينة، وذلك من خلال التأثير المباشر للحياة الحضرية على الأفعال و العلاقات و السلوكات والنظم والبناءات الاجتماعية، على هوية الفرد داخل المدينة بالتحديد. مستلهمين في ذلك من كل الأعمال والدراسات السابقة لعديد العلماء والباحثين الذين تطرقوا إلى تأثيرات البيئة على الإنسان وأسلوب حياته مثل العلامة **ابن خلدون** الذي تكلم في مقدمته الشهيرة عن تأثير العمران على طبائع الكائن البشري، وكذا باحثين مدرسة **شيكاغو** وغيرهم من باحثي الغرب المتخصصين بعلم الاجتماع التطبيقي الذين أسهموا بدراستهم لعدة ظواهر بالمدن بتوضيح العلاقة بين المجال وبناء الهوية.

ولأنه حسب ما ذكر دولوز " بدون القصبة الجزائر تفقد هويتها"، بحيث أن ذكرها يجرنا دوما إلى الخوض في تاريخها الحضري العريق لها، ذلك المعلم التاريخي و الموروث الحضاري الذي مثل النواة الأساسية للمدينة وعبر عن أرقى و أسمى معاني التحضر و المدنية و هذا لكونه اعتبر مرجع حضري أساسي للسكان الحضريين و كذا للنازحين من الأرياف والمدن الصغيرة الذين أرادوا الاندماج في المدينة، وهذا لما احتوته من مزايا وخصائص وسمات ثقافية خولتها لأن تكون مركزا للإشعاع الحضري و الثقافي و مهدا لبناء الهوية الحضرية للفرد، لكن وفي زخم التغير الاجتماعي الذي تشهده من تعدد فئات مجتمعها واختلاف طبائعهم وبتعرضها إلى عدة صدمات وأزمات أثرت سلبا على سمعتها ودورها الاجتماعي والثقافي والحضري خاصة، هذا ما جعلني أسلط الضوء على واقع الهوية الحضرية بالقصبة وتفقد استمرارية وفعالية دورها كآلية لبناء وتكوين الهوية الحضرية لسكانها ما إذا كان قائما أم لا، في ظل التغير الاجتماعي الذي تشهده ومن خلال واقعها المعيش .

أما فيما يخص أهم الأسباب والدوافع التي دعتني لاختيار موضوعي هذا تمثلت في ما يلي:

– توفر مصادر الإلهام المعرفي لدي في موضوع دراستي، وكذا بفضل تجاربنا المعيشة بالقصبة بحكم عملي لفترة هناك ومعرفتي الشخصية ببعض سكانها وكذا ببعض المسؤولين بالقطاع المكلف بها الذين أثروا بحثي بمعلومات قيمة ورسمية.

– توافق تخصصي الأكاديمي العلمي مع موضوع دراستي "الهوية الحضرية بالقصبة" باعتبار القصبة هي النواة الأولى للحضرية للجزائر و كذا سكانه باعتبارهم الممثلين للهوية الحضرية.

– محاولة إسقاط رصيدي المعرفي السابق في تخصصي بعلم الاجتماع الحضري من خلال بعض مقارباته النظرية واتجاهاته الفكرية على ميدان الدراسة .

–الرغبة في التعمق بدراستي بشكل أكبر بعيدا عن الأحكام المسبقة والمعارف السطحية العامية وكذا الخطابات الرسمية للمسؤولين عن القطاع.

– محاولة الاسهام بإثراء خطة إنقاذ ما تبقى من تراث القصبة المادي والمعنوي وهذا بوضع نتائج دراستي في خدمة المهتمين و الفاعلين السياسيين المسؤولين عن القطاع علها تعينهم ولو بالشيء اليسير على فهم سكانها وانشغالاتهم، وكذا فتح المجال أمام الباحثين للاهتمام بهذا الموروث الحضري و الثقافي المنسي .

– الرغبة في مساعدة سكان القصبة بإيصال اهتماماتهم وانشغالاتهم ونقل صورة حية عن واقعهم المعيش.

وبشأن أهداف دراستي هذه، لم يكن من السهل علي بمكان أن أبلورها بشكل دقيق ونهائي، لكن يمكن أن نلخصها عموما بأهداف البحث العلمي، بكونه نشاطا لمعرفة الواقع حسب موريس أنجرس، و بما أن كل بحث سوسيولوجي يحتوي على أهمية كبيرة في تحليل وتفسير الوقائع و الظواهر المعيشة في أي مجتمع وموضوعنا هذا يندرج ضمن هذا السياق وعليه فقد تلخصت في ما يلي:

– التعرف على الخصائص الاجتماعية و الحضرية والثقافية لأغلب سكان القصبة الحاليين.

– الاقتراب لمحاولة تفسير ظاهرة الهوية الحضرية بالقصبة بشكل علمي، وذلك بالتطرق للعلاقة السببية بين مختلف متغيراتها، وبالتركيز على الواقع المعيش للسكان من خلال عينتنا المختارة .

– تسليط الضوء على دور الفئة الباقية من الجيل الثاني والثالث لسكان القصبة القدامى في حملها لمشعل أجدادها في بناء الهوية الحضرية و تلقين الثقافة الحضرية للوافدين.

– محاولة التطرق الى كل العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية المؤثرة بالقصبة، من أجل تبيان مسؤولية كل طرف سواءا مدني أو سياسي أو اقتصادي في ما آل إليه تراثها.

– محاولة تسليط الضوء على واقع التراث المادي المتمثل بحالة نسيجها العمراني واللامادي المتمثل في ممارساتها الاجتماعية والثقافية والحضرية.

– عرض تجربة الجزائر في حفاظها على الموروث التاريخي من خلال مخطط الحفظ الدائم وإعادة الاعتبار للقصبة المعتمد، بالارتكاز على النتائج الملموسة بالواقع.

وعليه فسوف تحتوي هذه الدراسة على بابين الباب الأول يتضمن: التناول النظري للدراسة وكذا الدراسات السابقة التي ساهمت في بلورة إشكالية بحثي وكذا طرح فرضياتها ثم تحديد المفاهيم الأساسية للدراسة، متطرقة بذلك لأبرز النظريات التي عالجت مفاهيم موضوع بحثي والذي نظرا لعمق وتداخل مفاهيمه جعلنا نرتشف من كل واحدة منها ما يساعدنا على فهم و تفسير الظاهرة المدروسة و من ثم تحليلها، كنظرية التنشئة الاجتماعية والوظيفية والإيكولوجية الحضرية وهذا في إطار ما يسمى بالنظرية متعددة الأبعاد.

أما الفصل الثاني منه فسأخصصه للحديث عن الهوية ببعدها الاجتماعي الحضري خاصة، معرجة في ذلك إلى أبعادها الفلسفية والنفسية وهذا من خلال أسبقية ظهور هذا المفهوم بهاته التخصصات أولا، أما الفصل الثالث سأعرض فيه تاريخ قصبة الجزائر الثقافي والاجتماعي والحضري، أما الفصل الرابع سأتكلم فيه عن الممارسات الاجتماعية والثقافية للقصبة وبالفصل الخامس سأتطرق إلى التغير الاجتماعي بالقصبة باستعراض مستوياته، أما الفصل السادس فسأتطرق فيه إلى الإستراتيجية المتبعة من طرف الجزائر للحفاظ على تراث القصبة وحمايته من خلال المخطط الدائم للحفظ وإعادة الاعتبار له.

أما الباب الثاني، فسيتضمن التحريات الميدانية أو الجانب التطبيقي، الذي سنتطرق في مستهله لمنهجية البحث والتقنيات المستعملة في جمع المعطيات مع تحديد لمجتمع البحث وإطاره الزمكاني و توضيح التقنيات المستعان بها في تحليل المعطيات. وكذا سنعمد فيه لتحليل مدى نجاعة الفرضيات الأربعة المقترحة للبحث من عدمها، من خلال التحليل الإحصائي و السوسيولوجي لجداول البحث، للخروج في الأخير بالاستنتاج العام لهذه الدراسة.

الباب الأول

التناول النظري و المنهجي للدراسة

الفصل الأول

المقاربة النظرية والتوجه المنهجي للدراسة

المبحث الأول: تحديد المشكلة

أ- الدراسات السابقة :

تكمن أهمية البحوث والدراسات السابقة في أنها تسمح بتكوين إطار أكثر ثراء من المعلومات، فهي تعين الباحث في تحديد المفاهيم والمصطلحات، وتوجهه باطلاعه على المناهج المتبعة والأدوات المستخدمة والفروض المنطلق منها ثم النتائج المتوصل إليها[1].

- **مدرسة شيكاغو**

تعتبر أعمال روادها من "روبرت بارك وإرنست بورجس وفريديريك ماكنزي" من أهم الإسهامات بعلم الاجتماع الحضري الأمريكي والتي أسهمت كذلك في صياغة عدة دراسات لاحقة "للويس وورث وويلتون سبينجلر" وغيرهم. أما بشأن مؤسسها "بارك" فقد اعتبر المدينة "مكانا طبيعيا لإقامة الانسان المتحضر"وصورها على انها "منطقة ثقافية" لها أنماطها الخاصة بها، وكذا "بناء طبيبعي" يخضع لقوانين خاصة له ولأنها كذلك فإنه من الصعب تجاوز هذه القوانين لإجراء تعديلات في بنائها الفيزيقي أو نظامها الأخلاقي، أما "بورجس" فقد حدد التنظيم الخارجي للمدينة وماكنزي" اهتم بإبراز القوانين "الداخلية أو العمليات التي تسيطر على هذا التنظيم".

كما أن "بارك" ينظر الى ان المدن هي آلية تنتقي من مجموع السكان الأفراد المناسبين القادرين على العيش في منطقة محددة وبيئة متميزة، إذ تكبر وتتسع عبر سلسلة من عمليات المنافسة والغزو والتتابع ووفق قوانين أشبه بالقوانين البيولوجية للحشرات وغيرها.

كما ينظر إليها على أنها "فضاء للتوترات الاجتماعية لأنها تعمل بشكل مستمر على إعادة تشكيل وتحويل الهويات الاجتماعية السائدة فيها"

ومن أهم ما خلصت إليه هاته المدرسة، تمثل في اعتبار مجتمع المدينة يحتوي على عدة ثقافات فرعية كل منها يعكس تاريخا مستقلا ومجموعة متميزة من المصالح، كما

---

[1] محمد شفيق،(100 ،1985)في رشيد زوزو: الهجرة الريفية في ظل التحولات الاجتماعية الجديدة في الجزائر 1988-2008 ،أ-دكتوراه ،جامعة قسنطينة،2008

تساعد بنية المدينة على اتساع المسافات الاجتماعية دون انعزال فيزيقي بسبب الطابع اللاشخصي الذي يميزها والذي يجعل الأفراد أقل ميلا للألفة الاجتماعية بسبب الحراك المجالي الذي يتبعه حراك اجتماعي أين يقطع دائما الأفراد علاقاتهم مع زملائه السابقين لينتمي الى طبقة جديدة ،كما يكثر الأفراد اللااجتماعيون في أماكن الإقامة المكتظة كالفنادق ومناطق الإيواء والبيوت المكتظة ،ضف الى أن معظم الأمراض الاجتماعية تكثر وترتفع نسبة الجريمة بالمدن ،بحيث أن كل صورة من صور الانحراف تتمركز بمنطقة معينة .[1]

– دراسة وليام توماس وفلورين زنانيكي بعنوان :الفلاح البولندي في أوربا وأمريكا

بحيث ركز في دراسته للمشكلات المرتبطة بالهجرة الأوربية الى الولايات المتحدة على الفلاحين البولنديين الذين شكلوا نسبة كبيرة من السكان الأجانب بشيكاغو بحيث تضمنت هاته الدراسة مجموعة ضخمة من البيانات والوثائق والاستمارات والإحصاءات استعان بها في تحليله لوضعية الفلاحين البولنديين مركزا على التغير الاجتماعي، باعتبار أن الأسرة في القرية البولندية التقليدية هي الفاعل الاجتماعي الأساسي أين يخضع الفرد لها الى أبعد الحدود موضحا ذلك التضامن القوي في كل قرية باعتناقهم للآراء والمعتقدات نفسها منعزلين بذلك عن المؤثرات الخارجية وكيفية تحطمها بفعل التغير الاقتصادي والمؤشرات الأخرى الخارجية التي أضعفت تضامن الأسرة والقرية مما ساعد الأفراد على تكوين اتجاهات جديدة تتعارض مع القيم الأسرية، بحيث تقلص تأثير المعايير الجماعية على أعضاء الجماعة وحل التفكك بالمجتمع القروي في بولندا مما أدى الى إعادة التنظيم، ففي الأسرة حلت القيم والاتجاهات المرتبطة بالمتعة محل التضامن الأسري، وفي القرية حل السعي نحو النجاح والتفوق الاقتصادي محل الروح الجمعية المحافظة القديمة .كما ظهر أكبر شكل للتفكك عن طريق هجرة الفلاحين الى الولايات المتحدة الأمريكية تاركين وراءهم قراهم البولندية، كما استقلوا عن أسرهم أيضا بحيث أظهر في هذا السياق أن المهاجرين لم يدخلوا المجتمع الأمريكي مباشرة، بل كان مجتمعهم الأول مكونا من

[1] Robert E Park: The City[1]; suggestions for the investigation of human behavior in the city environments, American journal of sociology n 5 March 1915 pp577-612.

المهاجرين الآخرين، بحيث دخلوا عالم المهاجرين البولنديين الأمريكيين وليس الأمريكيين الوطنيين، فظهرت جمعيات المهاجرين وغيرها، غير أنها لم تعوض الجماعة الأولية القديمة ومن خلال كل هذا فقد سعيا الى تحليل التفكك في أسر الفلاحين المهاجرين البولنديين في ظل تدخل المؤسسة الأمريكية في النزاعات الأسرية التي كانت تعالج على أساس التضامن [1] .

بحيث خلص توماس بأن الثقافة ليست حقيبة سفر ينقلها الشخص من مكان إلى آخر بحيث أن الشخص نفسه لا يتغير ومحتواها أيضا لا يتغير وعليه فالحقيقة غير ذلك وهل يكون الشخص بعد الهجرة مثلما كان قبلها؟[2]

-دراسة بيار بورديو حول الممارسات الاجتماعية :

بحيث تهتم نظرية الممارسة بإعادة الاعتبار للفاعل الاجتماعي أين يركز على علاقة الفاعل بالبناء الاجتماعي ،وهي العلاقة التي تنتهي بأن يقوم الفاعلين بإعادة انتاج هذا البناء، وبمعنى أدق الممارسة هي الفعل الاجتماعي الذي يقوم فيه الفاعلون بالمشاركة في انتاج البنية الاجتماعية وليس مجرد آداء أدوار بداخله.[3]

لقد حلل "بورديو" الممارسات الرمزية آخذا بعين الاعتبار وبشكل مركزي، القوة التي تغلف الممارسات وتتعلق بها باعتبارها أساس التمايز والتمييز في انتاج وإعادة إنتاج أطر المعنى والبنى الرمزية التي تشكل الوجود الاجتماعي والإطار العام للممارسات الاجتماعية .

كما يقر بورديو أن الإيديولوجيا تمد الناس بعلاقة تشجع بها الممارسات اللازمة لإعادة الانتاج الاجتماعي و كذلك تلين الناس وتجعل الممارسات الاجتماعية مشروعة اتجاه الفئات والطبقات الأخرى.

كما تحدث "بورديو" عن الرأسمال الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والرمزي ،إذ يرتبط بقاء وديمومة البنى والتصورات التي يكونها الفاعلون عن المكان الاجتماعي بإعادة انتاج ثقافة الأوضاع الطبقية عن طريق الأسرة والتنشئة الاجتماعية عموما، وتعتبر

---

[1] محمد الجوهري ،علم الاجتماع التطبيقي ،القاهرة 2008

[2] محمد العربي ولد خليفة،المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية ،منشورات تالة الأبيار ،الجزائر 2007.

[3] خالد كاظم أبو دوح :قراء أولية في سوسيولوجيا بيار بورديو مجلة الحوار المتمدن عدد 1912 جويلية 2005.

شرعية الرأسمال الثقافي حاسمة في تأثيرها كمصدر للقوة والنجاح. يؤكد "بورديو" أن الثروات الرمزية تشكل موضوع انتاج متخصص ينبغي أن نستطلع سماته.[1]

كما استخلص في دراسته بعنوان "الهوية والتمثل" 1980، أن الجماعات لا تتمتع كلها بحق تعيين هويتها أو فرض ذلك التعيين على الآخرين... "بحيث يرى أن ذلك التعيين من اختصاص السلطة التي تخلع عليها الشرعية وتعطيها تعريفا مقننا أو ضمنيا كما هو الشأن في الولايات المتحدة (السود) و(قانون الأهالي) بالجزائر.[2]

- **دراسة أوسكار لويس :ثقافة الفقر[3]**

بحيث قام بدراسة الأساليب المميزة لحياة وفكر الفقراء بأمريكا اللاتينية ،إذ يرجع إليه الفضل في انتشار مفهوم "ثقافة الفقر والتي تقصد بوصفها:"كيانا كليا مركبا من عادات الحياة والأفكار والتصورات السائدة عند جماعة من الناس، وتنتقل اجتماعيا من جيل إلى جيل وتمثل محاولة الانسان التكيف مع البيئة المحيطة وتحافظ على الطابع المميز لحياته". بحيث يرى "لويس" أنه من الخطأ وصف الفقراء بأن لديهم "فقرا ثقافيا" أو يتميزون بالانحطاط أو العجز الثقافي ذلك أن سكان الأحياء المتخلفة لديهم معايير وقيما ثقافية مختلفة خاصة بهم، ويضيف الى أن هاته الثقافة مثلها مثل أي ثقافة أخرى تعمل على تجديد نفسها باستمرار وعلى المحافظة على بقائها، بمعنى أن لدى هؤلاء الفقراء قوى ثقافية اجتماعية داخلية تشدهم لحالة الفقر، لكن كان هناك الكثير مما انتقده، بحجة أن تتابع موجات المهاجرين والفقراء بالمجتمع الأمريكي أثبتت أن مستواهم في تحسن .

وعليه ومن خلال ما سبق ذكره بخصوص مدرسة شيكاغو وكذا بما جاء به "لويس أوسكار"، يتبين لنا هنا موقف تصوري معلن لمدرسة شيكاغو قاضي بأن ما أصاب العلاقات الأولية غير الرسمية من فتور في المجتمع الحضري، أجبر الأفراد على اللجوء الى التنظيمات الرسمية لتحقيق اهدافهم وللحفاظ على علاقاتهم. أما " أوسكار

---

[1] محمد عبد الكريم حوراني النظرية المعاصرة في علم الاجتماع 1997 ص74. في موقع swartsdz.Soc, .

[2] محمد العربي ولد خليفة: مرجع سابق،115

[3] محمد الجوهري ،مرجع سابق.

لويس" و "جانز" الذين قالا بعدم وجود فرق بين المجتمعات الريفية والحضرية في مجال العلاقات الرسمية، وإنما الاختلاف يكمن في الطبقة والثقافات الفرعية وليس في ضوء اختلافات الحجم والكثافة ،بحيث لا يعتبرون هاته الأخيرة بدائل بل وسيلة منظمة لتأكيد هاته العلاقات[1].

- **اشبودان لعربي، مدينة الجزائر، تاريخ عاصمة.[2]**

يعد هذا الأخير من ضمن الكتب القيمة التي تناولت تاريخ الجزائر بحيث تطرق فيه لتاريخ القصبة كمدينة في مختلف حقباتها الزمنية ،خصوصا في الحقبة العثمانية التي كانت بداية ظهورها كمدينة بأتم معنى الكلمة ،وذلك باعتماده على المصادر والبيانات لمختلف المؤرخين مثل "جاك براك" و "زغال" و "ريمون" والمتعلقة بالتنظيم الاجتماعي لها ولسكانها من خلال تقسيمها ووظائفها وكذا تسييرها الحضري بفضاءاتها الاجتماعية وأحيائها وهندستها وبيوتها، كما تطرق به الى عدة مفاهيم حضرية كإعادة الاستملاك و الفراغ الاجتماعي والخراب الاقتصادي للمدينة وغيرها في الحقبة الاستعمارية مستشهدا بتلك السياسات الحضرية المعتمدة و التي كان من ورائها الحط من قيمتها كمدينة وحصرها في إطار الحي الشعبي الذي يضم الأهالي الفقيرة والتي قام بالموازاة معها ببناء مدينة كولونيالية تضم كل المرافق والمظاهر الحضرية، كما أنه بقضائه على الجمعيات التي كانت تنظم الاقتصاد المحلي والتقليدي للسكان فقد تسبب في انهيار الاقتصاد والعملة المحلية ،وغيرها من الجرائم التي ارتكبها الاستعمار الفرنسي في حق المدينة وسكانها والتي دفعت ثمنها باهضا ولازالت الى يومنا هذا نظرا الى الإهمال السياسي والاقتصادي و الثقافي والاجتماعي لمدينة القصبة والذي جعلها تعيش أسوأ فتراتها وعليه فقد اعتبر هذا الكتاب من أهم المراجع التي تؤرخ للحياة الحضرية في مدينة الجزائر (القصبة).

---

[1] في محمد الجوهري، علم الاجتماع التطبيقي مرجع سابق.:P.CGuhkind``African Urbanism, Mobility and social Network``Ino.breese,opcit,pp 389.400

[2] اشبودان لعربي : مدينة الجزائر تاريخ عاصمة. دار القصبة للنشر، 2006

وفي مقال آخر له l'Algérie est urbanisée تكلم عن المدن الجزائرية وخاصة مدينة الجزائر العاصمة التي يقارب سكانها الخمس ملايين نسمة، وكذلك عن ما أسماه "بالانتشار الحضري أو بالامتداد الحضري l'étalement urbain، وليس بالتنمية الحضرية على حد قوله لأننا عندما نبني مدن ومناطق بدون تخطيط كالتي بنيت في (80)الثمانينات فإننا نبني مراقد بعكس ما قد يكون حاليا في برامج LSP و LPA أين ستقوم الدولة ببناء مدن متكاملة، التي ستقضي على ما أسماه بظاهرة الاقتلاع التي حصلت مع السكان المرحلين سنوات (80) وكما تكلم عن الزمن المطلوب للأجيال لكي تتحقق الهوية الحضرية أو الثقافة الحضرية؟ بحيث يؤكد ذلك بقوله نحن لا نولد حضريين بل نصبح كذلك وذلك حسب مسيرة العائلة وتاريخهم، بحيث فرق بين ثلاثة أنماط للعيش في المدينة وهي: عيش المدينة وهذا عندما نعيش بداخلها ونسكنها ونتواجد بها و العيش داخل المدينة وهذا عندما نسكن ونعمل بها، وأخيرا عيش المدينة إذ نصل إلى هاته المرحلة عندما نحس أننا معنيون بمدينتنا وكذا أن نستطيع تعريف أنفسنا كمواطنين أكثر من كمنتمين إلى أصول آبائنا وأجدادنا. كما طرح إمكانية التكلم عن التحضر في الجزائر؟ أين أرجع إمكانية تحقق ذلك في حالة تناغم آراء المسيطرين السياسيين وكذا الفاعلين، أين أظهرت الإحصائيات الأخيرة أن نسبة التحضر بالجزائر تصل إلى أكثر من 70% بحيث أن القرى أصبحت متحضرة، فنجد عمارات ب 8 طوابق بهاته القرى والجبال و هكذا معمار يعد قطيعة مع الأرض باعتبار نشاطها الفلاحي وكذا مع سكانها لأهم اعتادوا على السكنات الفردية التقليدية وعليه فقد ختم بأن يقول أنه كان بالإمكان بناء سكنات مناسبة لهم بنفس الظروف باستشارتهم لعالم من علماء الاجتماع الذي يستطيع أن يزودهم بالخصائص السوسيولوجية والديمغرافية للعائلات الجزائرية لتجنب هاته القطيعة بي الساكن وسكنه ،كما عرج في نهاية مقاله بضرورة الاهتمام بقصبة الجزائر باعتبارها قطب اقتصادي ومركز تاريخي للعاصمة و لأنه وبدونها لن تكون هناك مدينة الجزائر.[1]

[1] Ichboudène Larbi, l'Algérie est urbanisée, journal el watan, 30 juin 2011pp 1-3.

كما تطرق في مقال آخر له عن الحكمنة الحضرية في الجزائر والتي تطرق فيها إلى الصلاحيات المؤسساتية و إلى احتكار السلطات السياسية الى مشاريع التعمير والبناء الخاصة في ظل محافظة الجزائر الكبرى وغيرها من المشاريع المتقطعة بمدينة الجزائر كما طرح مسألة عدم إشراك المواطنين وعواقبها على المدينة وعلى سكانها وتطورها بشكل عام[1] .

و نجد في مثل هذا السياق ما كتبه الأستاذ باشا محمد بخصوص إشكالية العمارة في الجزائر وما عرفته من إهمال للقيم والجوانب الروحية للفرد باعتمادهم على النمط الوظيفي في البناء القائم على فكرة التنطيق zonage بحيث لا تجد إلا أرقام لتلك الأحياء مثل 500 مسكن وغيرها... والتي تمارس على سكانها ضغطا فتصبح بمثابة قيتوهات عازلة لهم وعليه فقد نادى بضرورة التخلي عن مثل هذا النمط الذي يشكل قطيعة مع هوية ساكنيه[2].

-Lesbet Djaafar, Relance effective et efficace sauvegarde de la casbah d'Alger

في مجموعة مقالاته حول القصبة، والتي من بينها تلك التي تعرض فيها تعرض فيها لمشروع تأهيل القصبة الذي لم يعرف نتائج إيجابية وفعالية على الميدان بسبب عدة عوامل اختزلها في توقف المشاريع بتوقف العهدات وعدم تطبيق الاستراتيجيات المتخذة من طرف السلطات لحماية القصبة ميدانيا،بحيث طرح ثلاث فرضيات[3] من أجل حماية القصبة وهي:

1- ترميم القصبة وهي مأهولة بسكانها.

2-إفراغ القصبة من السكان وجعلها مركز تاريخي وأثري .

---

[1]Ichboudène Larbi, Réflexion sur la gouvernance urbaine à Alger, prérogatives institutionnelles et monopoles politiques, insaniyates 2009 pp 97-113.

[2]باشا محمد :إشكالية العمارة في الجزائر ،من أزمة إبداع إلى إبداع أزمة ،مجلة الحوار الثقافي ،عدد خريف وشتاء،2013 ،جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.

[3]Lesbet Djaafar Relance effective et efficace sauvegarde de la casbah d'Alger.the European planed ,in journal of planning www.planum.net,pp 1-8

3-ترميم القصبة من أجل استقبال سكان جدد تحددهم لجنة متخصصة لحماية التراث.

بحيث حلل في ضوء الفرضية الأولى أن القصبة ستنهار لأن أغلب سكانها حاليا هم من الوافدين إليها الذين يطمحون لسكنات اجتماعية والذين سيهدمون ما تبقى لهذا الغرض، وذكر أن حتى المالكين لبيوتهم لن يهتموا لهذا لأنهم في إطار كل عملية من عمليات الترحيل سيستفيدون من مسكن، لهذا فقد استبعد نجاعة الفرضية الأولى.

أما في ضوء الفرضية الثانية فقد تحدث عن مدينة الأشباح بحيث لا تستطيع تخيل مدينة مأهولة فقط بالحرفيين بحيث أن النشاط الحرفي في الجزائر يرتكز على القطع الأصلية التي لا تكون في متناول الجميع وهذا ما يجعلها قبلة للنخبة الثرية وهذا الذي لن يتماشى مع اقتصاد المدينة ولن يجدى نفعا فيحقق ما استطاع تحقيقه في مصر وتونس وغيرها .

أما بخصوص الفرضية الثالثة والتي يجب أخذ معايير قبلية مستوحاة من قانون حماية التراث الثقافي 04-98، ذكر من أهمها : استبدال نظام التدخل المعمول به ببرنامج تدريبي للبناء الذاتي وفق دفتر للشروط مطابقة لقانون حماية التراث الثقافي، وكذا اشراك المواطنين وتقديم المساعدات لهم لتحسيسهم بالمسؤولية اتجاه أحيائهم في مختلف عمليات الترميم والتنظيف وإعادة لإسكان وغيرها ...وكذا استغلال كل الدراسات والإحصاءات والوثائق المتعلقة بالقصبة وتحديد العراقيل التقنية والقانونية والمالية، استعادة المواد الأصلية من عمليات تفكيك المنازل التقليدية وليس تهديمها وأخيرا القضاء على البنايات البشعة والقصديرية.

وعليه، فمن خلال كل هاته الدراسات السابقة قد تمكنا من إثراء رصيدنا المعرفي حول الموضوع، و استطعنا أن نبلور إشكالية بحثنا على النحو الآتي:

ب-الإشكالية

إن للهوية عدة مفاهيم وتعاريف تختلف وتتلاقى حسب اختلاف وتعدد ميادين العلوم التي تهتم بدراستها، فمن الفلسفة إلى علم النفس وصولا إلى علم الاجتماع ، كل أدلى بدلوه أثناء التطرق إليها، لذا فنحن لن نسهب في ذكر كل مفاهيمها بل سنهتم بالجانب الوظيفي لها في الوسط الحضري ولأن المسألة الاجتماعية تحولت إلى مسألة حضرية على حد تعبير Robert Castel و شتى الظواهر والأزمات تظهر بالمدن والتي أغلب مسبباتها يعود إلى صعوبة الاندماج في الوسط الحضري ,وكذا الشعور بالإقصاء والتهميش، أي باختصار إلى أزمات هوياتية ،ولأن الهوية في حالتها السليمة تمتلك لنفوذ قوي حسب Manuel CASTELLS، يمكنها من مجابهة عديد الأزمات الحديثة الناجمة عن العولمة و التحضر السريع وهذا من خلال آلياتها التي من شأنها أن تخلق روح الانتماء لدى الأفراد الذي يجعلهم يعيشون في اندماج مع بعضهم البعض ومع وسطهم ، حتى وان اختلفت مرجعياتهم الثقافية وهذا من خلال تذويب كل هاته المرجعيات وصياغتها في هوية مجالية واحدة ،وهي الهوية الحضرية التي تمكنهم من العيش بتناغم مع مدينتهم وكذا مع من حولهم بتدريبهم على كيفية وأسلوب استعمال واستهلاك مجالها بالشكل اللائق لها ولهم وبما أن مثل هويات لا تستطيع أن تخلق إلا في وسط حضري متكامل الأركان فلن نجد أحسن من قصبة الجزائر كإسقاط لهذا الطرح ،باعتبارها النواة الحضرية الأولى التي لعبت هذا الدور بامتياز فقد كانت تعد آلية حضرية ومركز إشعاع حضري وثقافي، بما حوته من فنون وممارسات قمة في الرقي المديني، وكذا لما خلقته من علاقات وروابط اجتماعية تميزت بالخصوصية والانتعاش ،ولما أنتجته من ممارسات حضرية و مدينية جعلاها تحقق التناغم الاجتماعي والمجالي على حد تعبير le Corbusier وخولها لأن تكون مرجعا أساسيا لتعلم طريقة الحياة في المدينة ،بحيث ارتكزت على مبادئ سامية لا مجال للاستغناء عنها كحسن الجوار وتكريسها لمبادئ الاحترام والوقار للجار، وكذا إعطاء الحي لقدسية كبيرة ،فكان امتدادا للبيت، وبمثابة الملجأ الآمن الذي يأوي الساكن إليه للاحتماء على حد وصفJaque BERQUE له، لكن بمرور الوقت وتوالي الأزمات التي تغيرت الأوضاع داخل القصبة ، من زلازل إلى

استعمار إلى نزوح ريفي والتي أفرغتها من سكانها الأصليين الذين كانوا الملقنين لهاته الثقافة الحضرية وممارساتهم تلك كانت بمثابة الوقود الذي يغذي تلك الهوية الحضرية لأفرادها وكذا الوافدين إليها وعليه وفي زخم هاته العوامل التي شهدتها، أردت تسليط الضوء في تساؤلي العام على واقع الهوية الحضرية بالقصبة ورصد ما إذا لا تزال تعد كمرجع أساسي لتلقين الثقافة الحضرية والممارسات المدينية وآلية لبناء الهوية الحضرية للفرد بعد هذا التغير الاجتماعي الذي شهدته ؟ مركزة في ذلك على التساؤلات الفرعية التالية: كيف تساهم تلك الفئة القليلة الباقية بالقصبة من أبناء وأحفاد سكانها الأصليين في الحفاظ على دور أجدادها التي كانت تقوم به في تلقين الثقافة الحضرية ودمج الوافدين إليها؟ وكيف هي حالة دويرات القصبة في ظل غياب وجهل ثقافة استعمال مجالها من طرف غالبية الفئة النازحة إليها ؟ وما مآل هاته البيوت الأثرية التي حوت تلك الممارسات الحضرية و المدينية التي استطاعت أن تكسب القصبة وسكانها التميز عن باقي العاصميين؟ وكيف يا ترى سيحقق مخطط حفظ وإعادة الاعتبار لتراث القصبة المتبنى من طرف الفاعلين المخولين بحماية تراثها من خطر الزوال والاندثار أهدافه في ظل الآليات القانونية والتقنية والبشرية المسخرة لتنفيذه؟

ت-الفرضيات

الفرضية العامة: أدى تغير البناء الاجتماعي للقصبة بعد رحيل سكانها اللأصليين الذين كانوا الملقنين للثقافة الحضرية و كذا المسؤولين عن دمج الوافدين إليها في اندثار عديد الممارسات الحضرية و المدينية التي لطالما ميزتها وسكانها عن باقي المدن، لكن وببقاء الفئة القليلة من أبنائهم وأحفادهم لظروف وأسباب عدة، يساهم في الحفاظ على بعض من رموز هويتها الحضرية ولو بشكل طفيف من الاندثار، هذا كونهم أقلية وسط أغلبية نازحة ومحرومة تجهل ثقافة استعمال مجال دويرات القصبة وفقا لهندستها الأصلية المنوطة بها، هذا الاستعمال العشوائي جعل نسيجها العمراني يتدهور يوما بعد يوم، كما أن تلك الدراسات والمخططات المتبناة من طرف السلطات المخولة بحماية وحفظ تراث القصبة، قد لا تكف وحدها لبلوغ الأهداف الأولية المنضوية تحت مخططها هذا، بل تتطلب آلية رقابة ومتابعة ميدانية من طرف مختصيها لمراقبة سير أشغال التدخل والترميم من طرف بعض العمال وكذا بعض السكان من خلال تدخلاتهم العشوائية على دويراتهم.

الفرضية الأولى:

بقاء الفئة القليلة من أبناء وأحفاد سكان القصبة الأصليين القدامى، يساهم في حفاظ القصبة على بعض من رموز هويتها الحضرية.

الفرضية الثانية:

غياب ثقافة استعمال مجال دويرات القصبة وفقا لهندستها الأصلية لدى غالبية سكانها الجدد يعجّل من تدهور النسيج العمراني للقصبة.

الفرضية الثالثة:

تدهور النسيج العمراني بالقصبة يؤدي إلى اندثار عديد الممارسات الثقافية والاجتماعية المميزة للقصبة وسكانها الأصليين.

الفرضية الرابعة:

ضعف آلية الرقابة والمتابعة الميدانية من طرف السلطات لسير أشغال الترميم، و كذا التدخلات المنجزة من طرف السكان على دويراتهم، يعرقل تحقيق الأهداف الأولية لمخطط حفظ تراث القصبة.

ث-تحديد المفاهيم الأساسية:

تؤدي المفاهيم عددا من الوظائف المهمة في البحث العلمي الاجتماعي فهي أساس التواصل القائم على التداخل الذاتي والفهم المشترك.[1]

-**الهوية يعرفها محمود أمين:** على أنها مركب وحقيقة من اتصال وانقطاع وتداخل وتفاعل العناصر جميعا وأن يبرز الى الصدارة أحد هاته المقومات عل المقومات والعناصر الأخرى بروزا حادا في هذه المرحلة أو تلك من مراحل التاريخ وبحسب الظروف الموضوعية السائدة أو الطارئة، على أن حقيقة الهوية وقوتها وفاعليتها إنما تكون بتظافر وتفاعل مختلف مقوماتها وفضلا عن تجددها وتفتحها بما يقتضيه ملابسات ومستجدات الحياة[2].

- **برتراند بادي:** مجموعة من الاستراتيجيات التي تضعها الجماعات والأفراد في المعترك من أجل أن يحددوا أنفسهم بالنسبة للآخرين حسب رغباتهم ومصالحهم [3]

- **ماكس فيبر** : تأتي الهوية عنده على مستويين، المستوى الأول: الصورة الكونية أي جملة المعتقدات والمسلمات الافتراضية عن العالم، والتي على ضوئها يمكن الوصول إلى إجابة شافية حول مغزى الوحدة وحقيقة الكون ،أما المستوى الثاني: فهو السياق التصوري الذي تضع فيه الذات الجمعية نفسها ضمن تقسيمات العالم، انطلاقا من النواحي الثقافية والاجتماعية والأخلاقية وانطلاقا من هذا الأخير ينظر للآخر المحدد الأساسي للهوية .[4]

-**جوتلوب فريج** j.fredje: مادام كل تعريف هو عبارة عن هوية، فالهوية في حد ذاتها لا يمكن ان تعرف.

- **بيار تاب** P.Tap: هي المساحة التي يقطعها الفرد بين محاولة التمييز عن الآخرين واضطراره للتطابق معهم، إنها جهد دائم لتوحيد آليات الذات وانسجامها

---

[1] شافا فرانكفوت-ناشمياز دافيد ناشمياز ،طرائق البحث في العلوم الاجتماعيةترجمة ليلى الطويل، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا ط 1، 2004

[2] حول مفهوم الهوية، مجلة العربي، العدد 437 جويلية 1995 ص 28

[3] الحسين الزاوي الشك ومكامن الغل في فلسفة المشهد الجزائري ،الجزائر رياض العلوم للنشر والتوزيع .2005 ص 61.

[4] مراد وهبة ،المعجم الفلسفي ،القاهرة دار النشر والتوزيع 1979 ص 461.

الداخلي يبطل ضرورات قوالب الثقافة التي يعيشها الفرد والمجتمع وانسجامها الداخلي[1].

– **الواقع:** درجة دوام المعاني التي يتم اكتشافها في أية تجربة أو التي تتصل بأي شيء أو شخص أو فكرة أو قيمة.[2]

– **المرجعية:** هي مجموعة تصورات والمعلومات المشتركة بين أفراد المجتمع حول الذات الآخر والكون وهي التداعيات حول العلاقة التي تربط تلك المعلومات والتصورات بعضها ببعض وتكون لهم سلم قيم سائدة متفق عليها يرجع إليها الفرد والمجتمع لتحديد مواقفه وضبط سلوكاته وتصرفاته ويلجا إليها الفرد أوقات الاضطراب والارتباك الفكري[3]

– **التصورات:** تكلم عنها دوركايم لدلالة على الرموز التي لها قيمة مشتركة ومعنى عاطفي لدى أعضاء الجماعة تاريخ الجماعة أي تجاربها خلال الزمن ,كما اعتبرها أنها تعبر عن المشاعر الجماعية والأفكار التي تزود الجماعة بوحدتها وصفتها الفريدة وبذلك تعتبر عاملا هاما يساهم في تضامن المجتمع.[4]

– **التغير الاجتماعي** عرفه وليم أوجبرن" في كتابه بحيث قال ان مفاهيم (التقدم،التطور،النمو) تحمل بعدا قيميا أخلاقيا،في حين أن التغير الاجتماعي مفهوم موضوعي يصف لنا الواقع الاجتماعي كماهو وليس كما يجب أن يكون[5] .

–**الجوار:** عرفه وورث أنه التقارب الفيزيقي مع الشيء المعلوم وأسرية العلاقات بين الأفراد الذين يعيشون متقاربين مع بعضهم.[6]

---

[1] Tap et AL : identités collectives et changements sociaux, paris, 1986.p 17. نقلا عن جوهر عبلاش : الهوية لدى المراهقين القبائل"أطروحة ماجستير جامعة الجزائر 1001–2002 ص 12.

[2] بدوي احمد زكي: معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية مكتبة لبنان طبعة جديدة 1993

[3] تحناح محفوظ الهوية والمرجعية، دار الخليفة للنشر والتوزيع القبة القديمة 2004 ص 04

[4] :الجوهري عبد الهادي: قاموس علم الاجتماع مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة 1983 ص 78

[5] فهد عبد الرحمان الخريف ،مقرر محتوى التغير الاجتماعي،سلسلة محاضرات.جامعة الملك فيصل للتعليم عن بعد، ب ت.

6 ; Meyer josephÉcole de Chicago : naissance de l’écologie urbaine.Éd champ urbain .A.1979 p 35

ويضيف أنه إدا رجعنا الى المدينة نجد مصطلح الجوار يكاد يحمل معنى واحد وهو التقارب الفيزيقي في معظم الأحيان لأن طبيعة العلاقات الحضرية التي تكتسي صبغة الشخصية والسطحية في الأحياء المأهولة راجع أساسا لخصوصية الحياة الحضرية والتي تفترض هدا النوع من العلاقات.[1].

– **العلاقة الاجتماعية:** يعرفها **ماكس فيبر** على أنها مصطلح يستخدم غالبا لكي يشير الى الموقف الدي من خلاله يدخل شخصان أو أكثر في سلوك معين أيضا كل منهما في اعتباره سلوك الاخر بحيث يتوجه سلوكه على هدا الأساس.[2]

– **ويضيف ماكس فيبر** : أن المدينة هي ذلك الشكل الذي يسمح بظهور أعلى درجات الفردية والتفرد، و حين نعرف المدينة لا نقصد بذلك وصف أسلوب واحد للحياة، ولكن نصف مجموعة من بنى اجتماعية يمكن أن تؤدي الى ظهور أنماط متعددة وملموسة في أساليب الحياة ،فكأن المدينة على هذا الأساس تمثل بنى اجتماعية تشجع الفردية والاجتماعية والتجديد ،وهي بذلك وسيلة تغير تاريخي.[3]

– **البيئة الحضرية:** يتحدد إطارها بالهيكل الثقافي للمجتمع الكلي أولا والحضري ثانيا، وهذا الإطار يحكمه نسق القيم السائدة .[4]

– **المدنّية:** حسب قاموس الجغرافيا: تتمثل في الممارسات والتصورات الأفراد والمجموعات.

– **المدنية** حسب P.Signoles وChabbi: تعد أقدميه قدوم الفرد إلى المدينة كمرجع لمدنيّة الفرد من عدمها.

– **المدينة القديمة** حسب PAGAN:هي النواة الحضارية ومكان وجود المعارف والعلم مرتبط بالعادات والتقاليد ومكان التواجد السلطة المركزية تحيط بها أسوار عالية، بها أبواب تفتح وتغلق في أوقات محددة.[1]

---

1 :Meyer joseph École de Chicago: ibid. p 36

2 :جابر عوض سيد :التكنولوجيا والعلاقات الاجتماعية ،دار المعرفة الجامعية 1996 ص 180.

3 محمد عاطف غيث ،علم الاجتماع الحضري الاسكندرية ،دار المعارف الجامعية ص33

4 عبد الحميد رشوان ،المدينة في علم الاجتماع الحضري،الاسكندرية1998،ص 69.

- **التراث حسب محمود نجيب زكي:** لفظ التراث يطلق بالمعنى الواسع على نتاج الحضارة في جميع ميادين النشاط الإنساني من علم وفكر وأدب وفن ومأثورات شعبية وآثار وعمران وتراث فلكلوري واجتماعي واقتصادي"[2]

- **التراث الثقافي غير المادي:**"الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية التي تعتبرها الجماعات والمجموعات وأحيانا الأفراد جزءا من تراثهم الثقافي ،وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلا عن جيل تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها وهو ينمي لديها الاحساس بهويتها والشعور باستمراريتها..[3].

- **التراث:** هو نقطة البداية كمسؤولية ثقافية وقومية والتجديد هو إعادة تفسير التراث طبعا لحاجات العصر ،فالقديم يسبق الجديد [4].

- **التراث** : هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة فهو إذن قضية موروث وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر على عديد من المستويات.[5]

- **الهوية الثقافية** يعرفها محمد عابد الجابري: أنها الحد المكتسب من المعارف والتصورات والممارسات الفكرية لدى الانسان في محيطه الاجتماعي ،والتي تلقاها لمصلحته ولمصلحة هذا المحيط.[6]

- **الهويات حسب كاميل كاميلري** : هي تتصارع وتتغير من أجل الاعتراف بها في جو من الفضاء العام.[1]

---

[1] PAGAN : la Médina de Constantine, de la Ville Traditionnelle au Centre de l'Agglomération THD 3éme cle p63 في MISSOUM Salima.Alger à l'époque Ottomane, la Médina et la Maison Traditionnelle, INAS, Alger, 2003

[2]"مجلة العربي ع 30 "التراث والحضارة" في موسى دهانالنظام القانوني لحماية التراث الوطني ،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر، 2007 ص 19

[3]موسى دهان: مرجع سابق، ص 21

[4]حسن حنفي التراث والتجديد، موقفنا منالتراث القديم ،مرجع سابق ص 14.

[5]خليفة حماش :الأسرة في مدينة الجزائر في العهد العثماني ،رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث 2006 ص 488.

[6]إبراهيم حركات: الصراع بين هويتين ثقافيتين، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1977. ص 55.

- **ماكس فيبر**:الهوية الاجتماعية الجماعية :تتضح في نسق من العلاقات الاجتماعية يترابط الأفراد فيها بوحدة الإحساس والشعور العاطفي ،وبوحدة المصالح ويشتركون في ثقافة معينة تحدد أدوارهم الاجتماعية والمسؤوليات التي تميز أعضائها عن غيرهم من الأفراد والجماعات [2].

-**التعاريف الإجرائية**: يضيف التعريف الإجرائي إلى مجموعة من الإجراءات يمكن للباحث اتباعها وذلك لتأسيس وجود الظاهرة الموصوفة من قبل المفهوم ،يلجأ العلماء والباحثون لاستخدام التعاريف الاجرائية عندما لا تكون الظاهرة قابلة للملاحظة المباشرة .[3]

- **الهوية الحضرية بالقصبة**: هي تطبع الساكن بالقصبة ببعض الصفات و السلوكات الحضرية للسكان الأصليين والقدامى لها و التي يمكن أن تظهر في عاداته وتقاليده في الاحتفال بالأعياد والمناسبات وغيرها...
- **الاحتفال القصباجي**: هو ذلك الاحتفال الذي يقيمه سكان القصبة ويحتوي على بعض من العادات والتقاليد المشهورة لدى سكانها الأصليين.
- **الترميم الذاتي بالقصبة**: هي تلك العمليات التي يقوم بها سكان القصبة من أجل إصلاح أعطاب بيوتهم وصيانتها خوفا من الانهيار أو من أجل تجميلها.

---

[1]C.camilleri, la culture et l'identité (concepts et enjeux pratiques de l'interculturels, paris édition l'harmattan 1989 pp 40-43.

[2]عبد الحميد رشوان : البناء الاجتماعي و الأنساق والجماعات ،مرجع سابق.

[3]شافا فرانكفوت-ناشمياز، دافيد ناشمياز: طرائق البحث في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق ص 41

المبحث الثاني: الاقتراب النظري للدراسة

أ- النظرية الوظيفية:

"ترى المدرسة الوظيفية أن المجتمع نظام معقد تعمل شتى أجزائه سويا لتحقيق الاستقرار والتضامن بين مكوناته ووفقا لهذه المقاربة ، فإن علم الاجتماع استقصاء علاقة مكونات المجتمع بعضها ببعض وصلتها بالمجتمع برمته، ويمكننا على هذا الأساس أن نحلل على سبيل المثال: المعتقدات الدينية والعادات الاجتماعية، بإظهار صلتها بغيرها من مؤسسات المجتمع لأن أجزاء المجتمع المختلفة تنمو بصورة متقاربة بعضها مع بعض" .[1]

ضف الى ذلك فإن **لويس وورث** أكد على ضرورة تحقيق الاتساق النظري بين علم الاجتماع الحضري والمنطلقات النظرية الاساسية لعلم الاجتماع العام والتي تؤكد عليها النظرية الوظيفية في دراسة الوحدة الاجتماعية والظواهر الاجتماعية المتعددة.[2]

أما **سجوبرج** فقد أقر أن المدخل البنائي الوظيفي يعتبر من الاساسيات النظرية لعلم الاجتماع الحضري كما ترى الباحثة **فادية عمر الجولاني** أننا بحاجة لتعدد الابعاد النظرية من اجل فهم ابعاد هذا الواقع المعقد والمتعدد في ظروف الحياة الحضرية المعاصرة.

كما أنه لم يتحدث علماء الاجتماع الوظيفيون كثيرا عن الثقافة بمعنى الفنون ولكنهم اهتموا كثيرا بالثقافة في إطار من المعتقدات والقيم وأساليب الحياة، وبما أننا نتكلم عن الثقافة الحضرية للقصبة، فقد ارتأينا أن نتطرق الى ما أتى به الوظيفيون بشكل عام بتناولهم الثقافة الاجتماعية وفق رؤية تطورية ،وتركيزهم على الطبيعة المتغيرة للثقافة والمرتبطة بتطور المجتمع ولأن الهوية تتشكل عبر الثقافات التي ينتمي لها الأفراد والعلاقات التي ينسجها لهذا يرى "ستيفن فروش " Steven FROSCH أن الهوية هي إفراز من الثقافات ولكنها لا تتكون منها ببساطة بحيث يقول أن "هوية الفرد هي حقيقة متعددة وربما سائلة حيث أنها تتكون عبر التجربة وتترسخ برموز

---

[1] أنتوني غدنز :علم الاجتماع ،ترجمة وتقديم فايز الصياغ،ط4 مؤسسة ترجمان ،عمان ،الأردن 2005،ص 74

[2] الأصول الفكرية للاتجاهات النظرية في علم الاجتماع الحضري،

لغوية، والأفراد حين يطورون هوياتهم إنما ينجذبون الى المعطيات الثقافية الموجودة في الشبكة الاجتماعية المباشرة لهم وتلك الموجودة في المجتمع ككل" .

أما **دور كايم** فأكد على أنظمة التصنيف التي تشكل الاساس لكل التصنيفات والثقافات، فهي التي تؤسس العلاقات بين المجموعات وتنظيمها بحيث يعتقد أن الثقافة المشتركة او الوعي الجمعي ضروريان إذا أريد للمجتمع أن يواصل حياته بانتظام وهاته الأخيرة توجد وفق خيارات ورغبات الأفراد وهي مقيدة لسلوكهم. ووفقا لما توصل إليه **تالكوت بارسونز** في نظرية النسق الاجتماعي وكيف أن لكل عضو داخل هذا النسق دور ووظيفة يقوم بها وفق مكانة معينة يحتلها والتي تتكامل فيما بينها في سبيل تحقيق الهدف العام للنسق، وعليه فقد استعنا بهاته المقاربة النظرية في دراستنا لتبيان دور القصبة في بناء الهوية الحضرية للفرد سواءا من خلال الفئة القليلة لسكانها القدامى في تلقين الثقافة الحضرية للنازحين إليها وكذا دور الفاعلين السياسيين والاجتماعين في الحفاظ على تراث القصبة .

ب-نظرية التنشئة الاجتماعية:

تعتبر التنشئة الاجتماعية من اهم العوامل المساهمة في تكون هوية الفرد، إذ يشير "دينكن"[1] إلى ان كلمة تنشئة قد استعملت في الأدب الإنكليزي عام 1928، وكان المقصود بها تهيئة الفرد بان يتكيف ويعيش ويتفاعل مع المجتمع، بحيث أنها تكسبه سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها ،وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية .

ويضيف "غي روشيه"، أن للتنشئة مظاهر أساسية هي:

- اكتساب الثقافة من خلال اكتساب نماذج وقيم وطرق تفكير وفعل .
- دمج الثقافة في الشخصية: بحيث لا تقتصر فقط على نقل القيم والمعايير والقيم والقواعد، بل هي في الأساس تكوين تصور عن العالم بواسطة تكوين "قانون رمزي" منسجم شكل نسق مرجعي ومقيم للواقع، بحيث أن هذا النسق المرجعي يملي السلوك

[1] دينكن ميتشيل: معجم علم الاجتماع ، ترجمة و مراجعة ،إحسان محمد الحسن،ط2 ،بيروت ،دار الطليعة، مارس، 1986

ويفترض هذا اكتساب واستعمال اللغة التي هي بنية للعلامات والرموز التي ترجع التصورات العقلية للفرد .

- التكيف مع المحيط الاجتماعي: التكيف هو النتيجة الأساسية للتنشئة الاجتماعية وهذا من خلال سيرورة انتماء لجماعات ومن ثم الاندماج في جماعته ووسطه وهذا ما يجعله قادرا على التكيف والاستمرار .[1]

كما انه بواسطة التنشئة الاجتماعية يتم نقل التراث الاجتماعي من جيل لآخر ،لكن يقر كثير من الباحثين باستحالة حدوث تنشئة اجتماعية كاملة من جيل قديم نحو جيل جديد بحيث يوجد دائما اعتراض لبعض عادات وتقاليد السلف وهذا ما يفسر تلك التعديلات والتغييرات الثانوية باستمرار سواءا في العادات أو الموضات أو المعتقدات أو حتى في الكلمات والتي يمكن ان تكون ناجمة عن البيئة وتطوراتها التكنولوجية.[2]

وبما أننا نتكلم عن انتقال التراث الثقافي و الحضري للقصبة، من خلال رصد سيرورة انتقاله من الجيل القديم الممثل في سكانها القدامى الأصليين إلى الجيل الجديد الممثل في ابنائهم وأحفادهم والذي لا يتم إلا عن طريق التنشئة الأسرية كمرحلة أولية أساسية ،بحيث يتم من خلالها تشريب العادات والتقاليد القصباجية للأجيال وهذا من أجل دمجهم اجتماعيا داخل القصبة وهذه كمرحلة ثانية تسمى بالتنشئة الاجتماعية، ومن ثم مجاليا بدمجهم مع محيطهم الحضري أي تنشئتهم حضريا، وهذا لكي يستطيعوا هم بدورهم فيما بعد إعادة انتاج تلك الممارسات الحضرية و المدينية التي تتوافق والمجال الحضري وعليه فقد توجب علينا الاعتماد على هذه النظرية.

ت- ابن خلدون

يعود استعمال تأثير المجال الحضري أو المدينة كآلية مهمة في فهم سلوك وطبائع الافراد ومن ثم فهم شخصياتهم وتحديد هوياتهم إلى أمد بعيد، فقد ذكر ابن

---

[1] غي روشيه في : مزوز بركو: اضطرابات الوظيفة الأسرية ، التنشئة الاجتماعية في الأسرة الجزائرية ،،مجلة شبكة العلوم النفسية العربية ،عدد 12-22 شتاء وربيع 2009 ص ص43 -49

[2] محمد الجوهري وآخرون :التغير الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995

خلدون:"أن طبائع العمران تتحدث عن أحوال الماضيين من الأمم وعاداتهم وتقاليدهم " لكن دون ذكر مصطلح الهوية المعروف حاليا في علم الاجتماع. وعليه فهو يعد من أوائل المؤرخين الذين نادوا بضرورة انشاء علم "العمران البشري"[1]،بحيث يرى أن الاجتماع الانساني ضروري لأن "قدرة الواحد من البشر قاصرة على تحقيق حاجياته" بحيث ركز على كيفية تأثير البيئات الاجتماعية على الفرد وهويته،وتطرق الى تطور العمران وتغير عوائده حسب تبدل الجيل الذي يتبع في ذلك سياسة سلطانه، وذلك من خلال مؤلفه الضخم: كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" والذي كانت المقدمة التي وضعها له أهم شيء لنا وهذا لما تطرقت له في وصف كيفية تغير الأشكال الاجتماعية من البداوة الى المدنية مركزا على مفهوم العصبية في ذلك والتي يقصد بها التضامن الاجتماعي،[2] ودورها في حماية النوع الانساني بتحقيق المنفعة والدفاع والحاجات بحيث تكون الدولة في أوج قوتها لكن بتخليه عنها و انتقال الفرد الى حياة البذخ تسقط الدولة وتضمحل لتقوم أخرى مقامها.

وعليه ومن خلال التأمل في ما أتى به ابن خلدون في طرحه هذا ،يمكن أن نخلص لأن نقول أنه قد كان له السبق في تحليل سيرورة الانتقال من حياة البداوة المعتمدة على العصبية الى حياة المدنية القائمة على تحقيق الكماليات و الأنانية والعدوانية، والتي في أثنائها تتغير هوية الفرد القائمة على الروابط العصبية الى هوية قائمة على أساس روابط منفعية أنانية وكيفية تأثير ذلك على العمران من خلال اضمحلال الدولة وسقوطها والتي لم يدع الفرصة لقيام حضارة وعمران عريق خصوصا في دويلات المغرب العربي.

ويضيف أن تراجع المدن لا يظهر في تقلص مساحتها وتناقص سكانها فقط، بل يظهر في تغير نمط المباني المشيدة بالحجر والجير والمنمقة بشتى أساليب التنميق فإذا تراجع عمرانها وخف ساكنوها وقلت الصنائع كان من جملة عدم الإجادة في البناء واستخدام الطوب بدلا من الحجارة ،والقصور عن التنميق، فيعود بناء المدينة

---

[1] عبد الباسط عبد المعطي:اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة، 1981 ،ص 55

[2] أنتوني جيدنز: مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة أحمد زايد وآخرون ،ط2، 2006

مثل بناء القرية، وتظهر عليها سيماء البداوة وفوق هدا فإن مع قلة السكان وهجر المساكن وعدم القدرة على جلب مواد البناء الجديدة يدفع سكان المدن المتدهورة الى استخدام أحجار البناء القديمة ونقلها من الدور القديمة الى الحديثة.[1]

وعليه بإسقاط طفيف لكل ما توصل اليه ابن خلدون في هذا الصدد يكمن أن نقول أنه فعلا بقصبة الجزائر لاحظنا أن تلك عادات وتقاليد الأجيال المتعاقبة بها في اختلاف مستمر حسب السلطات الوصية المتعاقبة على القصبة ،فبتخلي المسؤولين عنها واهتمامهم بظرفها المالي فقط انهارت القصبة وانهار معها تطلعات الأجيال بها التي أصبحت هي كذلك تبحث عن طرق الاستفادة منها من خلال الحصول على سكن اجتماعي لاغير عكس سابقيهم الذين تفانوا في الحفاظ عليها وترقيتها ،كما أنه هناك فعلا من لجأ من سكانها إلى بناء بيوت عشوائية بالقصبة بالاستعانة بمخلفات بعض مواد البناء القديمة لبعض الدويرات مشوهة بذلك الهندسة المعمارية للقصبة.

ث- مدرسة شيكاغو

تعد مساهمة جورج زيمل وباحثي مدرسة شيكاغو على رأسهم بارك جد مهمة ،بحيث أبرزوا خصوصية الثقافة الحضرية وحللوا أسلوب الحياة في المدينة وكذا كيفية تغير العلاقات بها واستبدال الهويات.

فبالنسبة" لزيمل" المدينة مجال للغرباء ولكي نعيش بها يجب أن نكون علاقاتنا سطحية وغير شخصية مع الآخرين بحيث أن تعدد الأدوار يكون ضروريا.[2]

أما بالنسبة لباحثي مدرسة شيكاغو فقد نهجوا نهجه فالنسبة ل "بارك" فقد تكلم عن كيفية تغيير الفرد لمرجعيته داخل المدينة ، فبعد أن تكون مرجعيته عمودية مرتبطة بالعرق والسلالة تصبح مرجعيته أفقية و مجالية مرتبطة بالانتماء للحي الذي يسكنه.

أما" ماكنزي" فقد اعتبر المدينة عنصر مذوب للهويات المبنية على التعامل العرفي وتستبدلها بأخرى مجالية وكنتيجة لما توصل إليه أولئك الباحثون ،فالمدينة يفترض أن تمتلك ميكانيزمات وآليات تعمل على استبدال الهوية الفردية إلى هوية مستوحاة من الحياة الاجتماعية، لكن الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية تجعل الأفراد

---

[1] عبد الباسط عبد المعطي:اتجاهات نظرية في علم الاجتماع: مرجع سابق ص 56

[2] Coulon Alain : l'école de Chicago, 2eme édition presses universitaires Paris 1994.

يحافظون على إحياء مرجعياتهم القديمة ليستطيعوا العيش , وهذا ينتج لنا القرى داخل المدن وهذا ما يحدث لنا التناقض لان داخل القرى هنالك علاقات اجتماعية بحيث يتعارف جميع أفرادها فيما بينهم أما المدينة عكسها فهي مبنية على الأنونيما (اللاتعارف).

وهذا هو الحال بالنسبة للقصبة فبعد أن كانت تعد مركز إشعاع حضري وآلة لنشر الثقافةالحضرية وتلقينها وبناء الهوية الحضرية للفرد ودمج كل الوافدين إليها من الخارج أصبحت وبسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية السيئة لسكانها مدينة تحتوي على مجموعات وتجمعات صغيرة شبيهة بالقرى كل واحدة منعزلة عن الأخرى منطوية على نفسها لها هويتها الخاصة ومرجعيتها التي تستمدها من تصوراتها هي: إما مدة الإقامة أو الأصل الجغرافي أو مكان السكن السابق وغيرها... فأصبحت كل مجموعة ترفض المجموعة الوافدة إليها وترفض الاعتراف بمدنية وحضرية الآخر.

خلاصة الفصل الأول:

نظرا لتشعب موضوع دراستنا لما يحتويه من مفاهيم غامضة ومتداخلة كالهوية والانتماء والاندماج في علاقتها مع المدينة من حيث اعتبارها آلية ذات وظيفة وفعالية كبيرة في تشكيل وتغذية التصورات و الأحاسيس المتعلقة بالهوية في ظل كل ما تشهده من تغيرات اجتماعية ،فقد كان تحديد مدخل نظري معين أمرا صعبا المنال، لهذا فقد اعتمدنا على النظرية المتعددة الأبعاد، بحيث ارتشفنا من كل نظرية الشق الذي ارتأينا أنه سيخدم دراستنا باعتبار أن هاته الأخيرة هي الموجه لنا أثناء شرحنا للظواهر والتنبؤ بها، كما أنها تساعدنا في صنع قرارات علمية ذكية.[1]

بحيث قمنا بالاستعانة بالنظرية الوظيفية وهذا لتبيان وظيفة القصبة في بناء الهوية الحضرية، وكذا لمعرفة دور الفئة القليلة من السكان بنقل هذا تراث هذه الهوية من جيل لآخر والذي لا يتم إلا عن طريق التنشئة الأسرية وبعدها التنشئة الاجتماعية والتي استعنا بها كذلك كمقاربة اساسية لدراستنا ،أما النظرية الإيكولوجية المتمثلة في أعمال باحثي مدرسة شيكاغو، فقد استعنا بها لوجود شبه بين القصبة وبين مدينة شيكاغو، من حيث أنهما عرفتا موجة هجرة كبيرة للسكان، خلقت علاقات وروابط اجتماعية وحضرية جديدة للمدينة وأعطت مفهوما خاصا لهوية سكانها من خلال ابتكار أساليب حياة جديدة وفقا ثقافة معينة تسمح لهم بالتأقلم مع اوضاعهم الصعبة داخل المدينة، نذكر منها ثقافة الفقر التي تكلم عنها لويس أوسكار، والتي لمحنا وجودها بالقصبة. أما تطرقنا للنظرية الخلدونية فقد كان بسبب كونه السباق للتكلم عن تأثير العمران البشري في سلوك وطبائع الفرد، وكيف يمكن لنا أن نلحظ تقهقر مدينة ما من خلال تدهور عمرانها، وبما أن القصبة تشكو تدهورا لا مثيل له في نسيجها العمراني، أصبح من السهل على أي زائر لها أن يتكهن طبائع و سلوكات ساكنيها والتي تتأثر بشكل مباشر بالمحيط المتعب الذي يعيشون به. وعليه و من

[1] شافا فرانكفوت–ناشمياز دافيد ناشمياز: طرائق البحث في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق ص56 .

خلال كل هذه التوليفة النظرية لدراستنا، إلا أنه لا يمكننا استيفاء كل جوانب الهوية التي لا يزال البحث متواصلا بها، ويظل أوسع من هذا بكثير.

الفصل الثاني

الهوية

الفصل الثاني

الهوية

تمهيد

سنستعرض في هذا الفصل الشق الحضري والمجالي للهوية ، لكن قبل ذلك سنحاول إلقاء الضوء أولا على أولى الإسهامات النظرية لها في العلوم الأخرى التي سبق لها التطرق لها من جوانب أخرى وعليه سنستهلها بالتصور الفلسفي لها والذي يعد "أرسطو" من أشهرهم وهذا من خلال تطرقه للهوية من خلال قواعدها الثلاث التي أسماها بقوانين الهوية بحيث رأى أنه يمكن رد قوانين الفكر الأساسية إلى قانون الهوية ،بحيث أكد مبدأ ثبات الهوية من خلال تصوره أن مبدأ عدم التناقض وأن قانون الذاتية هو الذي يحقق هذا الثبات الذي يعتبر هوية الصورة الإيجابية لكل قوانين الهوية، بعكس "هيجل" الذي الذي جاء بفلسفته المادية والجدلية لحل التناقض مؤكدا أن تغير الهوية وتحولها من حال الى آخرلا يتم إلا بفعل التغير والتناقض الذين يؤكدان ضرورة المجتمعات وبطلان ثبوتهما على حال واحد.[1].وصولا إلى الفكر الفلسفي المعاصر الذي ربط بين المنهج العلمي والهوية ،وذلك باعتبار أن الهوية هي البناء الفكري الذي يستند إليه المنهج العلمي والأساس الذي من خلاله يستقي المنهج معرفته بالبنية الداخلية للمجتمع والمحيط الإيديولوجي الكائن فيه [2].

أما بالنسبة لعلم النفس الاجتماعي فقد صبإهتمام باحثيه حول دراسة الهوية الذاتية وأزمة الهوية، وعلى رأسهمم "إيركسون" والذي ينظر الى أن الهوية تتضمن القطب الفردي المتمثل في "الأنا" الذي يوافق ما أسماه دور كايمب "كائننا الفردي حيث يتكون هذا الكائن من مزاجنا وطبعنا ووراثتنا ومجموع الذكريات والتجارب التي تشكل تاريخنا الخاص وخلافا لذلك القطب الاجتماعي الذي يظهر تشابهنا مع الغير فإن القطب الفردي يشهد على تفردنا وتميزنا وبالتالي اختلافاتنا مقارنة بالغير.[3]

أما في الانثربولوجيا :فقضية الهوية اعتبرت مفهوما مستقلا تحت عناوين أخرى مثل مسائل الإثنية أو العرقية وشعائره،الميلاد،والانتقال من الطفولة الى الشباب الى الكهولة...)بحيث تذهب "نيكول ساندزانغر (1988) الى أنه يمكن تصنيف السمات التي تحدد الهوية الى

---

[1] ميمونة مناصرية :هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة،جامعة محمد خيضر ،بسكرة ،2011-2012ص 73

[2] المرجع السابق ،ص 74

[3] 1.Robert Campeau et Al : individu et société, introduction à la sociologie, éd Gaetan Morin, paris, 1993 p 71

مجموعتين أولها :هوية الأشياء :العلاقات المنطقية التي تتعرف بها كل جماعة ثقافية على شيء يكون هو نفسه في مختلف الأحوال كأن تقول الشجرة هي الشجرة...أما المجموعة الثانية فهي تتعلق بهوية الأشخاص والمجموعات البشرية أي الطريقة التي يتعرف بها فرد أو جماعة على التماثل أو التشابه الموجود في خاصية أو مجموعة من الخصائص المميزة عن بقية الافراد والجماعات. وعليه يمكن للهويةفي هاته الحالة أن تنتقل من الأعم الى الأخص أو من الأخص الى الأعم يتبنى المنطق الصوري.[4]

- الهوية الثقافية :يعود الفضل بالتطرق إليها الى الدراسات الأنثربولوجية الثقافية الأمريكية في تناولها بالبحث أساليب ترسيخ النماذج الثقافية في الشخصية كأعمال M.Meadو Devreux بإثبات أن الثقافة والشخصية متطابقين على اعتبار أن الثقافة تساهم في التوظيف النفسي الداخلي للفرد فهي مصدر لسلوكات الأفراد والجماعات ،ومن هذا المنطلق فإن الهوية الثقافية هي عبارة عن تلك الصورة التي تكونها جماعة ما عن نفسها والخصوصية المميزة للجماعة التي تجعلها مختلفة عن باقي الجماعات،وذلك نظرا لما تحمله من تشابهات دالة على الانتماء للجماعة.[5]

وعليه ومن خلال كل هذا سنحاول إستعراض كل هذامن خلال مباحث ،يحتوي كل مبحث منها إلى بعد من أبعاد الهوية ،بحيث سيكون من المستحيل بما كان محاولة الإلمام بهذا المفهوم، وعلى رأي**ORIOL.M** إن كل محاولة لإعطاء تعريف واضح ونهائي للهوية بحيث يرضي النفسانيين والاجتماعيين والأنثروبولوجيين ستظل بدون جدوى.[6]

---

[4]لعربي ولد خليفة،المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية،منشورات تالة 2007 ص،ص 106-107

[5] جوهر عبلاش : الهوية لدى المراهقين القبائل"أطروحة ماجستير جامعة الجزائر 1001-2002 ص 12.

[6]**ORIOL.M** : la crise de l'état comme forme culturelle, in peuples méditerranéens .1983.p 32

عيسى بن حدوش: التغيرات الوظيفية في الاسرة ، ،مطبوعات الكتاب والحكمة ،باتنة –الجزائر– 2008.

المبحث الأول: الهوية كبعد نفس-اجتماعي

أ- مفهوم الهوية

الهوية مشتقة لغويا من الضمير المنفصل "هو" الذي يدل على ذات الشيء أو الشخص المستقلة عن ذوات الأشخاص الآخرين.

ويعرفها الجرجاني: أنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة. وقال الكفومي بأن الهوية تطلق على ثلاثة معان التشخيص والشخص نفسه والوجود الخارجي .[1]

ويعرف قاموس "لاروس" الهوية أنها: مجموع الظروف التي تجعل الشخص مميزا ومحددا.[2]

وحسب ما جاء في قاموس اللغة العربية "المنجد" الهوية حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة التي تشمل على صفاته الجوهرية.[3]

أما في اللغة الفرنسية identité مشتقة من الكلمة اللاتينية " idem والتي تعني الأشياء والكائنات المتشابهة أو المتماثلة تماثلا تماما مع الحفاظ في نفس الوقت بتمايزها عن بعضها البعض.[4]

حسب قاموس التراث الأمريكي: هي مجموعة من الخصائص التي تعرف الشيء ذاته وتميزه عن شيء آخر.[5]

أما في الأدبيات المعاصرة فهي تستعمل لآداء معنى كلمة identity التي تعبر عن خاصية المطابقة: مطابقة الشئ لنفسه أو مطابقته لمثيله .

-p.tap: الهوية الفردية هي عبارة عن تلك المسافة التي يقطعها الفرد بين محاولة التميز عن الآخرين واضطراره للتطابق معهم في جهد دائم لتوحيد آليات الذات، غير

---

[1] : لسان العرب 313/16 مادة عرش و15 /971 مادة هو

[2] Dictionnaire petit larousse, voir « l'identité » 1994 :2 نقلا عن طايبي رتيبة:الصراع الثقافي وتأثيره على هوية الشباب الجامعي في المجتمع الجزائري اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه،2007 -2008.

[3]: لويس معلوف ،المنجد في اللغة العربية والأدب والعلوم ،أنظر مادة الهوية ط 8 ،بيروت، نقلا عن نفس المرجع السابق .ص 8.

[4]1994 " dictionnaire alphabétique et analogique de la langue français ,voir « identité

[5]The American hirtage,dictionary of the english language,fourth édition ,2000 نقلا عن طايبي رتيبة ص.

أن انسجامها الداخلي تبطله ضرورات قوالب الثقافة التي يعيشها الفرد والمجتمع الذي ينشأ فيه ذلك الإبطال نفسه هو الذي يدفعه لتجديد تميزه ورسم حدود هويته الفردية وعلى هذا النحو تتواصل عملية الإثبات والإبطال والعودة الى الإثبات مدى الحياة.[1]

ويعرفها كذلك على أنها عبارة عن مجموعة الخصائص الجسدية النفسية، الأخلاقية، الاجتماعية، الثقافية التي تستطيع من خلالها الفرد أن يعرف ويقدم نفسه للآخرين وأن يتعرف عليه الناس فهي تعبر عن الخصائص التي بواسطتها شعور الفرد بأنه موجود فعلا كانسان له جملة من الأدوار و الوظائف وأنه بذلك مقبول ومعترف به كما هو من طرف جماعته الثقافية التي ينتمي إليها والغير في آن واحد.[2]

- **P Mussen**:الاحساس بالهوية الذي يكتسبه الفرد خلال نموه النفسي والاجتماعي هو الاحساس الذي يقوم بدور حيوي في تحديد حوافز الفرد واتجاهاته و ردود فعله.

- **هيجل** :الهوية تنجم عن الاعتراف المتبادل للأنا والآخر،فهي نتيجة عملية صراعية تنشأ ما بين كل التفاعلات الفردية والممارسات الاجتماعية الموضوعية والتصورات الذاتية[3] .

- **أليكس ميكشللي:** مجموعة من السمات التي تسمح لنا بتعريف موضوع معين،وعليه فالتحديد الخارجي للهوية يكون بالبحث عن هذه السمات وتحديدها.ولكي نحدد هوية مجتمع أو جماعة أو أفراد يقتضي العودة الى جملة من العناصر وهي التي تكون لنا عناصر الهوية .[4]

---

[1] La formation de l'identité, découverte psycologiques et problémes de recherche « in identité individuelle et personnalisation, sous la direction de p tap, toulouse, paris pp 13-21

[2] Tap et AL identités collectives et changements sociaux, paris, 1986.p 17 نقلا عن جوهر عبلاش،مرجع سابق ص 12.

[3] Gilles ferreol et AL, opcit, p 110. نقلا عن جوهر عبلاش ،مرجع سابق ص 40.

[4] أليكس ميكشللي :الهوية ،ترجمة د. علي وطفة ،دار النشر الفرنسية ،ط ع 1 ،دار الوسيم للخدمات الطباعية ،دمشق1993.

- **الـهوية الاجتماعية:** يعود الفضل الى الباحثان "لبينسكي" و "كول" Coll و E.M.Lipiansky من خلال الاعمال التي تم من خلالها استجواب الطبقة العمالية والأقلية العرقية وعلاقات السلطة مع الجماعة المسيطرة الأمر الذي خلق "إغتراب الهوية الفردية"الناجمة عن تهميش اجتماعي، وبناءا عليه تبين بأنه بغياب الاندماج يولد الإغتراب، كما يتفق المؤلفون عامة في تعريف الهوية الاجتماعية على أنها الوعي بالانتماء لجماعات اجتماعية معينة،بينما الهوية الفردية (الشخصية)شكل مكملة مجموع التصورات، المشاعر، المعارف، الذكريات والمشاريع المرتبطة بالذات[1].
- **تاجفال:** الهوية الاجتماعية للفرد مرتبطة بمعرفته لانتمائه إلى فئات اجتماعية معينة، كما أنها مرتبطة كذلك بالدلالة الوجدانية التي تتمخض عم هذا الانتماء[2].
- **تاجفال:** الانتماء إلى فئة ما تواد عنه نتائج مرتبطة بالاعتراف بالهوية الاجتماعية ذلك لأن الارتباط الفرد وانتمائه الى فئة ما يظل قائما مادامت هذه الفئة تعزز المظاهر الإيجابية لهويته وتقوي شعوره بالتقدير لذاته.
- **Oriol:** إن الهوية الفردية والهوية الجماعية تربطها علاقة التكامل وليس عنصر الإقصاء، والهوية تظهر في كل الحالات كنتيجة للفوارق والاختلافات.
- **Sainsaulieu:** الهوية الجماعية تضمن استمرارية الجماعة أو المجتمع كما ترسم في الزمن حدود الجماعة داخل وسطها الطبيعي والاجتماعي، علاوة على ضبط انتماء الأفراد الى المجتمع[3].

---

[1] E.M Lipiansky et Coll ;1990 pp 17-61 in ben Meziane Taalbi :l'identité au maghreb l'Erance éditions casbah ,Alger 2000.p 22.

2 Tajfel (H) : la catégorisation sociale inMoscovice, 1973 p 242-41 نقلا عنجوهر عبلاش مرجع سابق ص

[3]Sainsaulieu (R) l'Identité au travail,presses de fondation nationale des sciences politiqueparis1977 p 12.

- **محمد عاطف غيث:** الهوية تتكون من إطار عملية التفاعل التي يعيشها الفرد مع أعضاء مجتمعه وذلك عن طريق عملية نفسية اجتماعية يطلق عليها مصطلح التقمص والذي يعني فيما يعنيه تمثل وإدماج القيم والمعايير بما في ذلك الأدوار الاجتماعية والتعبير عنها بسلوكات معينة على أساس أن الهوية تتجسد في مختلف الأنماط السلوكية التي يسلكها الفرد في الحياة الاجتماعية بحيث تسمح له باحتلال مكانة اجتماعية محددة في المجتمع وبالتالي الاندماج فيه كعضو فعال.[1]

- **عبد الله الشامي رشاد:** الهوية هي الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية والثقافية التي ينمي إليها وعن طريقها يتعرف عليه باعتباره منتميا الى تلك الجماعة.[2]

- **محمد رفعت قاسم وبدر الدين كمال** :النزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري وثقافي معين بما يقتضيه هذا من التزام بمعايير وقواعد هذا الاطار وبنصرته والدفاع عنه في مقابل غيره من الاطر الاجتماعية والفكرية . [3]

ب- **وجهات نظر في الهوية من البعد النفس – اجتماعي**

لقد وضع "ستيوارت هول" ثلاثة مفاهيم للهوية يعتقد فيها أن الهوية مرت بثلاثة مراحل سيطرت في كل منها فكرة الهوية على التفكير السائد حول المجتمع وهي : موضوع التنوير، في القرنين 16 و18، بحيث ظهر مفهوم جديد للهوية بخاصيتين لكل فرد هوية خاصة بذاته وهي موحدة ولا يمكن تجزئتها الى وحدات أصغر ،أما الخاصية الثانية فإن هوية كل فرد متميزة unique فالفرد لم يكن جزءا من شيء أكبر (السلسلة العظيمة للوجود) وإنما ينظر إليه باعتباره ذو هوية متميزة قائمة بذاتها،

[1] محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية 1989 ،ص 233.

[2] عبد الله الشامي رشاد: إشكالية الهوية، سلسلة عالم المعرفة،الكويت،1997 ص08

[3] محمد عاطف غيث، المرجع سابق ، ،ص 233

فحسب هول فإن هذا المفهوم للهوية نشأ من أفكار الفليلسوف "ديكارت " أنا أفكر إذا أنا موجود. أما المفهوم الثاني لها فهو موضوع لعلم الاجتماع بحيث بدأ تطور مفاهيم الهوية الفردية نتيجة لتطور المجتمع في القرن 19 عشر مع بداية الثورة ضد التمييز وما انجر عليه من تصنيع في القرن 20 حيث أصبح الفرد جزءا من الماكنة البيروقراطية والإدارية للدولة الحديثة ولم يعد شيئا منفصلا عن الأفراد الآخرين.أما المفهوم الثالث للهوية فكان موضوع ما بعد الحداثة والتغيير: بحيث أن المجتمعات الحديثة تميزت بالتغير السريع مما جعل من الصعب على الناس أن يحتفظوا بإحساس موحد لهويتهم.[1]

أما الاهتمام العلمي بمسألة الهوية إلى علماء النفس الاجتماعي وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية الذين عملوا في فرق بحث مع الأنثربولوجيين، ونقلوا البحث في الفترة مابين الحربين من المجتمعات المغلقة (البدائية) الى إشكاليات الهجرة و التوافق والباثولوجيا الاجتماعية وعلم اجتماع المدينة والتقاطع الثقافي وفقه اللغة واللسانيات والحدود النفسية والثقافية والمجتمعات والثقافات الفرعية والاتصال أو التماس الثقافي بحيث تركز اهتمامهم منذ الخمسينيات 50 في البحث عن الأدوات المنهجية الملائمة للكشف عن إشكاليات إدماج المهاجرين الى الولايات م أ والتوافق والصحة والنفس والعقل بشكل عام على أساس أن الهوية الثقافية تحدد سلوك الأفراد والجماعات وبافتراض أنها ثابتة الى حد كبير، لكن تجاوزت فيما بعد هاته الفرضية القائلة بثبات الهوية وأرجعها الى فرضية أخرى أكثر إجرائية من حيث خضوع الهوية لسياق العلاقات الثقافية البينية والعلاقات بين الثقافات. بحيث يعتبر علم النفس الاجتماعي

[1] هارلمبس وهوليون : سوشيولوجيا الثقافة والهوية ،ترجمة حاتم حميد محسن ،كيوان للطباعة والنشر والتوزيع سوريا2010، ص 16.

الهوية أشبه بجسر بين ماهو فردي (سيكولوجي) وماهو اجتماعي (سوسيولوجي) وخلاصة للتفاعل بين الفرد وبيئته الاجتماعية.[1]

- **إريكسون:** إذ يعتبر أن كلا من الهويتين الفردية والاجتماعية يسمو في إطار وحدة متكاملة واتساق منظم، بحيث رسم مخطط يمكننا من ملاحظة العلاقة الدائرية المتبادلة بين الأحاسيس الداخلية والعلاقات القائمة مع الوسط الخارجي، في مثال عن ذلك بالانسان الكريم الذي لا يعرف الرفض والذي ينجح دائما لأن هويته الاجتماعية ممتدة الى تحديدات أولية للانسان الاجتماعي.[2]

كما طرح سارتر في إطر نظريته الشمولية للهوية الاجتماعية ،وذلك في سياق وضع الفرد في إطار المجال الانساني الذي يشمل جميع الناس ،بحيث يقول "إنني أوربي في القياس الى الآسياويين أو السود، وعجوز بالنسبة للشباب وقاض بالنسبة للجانحين وبورجوازي بالنسبة للعمال..." فالهوية الاجتماعية ترتكز على أهمية جماعات الانتماء[3].

وفي هذا السياق صنف أليكس ميكشللي الهوية إلى مايلي:

- الهوية المظهرية identité de façade: هوية يقترحها الفرد أو الجماعة من أجل الآخرين وتكون أكثر أو أقل تطابق مع الهوية الحقيقية، وتعد هوية اجتماعية لأنها معدة من أجل الأعضاء المشاركين في إطار الحياة الاجتماعية وعليه يمكن امتلاك أنواع من الهويات المظهرية، الهدف منها إخفاء الصورة الحقيقية والحد من النظرة النقدية للآخرين.

[1] العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، منشورات تالة 2007 ص ص 94-110

[2] أليكس ميكشللي :الهوية ،ترجمة د. علي وطفة ،دار النشر الفرنسية ،ط ع 1 ،دار الوسيم للخدمات الطباعية ،دمشق1993.

[3] أليكس ميكشللي ،نفس المرجع ص 42

- الهوية التفاضلية identité différentielle: نتاج لعملية مقاربة بين الهويات المتقاربة والتي يمكن لها أن تكون ثقافية، اجتماعية، جماعية أو فردية، ويمكن من خلال تحديدها الإعلان عن السمات التفاضلية الرئيسية.

– الهوية الإضفائية المحددة identité attribuée: هي تحديد للهوية يصدر من الخارج، وتشمل على مختلف التحديدات التي يصدرها الآخرون حول الفرد.ويمكن أن تتحدد الهوية الحقيقية في جزء منها تحت تأثير مختلف الهويات الإضفائية الصادرة عن الوسط المحيط بالحياة، وغالبا ما يعطيها الأعلى للأدنى وتكون بمثابة تعليمات و أوامر من الأعلى الى التابع.

- أما الهوية السلبية، فهي مفهوم استخدمه "إريكسون" لتحديد جملة السمات التي يتعلم الفرد أن يتجنبها هي صورة سلبية تضر بالهوية، بل هي نموذج مضاد لتوجيه السلوك وتكون سبب بعض الأزمات والمشاكل والانحرافات.[1]

ت– بعض الدراسات المتعلقة بها من هذا المنظور:

– دراسة سليماني جميلة :علاقة الفضاء المنزلي بالصحة النفسية لدى سكان أحياء القصبة[2]: بحيث تطرقت من خلال هاته الى وجود علاقة ارتباطية بين الفضاء المنزلي الصحة النفسية لسكان القصبة من عدمها؟ وهل هاته العلاقة تختلف باختلاف الجنس والحالة المدنية والوضعية المهنية أم لا بحيث خرجت منها بنتائج مهمة نلخص بعضها فيما يلي:

– وجود علاقة ارتباطية بين درجات الصحة النفسية ودرجات الفضاء المنزلي، وهذا ما أكد أن المسكن لا يعد مجرد مكان للإيواء الفيزيقي فحسب بل يشمل على عدد من المظاهر المختلفة بالقاعدة المجتمع السكني.

[1] أليكس ميكشللي :الهوية،مرجع سابق ص56

[2] سليماني جميلة :علاقة الفضاء المنزلي بالصحة النفسية لدى سكانأحياء القصبة،أطروحة دكتوراه 2008 –2009ص 17

– عدم اختلاف العلاقة الارتباطية بين الصحة النفسية والفضاء المنزلي لدى سكان أحياء القصبة باختلاف الجنس و الحالة المنزلية والوضعية المهنية، وهذا لافتقار الحي أساسا لشروط السكن اللائق ،وكذا للظروف المناسبة التي توفر الطمأنينة والأمان لهم ،ضف الى ذلك فإن أغلب الساكنين يتقاضون أجور زهيدة فلا فرق كبير بين العاطل والعامل ولا بين الذكر والأنثى ولا المتزوج والأعزب وهذا ما يظهر أن الحالة العامة المزرية للأحياء طغت على هاته المتغيرات وأثرت على صحتهم النفسية باختلاف جنسهم وحالتهم المدنية والمهنية.[1]

ث– أزمات الهوية ومشكلاتها:

– مفهوم أزمة الهوية : تعبر عن الحالة الغامضة والصعبة التي يصبح في إطارها الفرد غير قادر على تعريف ذاته إزاء الجماعة، أي أنه بعبارة أدق يكون من الصعب على الفرد توضيح وتمييز انتمائه لجماعة معينة لكونه يعرف اضطرابا واختلالا في سلوكه وتصوراته، بحيث ينتهي به الأمر الى أن يصبح مهمشا وبعيدا عن المشاركة الفعلية في الحياة الاجتماعية ككل، وذلك من خلال تفضيله لاستخدام وسيلة الاجتناب والتهرب من مواجهة الواقع الاجتماعي المعيش وهو ما يوحي الى إصابته بأزمة الهوية.[2]

– يعرف "إيريكسون" أزمة الهوية بأنها هي الأزمة المعيارية التي يواجه فيها الفرد الغموض والخلط في الأدوار، بحيث يعتبر هذا الغموض مؤشر يدل على البحث عن الهوية وصعوبة تعريف الذات وتمييزها عن الآخر نتيجة الخلط بين الأدوار والثقافات وتتصف هاته الحالة على العموم بعدم القدرة على الاستقرار في الهوية، فحينما يكون الشعور بالهوية ضعيف فإن الفرد لا يستطيع الانتقال الى المرحلة الباطنية للأنا فيفقد

[1] سليماني جميلة ، مرجع سابق.

[2] groupe de chercheurs :crise de l’identité et déviance chez les jeunes immégrés .paris, 1982.pp10.20

على إثر ذلك جزء من هويته. ويقول في وصفه لهذه الحالة "أن هذه الحالة تتضمن الشعور المفعم بآلام العزلة وتفكك الشعور الداخلي لاستمرارية الهوية والشعور بالخجل العام وعدم القدرة على اكتساب الشعور بالانجاز في أي نشاط من مجالات الحياة".[1] وحسب لينغ laing: فإن إضطرابات الهوية تنشأ تحت تأثير الفاعلين الاجتماعيين الذين يعانون من المرض أنفسهم (أفراد، عائلات، مجتمع ككل) وهم أنفسهم الذين يفرضون على الآخرين نظاما من العلاقات المرضية الخاصة بهم ".

و بما أن الهوية هي منظومة من المعطيات المادية والمعنوية والاجتماعية التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفية ، لكن لا يمكنها الوجود إلا إذا احتوت على الروح الداخلية التي تعطيها معناها وهي الاحساس بالهوية والشعور بها. ومن بين أزمات الهوية نجد:[2]

- انشطارات الهوية les dissonances، بحيث يشير bastide في هذا الإطار الى كيفية المصالحة بين النظامين عند "الأفروبر إزيليان" الذين كانوا يعيشون إزدواجية هوية ثقافية وذلك من خلال مشاركتهم في الحياة الاقتصادية والسياسية من جهة وإخلاصهم للحياة الدينية الإفريقية التقليدية من جهة أخرى، يطلق عليها مبدأ القطيعة غير مهيأة على نحو دائم.
- اضطراب الأمن الوجودي الناجم عن الانحلال العائلي، الاستبعاد بالرفض، الهدم العاطفي، انهيار الأصول الاجتماعية والدينية، انهيار الأسس الخاصة بالهوية. تشير D .Beel أن أزمة الهوية المعاصرة هي بالضرورة أزمة أنظمة القيم السائدة.
- استلابات الهوية Les Aliénation de l'Identité : ينتج ذلك عن طريق التطبيع القسري حسب Bastide، تحت تأثير جماعة ضاغطة تهيمن على جماعة أخرى

[1]Erikson.H : Adolescence et crise, la quéte de l'identité, ed flammrian. 1972. p.137

[2]أليكس ميكشللي ، مرجع سابق ص54

كالاستعمار الذي يفرض على المجتمع الخاضع لسيطرته نماذج ثقافية خاصة بالهوية من أجل دفعه الى التكيق مع هوية أخرى مختلفة و الى تبني هوية فردية أخرى وتمثل سلوك آخر وسمات شخصية أخرى ،كما يعمل على تغيير البنية الاجتماعية للجماعة وإلى إحداث تغيير عميق في نظامها المرجعي الثقافي ،وبالتالي فالهوية الغازية تطرح نفسها كنموذج مثالي للهوية .

كما يضيف "أليكس" أن ردود الأفعال العدوانية التي تتصف بالعنف هي بالدرجة الأولى احتجاجات تطرحها أزمة الهوية والانتماء.

- أما "بواريه" J.Poirrier، فيقول أن تأثير عملية التطبيع هي ثقافة متناقضة أو مشوهة تنطلق من معيارين متناقضين هما، الثقافة الأصلية التي تمثل تراث الآباء والأجداد ثم الثقافة الدخيلة التي تمثل المعاصرة وهذا ما يطرح ازدواجية في الهوية لوجود نموذجين متمايزين.[1]
- أما بالنسبة لعلماء الاجتماع فعند دراستهم لظاهرة المسافة الاجتماعية La Distanciation لاحظوا أن بعض الجماعات تحافظ على هويتها وصورتها المميزة وذلك من خلال الابتعاد عن الذوبان في جماعة أخرى، وذلك بالمحافظة على مسافة أمن اجتماعي، إذ يلاحظ في المدن أن سكان حي ما يغادرون مساكنهم إذا كانت نسبة السكان الخاصة بفئتهم الاجتماعية أقل من حد معين، غير الاقتلاع الثقافي الذي يجد الفرد أو الجماعة أو المجتمع نفسه داخل غمار حياة أخرى أوثقافة أخرى تختلف عن ثقافته الأصلية أو عن حياته المعهودة.[2]

[1] أليكس ميكشللي ، مرجع سابق ص 55

[2] نفس المرجع السابق .

المبحث الثاني :الهوية كبعد ثقافي

أ- بعض التعاريف المتعلقة بالهوية الثقافية

- إن القطب الاجتماعي الكائن في هويتنا بشكل ما يسميه الباحث "مالريو" Mlrieu بالأنا الثقافي الذي يوحي مجموع المعارف والطاقات التي تسمح للفرد بإعطاء معنى للسلوكيات التي يؤديها يوميا،هذا المعنى يبقى من جانب آخر غريبا بالنسبة للفرد الآخر لذي لا يتقاسم نفس الأنا الثقافي"[1].
- **j-stozel:** إدراك الآخر هو تصنيفه في فئات ثقافية دالة تحدد مركزه الاجتماعي ودوره.[2]

- **رونو سانسيليو** :في كتابه "الهوية في العمل": أن لعلاقات السلطة والقيادة تأثير على سلوك العامل وثقافته في العمل والوضعية التنظيمية والمهمنية كذلك لها دور في تحديد الهوية والشخصية المهنية والاجتماعية للعامل في العمل، وأن ممارسة مهنية معينة أو التحكم قي تقنية معينة مرتبط بمعايير العلاقة التي تحكمه بالآخرين أي أن كفاءة العامل في إنجاز عمله مرتبط بدرجة وطبيعة العلاقة الاجتماعية التي تربطه بالآخرين.[3]

- وحسب الدكتور **العربي ولد خليفة** تتحول الهوية الاجتماعية الى ثقافية عند استخدامها لأغراض التمييز والتصنيف بين "نحن" و"هم" على أساس ثقافي.كما يضيف أنه قد تم دراسة الهوية الثقافية نظريا في ضوء اتجاهين أساسيين:

- الاتجاه الموضوعي: يرى أن هناك تطابق بين مفهوم الثقافة ومفهوم الهوية ،فهم يعتبرون الثقافة بمثابة طبيعة ثانية للفرد والتي يتلقاها وكأنها وراثة تدخل في تكوينه الجيني والأفراد هم مجرد موضوع للهوية.

---

[1] Malirieu (1970.p38) in robert campeau, opcit pp 70-71

[2] أليكس ميكشللي ، مرجع سابق

[3] كوشي ابتسام المضامين الثقافية للمجالات الاجتماعية وعلاقاتها بتشكيل واعادة تشكيل هوية البطالين ،أطروحة لنيل شهادة ماجستير ع الاجتماع ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة .2012 -2013.

- الهوية هي مزيج تتداخل فيه الثقافة ، فلا هوية بلا ثقافة ولكن قد توجد ثقافة بلا هوية، كما تلح هذا الاتجاه على التنشئة والتربية في تحديد ملامح الهوية وإبراز الفوارق التي تميزها عن باقي الهويات الأخرى[1].

ب- بعض الإتجاهات المفسرة لها

المذهب الثقافي الأمريكي:أ.كروبير" A.Kroeber بحيث هناك من رأى أن الهوية مرادفا للثقافة مثل (A.KROBER) وأنهما حقيقة في حد ذاتها وبرهن ذلك في مقال له بعنوان "الحيوي الأكبر"The Super organic "1917.

أما الاتجاه الآخر فقد اعتبر أن الهوية مزيجا تتدخل فيه الثقافة فلا هوية بلا ثقافة ولكن توجد ثقافة بلا هوية. لكن كلا الاتجاهين ركزا على أهمية التنشئة الاجتماعية والتربية في تحديد ملامح الهوية وإبراز الفوارق التي تميزها عن الهويات الأخرى

وهناك من نادى بوجوب التمييز بين الهوية والثقافة مثل بارث ،فالاشتراك في ثقافة واحدة لا يعني بالضرورة امتلاك هوية تلك الثقافة أو إرادة الانتماء لها.

تعد نتائج البحث في الثقافة والهوية في مختلف المدارس الأنثروبولوجية الأمريكية قد أثرت في علماء الأحياء ووظائف الأعضاء والجينات وأقروا بأنه ليس للانسان برنامج جيني يوجهه "إن البرنامج الجيني الوحيد للانسان هو المحاكاة والتعلم".

في مقابل التيار الموضوعاتي يرى التذاتيون أن الهوية تتجاوز بعدها المتوارث والمنقول وكأنها في حالة سكون نهائي وتنتقل آليا من جيل إلى آخر وعلى مستوى مجموعة من البشر فيؤدي ذلك الى وجود جماعات ذات سمات شخصية متطابقة، فيكون الشخص هو غيره بحيث أنكر أصحاب هذا التيار وجود هوية إثنية ثقافية مغروسة نهائيا في بنية الفرد والجماعة، فالهوية في نهاية المطاف ليست أكثر من إحساس بالإنتماء والتعلق بمجموعة تتحول عن طريق التجريد الى إطار تخيلي وعليه

[1] محمد العربي ولد خليفة، مرجع سابق، ص ص105-110.

ففي نظرهم الهوية الفردية أو الجمعية يمكن اعتبارها مجرد تركيب تخيلي تستخدمه الإيديولوجيات المتطرفة لتحريك الجماهير (مثل النازيين بألمانيا وغيرهم).

إن لهذا الاتجاه فضل في حركية الهوية وقابليتها للتغير في إطارها العام لكنها اهتمت بالمظهر الخارجي للهوية وتناسب ماهو ثابت نسبيا. وعليه فقد أثبت هذا الاتجاه أن بنية الهوية ليست وهما و لا قالبا بل نظام مزود بفعالية اجتماعية ولها تأثير مباشر في مستويات الذات، وحسب فريدريك بارث 1969: هي ظاهرة مركزية في نظام العلاقات بين الجماعات وتستخدم خارجها لأغراض التصنيف (من يشابهنا ومن يختلف عنا) ولتنظيم التبادلات في كل مجالات الحياة. ومن خلال دراسته عن الحدود الإثنية، فإن التمايز بين الهويات يرجع في الحقيقة الى نوعية العلاقات بين الجماعات والطريقة التي تبرز بها الاختلاف ضمن تلك العلاقات وبالتالي فإن الهوية ليست جبلة أو معطى أوليا ونهائيا، بل إنها في حالة بناء دائم ينبغي دراستها من خلال الوضعية العلائقية. وعليه وحسب هذا الاتجاه فإن مفهوم الهوية متحرك وفي حالة بناء دائم ويقوم شعور الانتماء بوظيفة هامة وهي تأكيد الهوية أو رسم حدودها.[1]

كما يضيف "ولد خليفة" أنه لا وجود لهوية ثقافية قابلة للتعريف بصفة نهائية بمعزل عن الإحساس بالانتماء وإرادة الاختلاف عن الآخرين... ولا جدوى من طرح أسئلة عن الهوية بهدف إعطائها تعريف محدد ونهائي فمثلا ما فائدة التساؤل عن من هم القبائل والميزابيون أو الشاوية أو الطوارق، لكن المهم أن نعرف ماذا يعني الانتماء الى تلك الفئات والسؤال المهم هنا، كيف ولماذا حقبة زمنية وسياق محدد تثبت هوية معينة أو يعاد النظر فيها؟

[1] محمد العربي ولد خليفة، مرجع سابق،ص ص105-110.

ت- **بعض الدراسات المتعلقة بها:**

- **Sebih Reda**:La mise en mots et les representations langagieres de la casbah d'Alger

تناول فيها الى الاقتراب الاثنوسوسيو لساني المديني لقصبة الجزائر ،بحيث سلط فيه الضوء على التصورات الكلامية لسكان القصبة وكيف يعرفون هويتهم الحضرية،وبما تتميز لهجتهم "القصباجية" وكذا ماهية تمثلات هاته اللهجة ، كما تساءل حول كيفية امتلاكهم للمجال ولماذا كل مرة يطلق على القصبة اسم إما مدينة أو حي، بحيث لخص أهم نتائج دراسته في ما يلي:

- يبين فضاء وهوية القصبة اختلاف زمني واجتماعي يظهر بوضوح من خلال مفردات وعبارات الأشخاص المستجوبين .

- تحليل التصورات الكلامية تسمح بإيجاد لهجة" قصباجية "محظة ينطق بها غالبا المسنون نظرا لخصوصيتها المتميزة، بحيث تعتبر هاته اللهجة "ختم الأصالة" بين جدران القصبة، ويعتبر كلام مزدوج الأوجه خارج هذه الجدران من طرف الذين لا يفهمون كل معانيها من جهة ،والذين يظنون أنها لهجة قديمة من جهة أخرى .

- تعتبر القصبة في نظر سكانها هي حي أكثر منها مدينة رغم كل المقومات التي تمتلكها.[1]

- **دراسة محمد بوراكي :القيم الثقافية وإشكالية الهوية الوطنية في الجزائر بعد الاستقلال.**

بحيث تطرق بها الى أن من يمارس هويته لا يسأل عنها وعن طبيعتها وشكلها، إذ أنه يمارسها على أرض الواقع إلا إذا كان ضائعا، فالضائع وحده من يسأل عمن

[1] Sebih Reda : La mise en mots et les representations langagieres de la casbah d' Alger,mémoire de magistére ,université d'Alger,2005

يكون، فالهوية جزء من النسيج الثقافي للجماعة بما أن الشخصية جزء من النسيج النفسي للفرد، بحيث أن النسيج متفاعل أو يفترض أن يكون متفاعلا مع متغيرات الحياة إجمالا، ولا يتساءل عن الهوية وصاحبها، إلا من كان لديه شيء من الفصام بين الممارسة وما في الذهن من تصورات غير قادرة على استيعاب تغيرات الممارسة وآلياتها،ولعل هذا هو الوضع العربي إجمالا.[1]

كما تطرق بدراسته هاته الى بعض المفاهيم وكذا لأصناف القيم الثقافية الأساسية، كالطرق الشعبية والعادات وشخصية الفرد وغيرهاعلى ضوء ما توصل إليه كبار الباحثين في هذا المجال مثل: "شابير وماكفير".

[1]محمد بوراكي:القيم الثقافية وإشكالية الهوية الوطنية في الجزائر بعد الاستقلال دراسة أنثربولوجية لبحث نمط الهوية في مخيال تراث الأدب الشعبي،أطروحة دكتوراه ،2002-2003.

المبحث الثالث :الـهوية كبعد مجالي حضري

أ – بعض التعاريف المتعلقة بالـهوية الحضرية والمجالية

- **جورج زيمل:** تعدد مجالات تفاعل الافراد والجماعات مؤشر ودليل على قوته وقدرته واستقلاليته في التفاعل والتعامل مع هذه المجالات.
- **Manuel CASTELLS:**هي منبع الفهم والتجربة،وهي العلاقة الانفعالية الشعورية بين الساكن ومجاله في لحظات وجودهم.[1]
- وفي تعريف آخر له :هي المشروع النقيض لهيمنة الشبكات ،وهي محاولة لمقاومة النظام الرأسمالي العالمي من خلال زعزعة مؤسساته وأشكاله التنظيمية واستعمال أنساق رمزية وثقافية لا يستطيع هذا النظام اسيعابها أو فهمها.[2]
- **Denise CUCHE:** هي فعل اجتماعي ناشيء عن تصورات معينة وليست وهما يتعلق بمجرد ذاتية الفاعلين الاجتماعيين ،فتشكلها من جهة يتم داخل المجالات الاجتماعية التي تحدد موقع الفاعلين الاجتماعيين ،وتوجه تصوراتهم وخياراتهم ومن جهة أخرى تكسب حامليها فاعلية اجتماعية تترك آثارا حقيقة .[3]
- **Kaj NOSCHIS:**هي تلك العلاقة التي تنشأ بين الفرد ومجاله(حييه)أو تلك العلاقة الموجودة بين الساكن ومسكنه.[4]
- **LUSSAULT Michel**: الهوية المجالية هي تمثلات متبناة انسانيا وطبيعيا.[5]

[1]CASTELLS Manuel : Le pouvoir de l'identité, édition Fayard, 1999, Paris 16

[2]CASTELLS Manuel : idem p17

[3]CUCHE Denys : La notion de la culture dans les sciences sociales, éd casbah, Alger 1999 p 83

[4]NOCHIS Kaj : Signification Affective du quartier, librairie des méridiens, paris,p 63

5 LUSSAULT (M) et SIGNOLES (P) : la citadinité en question, Tours 1996p56

ب-بعض الآراء في الهوية من بعدها الحضري والمجالي

- **نظرية الثقافة الحضرية**

لقد انبثقت نظرية الثقافة الحضرية عن أعمال مدرسة شيكاغو والتي تعرضنا لإسهاماتها آنفا، ،والتي اتخذت من المدينة متغيرا أساسيا لتفسير بعض الأنماط الحضرية على حد تعبير "جوبرج"،ونجد في مقدمتهم "وورث" و"ريدفيلد" بحيث أضفيا على المدينة بعدا ثقافي خاص على حد وصف "كاستلز [1] يستعمل لتحليل وتفسير هذا المحتوى، عارضا هاته الثقافة "كطريقة للحياة"،أين أجمع مؤرخوا هاته النظرية أن مقالة "لويس وورث" هاته أرست دعائم الأساسية للإجابة عن الأنماط والعمليات التي تتضمنها عملية تحول طريقة الحياة السابقة على التصنيع والتحضر والتي سادت في المرحلة الإقطاعية الى نظام حضري رأسمالي صناعي حضري. [2]

فالحضرية كطريقة حياة تتميز بالعلمانية والفردانية والعلاقات الثانوية والروابط الطوعية وسيطرة الأدوار الانقسامية، وكذا الحراك الاجتماعي.

أما بالنسبة ل"كاستلز "و "هول" فالثقافة الحضرية مجرد تنوعات أو استنباطات لقضايا "وورث" التي أعلنها في مقالته السابقة، حيث استخدمت كآداة للتفسير التطوري للتاريخ البشري. كما أكد "كاستلز" أن الثقافة الحضرية ليست مجموعة مفاهيم لكن إيديولوجية اندماج اجتماعي في المجتمع العصري.

- **كيفن لينتش وزملاؤه**

الهوية تتلخص في قدرة الشخص على التعرف على مكان ما نتيجة تفرده عن غيره بصفات وخصائص مميزة، والبيئة التي تعتمد في هويتها على استخدام أو نشاط خاص تكون قوية جدا وهذا لأن المستعملين دائما ما يشتركون ويتفاعلون مع مثل

[1].M.Castells:the urbain question ,trans buy A Schoridan,the MIT,press,Cambridge Massachusette,1990 pp 77.78
في محمد الجوهري ،علم الاجتماع التطبيقي ،القاهرة 2008

[2]G.Sjoberg,opcit,p 160. في محمد الجوهري،مرجع سابق

هذه الأنشطة المتميزة، إذا فإن البيئة يكون لها هوية وشخصية خاصة ليس فقط عندما يكون لها القدرة على غرس تميزها البصري في ذاكرة الناس فيتعرفون عليها ولكن أيضا عندما يكون لديها القدرة التي تجعل الناس يتعرفون عليها من خلال مشاركتهم في استخداماتها وأنشطتها المختلفة.[1]

في هذا السياق طرح **نيكولاس بانتي Nicolas Bantes : Cheminements autour de l'identite urbaine"**على ضرورة الخروج من التعريفات الفيزيقية للمدينة كتجمعات ونشاطات وبنى فقط بل يجب التعرض إليها بمفهومها الغني (الوضعيات، ممارسات الحياة، والواقع داخل المدينة) من أجل التعريف بين ماهو مدينة وحضر على حد تعبير LE FEBVRE ، بحيث طرح إمكانية قراءة للمدينة عبر بنيتها ورموزها وحركيتها وأعطى لها مفهوم الهوية الحضرية كمصطلح ظهر في الولايات المتحدة الامريكية في بداية 1960 في ميدان العمران من طرف K.Lynche وJ.Jakob، كما أسهمت اللسانيات الحضرية في إظهار صورة الفردية للمدنية وهذاعن طريق بناء معنى بين الأفراد الجماعة والمجال. فبحسبBULOT فالمجال يلاحظ ويسجل عن طريق الثقافة الحضرية، بحيث مصطلح الحضرية هنا يعبر عن المعاني لجدلية الممارسات الاجتماعية والأمكنة ومصطلح الهويات ،وهذا ما جعل هذا التعريف يسجل الهوية في حقل العلوم الإجتماعية ومن ثم أخذه كبناء اجتماعي بحيث يقول في هذا السياقGervais Lambonyأن "... الهوية لا تتعلق بحقيقة معطاة لكن بخطاب يقترح نظام الأشياء وإعادة كتابة التاريخ ،المجال والثقافة . ضف الى عديد التعاريف للهوية المسجلة في مداخلات Dubar, Lucie.K,Lussault, Nopper G.D.Meoوغيرهم والتي تصب في مجملها التعريف بالهوية الحضرية في ظل

[1]Urban design terminology,8/2008 ,http //docs .pdf/Article[1] 22/Article22041.pdfفي مديحة حامد عبد الستار : العمران والعلاقة التبادلية مع المجتمع والهوية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة ماجستير ،جامعة المنصورة ،مصر 2010 .

العولمة، ومن خلال التفاعل بين الفرد والمجتمع وفي علاقات الأفراد والجماعات بمجالهم بالتفريق بين ماهو سلوك حضري وريفي، وكذا باستقرارها وتحولها بذاتيتها وموضوعيتها مختلف السيرورات التي ترافق بناء الأفراد والمؤسسات.[1]

-مانويل كاستلز:

من خلال كتابه "الاقتصاد والمجتمع والثقافة"والذي خرج في ثلاثة أجزاء :"نفوذ الهوية"، و"نهاية الألفية" و"صعود المجتمع الشبكي"، بحيث ركز كتابه عن "نفوذ الهوية "عن دورها في التنمية المجتمعية إذ يقول أن"...بناء الهوية في ذاته واقع ديناميكي في تشكيل المجتمع والهوية وهي عملية بناء المعنى على أساس سمة ثقافية مفردة أو منظومة من السمات الثقافية، والتي تعطى بها الأسبقية على باقي المصادر المنتجة للمعنى"، وفي ضوء ذلك يصوغ فرضا مؤداه : " أن من يبني هوية جماعية يحدد الى حد كبير المضمون الرمزي لهذه الهوية، ومعناه بالنسبة لهؤلاء الذين يتوحدون مع هذه الهوية والذين يغيرون أنفسهم خارج دائرتها"...[2]

ربط "كاستلز" في طرحه هذا بين عملية التحضر من جهة وتنامي الحركات الاجتماعية من جهة أخرى، بحيث يقول أن "شكل الفضاء المجتمعي يرتبط ارتباطا وثيقا بآليات الإنماء الكلية في كل مجتمع..." وإذا أردنا أن نفهم معنى المدينة فإن علينا أن نتقصى عملية استحداث أشكال المكان وتحولاته، كما أن إخراج المدن والأحياء وملامحها المعمارية، إنما تعبر عن أشكال من الصراع والنزاع بين مختلف الجماعات في المجتمع، بحيث تعتبر البيئات الحضرية التجليات الرمزية للتفاعل بين فئات عريضة من القوى الاجتماعية، مثل تنامي ناطحات السحاب والتي تعبر عن

[1]Nicolas Bantes, Cheminements autour de l identite urbaine (UMR ESO Caen), la France en ville, ed Atlande, 2010, pp 119-126.

[2]CASTELLS Manuel : Le pouvoir de l'identité, édition Fayard, 1999, Paris pp 16-17

هيمنة المال على المدينة من خلال الاستعانة بالتكنولوجيا لإنماء الاقتصاد الرأسمالي.

وخلافا لما تراه مدرسة شيكاغو، فإن "كاستلز" يعتقد أن المدينة ليست مجرد موقع متميز في منطقة حضرية ما، بل هي جزء لا يتجزأ من عملية الاستهلاك الجماعي" وهو من المكونات الجوهرية للرأسمالية الصناعية، فالمدارس والخدمات النقل ومرافق الترفيه كلها تستهلك بصورة جماعية، وأضاف الى أنه حتى النظام الضريبي ومشاريع السلطات العمومية تؤثر في قرارات السكان كالإقامة والسكن والاستثمار و غيرها وعليه فإن الهيمنة المادية الفيزيقية للمدينة هي محصلة لقوى السوق وسلطة الحكومة وكخلاصة لما وصل اليه كاستلز أن المدن هي بيئات مصطنعة أقلمها الناس وتخضع للنفوذ الراسمالي التكنولوجي.

كما أنه اعتبر الثقافة الحضرية ليست مجموعة مفاهيم، لكن إيديولوجية اندماج اجتماعي في المجتمع العصري، ومن هذا المنطلق، حدد ثلاثة أنماط تكون عليها الهوية:

1-هوية إضفاء الشرعية: التي تنتجها المؤسسات المسيطرة في المجتمع لتبسط نطاق سيطرتها على لفاعلين الاجتماعيين ولتبرير هاته السيطرة.

2-هوية المقاومة : هي تلك التي ينتجها هؤلاء الفاعلين الدين يجدون أنفسهم مستبعدين بحكم منطق السيطرة، وتؤدي هوية المقاومة الى تشكيل مجتمعات محلية كطريقة للتعامل مع ظروف الفقر والتي لايمكن أن تحتمل إلا بهذه الطريقة.

3-هوية المشروع : التي تنتجها الحركات التي تطمح الى تغيير المجتمع ككل وهي اكثر من كونها وسيلة لتأسيس الشروط التي تسمح لها بالبقاء في وضع المعارضة للفاعلين المهيمنين.

وعليه ومن خلال طرحه هذا، استنتج أنه للتخلص من أخطار هذه الكونية ولمواجهة هاته العولمة المجردة التي ستكون سببا في تعرية الأفراد وقولبتهم في إطار مجرد،

يجب على الأفراد أن يلجأوا إلى هوية خاصة ومميزة بهم تكون مبنية على أساس الدين أو الجهوية أو القومية.[1]

– أما CAMILLERI. C فقد تطرق إلى الهوية من خلال إعطائها لوظائف و أدوار ضمنية ظاهرية وباطنية، نلخصها في مايلي:[2]

–الوظيفة المعنوية : وهي عملية انتاج الذات الفردية والجماعية وتأكيدها وإعادة ترتيب علاقتها بمحيطها من أجل إثبات وجودها وتحقيق الاستقرار .

–الوظيفة الإدماجية: أين تسعى الهوية في دمج وتكييف الأفراد مع محيطهم وأوضاعهم ووضعياتهم المختلفة.

–الوظيفة القيمية: هذا كون الهوية تستنبط قيمها من المعايير العليا للمجتمع والجماعة، وعندما يحصل الانسجام والمحيط، تشكل آنذاك هوية مرغوب فيها وذات معنى وقيمة للآخرين من أجل كسب الاعتراف بها في الفضاء العام.

نستطيع أن نستطرد ونقول أن من أهم وظائف الهوية في هذا المقام، هي الوظيفة الادماجية للفرد داخل مجاله ومجتمعه خصوصا في المجال الحضري باحتوائه على شبكة العلاقات المتباينة والقائمة على اساس المنفعة والسطحية، ولكي نستطيع ان نتخطى هذه المشكلة لا يكون إلا عبر خلق روابط وعلاقات اجتماعية مبنية على تقوية شعور الانتماء للمجال وخلق فرص لمساهمة جميع الأفراد في صناعة مجالهم للقضاء لديهم على مشكل الشعور بالإقصاء والتهميش والذي لا يخدمهم لا هم ولا مجتمعهم و لا مجالهم، لأن هذا ما وجدناه عجل في وتيرة انهيار القصبة معنويا وماديا فبتخلي سكانها القدامى عنها وشعور الوافدين اليها بالإقصاء والتهميش عن

---

[1]Catells Manuel :The rise of the network society,the information age, society and culture,vol. 1. Cambridge. 1996. second edition. 2000. .

[2]Camille Cammillier : Les usages de l'identité, l'exemple du Maghreb, in revue tiers monde, janvier mars 1984, n° 93, pp 29-42.

طريق سياسة السلطات في الحفاظ على التراث المادي والمبني للقصبة دون الاهتمام بتراثها المعنوي الذي صنعه سكانها الذين لم يتم اشراكهم لا من بعيد ولا من قريب في هاته العمليات، بل ونظر إليهم دائما على انهم سبب الحالة الكارثية التي تشهدها القصبة وعليه وسط هذا الإقصاء والتهميش لا يمكن أن تبنى أي هويات مجالية أو حضرية، ما سنثبته في تحليلنا لجداول الدراسة الميدانية لاحقا .

- **لوكوربوزي**

مهندس معماري فرنسي، قام بالتخطيط لعدة مشاريع بالجزائر، بحيث جاءته فكرة المدينة المشعة بعد الزيارة التي قام بها إلى قصبة الجزائر سنة 1931، بحيث وصفها بالساحرة نظرا " لهندستها المستوحاة من الأنغام الطبيعة"، فالمسكن المجزأ تماما كان منظما وفق الخطوة أو الفعل الانساني،كما أنه صرح قائلا "يعيش الأوربيون مثل الجرذان في جحورهم...و يعيش العرب الطمأنينة والرفاهية" و أضاف أن"قصبة الجزائر كيان هندسي ومعماري رائع وهي المدينة التي الأكثر توحيد للأنماط والأكثر وظيفية والتي يمكن أن نحلم بها وهي شاعرية أكثر لمن يحسن النظرإليها"، بحيث وجد بها بوادر المدينة المشعة ومنزل الحركة الحديثة، كالسقف المسطح، الأحجام البسيطة، الأروقة وصحن الدار، الأسواق البيضاء، وغيرها...

لقد تأثر "لوكوربوزي" بمنطقة ميزاب، وهذا ما أظهره من خلال مصلى نوتردام في الأعلى برنوشو[1]. وعليه يعتبر لوكوربوزي من بين أشهر المعماريين الذين رأوا أن قصبة الجزائر استطاعت أن تدمج هوية مجالية وهوية اجتماعية حضرية بتناغم لا مثيل له حيث نمت عن قمة الرقي والمدنية.

[1] شاوش صالح ، بن شريف مريامة : رحلة في تراث المغرب العربي،ترجمة محمد هشام ،تقديم مارك كوت،دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ط1 ،2014 ص210.

ت –**أهم الدراسات المتطرقة لها من هذا المنظور:**

Isabelle Berry Chikaoui :Les notions de citadinité et d'urbanité dans l'analyse des villes du monde arabe.

بحيث تطرقت في تحليلها هذا إلى مفهومي الحضرية والمدنية حسب تعريف Jean Levy و Michel Lussault بالتركيز على تحاليل للمدن العربية (المغاربية خاصة) والتي عرفت نموا عشوائيا للسكان تحت ضغط النزوح الريفي، غير مدن الخليج الطفيلية أو الفطرية التي كان بها الانتقال من الريف الى الحضر جيدا نوعا ما لأن الفاعلين بنو انماط حياة مدنية جديدة لكل الوافدين من سكن وهياكل وغيرها... أما المدن المغاربية فقد ظهر القصدير والعشوائيات منتيجة لهذه الحركات غير المنظمة، كما تعرضت إلى ماهية المدنيّة وماهي مقاييسها وعلاقتها بمفهوم الحضرية، وهل لهما معنى موحد في كافة الدراسات والأحوال، فقد كان اهتمامهم ليس حول مفهوم الحضرية والمدنية بل بمعنى شرح المجال الحضري وإمكانية الرباط الاجتماعي (صناعة المجال من الفاعلين المجاليين بحيث تمثل الحضرية البعد المجالي و بناء الممارسات والتصورات الفاعلين المجاليين أين تعد الأقدمية في المدينة مرجعا أساسيا لمدنية الفرد من عدمها .[1]

كما احتوت هاته الدراسة على طرح M.NACIRI الذي تعرض الحياة المدنية في المجتمع مركزا على (فاس وتونس والجزائر) وعليه ومن خلاله فعن فهم التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية يكون عبر تأهيل مفهوم المدنية ، وكلما كبر حجم سكان المدن صغر حجم المدنيين بها(قدم الأحياء وأناسها)، بحيث أقصت السكان الجدد من بوتقة المدنيين، كما وصف النزوح الريفي بداية القرن 20 بالقطيعة مع

[1]Isabelle Berry Chikaoui :Les notions de citadinité et d'urbanité dans l'analyse des villes du monde arabe, essai de clarification,in cahier d'EMAM 18 /2009 pp 9-21 ,tttp//emam revues .org

نظام الحي ، وذلك بظهور الحضري والحضرية بدل المديني وموت المدنية على حد قول F.CHOAY.[1]

كما أنه هناك إقرار بأن مصطلح المدنية متعلق بنموذج مؤرخ بالمدينة العربية الإسلامية، وهنا نجد تحليلات J.BERQUE يوضح لنا المعيار المؤسس لتكوين العائلة المدنية والذي يستند بدوره إلى الأنشطة الثلاثة للحي (التعليم والصناعات اليدوية والتجارة) التي كانت تمارس من طرف العائلات المدنية "البلدي" في تونس وفاس كما أنه هناك معيار آخر تقاس به مدى اندماج الفرد الحضري في تونس و لدى طبقة البراني وذلك من خلال معرفته بكل الأماكن الحضرية المخفاة والأشخاص ووظائفهم وديانتهم وغيرها...

أما بالنسبة للباحث سيدي بومدين فإن مفهوم المدنية لديه مرتبط بقوة بأنظمة بناء الهوية والتصورات الغيرية في المدن المختلطة بالحضرية، بحيث يبنى على التفريق بين أن تكون من المدينة أي نبني أنفسنا في المجال كمدنيين ونتصرف داخل وعلى المدينة وهنا تتحقق (المدنية) و أن تكون في المدينة وهنا تسمى (الحضرية).[2]

أما في أعمال philippe Lambony فقد عرف المدنية على أنها شكل من أشكال المواطنة التي لا تحتاج لنظام سياسي وديمقراطي لكي تتطور.."(لجان الحي)، فالمدنية بمعناها الحقيقي تعود الى طريقة العيش وبناء الهويات، أما الحضرية فلها بعد مادي ورمزي وتحديده الحضري وتصوراته الاجتماعية، كما ميز philippe lambony درجات المدنية التي تكون بالبلدان العربية فقد أصبحت من المديني الحديث إلى المديني، بدلا من النظرة التمييزية التي كانت قامت قائمة على أساس المديني والمهاجر.

[1]Isabelle Berry Chikaoui :Les notions de citadinité et d'urbanité dans l'analyse des villes du monde arabe,idem.

[2]Sidi boumedine Rachid,Messoud Taib:la recherche urbaine en Algerie,un état de la question,pratiques urbaines ,juillet 1996,université de Tours.

أما بالنسبة لمساهمة Françoise Bouchanine في هذا المجال فقد أقرت بأن هاته العلاقة من الأجدر لها أن لا تكون وفق اتجاه واحد من المدينة الى المديني بل بإدماج القادمين الجدد داخل المدينة والمجتمع الحضري، بل بإدماج القادمين الجدد داخل المدينة والمجتمع الحضري لا بتفريق المديني الجديد عن القديم وخلق امتيازات وفروقات .

كما تعرض هؤلاء الباحثين إلى عدة مفاهيم حضرية كالذاكرة الحضرية وتريف المدينة وكيفية امتلاك المجال وغيرها من المفاهيم التي تصب في مجملها في تفسير مفهومي الحضرية والمدنية سواءا كان من خلال التفريق بينهما أو من خلال بإعطائهما لمضمون واحد.

أما"لوسالت" فقد اعتبر الحضرية تحتوي على عنصرين الكثافة وتنوع مكونات المجتمع في المجال أو الهيكلة المجالية ...بحيث أن مكونات المجتمع تجعل من الحضرية أوسع من الكثافة والاختلاف بل تتعداها إلى التفاعلات الحاصلة، بخلاف المدنّية التي هي علاقة ديناميكية بين الفاعل الفردي والجماعي والمادة الحضرية "وهي تحتوي على مجموعة معقدة ومتطورة من التصورات التي تتغذى بالممارسات الاجتماعية والتي تعود عبر التفكير ورد الفعل، والتي تساهم في تعديلها."[1]

أما P.Signoles و Chabbi: فقد اعتبرا أن المدنيّة تقاس بأقدمية وصول الفرد إلى المدينة بحيث أن هذه الأخيرة تعد مرجعا أساسيا لقياس مدنيّة الفرد من عدمها.

[1]Isabelle Berry Chikaoui :Les notions de citadinité et d'urbanité dans l'analyse des villes du monde arabe,idem.[1]

- **Coslado Elsa: Les Citadinites cosmopolites a Marrakech,espaces de vies d habitants de quartiers periphiques.**

تعرض هذا المقال لدراسة المدنيات المتنقلة في مراكش بحيث يتطرق الى المسيرة المجالية للسكان وكيف ينتقلون من من منطقة الى منطقة في المدينة تحت حجة البحث عن الراحة ،لكن في الحقيقة هو بحث عن أشكال الفردانية والاستقلالية ،والذي فرضته عمليات التحضر والعولمة السريعة، حيث أصبحت العائلات تنتقل من منزل لآخر ومن مدينةلاخرى في فترة وجيزة، بحيث أن هذا الترحال الذي يحدث عبر هاته الحضريات المزدهرة في مراكش لا يعد مجرد خاصية لهاته المدينة بل ظاهرة لها قيمة باطنية وجوهرية للعصمنة على المدى الطويل بدون أن تقودها مراكش .

ومن خلال دراسة قام بها بإجراء 30 تحقيق اكتشف وجهين أساسيين للمدينة المترحلة العالمية :[1]

الوجه الأول: سماه مدينة عالمية للطوارئ أو المحتملة للعوارض، والتي تظهر في ظواهر الهجرة الاقتصادية والكفاح للبقاء وكذا للنجاح الاجتماعي أثناء هاته المسيرة.

الوجه الثاني: سماه مدينة عالمية لاقتناص الفرص، والتي توفر تسهيلات في التحرك على سلالم معايير متعددة القوميات وذلك بحمل رأسمال حركي (مثل موقع اجتماعي يسهل الحصول على تأشيرة أو عائلة أو عمل أو فرصة للتربص خارج الحدود وغيرها... بحيث أن كل وجه منها عدة دفاتر لإقليمية مقترحة فنجد الحي الضاحياتي لمراكش والذي هو مجال للإرساء العائلي وأماكن التظاهرات كما هي "كليز"(مراكش) أماكن التسوق كما هو لمركز التجاري لمراكش وهكذا...فإن لكل وجه من الأوجه رهانات التعبير عن الهوية وتكوين الذات والتموقع عليها وحتى وإن كان الاثنان مرتبطين بالفردانية والتميز، بحيث أن المدينة المترحلة للطوارئ ترجع الى التفاوت

[1]Coslado Elsa: Les Citadinites cosmopolites a Marrakech,espaces de vies d habitants de quartiers periphiques,in Séminaire régional d'Alger présentation de programme FSP(23 et 24 Février 2008) pp,25-28 [1]

الاقتصادي مع الوسط الاجتماعي الأصلي تتصاحب دائما والابتعاد العائلي، أما المدينة المترحلة القانصة للفرص فهي تبحث عن التفاوت الثقافي والتعليمي بحيث تعمل دائما عائلاتهم أو جماعتهم الاجتماعية على الاقتراب من العائلة .

وعليه فإن المدينيات المترحلة تشهد على أفراد متباينة وعند الصعود الى لمغرب نجد بسمات المجتمع مختلفة أكثر فأكثر، هاته تظهر التخلي الفرضية التي تقول أن الضواحي تبدو كأرض خصبة لظهور أشكال اجتماعية جديدة . [1]

- **DRIS Nassima: Habiter le patrimoine,monde en marge et identite urbaine, la Casbah d'Alger ou le refuge des exclus.**

بحيث تساءلت الباحثة هنا عن فيما إذا كان بإمكان التراث أن يعبر عن التاريخ وهل السكن بداخله يعني عيش السكان تلك القيم والمعايير الجماعية في إطار حياتهم اليومية وكيف يتحول التراث المسكون الى مسألة اجتماعية تفرض دمج السكان في عملية الحفاظ على التراث وكذا تجعل منه منبع للازدهار المحلي،[2] بحيث انطلقت من فكرة أن القصبة ورغم انهيارها تبقى في المخيال الجماعي الحي المثالي الذي يشهد عن التاريخ وعن بناء الهوية الحضرية، متطرقة بذلك لتاريخ القصبة الحضري من سنة 1920 الى 1962 أين احتلت من الطبقة الفقيرة القادمة من القبائل وجعلته بذلك قيتو لها. وتضيف الى أنه حتى بعد ترحيل حوالي 2000 عائلة الى الضواحي سنة 1995 ببراقي والكاليتوس والثنية وبودواو وبينام لم يتأقلموا معها لبعدها وكذا لتمسكهم بالروابط الاجتماعية، وعليه فقد عادوا وسكنوا بالفضاءات الرياضية ،السنما وغيرها،كما تطرقت كذلك الباحثة الى حالة الدمار التي شهدتها القصبة خاصة في العشريات الثلاثة الأخيرة والناتج عن عدم وتوفير القدر الكافي من المشاريع من أجلها كما تعرضت كذلك لمفهوم المدنية من خلال الانتماء الى المكان كتسمية "ولاد

[1]Coslado Elsa: Les Citadinites cosmopolites a Marrakech,espaces de vies d habitants de quartiers periphiques,Idem.

[2]DRIS Nassima:in actes habiter le patrimoine,sens,vécu,approch,université européene d'été ,13-14 octobre 2003,pp 56-88 [2]

سيدي عبد الرحمان" بحيث عبرها أعطت معنى للمدنية على أنها مرتبطة بتصورات لعالم اجتماعي نستطيع من خلاله فهم هياكله المادية، إذ يتعلق الأمر برابط ديناميكي يربط الفاعل الاجتماعي بقانون من التصورات التي تسبق الهيكلة وتبرر الممارسات الحضرية، وتختم بأن تقول أن سكان القصبة يرجعون دائما للعائلة كدليل على روابط التقارب الاجتماعي، أما المجالي فتعبير على جذور الحضرية في المكان.[1]

- Nora Bouaouina : Alger a travers sa "houma" formation et déformation des espaces identitaires communautaires de quartier. تطرقت في مقالها الى الأحياء ورمزيتها الهوياتية في الجزائر عبر حقباتها الزمنية التي مرت عليها وكذا لمفهوم الحومة باعتباره الحي الحضري الذي يحتوي على خاصية مزدوجة، مجال جماعي وخاص لأنه يقع داخل هوية جماعية نابعة من قداسة العلاقات، كما يترجم مصطلح الحومة بالنظام الاجتماعي والشعور بالانتماء الى هوية جماعية، بحيث لعلاقات الجيرة قدسية كبيرة، بعكس يومنا هذا "الحومة" تأخذ مظاهر عدة ومختلفة ففي حالة ما إذا الفرد واصل في الاستفادة من التضامن العائلي والجمعي للحي وفي الوقت نفسه يبدي رغبة في الهروب من الضبط والاستقلال من الجماعة أو الجماعة العائلية وهاته ما تفسر حركات العصرنة وكذا النزوح الريفي والتحضر السريع بحيث أن هذا النظام وعمل المرأة غيرا شروط الرباط بين أفراد العائلة وكذا بين الفرد وجماعة الحي فأصبحت هاته الأجيال الشابة تتمي بهوية فردية أكثر نفعية.[2]

ولفهم خاصية أشكال الانتماء للمجال داخل المدينة خصوصا مدينة الجزائر مهم جدا مهم جدا إعادة رسم تطور إحدى مكونات المدينة وهي "الحومة" وهذا من خلال ثلاث أعمار حضرية: القصبة العثمانية المدينة الأوربية الاستعمارية ومدينة الجزائر بعد

1DRIS Nassima: in actes habiter le patrimoine,sens,vécu,approch,idem.

[2]Nora Bouaouina : Alger a travers sa "houma" formation et déformation des espaces identitairescommunautaires de quartier , dossier esprit critique »la communauté n'est pas le communautisme »cordonée par Ivan sensauliau et Monika Savezbrun,labo de démoghraphie historique,paris ,pp1 -15 .[2]

الاستقلال، أما بالنسبة للقصبة العثمانية فتميز بميلاد المجال الهوياتي الجمعي، أين كانت "الحومة " تمثل مرجعا أساسيا لتحليل السيرورات الديناميكية لامتلاك مجال المدينة، بحيث أن للحومة حدود ليست مادية في مجال لكن تظهر بوضوح عبر الروابط الاجتماعية لسكانها. كما أن البنية المجالية للفضاءات تقول أن كل "حومة" تتمتع بفردانية مطلقة بحيث تحتوي على كل ما يحتاجه سكانها من ماديات ومعنويات: فرن، أسواق صغيرة، حمامات، عيون، مساجد مستشهدة بذلك بما كتبه "جاك بارك"، وكذا علاقات الجوار مزدهرة تعبر عن اندماج وتلاحم اجتماعيين قويين، ضف الى أن المساحات المفتوحة قليلة جدا أين يعتبر وجود شخص في مكان ما بها شيء مريب وعليه فقد يظهر مفهوم الحومة على أنه مصطلح العلاقات الاجتماعية على حد ذكرها بتعبير "جان دوبول".

وتضيف الباحثة أن في الحقبة الاستعمارية برزت مدينة أوربية أخرى بحيث قسمت مجال المدينة الى قسمين مدينة كولونيالية تتميز يكل مقومات العصرنة الغربية للفرنسيين بإقصاء المسلمين من النظام الحضري الجديد فأصبحت الحومة مكان للحفاظ على القيم الاجتماعية التقليدية ،التضامن والمساعدة وصارت لها وظيفة دمج الوافدين الريفيين للمدينة المخصصة للجزائرين وكذا مكان لصناعة الهوية الحضرية وكذا للتشبث بالهوية الوطنية من خلال الكفاح الموسيقى ، الرياضة وغيرها...[1]

أما الحومة بعد الاستعمار فقد عرفت شكل اخر لاستعمال المجال الهوياتي في الاستقلال ، بحيث وفي إطار احتلال السكنات الشاغرة في المدينة الكولونيالية عرفت الحومات نزوحا للريفيين من المدن الاخرى والقرى بأعداد ضخمة مختلفة الثقافات ففرضت نفسها على المجال بشكل عشوائي وأفقدت السكان القدامى معالمهم الحضرية شيئا فشيئا بحيث لم تعد ذلك النسيج الحضري الآمن الذي يحتوي تلك

[1]Nora Bouaouina : Alger a travers sa "houma" formation et déformation des espaces identitairescommunautaires [1] de quartier ,idem.

الممارسات الاجتماعية التي تضمن الاندماج الحضري للسكان باختصار فقدت رمزيتها للهوية الحضرية .

أما عن الهوية المجالية الجمعية في ظل الأزمة الوطنية ،فقد أصبحت الحومات تعرف شكلا جديدا من التضامن، الحملات التنظيفية، الصلاة في جماعة، المساعدات المدرسية والغذائية، ثم شيئا فشيئا ضعفت الفردانية نفوذ الحركة الجمعية الإسلامية في الأحياء المعروفة بقوة التلاحم الاجتماعي لتأتي سنوات الإرهاب لتصبح هاته الأخيرة معاقل لهم، و التي تسببت بإحداث قطيعة للانتماء للمجال الاجتماعي الجماعي لحيي لانتشار الفردانية واللاأمن.

أما حاليا فقد استخلفت هاته النماذج، بأشكال أخرى للتضامن المترجم في التعاضديات والجمعيات وغيرها وعليه ومن خلال كل ما قدمته لنا وصلت الباحثة إلى أن الهوية الجمعية المجالية هي بعيدة أن تكون معطى دائم وقائم يفرض على الأفراد والجماعات، بل هي بنية جماعية وحركية في إعادة امتلاك المجال.[1]

- **Semmoud Noura:Nouvelles Significations du quartier, nouvelles formes d'urbanité, peripherie de l'est d'Alger.**

بحيث تطرقت بها لمسألة الحضرية (المدنية) وإلى تلك الاستراتيجيات التي يكونها السكان أثناء استقرارهم بالأماكن وفي اندماجها الاجتماعي وكيفية امتلاكهم المجالي لها،بصفة عامة في صناعتهم المادية والرمزية للمدينة،كما تطرقت بها الى ممفهومي التنشئة الحضرية وامتلاك المجال ، بحيث ركزت دراستها على أربعة أحياء: الشرارية، الكاليتوس، براقي، الحراش، أين نموا وتطرقوا من على شكل بيوت فردية على مستوى أقاليم ريفية في الأصل ، بحيث كانت تستقبل هاته الأخيرة في السبعينات الفئة الريفية الطالبة للعمل بالمؤسسات والتي كانت تسعى بذلك للتنشئة الحضرية، أما

[1]Nora Bouaouina : Alger a travers sa "houma" formation et déformation des espaces identitairescommunautaires de quartier ,idem.

مؤخرا فقد بدأت تستقبل هاته الأحياء أناسا من الوسط والذين يسعون الى تحسين مستواهم السكني، بحيث ظهرت فئتين فئة متوسطة والثانية ميسورة الحال نوعا ما بحيث لكل منها نمط حياة معين من خلال المعاني التي يعطوها للحي وكذا تحليلهم للفعل الجمعي للسكان لاعادة الاعتبار لحييهم ومن خلال مشاركتهم في تكييف منازلهم وفق النظام الحضري للحي .

وعليه فقد استنتجت أن أنماط الحياة الجماعية الجديدة وممارسات السكان في امتلاكهم للسكن تصنع المرجعية لنماذج سوسيو ثقافية التي تترجم التحولات المهمة على المنطقة .[1] بحيث تتأثر التقاليد أو تختفي حسب المنازل والنمط المعاصر للحياة كما ذكرت أن الجماعات الاجتماعية تخضع للتحولات التي يخضع لها الفرد في سيرورته أثناء التنشئة الاجتماعية ،بحيث تهرب هاته الأخيرة من النمط الجمعي والتضامني وهنا تظهر تنشآت جديدة كالجمعيات أو الشبكات الاجتماعية التي تفوق الحي والتي تقلص تدريجيا من الأطر التقليدية .كما تضيف أن في قلب التنشئة الحضرية تكون العائلة في الحركات أو التحولات هي الأكثر ظهورا ومعنى ،نماذج سوسيوثقافية وكذا العلاقات بين الافراد التي تعرف تغيرات مهمة وتتموقع في مسيرات التي تبتعد عن النمط التقليدي: العلاقة بين الآباء والأبناء وظهور الزوجية كوحدة مستقلة عن العائلة الممتدة وبين الملكية الحرة وعلاقاتها بالجماعة الجوارية . كما تحدثت عن استراتيجيات الحركية الاجتماعية والمجالية للعائلات التي غيرت من صورة المرأة العاملة للأفضل ووسعت من علاقاتها وكذا في السلم الاجتماعي للعائلة الذي نستطيع تحديده وفق عدد الأطفال ، ضف الى هذا فقد وجدت الباحثة أن التعايش بين القدامى والجد يساهم في اعادة تركيب الاحياء التقليدية الشعبية والتي لها نتائج على التنشئة الاجتماعية لأن هاته الأخيرة هي التي تعطي للحي قيمته

[1] Semmoud Noura:Nouvelles Significations du quartier, nouvelles formes d'urbanité, peripherie de l'est d'Alger In Séminaire régional d'Alger présentation de programme FSP(23 et 24 Février 2008) pp 14-22[1]

الاجتماعية، بحيث لاحظت أن تركيبة الحي التقليدية بدأت تندثر ليحل محلها نظام التنشئة الاجتماعية الخاص بجماعة العمال يدمج جماعات اجتماعية محتلفة ،وأشكال الرباط الاجتماعي تتوسع في إقليميتها فتصبح هاته العلاقات سكنية، عاملية وظيفية، تعليمية، دينية وغيرها، بحيث تتنوع هاته التنشئات الاجتماعية الجديدة تتنوع الفئة الاجتماعية، العمر و نوع مستوى السلالم مجالية (حي، مدينة تجمع...الخ).

أما بشأن التنشئة العائلية فتبقى مهمة سواءا أسجلت في الأحياء أم لا ، وتترجم بتقاليد المناسبات والمأكولات والمساعدة العامة . كما تطرقت كذلك لى وضع المدينة الحضرية في ظل الحكم الاسلاموي أين أصبحت عبارة عن مراقد للأكل والنوم والصلاة وتحول المساحات الشاغرة بها الى أسواق فوضوية مع إغلاق معظم المراكز الترفيهية والثقافية ، كما تطرقت كذلك لوضع الحي بعد الاستقلال وتحول استعمال الستار لحجب المنزل الى بناء واجهات حديدية وغيرها...[1]

CHACHOU Ibtissem : Imperatifs du terrain,les cas du concept de citadinité.

في هذا العمل تعرضت الباحثة الى جانب اللغة الاجتماعية الذي ينتشر في الوسط الحضري المستغانمي بحيث وجدت اختلاف في اللهجتين بين العائلات من أصول المدينة وآخرين الذين ينادون بهويتهم ذات الأصول التركية والأندلسية ،بحيث تتميز علاقاتهم ببعض الضغوطات الاجتماعية مما تسبب في فعل مزدوج ومتقاطع في مجال واحد تتداخل فيه علاقات القرب وتختلط بدون انتاج أو توليد للمشاكل والنزاعات الرمزية والتي تشارك في بناء وإعادة انتاج الخطاب المتفرع ثنائيا بحيث يرتكز هذا الخطاب على الجدال حول شرعية استغلال المدينة من طرف هؤلاء وأولئك. أما على المستوى اللغوي فقد كان هدف الباحثة ملاحظة تطور معالم المدنية المجردة من طرف الباحث Jean Cantineau من خلال المعطيات اللغوية

[1]Semmoud Noura:Nouvelles Significations du quartier, nouvelles formes d'urbanité, peripherie de l'est d'Alger ,idem.

المجمعة له والمستعملة في الوسط الحضري المسغانمي بحيث كانت أطروحته ترتكز حول كون لهجة المستغانمين قريبة الى اللهجة الريفية، لهذا فقد أرادت التأكد فعلا إن كانت حاضرة في لهجة المستغانمي أو اندثرت، بحيث تعرضت لمفهوم المدنية من ناحية سوسيولغوية كآداة فاعلة وهوية والتي بدورها تساهم في بناء المدنية ،كما فرقت بين مفهومي الحضرية والمدنية، بحيث أن المدنية موروثة من حضارة المغرب الاسبانية وتعززت بالنزوح التركي الأندلسي وهي واقع سوسيولوجي متميز ومتعلق بالمدن الجزائرية كالجزائر، البليدة، قسنطينة ،مستغانم، بجاية وتلمسان ...الخ، أما الحضرية فهي مستعملة عند المغاربة بحيث أن التحولات الاجتماعية أعادت هيكلة مجال مدينة مستغانم و التوسع الذي يطلق عليه أنه حضري قد ابتلع قلب المدينة والمركز، فأفقده رمزيته ومرجعيته كمعلم وظيفي للحدود الداخلية الحضرية، هاته الحدود تظهر كشعار يعرقل أي تأثيرات لغوية داخلية و اختلاط ثقافي لأنواع من اللغات المتشابهة المتمسك بها وكنتيجة الى التفاوت الاجتماعي الذي كان نتيجة التمايز المفروض أثناء الوجود العثماني والاحتلال الفرنسي، ولكي نتخلص من هذا المعيار وجب علينا معرفة مقياس المدنية التي تقوم على شرعية استغلال المجال والتي هي مطلب جميع المستغانميين وكذا الى الشروط التي ترجح واحد على الآخر ليقول "نحن الأوائل" أو الحقيقين" أو الشرعيين" وعليه فقد استنتجت أن المدنية هي رجوع الى المحتوى التاريخي الذي يقودنا الى التساؤلات المفهمية للخطاب. [1]

[1]CHACHOU Ibtissem : in Repenser le champ conseptuel de la sociolinguistique maghrébine à la lumiére des impératifs du terrain ,le cas de concept citadinité,université de mostaghane,22 mai 2012,pp12

- خلف الله بوجمعة: المدينة الجزائرية والبحث عن الهوية

بحيث تطرق في مقاله هذا لأسباب فقد االمدينة لهويتها ،وجهود الاستعمار الفرنسي في طمسها عن طريق استيراد الأساليب العمرانية والمعمارية الأوربية خاصة بمدينة الجزائر وذلك بتركيزهم على التناظرات وعلى التوازن داخل المجالات معتمدا على محور رئيسي يتجه نحو فرنسا والذي يضمن لها هيمنتها في جميع المجالات ،حسب "كوتورو" الذي كان مهندس المدينة آنذاك .

بحيث يذكر الباحث في هذا المقام أن هاته السياسة قامت بفصل ماهو عربي إسلامي للمدينة وماهو أوربي لكي تستطيع تحقيق أهدافها ،فقامت بترحيل آلاف العائلات من مدينة الجزائر دون مراعاة للسكان، لكي يستمر هذا الانتاج العمراني الى غاية ما بعد الاستقلال حتى أصبحت مدنا هجينة أرادوا منها مواكبة العولمة التي تعطي الأولوية الى الوظيفة ،حتى إلى بداية الثمانينات (80)بدأت الصحوة من خلال النداء الى ضرورة الحفاظ على التراث .كما ذكر الباحث في هذا السياق الخصائص التراثية للمدن الجزائرية العتيقة من حيث تقارب مبانيها وتماسكها وممراتها المحدودة والموائمة من حيث عرضها وارتفاعها وكذا التداخل الظاهري للمباني والغني داخليا بتنوع أحجامه وأشكاله والمعتمد على لغة بصرية وجمالية تعكس مهارات وحرف ساكنيه.

أما بشأن المشروع العمراني السائد حاليا فهو قائم على أساس على ثنائيتين ،المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير ومخطط شغل الاراضي والذي تمت صيغته من أجل مواكبة مبادى العمارة الحديثة. [1]

[1] خلف الله بوجمعة :المدينة الجزائرية والبحث عن الهوية ،عدد04جوان 2003 ص ص 95 - 101 in courrier de savouir

- **مديحة حامد عبد الستار: العمران والعلاقة التبادلية مع المجتمع والهوية.**[1]

تطرقت الباحثة في دراستها هاته إلى شكلين من هوية العمران: وهي هوية تلقائية، غير موجهة تتواجد (في البيئات التقليدية) وهوية موجهة التي تصاغ وتصمم عن قصد وإرادة مسبقة على المستوى المؤسساتي الرسمي وتوجهات النظام الحاكم في صياغة صورة المدينة، وأعطت مثالا عن ذلك في مركز التجارة العالمي لنيويورك وناطحاته التي تمثل والتفوق والتكنولوجيا وحديقة الحوض المرصود" بالقاهرة .[2] أما الهوية غير الموجهة: فهي المعبر عنها في البيئات العمرانية التقليدية وهي لا تأتي عن تخطيط مسبق بل تجسدها الجماعة في إطار تفاعلها المباشر مع المكان لتلبية حاجياتها المادية واللامادية وذلك دون تدخل جهات رسمية، أو ما يطلق عليه بالعمران الشعبي الذي يحقق الصورة البصرية المتمايزة بالإضافة إلى الملائمة مع المكان وثقافة الجماعة[3]. بحيث أعطى مثالا عن هذا النمط مدينة بني يزقن بالجزائر ومدينة صنعاء باليمن.

و تضيف في ما يخص العلاقة التبادلية بين العمران والهوية، أن الطابع العمراني ليس إلا انعكاس وتجسيد وتسجيل مرئي للحوار بين ثقافة الانسان أو الجماعة والبيئة العمرانية.[4] بحيث أن البنية العمرانية وتصميمها يتأثران بالقيم الاجتماعية والثقافية للمجتمع وأيضا من الناحية الأخرى،فإن تصميم البيئة العمرانية هو أيضا يستطيع أن يؤثر في سلوكياتو ثقافة الفرد [5].

أما الهوية فهي عبارة عن مستويات مادية وغير مادية التي تتمثل في العلوم والمعارف والتقنيات وأسلوب البناء الذي يكون محدد وفق هاته الهويات. بحيث

[1] مديحة حامد عبد الستار ،العمران والعلاقة التبادلية مع المجتمع والهوية،مذكرة ماجستير في الهندسة المعمارية ،جامعة المنصورة مصر، 2010

[2] عاهد صبحي حلس :التواصل بين العمارة والذاكرة الجمعية "مرجع سابق ص 63.

[3] المرجع السابق ص 63.

[4] نسمات عبد القادر،السيد التوني :إشكالية النسيج والطابع ،العربيللنشر والتوزيع ،القاهرة 1997 ص 31.

[5] نهى محمد صياد :أثر التغيرات الثقافية على الأنساق التصميمية للنتاج البنائي في مديحة حامد عبد الستار

أعطت مثالا عن ذلك مدينة دمياط بمصر التي تم البناء بها بالطوب والحجر. والمتحف المصريفي عهدي محمد علي والخديوي اسماعيل، بعد استيرادهما للطراز الغربي في العمارة، مما أثر على تغيير في الملامح الثقافية للجماعة و خاصة الطبقة الأعلى[1].

و خلصت إلى أنه على الرغم من قدرة العمران على إحداث تغيرات ثقافية ، فإن هذه القدرة لها حدود لأنه من الصعب تغيير الدين والعقائد والأسطورة من خلال بناء مشروع القرية ل "حسن فتحي" والذي فشل بسبب بنائه بالقباب التي كان لها دلالة رمزية مرتبطة بالموت والمقابر لدى سكان القرية مما جعلهم يعزفون عن سكناها .[2]

[1] عبد الباقي ابراهيم،المعماريون العرب –حسن فتحي – مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ،القاهرة 1987 ص 120 في مديحة حامد عبد الستار .

[2] مرجع سابق ص 61

خلاصة الفصل الثاني

لقد سعيت من خلال هذا أن أطوف على العديد من أبعاد الهوية ومضامينها التي تم التطرق إليها من طرف باحثي الفلسفة وعلم النفس الاجتماعي والأنثربولوجيا وعلم الاجتماع، وهذا من أجل محاولة إعطاء نظرة تقريبة عن مدى شمولية وعمق هذا المفهوم، بحيث ان كل واحد منهم فسرها حسب منظوره الخاص ووفقا لخصائص مجتمعه وتطوراته عبر أزمنته.

وعليه ومن خلال هذا نستشف أن الهوية بدأت بمفهوم ذاتي، متعلق بشخصية الفرد وأزماته النفسية، ليتطور هذا المفهوم فيما بعد الى هوية اجتماعية من خلال دراستها بتفاعلاتها مع الجماعات والمحيط، ومع تطور المجتمعات بتطور النشاط الثقافي والإبداعي للفرد، بدأ يدرس هذا الأخير من منحى ثقافي،وباعتبار المدينة هي مركز الاشعاع الثقافي والحضري للمجتمعات، وضع هذا المفهوم لشرح مختلف الظواهر الحضرية، وبعد التقدم التكنولوجي السريع تم استخدام مفهوم الهوية كآلية لمقاومة العولمة الجارفة، والتي باتت تهدد هوية الفرد بالزوال تحت مسميات عدة.

وعليه ووفقا لكل ماسبق ذكره، يمكن أن نخلص أن الهوية بدأ بمفهوم صوري، أو معطى جاهز، ليتحول إلى مفهوم مرن يتشكل ويبنى وفقا وضعيات وسيرورات معينة، ومن هذا المنطلق لاحظنا أن المنظور الغربي للهوية والذي تجلى لنا من خلال الدراسات التي قدمت لنا الهوية بعدة مضامين، فمنهم من طرحها على أساس أنها فعل اجتماعي ناشيء عن تصورات أو علاقة اجتماعية مثل "ماكس فيبر"، ومنهم من رآها كآلية للاندماج الاجتماعي وتحقيق الانتماء للجماعة والمجال وكذا صلة اجتماعية بين الماضي والحاضر من خلال الذاكرة الجمعية التي تسمح بدورها بانتقال التراث من جيل لآخر مثل "موريس هالبواكس"، وهناك من رآها كمشروع نقيض لمقاومة العولمة والرأسمالية .

وعليه نستنتج أن الرصيد المعرفي للهوية من خلال المنظور الغربي انصب أغلبه على كونها كل مركب قابل للتغير إما سلبا أو إيجابا، والذي كان انعكاسا لسيرورة وحركية وتطور مجتمعاته في ظل الحداثة والعولمة، التي تجعل من كل شيء متحرك في فلكها، لدرجة التفكير في خلق هوية تستطيع مجابهة هذا التطور السريع في ظل هذه الهيمنة العالمية التي من شانها عن تقضي على خصوصية الهويات وتميزها وهذا حسب ما أتى به مانويل كاستلز. ومنه نلاحظ أن مفهوم الهوية لديهم يتطور وفقا لتطور مجتمعاتهم وظواهرها عبر الأزمنة.

أما بالنسبة للهوية من خلال المنظور العربي و الإسلامي، فقد ارتبط بالتراث والإسلام، بحيث نجد أن أغلب الدراسات التي تطرقت للهوية، قد تعرضت لها من خلال موروثها الثقافي الاجتماعي من خلال عادات وتقاليد وممارسات أجدادها المستقاة أصلا من تعاليم الدين الإسلامي والعرف، أو من خلال مورثها الحضري المعماري المتمثل في المدن والمعالم التاريخية والتي ورثتها عن أجدادها كذلك،والذي استطاعت من خلاله إيجاد توليفة بين المجال المادي والمحتوى الاجتماعي والقائم على أساس المبادئ الإسلامية، بحيث نجحوا في إسقاط هاته التعاليم وتقاليدهم وعاداتهم على نمط بنائهم وتشييدهم لمدنهم.بحيث كان العلامة "ابن خلدون" السباق في هذا الطرح الذي تكلم فيه عن العمران البشري وعلاقته بالكشف على طبائع الناس وشخصياتهم، بحيث فتح المجال لدراسة العلاقة التبادلية بين الهوية و العمران.

وعليه نلمس أن الهوية بعالمنا العربي والإسلامي قد ركزت في دراستها للهوية على التراث المادي والمعنوي للاجداد، والمناداة بضرورة الحفاظ عليه من أجل المحافظة على هويتنا، الأمر الذي جعل من مفهوم الهوية لا يتأثر بالتطور المعرفي والعلمي لها ولا للتطور التاريخي والتكنولوجي للمجتمعات، بحيث اصبح هذا المفهوم حبيس المحافظة على معلم تاريخي أو حضري بدون محاولة لايجاد الطرق الناجعة لاعادة انتاج مضامين الاجتماعية و الثقافية والحضرية للهوية والمتمثلة بممارسات الافراد

داخل مجتمعهم بشتى أنواعها و التي بدورها تحفظ هوياتهم وتعيد انتاجها وفق السياق الخاص بها. وبما أنني ركزت في طرحي هذا على الهوية الحضرية والمجالية بالقصبة، فقد وجدت الكثير لأسقطه من خلال نتائج مدرسة شيكاغو وكذا عديد الباحثين التي نهلوا منها أمثال وليام توماس ولويس أوسكار، وهذا من خلال تعرضهم للمدينة كمتغير مستقل يقوم بانتاج هويات أو إعادة صياغة وتشكيل هويات على اساس ثقافة حضرية، وهذا من خلال دراستهم لهوية المهاجرين لمدينة شيكاغو ورصد تغيراتها من هوية قرابية تضامنية الى منفعية رسمية ،وكذا من خلال تبني ثقافة معينة للتأقلم مع محيطهم ووضعياتهم، مثل ثقافة الفقر لأوسكار لويس، التي تدل عن فكر ومنهج حياة للمهاجرين بالمدن المتميز والتي تكون ضرورية لهم للتمكن من العيش ومسايرة واقعهم. وهذا ما وجدته بالقصبة باعتبارها مدينة شهدت هجرة داخلية كبيرة بعد الاستقلال لذا لجأ هؤلاء النازحين لاستحداث هوية مبنية على اساس ثقافة الفقر وهذا لتتماشى و امكانياتها وواقعها المعيش، كالانغلاق والبخل وعدم النظافة وغيرها... والتي تتنافى والهوية الحضرية داخل القصبة المبنية على أساس الاندماج الاجتماعي وعلاقات الجوار، الكرم وحسن الضيافة والنظافة...

وعليه نستطيع أن نختم بتأكيد "**جوتلوب فريج**" على أن الهوية مفهوم لايقبل التعريف، وذلك لأن كل تعريف هو هوية بحد ذاته، فالهوية مفهوم أنطولوجي "ontological" يمتلك خاصية سحرية تؤهله للظهور في مختلف المقولات المعرفية وهو يتمتع بدرجة عالية من العمومية والتجريد تفوق مختلف المفاهيم الاخرى المتجانسة والمقابلة له ومع ذلك كله وعلى الرغم من الغموض الذي يلف مفهوم الهوية ويحيط به، يمتلك هذا المفهوم طاقة كشفية لفهم العالم بما يشتمل عليه من كينونات الأنا والآخر.[1]

[1] مشاري عبد الله النعيم :العمارة في منطقة مكة المكرمة، مجلة البناء العدد 03 ،2008

الفصل الثالث

قصبة الجزائر

تمهيد

إن النسيج العمراني لأي مدينة هو ليس فقط مجرد سلسلة مبان ومنشآت حيوية تلبي حاجيات الفرد المادية فحسب ،بل هو على حد تعبير "**مارتن هيدغز**" "فضاء يختزن الزمن بكل ما يحمله من رموز وعادات" ومرآة عاكسة للمجتمع الذي شيده وسكنه أثر وتأثر به وبصمته الخالدة التي تدل على هويته وثقافته وانتماءاته وقناعاته الفكرية فاندثاره أو اندثار جزء منه هو اندثار لذاكرته الحضارية والحضرية وقطيعة لتاريخه وتراثه المتجذر عبر الأزمنة والعصور. خصوصا إذا ما تعلق الأمر بمدينة تاريخية كقصبة الجزائر الذي جسد نسيجها معالم المدينة الاسلامية بكامل أركانها من قصر الداي والمسجد والسوق.[1] وجعل منها مركزا لرقي الفنون و للإشعاع الحضري و أكسبها سمعة ومكانة مرموقة بين المدن، وكذا لما حققه ساكنوها من تناغم اجتماعي بطباعهم المدنية وتكافلهم فيما بينهم وتناغم مجالي عن طريق استهلاكهم الحضري لمساحة سكناتهم وتعاملهم الراقي مع المجال المبني ككل، ما جعلها آلية لبناء الهوية الحضرية للقاطنين بها و الوافدين اليها . لكن بمرور السنين وتوالي مختلف الأزمات على هاته المدينة تراجع دورها و تقهقر مع تدهور نسيجها العمراني والحضري ،لهذا أردت من خلال هذا الفصل أن أعرج على تاريخ المدينة عبر مختلف حقباتها الزمنية ،مبينة في ذلك أدوارها ووظائفها الثقافية والاجتماعية والدينية التي كانت تقوم بتأديتها، بالتطرق كذلك إلى عبقرية هندستها المعمارية وكذا واقع نسيجها العمراني حاليا.

[1] Ichboudéne Larbi :Alger histoire et capitale de destin national, édition Casbah, Alger 1997 p58.

المبحث الأول : القصبة تاريخيا

أ- المصطلح و النشأة

- القصبة: **لغة** تعني "القلعة" التي بنيت في أعلى الجبل.

اصطلاحا هي المدينة التاريخية وهذا حسب تعريف« PAGAND » للمدينة التاريخية بحيث تحتوي على مقر سلطة وتعرف من الخارج عن طريق أبوابها و أسوارها.[1] وشبهت القصبة بالقلعة لأنها محصنة أمنيا ببنائها على ربوة يزيد ارتفاعها عن 100 م مشرفة على البحر، أما بشأن تاريخ إنشاء القصبة فيعود إلى سنة 950 م، وكان ذلك على يد "بلكين بن زيري" ليعاد بنائها سنة 1516 م على يد العثماني "عروج بربروس" وعليه يمكن أن نقول أن الجزائر عرفت قصبتان، الأولى قصبة بلكين بن زيري و الثانية قصبة عروج[2]. وحتى القصبة الثانية التي بنيت آنذاك غير القصبة التي نعرفها اليوم، حيث تهدمت معظم منازلها في زلزال 1716م[3]، واتخذت بعد ذلك الشكل الذي نعرفه اليوم الملتصق المتراص فيما بينه ليلائم الانحدارات الطبيعية، فهي تظهر للعيان على شكل مثلث به بنايات من القمة الى الأسفل (البحر)، تتخلل هاته المنازل طرق ضيقة وملتوية، مع وجود مباني ذات شرفات عثمانية الشكل من الجهة العليا للقصبة ومبان بشرفات غربية الهندسة بناها الاستعمار الفرنسي أسفل القصبة كواجهة يخفي بها مدينة الجزائر القديمة.

- **النشأة:** من جملة ما لاحظناه أثناء تطرقنا لتاريخ نشأة المدينة، أنه هناك اختلاف في الآراء حول تحديد تاريخ نشأة مدينة الجزائر، فمنهم من يردها الى القرن 05 ق.م ومنهم من يذهب الى القرن 06 ومنهم من اكتفى بالقرن الأول، كما اختلفوا ايضا في الأشخاص الذين كان لهم الفضل في بناء مدينة الجزائر، فالمؤرخ "مورقان" يرجعها الى يوبا الثاني وهو ملك البربر بينما الدبلوماسي "فانتيرا دي برادي" يرجعها إلى النوميديين أما المؤرخ

---

[1]PAGAN : la Médina de Constantine, de la Ville Traditionnelle au Centre de l'Agglomération THD3éme cle p63 في MISSOUM Salima.Alger à l'époque Ottomane, la Médina et la Maison Traditionnelle, INAS, Alger, 2003.

[2]خلاصي علي: قصبة مدينة الجزائر، دار الحضارة ,الجزء الأول، ط1،2007، ص 51

[3]حليمي عبد القادر : أصول نشأة مدينة الجزائر، مجلة الأصالة ،الجزائر، العدد 8 سنة 1972

الروماني "سولان" يرجعها إلى اليونان اعتمادا على أن الأسطورة الخرافية الذي ذكرها بأن مدينة الجزائر اسمها إيكوسين ومعناها عشرين وهم أولئك المصاحبين لهرقل اليوناني، فباستقرارهم بالجزائر أسسوا مدينة العشرين نسبة لعددهم الى غاية الاحتلال الروماني للجزائر أين غير اسمها إلى اسمها إيكوسيم الرومانية. وهناك من يرجعها الى العهد القديم بتسمية "آرغل" ومعناها المكان المغطى والعميق ثم في عهد الفينيقيين "إيكوسيم" والذي يعني "الجزائر" أي جمع جزيرة ومنهم من يقول أنها جزيرة الشوك أو طيور البحر ،ثم حرفها الرومان بما تقتضي لغتهم اللاتينية إلى إيكوسيوم وهذا لأنها امتازت بظهور مجموعة من الصخور المتجاورة الشبيهة بالجزر الصغيرة على سطح البحر والتي يظهر منها أربعة: السطفلة من الشرق إلى الغرب كما ذكر "البكري" والثانية صخرة الشمال والثالثة هي مابين هاتين الصخرتين والتي يقوم عليها حصن "البنيون" أو برج الفنار الذي بناه خير الدين بربروس والرابعة هي خلفهم والتي أوصلها خير الدين بهم برصيف وهكذا ترابطت الجزر وأصبحت على ما هي عليه فجعل خير الدين من المدينة عاصمة واضعا بذلك أسس الدولة الجزائرية الحديثة حاذفين بذلك "ال" من التسمية لتصبح "جزائر".[1]

ب- القصبة عبر مختلف حقبها الزمنية

- الحقبة الفينيقية و الرومانية

إن الحقيقة التاريخية لأصول المدينة ترجع إلى فترة ظهور الفينيقيين في حوض البحر الأبيض المتوسط حسب الأدلة والآثار التي وجدت بحيث ينتسب الفينيقيون الى العنصر السامي الذي ينتمي إليه العرب وهم من الفرع الكنعاني الذين هاجروا من الشام واستقروا في لبنان وسواحل سوريا وسمي وطنهم بفينيقيا ليخرجوا بعدها الى إفريقيا حيث أسسوا قرطاجنة وبعدها توسعت وأنشأوا بعض المدن ومنها مرسى مدينة الجزائر 'إيكوسيم" لموقعها البديع

[1] عمار عموره: الجزائر بوابة التاريخ، ما قبل التاريخ إلى 1962،الجزائر خاصة، ج 2 ،مطبعة دار المعرفة،2006 ،ص 14

فازدهرت المدينة باندماج الفينيقيين والقرطاجيين ،وهذا ما تؤكده بعض الأبحاث خلال فترة الاستعمار الفرنسي "كانتيينو" و"جزال" و"ليش" و"صنطاس" والذين أثبتوا أن نشأة المدينة يعود الى الفينيقيين وفق للأثريات التي وجدت في سيدي عبد الرحمان وحي لامارين وباب البحرية بحيث يمكن ملاحظة هاته الأخيرة بعضها في شرشال وعليه فيعود تاريخ المدينة الى القرن السادس (06) ق. م وعليه وفقا لهذا التأكيد العلمي يمكن تحديد عمر المدينة الى ما يفوق 3000 سنة [1].

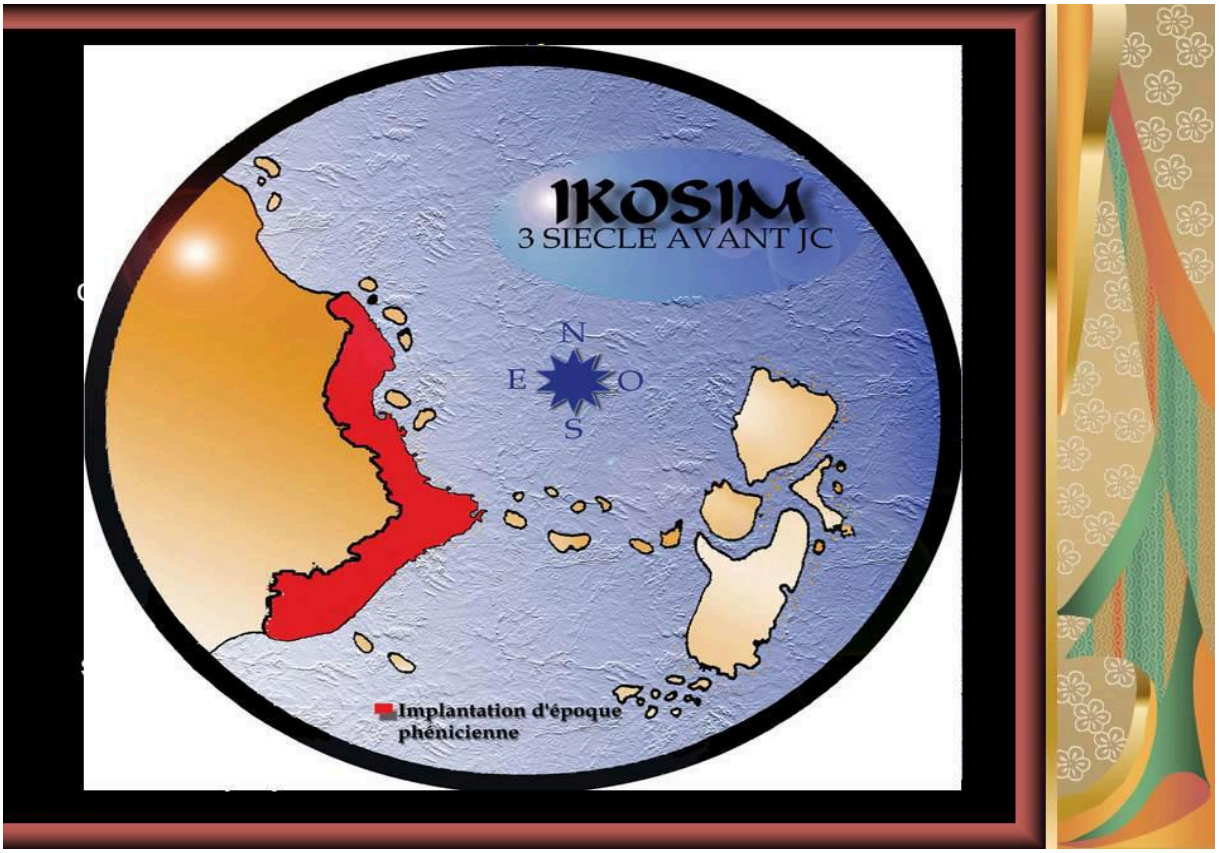

صورة رقم 1 : خريطة إيكوسيم في العهد الفينيقي.[2]

لقد اختلفت حدود المدينة حسب المراحل فقد كانت في عهد الفينيقيين تقع أسفل القصبة أوفي حي "لامارين" لا تزيد عن كونها مركز بحري أسس لتجارة القرطاجيين وبعد سقوط قرطاجة حرة في يد الرومان سنة 146 ق م أصبح غرب شمال افريقيا بما فيه مدينة

[1] عمار عموره:الجزائر بوابة التاريخ،نفس المرجع السابق ص ص 16-19

[2] الصورة رقم 1 : CNERU المركز الوطني للدراسات والأبحاث المطبقة في العمران.

الجزائر مستقلا وتحت سلطة البربر، ثم وقعت من بعد تحت وصاية يوبا الثاني ملك موريتانيا لتصبح مقاطعة تابعة لموريطانيا القيصرية (شرشال) ثم بعد مقتل آخر الملوك البربر "بطليموس"، سقطت "إيكوسيم" في يد الرومان. بحيث بعد سقوطها امتدت قليلا ناحية ما نسميه اليوم الى نهج باب عزون وباب الواد، أما أعالي القصبة فكانت مغطاة ببساتين وحدائق استوطنت فيها الجاليات الرومانية وعاشت حياة رغيدة مقابل أهالي البربر الذين كانوا بمثابة عبيد وهذا ما جعل بعض قادتهم يثورون كالأمير "فرموس" أين دخلوا في حروب...ثم تداول عليها كل من الوندال و البزنطينيين ،بحيث أنه في عهديهما تضاءل شأن المدينة حتى لم يعد يذكر تاريخها الى بعد قرون أي الى ما بعد الفتح العربي الاسلامي.[1]

-المدينة في العهد الإسلامي :

فتحت مدينة الجزائر سنتي 88-95 هـ على عهد ولاية موسى بن نصير، فأطلق العرب على إيكوسيوم جزائر بنو مزغنة بحيث كانت تقطن قبيلة بجوارها وهي بني مزغنة الصنهاجية أين لم يجدوها إلا كأطلال مما لحقها من دمار من الوندال، لكن رغم هذا فقد نشرت الدعوة بها وحصلت هجرات عربية إليها ونقلت إليها العادات من الشرق ومن المغرب وعند انفصال سكان المغرب عن الخلافة العباسية استقلت كل منطقة بدولتها فكانت الدولة الرستمية إلى عاصمتها تيهرت. ومن يومها أصبحت تتصل بتاريخ المغرب الأوسط واقترن اسم المدينة باسم بني مزغنة والتي تعتبر عشيرة بربرية صنهاجية سكنت به حوالي القرن الثاني والثالث هجري ،كما هو مذكور في الكتب مثل، كتاب ابن عذاري [2].

- أما في العهد الفاطمي فبعد سقوط الدولة الرستمية في تيهرت أنشأ على الجهة الغربية زيري بن مناد الصنهاجي مدينة أشير بالمدية، وأذن لابنه بلكين أن يؤسس ثلاث مدن في شكل مثلث الجزائر، المدية و مليانة، فكانت الجزائر سنة 950م/339 هـ وبعد تأسيس المدينة

[1] عمار عموره: نفس المرجع السابق ص 20

[2] عمار عموره ، نفس المرجع ص ص 27-31

نسبت إلى قبيلة بني مزغنة، بحيث كان موقعها سفح القصبة او ساحة الشهداء وجامع الكبير حاليا ومن آثار المرابطين نجد مسجد الجامع الكبير أما في عهد الموحدين وفي عهد سلطانها عبد المؤمن بن علي عرفت الرخاء، إلى أن أصر بعض أحفاد المرابطين استعادتها وهنا بدأت الصراعات والنزاعات بينهما الى غايةإعادة استردادها من طرف المأمون الموحدي سنة 1128م/625هـ، بحيث قضى على بن غانية وأنهى الاضطرابات السياسية في الجزائر .[1]

– في العهد الحفصي و الزياني: بعد تقلص نفوذ الموحدين عن المغرب الأوسط أصبحت تابعة للدولة الحفصية بتونس ثم استقلت سنة 1265 وبقيت كذلك حتى 1275 واستمرت في المعارك حتى ضمها أبو حمو الأول إلى مملكته الزيانية بتلمسان، وهكذا توالت عليها النزاعات والأطماع ثم استولى عليها الثعالبة 1366 ثم بدأت في الاضمحلال إلى غاية قدوم الأتراك إليها سنة 1514 م.[2]

– المدينة في العهد العثماني :

من هنا بدأ عهد جديد للمدينة تحت الحماية العثمانية التي خلصتها من خطر الاسبان، بعد أن استنجد سليم التومي بالأخوين عروج وخير الدين بربروس بعد أن ذاع صيتهما في البحر المتوسط في نصرة المسلمين المضطهدين، بحيث كان لابد أن يقوم هذا التدخل على غطاء سياسي وعسكري فكانت الحماية العثمانية تحت لواء نصرة الإسلام والمسلمين، فشرع في تحصينها من خلال بناء حصن يصل بين الجزر الصغيرة مدعما بمدافع تهدد الاسبان والطامعين من غيرهم والذين لطالما حاولوا الاستيلاء عليها، لكن دون جدوى فقوة التحصين وتحالف الظروف الطبيعية مع المدينة جعلا من ذلك مستحيلا. وهكذا عرفت المدينة عصرها الذهبي وأطلق عليها عدة ألقاب كالمحروسة والمجاهدة...وتطورت وأصبحت تمتلك أكبر أسطول بحري بحوالي 70 سفينة، وصار ميناء الجزائر المعروف حاليا برصيف

[1] نفس المرجع ص39

[2] عمار عموره: نفس المرجع السابق ص157

عروج مكانا يستقبل مختلف السفن والبضائع وشيدت الأسوار مدعمة بالمدافع فأصبحت مدينة الجزائر تشكل تهديدا حقيقيا للدول المسيحية. وازدهر الجهاد

صورة رقم 2: بنية مدينة الجزائر قبل سنة 1830. [1]

البحري الذي جعلها تنعم في خيرات عظام فيقول "هنري غاروا" "...إضافة الى هذا فإن السويد والدانمارك والنرويج كانوا يزودون الجزائر بدون مقابل زيادة عن الضريبة، بالأسلحة والأسلاك والأعمدة وحدائد الإرسال والبارود والقنابل، أما فرنسا وانجلترا واسبانيا والدول الايطالية ...فكانت تقدم نقدا أو عتادا هدايا كل سنتين، فضلا عن ما تقدمه هذه الدول من هدايا لدى عقد المعاهدات وترحيل القناصل وغيرها من المناسبات."[2]

كما يجب الإشارة إلى أنه لم تحض المدينة بهذا الاعتبار والنفوذ إلا بفضل الإجراءات التحصينية التي تمتعت بها من خلال تشييد أسوار عالية طولها حوالي 2 كلم وعلوها من

[1] صورة رقم2 : CNERU المركز الوطني للدراسات والأبحاث المطبقة في العمران.

[2] عمار عموره :مرجع سابق ص ص 40-41

10 إلى 12 كلم وعرضها 2 م، ولها خندق كبير أنشئ لعرقلة تقدم العدو إضافة الى تلك الحصون المشرفة على البحر و المجهزة بمدافع . [1] أما أحيائها فقد كانت مقسمة لأجزاء حسب الأستاذ إشبودان[2]، فكان حي البحرية الذي كان خاص بالطبقة الأرستقراطية ،حي القصبة القديمة للعرب ،حي القصبة الجديدة للإنكشارية والدايات .

أما أبوابها فقد تعددت فنجد باب عزون الذي يعتبر أهم باب يقع من الناحية الشرقية للمدينة وأطلق عليه هذا الاسم نسبة الى أحد الثائرين من الأهالي ضد الحكم التركي، باب الواد يقع في الغرب نحو الطريق المار عبر جبل بوزريعة كما يربط المدينة بالخارج وحتى المقبرة.[3]وباب الجزيرة يقع في الناحية الشمالية ويسمى كذلك باب الجهاد ،الذي كان له دور استراتيجي هام حيث يؤدي إلى المرسى يتم لتأهب إلى الغزو البحري كما يتم تنزيل البضائع به الى المدينة.[4] ،باب الديوانة يقع من الناحية الشمالية الشرقية وهناك تتم مراقبة السلع المستوردة وكذا الوافدين إليها من الخارج ،باب الجديد،يقع في الجنوب الغربي وكان مدخلا للقادمين من البليدة والغرب، فقد كان قريب من القصبة العليا ويشهد حركة سكانية كبيرة. بحيث كانت تفتح هاته الأبواب عند الشروق وتغلق مع الغروب، كما تغلق كذلك أثناء صلاة لجمعة خوفا من هجوم مباغت عليها. وهذا ما جعلها محصنة طيلة ثلاثة قرون.[5]

ت- سكان المدينة و لغتهم

ففي الحقبة الفينيقية، و نظرا لصغر مساحة إيكوسيم التي كانت تحتلها، فقد قدر عدد السكان بها بألفي نسمة، وبقي الأمر على حاله حتى بعد مرحلة ازدهارها، لهذا السبب لم

---

[1]عبد الحميد بن أشنهو في :سقاي نوال ،يوسف عشيرة شريفة :الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني،أطروحة تخرج أستاذ تاريخ وجغرافيا ،المدرسة العليا للأساتذة ،2007- 2008

[2]اشبودان العربي :مدينة الجزائر تاريخ عاصمة،دار القصبة للنشر،الجزائر ،2007

[3]عبد القادر حليمي. أصول نشأة مدينة الجزائر, مجلة الأصالة , الجزائر, العدد 8 ,ص ص 8- 9 , سنة 1972 .

[4]عبد الحميد بن أشنهو، في :سقاي نوال ،يوسف عشيرة شريفة :الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني مرجع سابق ص 94

[5]بن أشنهو مرجع سابق ص 94.

تشتهر المدينة آنذاك، فلو كان بها سكان كثر لاشتهرت، بحيث لم يرد ذكرها في الكتب التاريخية. كما انقسم سكانها إلى طبقتين المواطنون ،يمثلون السكان الأصليون والتجار الفينيقيين، أما الطبقة الثانية فكانت العبيد والمهاجرين غير المقيمين .[1]

أما الحقبة الرومانية، فبدأت بعد أن أصبحت إيكوسيم في قبضتهم في أواخر النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد، بحيث بدأ مشروع الإصلاح الزراعي، وكذا قانون مساواة المهاجرين الرومان بالرومانيين بإيطاليا في الحقوق والواجبات الأمر الذي سمح بتحريك الهجرة الإيطالية نحو المستعمرات خصوصا بعد مقتل بطليموس آخر الملوك من سكان الجزائر، وعليه هناك بعض الكتب التي قدرت سكان إيكوسيوم بأربعة آلاف نسمة سدسهم كان من مهاجري روما، والباقي من الأهالي والعبيد .[2]

أما في المرحلة العربية الإسلامية، فبعد الفتح الإسلامي بدأت الهجرات العربية تصل إلى شمال إفريقيا، ورغم أنه لا تتوفر إحصائيات دقيقة، خصوصا في العصر الإسلامي وحتى نهاية القرن 14 عشر، لكن هناك من يرجح أنه وصل عدد السكان إلى حوالي 5 آلاف نسمة في مطلعها جلهم من الأهالي، وبعضهم من العرب المهاجرين، ثم استقبل إلى 30 ألف نسمة في ازدهارها في حقبة بلكين بن مناد. بحيث كان أغلبهم من بني مزغنة، إلى أن بدا في النزول في مرحلة التقهقر ويذكر محمد الوزاني أنه قد بلغ عدد السكان في القرن 16 عشر، 4 آلاف موقد بمتوسط 20 ألف نسمة أي بمعدل 05 أنفار بالموقد الواحد، وهم مختلفون من عرب الثعالبة والأهالي والمهاجرين بين عرب الأندلس و اليهود المهاجرين .[3]

أما في عهد الأتراك، بدأت مرحلة النمو السريع لسكان مدينة الجزائر وهذا في مطلع القرن 16 إلى القرن 17 عشر، وحسب "ليون الإفريقي" قدر عدد السكان بنحو 4 آلاف موقد، أي حوالي 20000 نسمة، سنة 1516. ويذكر "هايدو" أن تعداد عدد ديار المدينة بلغ

---

[1] علي عبد القادر حليمي: مدينة الجزائر، نشأتها وتطويرها قبل سنة 1830 ،ط 1 المطبعة العربية لدار لفكر الإسلامي، 1972الجزائر ص 184-185

[2] نفس المرجع ص 191.

[3] علي عبد القادر حليمي ، مرجع سابق ص 250

حوالي 12200 دار، وتعداد السكان 50 ألف نسمة و125 ألف من العبيد والأسرى المسيحيين .[1] إلى أن وصل 100 ألف في وسط القرن 17 عشر حسب" ليسبيس" وهذا نظرا للهجرات الخارجية للأندلسيين ويهود وأتراك، وازدهار المدينة اقتصاديا، وبعد نهاية القرن 17 إلى منتصف القرن 18 عشر، قدر " لوجي دي تاسي" سنة 1725 عددهم بنحو 100000 نسمة، لكن بدأ بالتناقص نظرا لعدة أسباب منها الأوبئة المجاعات، الزلازل، والتي خربت نحو ثلث المدينة وأودت بحياة الكثيرين. ليبدأ عدد السكان في التقهقر من منتصف القرن 18 عشر إلى عهد الاحتلال الفرنسي بحيث انخفض إلى أكثر من النصف فيخلال نصف قرن إلى أكثر من الثلثين عند الاحتلال الفرنسي، ولم يبق بالمدينة أواخر سنة 1830 إلى حوالي 12000 نسمة.[2]

ففي سنة 1830 قدر عدد سكان مدينة الجزائر ب 30 ألف نسمة.[3] كما بدأ عدد سكان المدينة في الانخفاض بسبب السياسة الاستعمارية القمعية اتجاه الجزائيين ورحيل الأتراك، فحسب إحصاء 1881 بلغ عدد السكان 15 ألف نسمة و 29680 نسمة حسب إحصاء 1901، وفي سنة 1930 بلغ 30 ألف نسمة حسب الإحصائيات الفرنسية الرسمية ليصل سنة 1959 إلى 85 ألف نسمة بسبب تفشي الفقر والجوع بالأرياف.

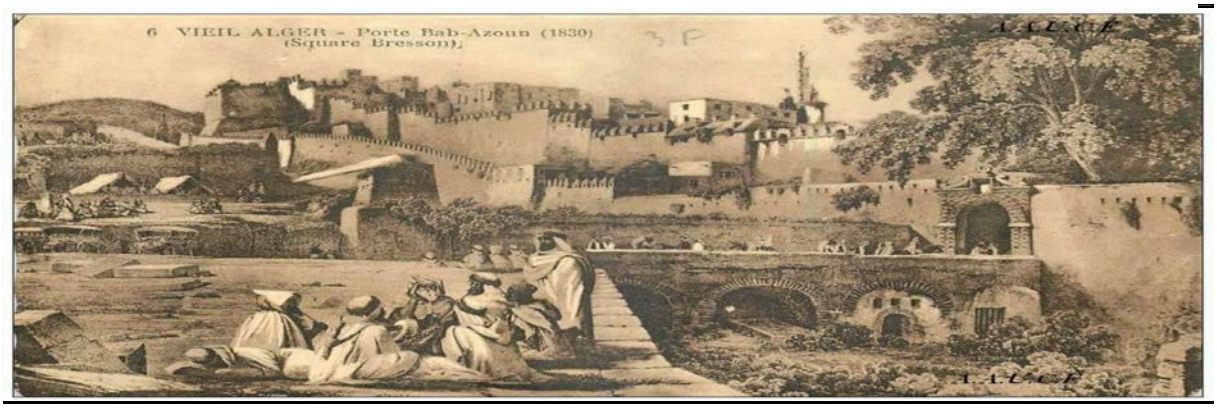

الصورة رقم 04: باب من أبواب القصبة يدعى باب عزون (1830).[4]

[1] علي عبد القادر حليمي نفس المرجع ، ص 251

[2] نفس المرجع السابق ،ص 255.

[3] إشبودان العربي، مدينة الجزائر ،تاريخ عاصمة، دار القصبة للنشر، 2006

[4] الصورة رقم 04: من موقع https://www. Algeraunecertaineepoque.com/photos

أما بشأن التنظيم الإداري للمدينة في فترة الأتراك، فقد كان محكما، ضمن لها الأمن والأمان والنظافة، و بشهادة كثير من الرحالة و المؤرخين الذين تغزلوا بها أمثال "ديغو دي هايدو" في كتابه « Topographie et Histoir Général d'Alger. » فشبه محيطها بقوس ذي وتر فالقوس هو الجدران وشاطئ البحر هو الوتر.

وبخصوص ترتيب فئات المجتمع الجزائري، فقد عانى الجزائريون من التمييز والنظرة الدونية للأتراك حيالهم، فقد شكل الأتراك علية أو قمة الهرم الاجتماعي واستحوذوا على المناصب العليا والحساسة بالدولة، ثم بعدها بأجيال أتوا الكراغلة وهم من أمهات جزائريات وآباء أتراك إلا أنهم لم يتمكنوا من تقلد مناصب عليا خوفا من أن يصبح الحكم بعدهم للأهالي، أما الفئة الثالثة فكانت فئة الحضر وهي تشمل سكان المدن في (مقابل سكان البادية) ، وقد ضمت العلماء والتجار وأصحاب الحرف والصنائع والكتاب والإداريين، كما كانت هاته الفئة ورغم دورها الاجتماعي والاقتصادي والعسكري محرومة من المناصب السيادية رغم ما كان منهم من وجهاء وعلماء وقضاة ومرابطين وغيرهم، أما الفئة الرابعة من السكان العاملين غير المقيمين كالزواوة القادمين من المنطقة الجبلية المجاورة لمدينة الجزائر و البساكرة وهم كل الممثلين الصحراء الشرقية أما الميزابيين فهم الذين يتبعون المذهب الإباضي .[1] وعليه فقد عملوا هؤلاء في المخابز والحمامات والموانئ و المصابغ والبيوت، بالإضافة للزنوج الذين كانوا يعملون أجراء عند الدولة بعد أن حررهم مالكوهم. بالإضافة إلى الأسرى المسيحيين.[2]

كما يجب التنويه إلى أنه كان هناك فرق شاسع بين مجتمع المدينة ومجتمع الريف، بحيث كان الفلاح يحتل ذيل القائمة وكانوا محل استغلال من طرف الشيوخ والمرابطين والجنود

[1] دونالند هولسينقر بحث سنة 1978 في أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ،ج الأول –1500– 1830 دار البصائر الجزائر 2007.

[2] أبو القاسم سعد الله :تاريخ الجزائر الثقافي ،نفس المرجع السابق ص 148 .

وغيرهم من أصحاب النفوذ التابعين للأتراك، بحيث يذكر "حمدان خوجة " [1] أنهم كانوا يشتغلون في الأراضي عن طريق الخماسة. وعليه ومن خلال هذا نجد أن هناك إبعاد وإقصاء للجزائريين من طرف الأتراك.

أما العملة الجزائرية فقد كانت تضرب بدار السكة في القصبة باسم السلطان العثماني إما ذهبية وفضية ونحاسية وبأمر من الداي تحت إشراف الخزناجي بحيث كانت تسمياتها تختلف باختلاف قيمتها في السوق ،فمن السلطاني الى المحبوب والريال، والصايم...[2]

أما بشأن لغة المدينة ولاحتوائها على عديد الأجناس ،فقد كانت اللغة الرسمية للأيالة هي التركية العصمانلية، وهي مزيج من الكلمات العربية، الفارسية والتركية تكتب بالخط العربي وهي شديدة الصعوبة للترجمة، أما لغة التواصل الشائعة بين العامية عرب الداخل والحضر نجد العربية، كما انه وجدت لغة عمل تدعى " فرنكو" أو "سبير"(من الفعل الإسباني للتعارف) يتعامل بها التجار والأسرى الأوروبيين والإسبان وهي مزيج من الإسبانية ،العربية التركية والإيطالية والتعابير البروفنسالية وقد كانت هي واسطة الاتصال في مدينة الجزائر[3].

- **المدينة أثناء الاحتلال الفرنسي :**

بعد تحطم الأسطول الجزائري بمعركة نافرين سنة 1827 وتراجع النفوذ العثماني لدرجة نعته بالرجل المريض وكثرة المؤامرات الداخلية بين الحكام ضد الأتراك وسخط الجزائريين على سياسة الحكم وتدهور الاقتصاد الجزائري القائم على الجهاد البحري وتخلفهم عن ركب التطور التكنولوجي في شتى الميادين الحيوية، أصبح من السهل على فرنسا وغيرها تحقيق حلمها و اقتحام الجزائر، وما كانت حادثة المروحة تلك إلا ذريعة واهية.

---

[1] حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة**،تقديم وتعريب د.محمد العربي الزبيري،وزارة الثقافة،2007 ص 143

[2] عمار عموره: مرجع سابق ذكره

[3] وليم سبنسر :الجزائر في عهد رياس البحر،تعريب وتقديم عبد القادر زيادية، ص 102

صورة رقم 5: رسم الغزو الفرنسي للجزائر عبر سيدي فرج

صورة رقم 06 : وقائع عن معركة الجزائر وفرنسا مدينة الجزائر ،جويلية 1830.[1]

بحيث أن مشروع احتلال الجزائر كان قد تعدى الثلاثة قرون بشهادة المؤرخ الفرنسي 'Augustin Bernard أغسطين برنارد" بقوله أن "...إن احتلال الجزائر يعد ثمرة مجهود ثلاثة قرون من العمل المستمر". ولكي تتنصل فرنسا من ديونها افتعلت تلك الحادثة المشبوهة على حد تعبير المؤرخ "شارل أندري جوليان"...قضية مشبوهة باشرها التجار اليهود الجزائريون النافذين (بكري وبوشناق) بالتواطؤ مع سياسيين فاسدين في باريس (تاليران) وحادثة مروحة بطلها ديبلوماسي مشبوه(دوفال) وحملة قادها جنرال فاقد الحظوة (دي بورمون) وانتصار استقبله الرأي العام الفرنسي بدون اكتراث...هذه البدايات الفريدة لاستيلاء فرنسا على الجزائر.[2] وإلى غاية سقوط الجزائر وتسليم مفتاحها من الداي حسين

[1] صورة رقم 05-06 من موقع https://www. Algeraunecertaineepoque.com/photos

[2] عمار عموره: الجزائر بوابة التاريخ ،مرجع سابق ص 257.

إلى دي برمون وفق معاهدة استسلام بجنان الرايس سنة 1830 المتضمنة لبنود لم تحترمها فرنسا بحيث بدأت سياسة النهب والسلب والطمس والإبادة [1] على رأي المعاصر للحدث آنذاك حمدان خوجة لكل مايرمز للجزائر والإسلام . بدءا بالمساجد التي حولت الى كنائس وثكنات ومستودعات إلى هدم البيوت وسلبها وتكسير العيون وأسواق وغيرها...بحيث يضيف "ليسبس'Lespes "...الأهالي المجردون من أملاكهم بدون أي تعويض بلغ بهم الشقاء إلى حد التسول ". ولم يتوقفوا عند هذا الحد بل امتدت انتهاكات الى شتى ميادين حياتهم خاصة التعليم والدين والثقافة تطبيقا لمقولة الجنرال 'دوكرو": يجب أن نضع العراقيل أمام المدارس الإسلامية والزوايا كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا..."ولم يبقوا إلا على تلك الزوايا الخاضعة لها التي تنشر الخرافات والشعوذة والتخلف في أوساط المجتمع الجزائري، وعليه من هنا بدأ عصر من التخلف والاستغلال والاقتلاع من الهوية والتنصير والمصرح لها من طرف الكاردينال لافيجري"...علينا أن نجعل من الجزائر مهدا لدولة مسيحية تضاء أرجاؤها بنور منبع وحيها الإنجيل، تلك هي رسالتنا.." بحيث بدأ هذا الاستخراب بزرع مدينته الكولونيالية على حد تعبير أ.إشبودان[2] فشق طرقات جديدة عموديا لتربط بين الشمال والجنوب لاستغلال خيراته وتصديرها بحرا لفرنسا وترك الطرقات الداخلية بين المدن الجزائرية لكي لا يكون هناك اتصال بين السكان لتفادي التكتلات وأي مقاومة، أما بشأن القصبة فقد دمرت جزئها السفلى وحي البحرية لإنشاء بنايات للمعمرين، أما جزئها العلوي فقد شق به Rue Rendon نهج عرباجي محمد حاليا،وبهذه الانتهاكات على المدينة قضت على خصوصيتها الإسلامية وقضت على تناغمها المجالي والاجتماعي وهذا ما خلف ما أطلق عليه "إشبودان العربي" خرابا للاقتصاد الحضري وفراغا اجتماعيا.

[1] حمدان بن عثمان خوجة: المرآة،مرجع سابق ص249

[2] اشبودان العربي،مدينة الجزائر تاريخ عاصمة ،مرجع سابق ص 379

وفي الصورة التالية يتبين لنا، كيف أن الاستعمار الفرنسي، هدم الجزء السفلي بالقصبة لبيني بعده منشآت كلونيالية ليخفي المدينة القديمة .

صورة رقم 07: الشارع الكولونيالي بالجزائر من الواجهة البحرية (يخفي المدينة القديمة، القصبة).[1]

ضف إلى ذلك فقد تم إزالة الصناعات المحلية القائمة على النشاطات الحرفية التقليدية للسكان كالنحاس والخزف والجلود ودثر أسواقها وصاباتها وحل الجمعيات القائمة عليها وأمنائها، وبعد دحر منتوجاتهم المحلية تم الإعلان عن أن عملتهم بدون قيمة محررة مما ساهم في معاناة وإفلاس كبيرين.[2]وفي سياق آخر للباحث فإن" في سنوات1920 – 1930 لم يكن للمسلمين الحق في التواجد بالمدينة بل كان مكانهم هو المرتفعات (الهضاب)المكان الأفضل لاحتضان البيوت القصديرية". ومع مرور الزمن وخوفا من انفجار الثورة بالمدينة وفي سنوات الأربعينات و الخمسينات اعتمدت على سياسة إسكان عنصرية قائمة على حشد الأهالي المسلمين في أحياء (HLM) ببلكور والمدنية وحسين داي ومناخ فرنسا

[1]صورة رقم 07 من موقع https://www. Algeraunecertaineepoque.com/photos

[2]اشبودان العربي ، نفس المرجع السابق ص 381

وغيرها مطبقة علهم ترسانة من القوانين الجائرة، أما الأحياء المجهزة فكانت للأوربيين كحي باب الواد وحي ميشلي وإيسلي حاليا(ديدوش مراد والعربي بن مهيدي) والبريد المركزي و مقر الولاية وغيرها من المنشآت الحيوية الإدارية والثقافية والتعليمية التي كانت موجهة لهم والتي لازالت إلى يومنا هذا...

ووسط هاته الفوضى المجالية والاجتماعية الحضرية تحولت القصبة من مدينة تاريخية عريقة إلى حي ممسوخ المعالم منغلق عن نفسه يشكو الفقر والحرمان ومحاصر بأسلاك شائكة خوفا من سكانه الذين أصبحوا بالنسبة للمستعمر هاجسا مريعا في الثورة التحريرية ووسط هذا التضارب بين الأصالة المطموسة والمعاصرة الزائفة للمدينة الكولونيالية توارت القصبة عن الأنظار.

- **المدينة في الاستقلال :**

لم يختلف الواقع الحضري والاجتماعي للقصبة بعد الاستقلال كثيرا، فعوضا أن تهتم السلطات بترميم ماهدم من تراث المدينة الحضري والحضاري واصلت في القطيعة العمرانية، باستقدام إطارات أجنبية مثل:Niemeyer, TangeKenzo, Poullon ليخططوا عمران المدينة بنماذجهم الغربية التي لا تمت لصلة لعمراننا العربي الإسلامي.[1]فسياسة المسيرين الحضريين التي باتت تلهث وراء التحضر السريع الذي انحصر لديها في بناء أكبر عدد من الأحياء المراقد التي لا اسم ولا روح لها و المعبر عنها بأرقام، وفي ظل أزمة السكن الناتجة عن النزوح الريفي والتنصل من كل ماهو قديم تقليدي، وصل عدد سكان العاصمة الى قرابة 1.000.000 نسمة في سنة 1966و1.300.000 نسمة في 1970 بعد أن كان 600.000 نسمة في 1962 ،أما بشأن القصبة فقد قفز عدد سكانها من 87045 نسمة عام 1966 إلى 160657 عام

[1]علي حجيج .سعيدة مفتاح :المسار التاريخي للتطور العمراني لمدينة الجزائر خلال الفترة 1830-1999.دار عراب للنشر والتوزيع الجزائر 2007.ص 121

1987. لينخفض في 1997 إلى 72856بمعدل نمو بلغ بين 1966 و1977 ب 33,7% و47,9% بين 1979و1987 لينخفض إلى 54,6% .

صورة رقم 08: أسطح القصبة بعد البناءات العشوائية للسكان بها.[1]

ولأن أغلب تلك الوفود والحشود القادمة للمدينة من كل الأرياف والعشوائيات، وجدت بالقصبة ملاذا ملائما لها خصوصا بعد فترة الاستقلال، جعلا منها مركز عبور يوفر لهم كل ضروريات العيش بأبخس الأثمان وحرية التصرف بالمكان باعتباره (ملكا للبايلك) على حد تعبيرهم، في انتظار الحصول على مساكن فردية في ظل المشاريع السكنية المسطرة الآنفة الذكر، وهذا ما حولها أشبه لقيتو تنتشر فيه كل الثقافات والفئات الاجتماعية المهمشة في ظل سياسة أعطت ظهرها للتراث وجعلت من القصبة أحجيات من الماضي، وعنما بدأت معظم الهيئات سواءا العالمية والوطنية والمحلية التي تعنى بالتراث تدق ناقوس الخطر المحدق بالقصبة، شرعت هاته الأخيرة بسن ترسانة من القوانين وبإجراء دراسات لا

[1] صورة رقم 08 من موقع https://www. Algeraunecertaineepoque.com/photos

نهاية لها لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من المدينة العريقة ووسط كل هذا التماطل والسياسات المتقطعة الناتجة عن تغيير المسؤولين عنها، وعديد الأسباب التي سنذكرها لاحقا من خلال التعرض لتجربة الجزائر في حماية القصبة والتي نأمل أن تكون بادرة خير بمخططها الاستعجالي قيد التنفيذ لإنقاذ القصبة و دويراتها من ضياع لتراث مادي ومعنوي لا يعوض.

صورة رقم 09: أحد أزقة القصبة قيد الترميم [1]

- أما في تعداد 2008، فقد بلغ سكان القصبة حوالي 35614 نسمة[2]، وذلك نظرا لسياسة الترحيل التي مست سكان القصبة، وكذا لانهيارات الكبيرة لمساكنها التي أجبرت السكان الميسوري الحال على الخروج منها إلى الضواحي، لكن لم يؤثر هذا الاخيرة على الواقع الحضري للقصبة، لكن بحيث أن نلاحظ أن تلك البيوت القصديرية لازالت موجودة بالقصبة واصبحت لأبناء الساكنين بالحي وليست نتيجة الهجرة من الريف، وهذا ما أكدته دراسة URBANIS سنة 2004، بحيث وجدت أن غالبية الذين يقطنون في الفوضوي هم

[1] صورة رقم 09: من تصوير الباحثة

[2] إحصائيات ONS 2008 في سليماني جميلة، مرجع سابق ذكره.

من الجيل الثاني وأبناء الحي المولودين به، إذ يتراوح عمرهم بين 36 سنة و ذلك بنسبة 70 %.[1]

وعليه لا يسعنا في هذا المقام إلا إعادة ما أتى به **هنري لوفابفر** عندما قال:" لا يمكن تبرير ما يحدث في المدينة باتهام اعتباطي وبسيط لسكان الريف لأن حتى النزوح الريفي كان بالإمكان أن لا يكون على هذه الحدة لولا السياسة التنموية والتصنيعية التي لم تراع التمثيلات الاجتماعية للمدينة في المخيال الاجتماعي للفرد".

صورة 10 :خيم عشوائية للسكن تم نصبها بساحة أفرغت وسط دويرات القصبة.[2]

المبحث الثاني: القصبة عمرانيا

بفضل الاستقرار الذي عرفته مدينة الجزائر في العهد العثماني استطاعت معالم المدينة الإسلامية بالبروز وهذا من خلال عمرانها، فحسب 'هايدو" كان يوجد بالجزائر سنة 1582 بمئة (100) مسجد وكنيسة وزاوية وقبيل الاحتلال الفرنسي أصبحت تحتوي على

[1]Madani Safar Zitoune Alger d'Aujourd'hui : une ville à la recherche de ses marques sociales, Insaniyat n44-45 Avril-septembre 2009 pp33-37

[2] صورة رقم 10 : تصوير الباحثة.

13مسجدا جامعا و 109 مسجد صغير و 32 ضريح و 12 زاوية وغيرها من الحدائق والعيون العمومية .[1]

أ- القصور و المنازل

- **القصور:**

لقد ازدهرت الحركة العمرانية بمدينة الجزائر خصوصا في العهد التركي، فقد اهتم الجزائريون بتصاميم بيوتهم وقصورهم، والتي يطلق على الصغيرة منها دويرات وعلى الكبيرة قصورا خصوصا لتلك التي سكنها الدايات والوجهاء في الماضي، وعليه فقد اتسمت بالرقي والنقوش الجميلة والزخارف المنمقة والألوان الزاهية والأقواس والقباب المستوحاة من هندسة مساجدها إذ تقع أغلبها قريبة من دار الإمارة (ساحة الشهداء وما جاورها حاليا) أو ما يعرف بقصر الجنينة، مقر الحكم المركزي للدولة الجزائرية في العهد العثماني، قبل أن ينقل علي خوجة مقر الحكم إلى العليا (دار السلطان، ماعدا قصر الدار الحمراء الذي يقع قرب قرب قصر رياس البحر (حصن 23) أما كل من قصر عزيزة وحسن باشا ففي ساحة ابن باديس وغير بعيد عنه يقع قصر مصطفى باشا وفي نفس الاتجاه يقع قصر خداوج العمياء والذي هو الآن متحفا وطنيا للفنون الشعبية، ضف الى ذلك قصر أحمد باشا الذي هو الآن مقرا لإدارة المسرح الوطني وكذا قصر الصوف الذي يعد اليوم مقر المدرسة الوطنية للترميم [2] نذكر نبذة عن أشهرها :

- **قصر الداي:** الذي كان في الجنينة وحول إلى القصبة العليا وبقي قصر الخلافة إلى وقوع حادثة المروحة والغزو وتسليمه ممن طرف الداي حسين سنة 1830، إذ يحتوي على قاعات الخزينة الدولة وقصر البايات المخصص لباي وهران وقسنطينة عند زياراتهم وكذا على دار المدفعية والبارود.[3]

---

[1] عمار عموره :الجزائر بوابة التاريخ ، ما قبل التاريخ إلى 1962 –الجزائر خاصة.– دار المعرفة ،الجزائر 2006ص 87.

[2] محمد الطيب عقاب :قصور مدينة الجزائر في أواخر لعهد العثماني ،دار الحكمة الجزائر، 2007 ص 32

[3] عمار عموره ، مرجع سابق ص 192.

- **قصر رياس البحر (حصن 23)** وهو مجموعة منازل تحيط بساحة صغيرة تدعى بصابات الحوت ،وهناك كانت توجد بطارية مدفعية مامي أرنوط وهو أحد الرياس الذين سكنوا هاته المنازل وقد رمم من طرف فريق من المعماريين الإيطاليين بمساعدة مهندسين جزائريين.

-**قصر عزيزة** :يقع في حي بن باديس بناه رجب باي قسنطينة لزوجته عزيزة بنت رمضان وهو يمثل جزءا من الجنينة، وقد حول هذا الأخير بعد الاحتلال الى مخزن ثم مسكن للأسقف الذي أعد كنيسة صغيرة له في طابقه الأول، وبعد الاستقلال استعادته وزارة السياحة.

- قصر حسان باشا: وهو مجاور لجامع كتشاوة أمر ببنائه سنة 1791، وتم تزيينه وزخرفته بالخزف الهولندي، وحول في الاستعمار مقر للحكام الفرنسيين بحيث أقام به نابليون الثالث و زوجته وغيرهم من الشخصيات وقد تم استعادته حاليا .

- **قصر خداوج العمياء** :وهو من أقدم القصور يعود تشييده إلى حوالي سنة 1570 بمبادرة من أحد الضباط البحرية وهو "يحي رايس" وهناك من يرجع إلى حسان خزناجي أحد أعضاء الديوان (الخزينة) وذلك سنة 1792 وزينه ونمقه ليهديه إلى ابنته خداوج التي تحكي الأسطورة أنها فقدت بصرها لطول تأملها في جمالها بالمرآة ، ومن ثم أصبحت تكنى بهذا اللقب الذي نسب إليه قصرها. [1]

[1] مطوية خاصة للتعريف بالمتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية.

صورة رقم 10 : قصر رياس البحر[1]

صورة رقم 11 : أروقة قصر خداوج العمياء[1]

[1] صورة رقم 10 Centre National d'Eudes et de Recherches Appliquées en Urbanisme, Alger,

[2] صورة رقم 11 من ألبوم المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية الخاص من موقعها الإلكتروني www.mnatp.org

- منازل القصبة

إن المتأمل في بيوت القصبة يلاحظ أن هيكلة بيوتها ومبانيها من الخارج تبدو متشابهة لتحقيق الاستمرارية البصرية و التناغم المجالي الاجتماعي ، فقد كانت هادفة الى الحفاظ على قيم وعادات سكانها، فمجالها يبدأ من العام إلى الخاص بحيث تنقسم منازلها إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول" المنزل ذو الفناء أو" **وسط الدار**": إذا كان صغيرا يسمى "دويرة " واذا كان كبيرا يسمى "القصر" يكون محاطا بأروقة مقنطرة تحملها أعمدة والتي تحتوي على الحجرات التي تكون مفتوحة على وسط الدار الذي يعبر عن مجال للتواصل بين ساكنيه ومكان للقيام بعدة أنشطة وكذا به تواصل مع الطبيعة باعتباره مفتوح ، وهو أكثر البيوت شيوعا بالقصبة ويكون متفاوت الأحجام .

أما **النوع الثاني** فيدعى "**منزل الشباك**" ، وهو منزل صغير نوعا ما ينتظم حول وسط الدار ويكون سقفه مغطى بواسطة هذا الشباك الذي به فتحات تسمح بدخول الضوء والهواء، وتكون كذلك حجراته بها هاته الفتحات ذات الشكل الهندسي إما مثلث أو مربع ،غرفها مفتوحة على بعضها البعض عبر رواق يحيط وسط الدار يربط بين مختلف وحداته الأساسية (المطبخ والحمام والسلالم)[2] .

النوع الثالث هو "**المنزل العلوي**" والعلوي بالعامية تعني العالي أي أن السكن بالأعلى، والذي يكون بدون فناء أو وسط الدار ويتم التنقل به الى الأعلى عبر أدراج أو سلالم ويختلف عن سابقيه في كون الطابق الأرضي مخصص للتجارة أو تجهيزات أخرى الذي يعتبر أصغر المساكن حجما بينهم .[3]

---

[2]Centre National d'Eudes et de Recherches Appliquées en Urbanisme, Alger, **PPSMVSS de la Casbah d'Alger,** édition finale 2009

[3]Centre National d'Eudes et de Recherches Appliquées en Urbanisme, idem

- تتميز بيوت القصبة عن غيرها كونها تحتوي على بعض التجهيزات أو العناصر التي تؤكد لنا أن الذين صمموها كانوا قد فكروا في أدق التفاصيل، فنجد مثلا :

- **وسط الدار** وهو مركز المنزل مفتوح على السماء لتكريس قاعدة التوحيد لدى المسلمين (في علاقة العبد بربه)، وعلى الطبيعة ليعطي شعورا بالاسترخاء، وعلى كافة الغرف ليشعر بالحرية خصوصا للمرأة بكونها ماكثة بالبيت.[1]
- **السقيفة** هي مساحة صغيرة تكون في المدخل،مكان انتظار الغرباء،حاجز بين الوسط الداخلي والخارجي إذ يدل حجمها على مكانة أصحاب البيت فكلما كبرت وازداد عدد مقاعدها كلما دل على رفاهية ساكنيه وهوتجسيد فعلي لخلق الحياء إذ حتى ولوفتح باب المنزل على مصراعيه لايمكن رؤية ما بداخل البيت.[2]
- **السطح:** وهو فضاء واسع ومفتوح ،يطل على البحر ،مخصص للنساء عموما وهو مكان لتواصل الجيران بينهم وحتى التنقل من سطح بيت لآخر لالتصاقها ببعضها البعض بدل اللجوء الى الشارع.
- **القبة:** وهي مكان مجوف بآخر الغرفة مغطى بقبة أو بخشبة منمقة بزخارف يكون حجمه وفق مساحة البيت ويخصص للزيارات الحميمية أو للقيام بمختلف الصنائع التي تتطلب التركيز والدقة.
- **البرطوس** : هو حيز مكاني يستعمل للخزن،ويكون غائرا في جوف الجدران مغلقا بأبواب خشبية و يتموقع بين الممرات وبين السلالم.[3]

أما عن مدخل الدويرة فكان له باب واحد من خشب صلب وله مقابض يدوية تشكل تصميم خماسي حسب أصابع اليد، والتي تعتبر رمزية البحر المتوسط (يد فاطمة بنت محمد).

---

[1] Lucien Golvin : Palais et Demeures d'Alger à la Période Ottomane INAS, Alger 2003

[2] لقمان سخري وآخر :واقع ومستقبل المدن التاريخية في ظل التشريع الجزائري ,منتدى التسيير والتقنيات الحضرية بأم البواقي http// :www.chemmami.com

[3] ملاحظة الطالبة لإحدى القصور

[1]بحيث يتم الولوج الى داخل المنزل عبر مراحل، فنجد مايسمى ب "**الدريبة**" وهو الحيز الخارجي للباب وعندما يفتح لنا باب المنزل نجد "**السقيفة**" وهنا ننتظر حتى يسمح لنا بالدخول ,ثم ننتقل الى "**وسط الدار**" وهو عبارة عن فناء كبير, يحوي غرفة الاستقبال والمطبخ أو "**الخيامة**" ,وغرفة المؤونة أو "العولة" وكذا بيت الصابون وهو مكان لغسل الملابس القريب من الجب الذي تتجمع به مياه الأمطار بالسطح ويتم وضع تصريف لها لتستعمل فيما بعد للتنظيف ،كما نجد البئر الذي به مياه صالحة للشرب ,ثم ننتقل الى الطابق الأول والثاني والثالث عبر أدراج معدودة لنجد بها غرف المنزل ولها المخطط نفسه في كافة الطوابق، أنه في الطابق الأول الحجرات تدعى ب "بالبيوت"، وفي الثاني تدعى "الغرف"، أما في الثالث فتدعى ب" **المنازه**"، وفي الجزء الأخير نجد السطح الذي يعطي لنا منظر مذهل لخليج الجزائر[2]. وهو مجال للالتقاء النسوي للتسلية وكذا للقيام ببعض النشاطات المنزلية، يعتبر مجال وسط الدار والسطح مجال جماعي يسمح للنسوة بالالتقاء لتبادل الخبرات وتلقين الفنون والصنائع التقليدية الحضرية، كما كانت تقام الأفراح و المناسبات.

صورة رقم 12 :السقيفة بإحدى القصور[3]

---

[1]وليم سبنسر :الجزائر في عهد رياس البحر ،تعريب وتقديم عبد القادر زيادية، ص 61

[2]Missoum Salima : Alger à l'époque Ottomane, la Médina et la Maison Traditionnelle, INAS, Alger 2003

[3] صورة رقم 12 : ألبوم المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية.

ب- **الأحياء و الدروب:**

الأحياء : تبدأ من الطريق الى "الزنقة" الى "الدرب"، بحيث تكون أزقتها ملتوية اجتنابا للشمس وتوفيرا للبرودة الى كل جوانبها وتقلل من نسبة الرطوبة، وهذا إن دل فإنه يدل على التوافق المعماري ومناخ القصبة، وتنتهي بدروب impasses حفاظا على خصوصية المجال[1]

صورة رقم 13: أحياء القصبة.[2]

[1] باشا محمد :إشكالية العمارة في الجزائر،من أزمة إبداع إلى إبداع أزمة كلية العلوم الاجتماعية ،مجلة الحوار الثقافي ،عدد خريف شتاء 20213 ،جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم ، صص158- 169

[2] صورة رقم 13: تصوير الباحثة

أما من الناحية الفلسفية الجمالية ، فتلك الالتواءات والأقواس تضفي على المكان عنصر التشويق لاكتشاف الزائر ما الذي سيراه أو يمكن أن يكون بعد نهايتها ، أما الأسطح الملتصقة فهي لحجب أشعة الشمس ،كما يمكن للنساء عبرها التنقل من بين بيوت جاراتها دون عناء الخروج إلى الشارع، كما أنها استخدمت من أجل تجميع مياه الأمطار لاستعماله في التنظيف عندما ينزل الى الجب والذي عادة ما يكون في أسفل أو قبو المنزل ، واجهات المنازل مغلقة ,وإذا كان بها نوافذ تكون عالية عن الطريق و بشباك صغير قصد التهوية والإنارةالخارجية لأن المنزل بالداخل مفتوح على أرجائه بوسط الدار،علو المنازل يكون بطابق سفلي + طابقين أو ثلاثة و نادرا ما يكون هذا ، أبواب منازلها من خشب و مؤطرة بالرخام ولا تكون متقابلة بل متفاوتة نوعا ما لقدسية وحرمة الجار، لم يكن هناك نظام الإنارة العمومية بالمدينة بل كانت تعتمد على نظام شروق وغروب الشمس .

صورة 14 : توضح شكل سلالم والأقواس (les voutes)أحد أحياء القصبة [1]

[1] الصورة رقم 14 : تصوير الباحثة

بحيث كانت بها أبواب خمسة تفتح بشروق الشمس وتغلق بغروبها ولا يسمح للمتأخرين بدخول إليها وهي: باب عزون شرقا باب الواد غربا، باب الجزيرة شمالا وسمي أيضا باب الجهاد، باب الديوانة ويقع في الناحية الشمالية الشرقية وباب الجديد جنوبا، كما أنها كانت تغلق وقت صلاة الجمعة تحسبا لأي هجوم مباغت، ما جعلها تنعم بالأمن والطمأنينة رغم كل الهجمات التي تعرضت لها أين أطلق عليها اسم "المحروسة" أو "المحمية بالله".

الصورة رقم 15 :جلسة رجلين وفوقهما لافتة كتب عليها لقب مدينة الجزائر (المحمية بالله)[1]

ت- العيون:

لقد كانت تزخر المدينة بعدد من العيون التي كانت تعتبر من معالم المدينة لما تتميز به من جمال معماري ،خلافا عن دورها في تزويد المدينة بالمياه الشروب ،فمنها ما كان داخل أسوارها ومن من كان خارجها ،وسبب انتشار هذه العيون ، تمثل في أنه لم تكن تسمح إدارة المياه التي يرأسها خوجة العيون ببناء عيون داخل المنازل إلا بمقابل مادي تدفعه تلك الأسر إليها ويستغل في مصالح المياه،كأن يحبس عقارا للعيون العمومية أو غيرها وعليه فإنشاء تلك العيون داخل المنازل لم يكن متاح إلا للعائلات الغنية أو ذات النفوذ وهذا ما

[1] صورة رقم 15 من كوقع:https://www. Algeraunecertaineepoque/photos/

كان نادر الحدوث .[1]أما ما كان خارج أسوار القصبة ،فنجد بئر خادم وبئر مراد رايس. [2]

ومن بعض العيون الواقعة داخل القصبة:

-**العين المزوقة:** الواقعة بحي سيدي دريس حمادوش تعود إلى القرن 16 عشر والتي سميت كذلك لكثرة النقوش والزخارف بها المبرقشة باللون الأخضر .

- **عين بئر جباح:** والتي بناها ابن الإمام علي بن جباح بحي الدباغين وعين البحرية أو سيدي براهيم والتي أنشأت في القرن 16 عشر من طرف رايس أحمد والمتواجدة حاليا داخل مبنى القوات البحرية .

صورة رقم 16: العين المزوقة[3]

[1]خليفة حماش :الأسرة في مدينة الجزائر في العهد العثماني ،رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث 2006 ص 488.

[2]نادية بوزيد وسامية مقران:القصبة روح الماضي وريحان المستقبل، مؤسسة الأمير خالد ،بولوغين الجزائر،2006 ص 38

[3] صورة رقم 16 :من تصوير الباحثة

عين بئر شبانة: هي من أقدم العيون بالقصبة السفلى متواجدة بجدار أحد بنايات القصبة منشأها بن شبانة، وهو أحد أبرز أئمة الجزائر.

- **عين البحرية(سيدي براهيم):**من أشهر العيون التي كان يقصدها بحارة الأسطول الجزائري، تم إنشائها في القرن 16 عشر من طرف وكيل المرسى رايس أحمد.وعرفت لدى العامة من السكان بعين سيدي براهيم.

صورة رقم 18: عين واقع خلفية لمسجد سيدي رمضان[1]

صورة رقم 19 :عين بئر جباح [2]

1 صورة 18: من تصوير الباحثة

2 صورة 19 من موقع https:// www. Algeraunecertaineepoque/photos/

المبحث الثالث: القصبة دينيا

كان الشعب الجزائري على المذهب المالكي، أما الأتراك و الكراغلة على المذهب الحنفي فوجد المفتي المالكي بجانب المفتي الأكبر الحنفي الذي يسمى شيخ الإسلام، أما القلة اليهودية فقد مثلت 01%، لها معابدها وتحتكم الى الأحبار، وللمسيحيين كنائسهم التي يحتكمون إليها. فحسب "مورقان " كل الديانات مسموح بها في مملكة الجزائر وكل الأجانب سواءا أكانوا عبيدا أو أحرارا لهم كهانهم وكنائسهم." أما حج المسلمين فكان يتم عن طريق البحر حسب "فونتورا دي برادي" والذين كانوا يخرجون من مرسى العاصمة من سفينتين الى ثلاث محملة بالحجاج قاصدين مكة عن طريق الإسكندرية، أو يتم بواسطة قوافل تضم عددا كبيرا من الأشخاص ويحرصها الفرسان حتى الحدود التونسية.[1]

أ-**المساجد** : بحيث في الجزائر وحدها كانت لديها في نهاية العهد التركي 176 مسجد منها 13 منها جامع كبير تقام فيه خطبة الجمعة و109 مسجد صغير يشرف عليها إمام و32 ضريح و 12 زاوية[2]. 167 بحيث مهمة تشييده تقع على عاتق المجتمع ككل. وإن قام بالتكفل به أحد الباشوات فهو فردي من ماله الخاص كمسجد منصور عبدالله وعلي بتشيني ومن أهم الجوامع المالكية الجامع الكبير يعود إلى العهد المرابطي يعقد فيه كل خميس و مجلس للنظر في القضايا الفقهية المستأنفة ويعتبر حكمه نهائي أو تلك القضايا التي يحتاج الباشا فيها الى فتوى العلماء المؤلفة من مفتي حنفي ومالكي بحيث كان يحتل المرتبة الثانية بعد مفتي أوقاف الحرمين، وعليه فقد كان يلعب دورا كبيرا حتى في تعليم الصغار والكبار وكذا الزوايا والأضرحة والقباب المقامة على الأولياء كزاوية عبد الرحمان الثعالبي وسيدي الجامعي...الخ بحيث كانت تشمل هاته الزوايا على مسجد صغير وقبة الشيخ المرابط وقاعات تدريس ومبيت للطلبة الداخليين وعدد من الموظفين وتميز بالتقشف والهدوء والعزلة وكانت تخضع لإدارة مؤسسها وأبنائه وإذا توفي يصبح مزارا بحيث لها كان

1 عمار عمورة: مرجع سابق ص .166

لها بعض الطقوس الخرافية المنافية للدين ،كما كان لها شق إيجابي الغير ،التعليم والحفاظ على تعاليم الإسلام. ومن بين أشهر زواياها وأضرحتها زاوية أحمد بن عبد الله الجزائري وزاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي وزاوية الوالي داده وزاوية عبد القادر الجيلاني وغيرها من الزوايا، ومن بين المساجد التاريخية التي تعتبر من معالم القصبة نجد :

صور: الجامع الكبير من ناحية حضيرة السيارات[1]

- **الجامع الأعظم أو الكبير:** يقع في نهج إمار البحر ،أسس في العهد المرابطي على يد أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين سنة 409 هـ الموافق ل 1018 م والتي ألحقت مئذنته به

[1] تصوير الباحثة

بعد قرنين ونصف بأمر من أبي تاشفين بن أبي حمو موسى الزياني ، كما اعتبر بمثابة محكمة عليا للمدينة سنة 1873 والذي لايزال قائما ليومنا هذا.[1]

- **المسجد الحنفي قديما أما حديثا فهو الجامع الجديد:** المحاذي لساحة الشهداء الدي بني من طرف الحاج حبيب سنة 1070 هـ الموافق ل 1660-1661 م في مكان زاوية أبو عنان بأمر من الانكشارية وعلى نفقة سكان المدينة ،يمتاز بقبته البيضاء ورخامه الإيطالي أما الساعة الموجودة الآن فهي فقد كانت بالجنينة وتم تحويلها له ،وللدكر فإن هدا المسجد كاد أن يهدم كمرتين سنة1831 و 1910 مع الجامع الكبير من أجل إعادة هيكلة المدينة لولا تدخل بعض أصدقاء مدينة الجزائر .[2]

- **جامع كجاوة أوكتشاوة :** والتي تعني بالتركية هضبة الماعز ،يقع بين شارع بوزرينة وشارع حاج عمر مواجها لساحة الشهداء ،تم بنائة من طرف منظمة سبل الخير سنة 1612م وجدد في سنة 1795 من طرف الداي حسين باشا وجعله شبيها بمسجد السيدة الدي اعتبر أول مسجد هدمه الاستعمار سنة 1832.[3]

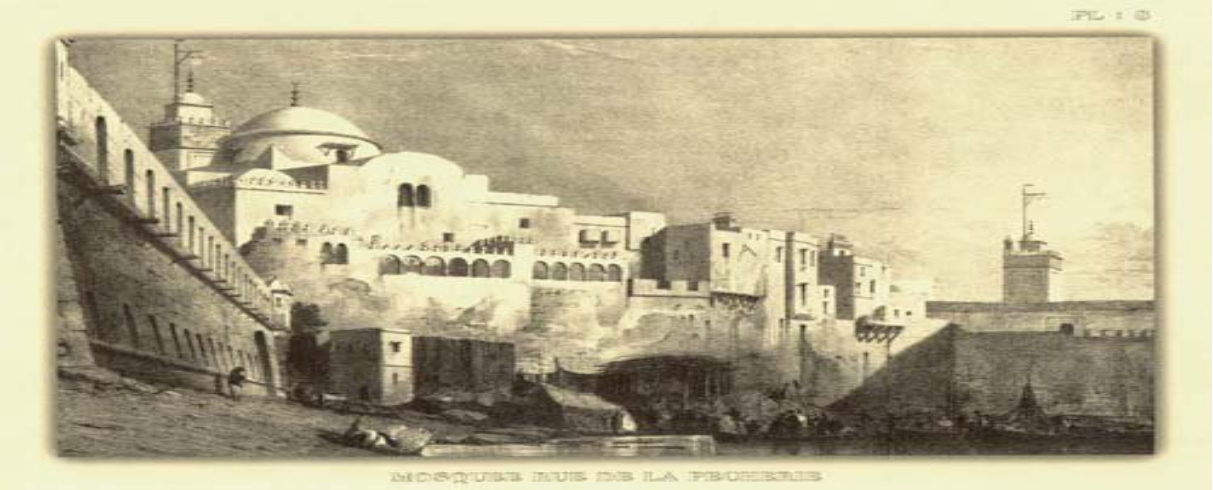

صورة رقم 21 : مسجد الجديد بالقصبة (قديمة)[4]

[1] عائشة كردون: المساجد التاريخية لمدينة الجزائر ،مطبعة ألفا ، الجزائر 2011 ص36

[2] عائشة كردون:مرجع سابق ص60.

[3] نفس المرجع ص 66

[4] صورة 21 من موقع https:// www. Algeraunecertaineepoque/photos/

- **جامع سفير:** وهو في الأصل جامع صفر بن عبد الله المسيحي الدي اعتنق الإسلام ، يقع في القصبة العليا بجوار مسجد سيدي محمد الشريف، أسسه سنة 941هـ الموافق ل 1534 من ماله الخاص، ويعد أول من شيد مسجدا حنفيا في العهد التركي، وأعيد بنائه سنة 1827 من طرف الداي حسين، إذ يتميز بطابعه المغربي بقببه المثمنة الأضلاع ومحرابه الجميل المصنوع من الخزف الإيراني.[1]
- **مسجد علي بتشين:** أسس من طرف البحار الإيطالي الأصل علي بتشين بعدما اعتنق الإسلام وذلك في سنة 1622 م، على الطراز العثماني آية بالجمال بقببه ومئذنته ،حوله الاستعمار الى كنيسة بعد أن دمر منارته وحرف شكله سنة 1860 وأطلق عليه تسمية *سيدة النصر *إلى أن أعيد لسابق عهده بعد الاستقلال .
- إضافة الى عدة مساجد كمسجد سيدي محمد الشريف الزهار والدي يضم ضريح الوالي محمد الشريف، وكدا مسجد البراني ومسجد علي خوجة الدان يقعان بجانبي قصر الداي وغيرها من المساجد الصغيرة لتي لازالت قائمة ليومنا هذا، وللإشارة فإن أغلب هاته المساجد الآنفة الذكر تم الإعتداء على حرمتها في الاستعمار إما بتحويلها غلى كاتدرائيات وكنائس أو إلى ثكنات أو تهديمها نهائيا .

ب- الأضرحة والزوايا والأوقاف:

تنتسب الزوايا إلى ولي من الأولياء كزاوية أحمد بن عبد الله الجزائري وزاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي وزاوية الوالي داده وزاوية عبد القادر الجيلاني وغيرها، بحيث كانت تمثل في نظر سكان المدينة محروسة بهم، وكان هذا سببا من أسباب تسميتها بالمحروسة وذلك نسبة لأوليائها ومرابطيها الدين يحرسونها من العين والحسد ومن غارات العدو والكوارث الطبيعية وغيرها... بحيث كانت يمتع هؤلاء بنفود كبير على السكان والحكام خصوصا في العهد العثماني لما تقدمه من خدمات لهم بضمان ولاء السكان وكذا لما لها من دور تربوي

[1] عمار عموره: مرجع سابق ص 192.

وتعليمي واجتماعي وخرافي أحيانا يورث أبا عن جد.[1] ومن أشهرها زاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي : المتوفي سنة 1471 م، بحيث أمر بنائها الأمير الحاج أحمد بن الحاج المصلي وهو أحد حكام الجزائر، وتم ذلك في سنة 1696، بحيث يوجد بها مسجد صغير يحتوي على ضريح الشيخ وتعلوه مئذنة من المرمر وقد زود بمحراب مكسو من الخزف الإيراني وتشكل الزاوية عدة بيوت ومرافق متصلة بالمسجد ورفات كل من ضريح الوالي داده وسيدي منصور كما تضم المقبرة كدلك رفات القائد خضر باشا وأحمد باي وعمر ومصطفى وأحمد باشا وكذلك شخصيات حديثة، مثل :عبد الحليم بن سماية والأديب محمد بن شنب والرسام عمر راسم.[2]

صورة رقم 22: مبنى الديوان الوطني للتعليم عن بعد ، شارع محمد بن شنب القصبة [3]

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر ،الجزء الأول ،2007 ص 262

[2] عمار عموره :مرجع سابق، ص 183.

[3] صورة رقم 22 : تصوير الباحثة.

صورة رقم 23 : مقبرة سيدي عبد الرحمان بالقصبة العليا[1]

- الأوقاف :

ومن أشهر الواقفين العثمانيين خير الدين بربروس وخادمه المعتق صفر بن عبد الله الذي بني جامع السفير في 1534.[2] مصدرها ممتلكات المواطنين من الطبقة الغنية والمتوسطة لصالح البر والإحسان أو للعناية بالمنشآت الدينية ومساعدة طلاب العلم و الفقراء والمحتاجين، مثل أوقاف (مكة والمدينة)عن طريق نقل ريعها من طرف الحجاج مرة كل سنة، وكذا أوقاف سبل الخيرات المتعلقة بالمذهب الحنفي ،وأوقاف أهل الأندلس وغيرها وصولا إلى زاوية سيدي عبد الرحمان.

[1] صورة رقم 23: من موقع https:// www. Algeraunecertaineepoque/photos/

[2] سعاد فويال: المساجد الأثرية لمدينة الجزائر دار المعرفة الجزائر 2007 ص 42.

ت-المدارس :

امتلكت المدينة الكثير منها وقد بلغ عددها في نهاية العهد التركي حوالي 100 مدرسة بين الابتدائية وغيرها ،بحيث كانت عبارة عن غرف داخل زوايا أو في دكان داخل حي ما عادة ما يحمل اسم الواقف أو اسم المعلم ،إلى جانب ذلك كان كل مسجد تقريبا يضم مدرسة للتعليم تضم من 20 إلى 30 تلميذ يتمدرسون على الحصير وبأدوات جد بدائية الى غاية سن 14 عشر سنة وختم القرآن وتعلم الكتابة والقراءة والحساب .ولما ينتقل الى الثانوي أو الى المعاهد العليا هناك يتعلم الفقه والأدب والبلاغة وعلم الحساب والفلك والطب وغيرها وعند اتمامها يجاز ويعين من طرف الباشا ليعين كأستاذ ويتلقى أجرته من طرف الأوقاف أما بشأن التعليم العالي فقد كان موجود داخل الجوامع الكبرى ، من أهمها المدرسة القشاشية ومدرسة الجامع الكبير ومدرسة شيخ البلاد ومدرسة الأندلسيين.أما على المستوى الأعلى منه فكان الأزهر والزيتونة والقرويين. أما أشهر خريجي الجامع الكبير نذكر: عيسى الثعالبي يحى الشاوي، عبد الرزاق بن حمادوش. أما من أشهر مدرسيها نجد العلامة سعيد قدورة وعلي الأنصاري السجلماسي و أحمد بن عمار ومحمد بن الشاهد ، كما احتوت المدينة على سوق لبيع خاص لبيع الكتب سمي بسوق الوراقين. وأما من أراد التعمق في العلوم فكان عليه التوجه الى الخارج لمصر وتونس والحجاز، بحيث أصبح في أواخر العهد العثماني يتوجهون الى ليفورن الإيطالية لتعلم الطب كافة التخصصات.وعليه فإن حركة التعليم بالجزائر كانت جد محدودة ولا تف بالغرض بشهادة الكثير من المؤرخين والرحالة أمثال شو shaw . [1]

[1] عمار عموره : مرجع سابق ص .174- 177

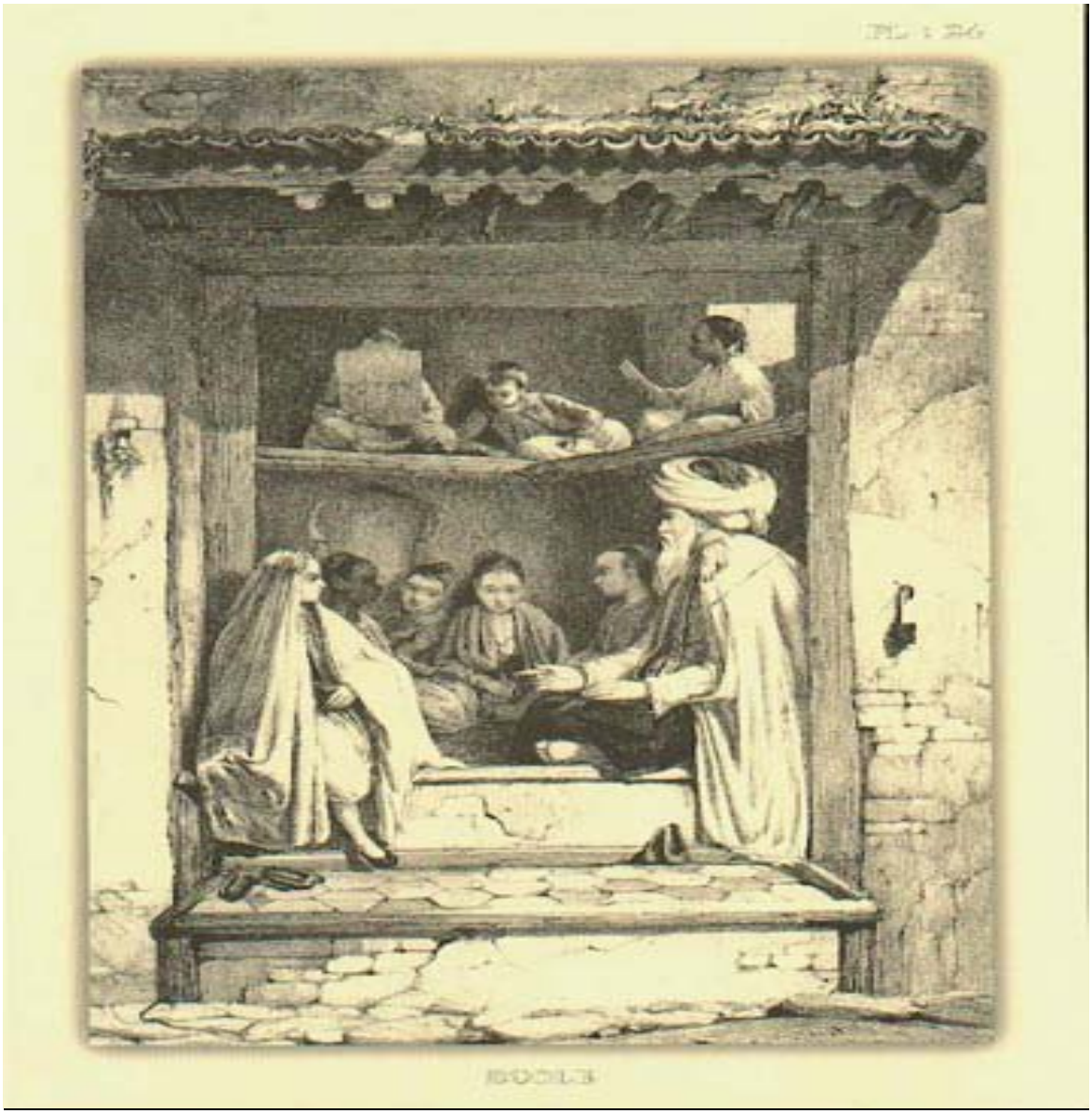

صورة رقم 20 :مدرسة قرآنية بالقصبة(الحقبة العثمانية)[1]

خلاصة الفصل الثالث

إن عرضنا لهذا الفصل لم يكن سوى إلقاء لضوء بسيط عن تاريخ مدينة منسية، والتي من دونها الجزائر تفقد هويتها على حد تعبير "دولوز"[2]، هذا لأنها أعطت الكثير لتاريخ شعب عسكريا وسياسيا ،اقتصاديا وتجاريا، ثقافيا واجتماعيا ودينيا، فإن تكلمنا عن الجهاد البحري

[1] صورة رقم 20 من موقع https://www. Algeraunecertaineepoque.com/photos

[2] J.j.Deluz: l'urbanisme et l'architecture d'Alger, OPU, Alger, 1988 p 12

استوجب علينا ذكر قوة أسطولها البحري وعبقرية رياسه ، وما حققه من قوة وازدهار للاقتصاد والتجارة للجزائر .وإن تطرقنا عن الثقافة والتدين ،كان لزاما علينا التكلم عن علمائها ومثقفيها وفنانيها الذين لا حصر لهم: أمثال عبد الرحمان الثعالبي ومحمد بن شنب و محمد راسم وغيرهم ... لذا فإننا مهما حاولنا أن نوصف فضائلها فلن نستطيع أن نوفيها حقها ،لأنها قامت بدورها كمدينة على اكمل وجه واستحقت كل الألقاب التي منحت لها، كالمجاهدة والمحروسة والبيضاء والبهجة ... ناهيك عن دورها الاجتماعي الحضري والمديني الذي سنتكلم عليه بالتفصيل في الفصل اللاحق . كما عرجت من خلاله أيضا إلى حالة نسيجها العمراني الذي بات يتهاوى يوما بعد يوم.

لذا فإن هذا الفصل يعتبر تمهيديا، لنؤكد فقط فيما بعد ما سبق التطرق إليه من طرف باحثين وعلماء كثر أمثال "ابن خلدون" في مقدمته الشهيرة عن تأثير العمران على طبائع البشر و كيفية الاستدلال على شخصية الفرد من خلال عمرانه، فعلى حد تعبيره "طبائع العمران تتحدث عن أحوال الماضيين من الأمم وعاداتهم وتقاليدهم" وعليه فإذا أردنا التعرف على أصول هويتنا و تاريخنا و حضارتنا ما علينا سوى التأمل فيما تركوا لنا اجدادنا من بصمات خالدة في مجال المعمار الإسلامي للمدن لنكتشف عبقريتهم في التصميم وهذا بشهادة مختلف الباحثين في المجال، من بينهم « SCHULZ » والذي عبر قائلا " العمارة الإسلامية حقيقة نكتشفها بزيارتنا لها، إذ نشعرها قبل أن نلتقي بأي انسان أو نرى أي علامة كتابية، نشعرها في كل مبنى وفي كل زخرفة وعلى مستوى المدينة ككل "وهذا ما جعله يطلق عليها "عمارة الوحدة "Architecture of Unity »[1]، كما نستطيع من خلال كل ما سبق ذكره الجزم بأن النسيج العمراني لأي حاضرة هو نسيج لخيوط تعاد من خلالها حياكة ذاكرة الأمم الحضرية والحضارية وتاريخ شعوب سبقتنا للمكان فعلى حد تعبير

[1] SCHULZ في عبد الله سعدون سلمان العموري ،انسانية العمار العربية الإسلامية http // mirathlibya .blogspot .com2008

"**فونتوري**[1]"... إن نظرتنا إلى العمارة يجب أن تبدأ من الخلف، من التاريخ والتقاليد حتى نسير بها إلى الأمام" وهذا لنعرف من خلالها أصولنا ونستطيع ان نبني هويتنا على أسس ومرجعيات ثابتة وأصيلة، فزواله واندثاره هو اندثار و قطيعة لحلقات تكوين هويتنا. وهذا هو رأي المهندس المعماري لوكوربوزي في عمارتنا العربية الإسلامية التي ندير لها ظهرنا اليوم.

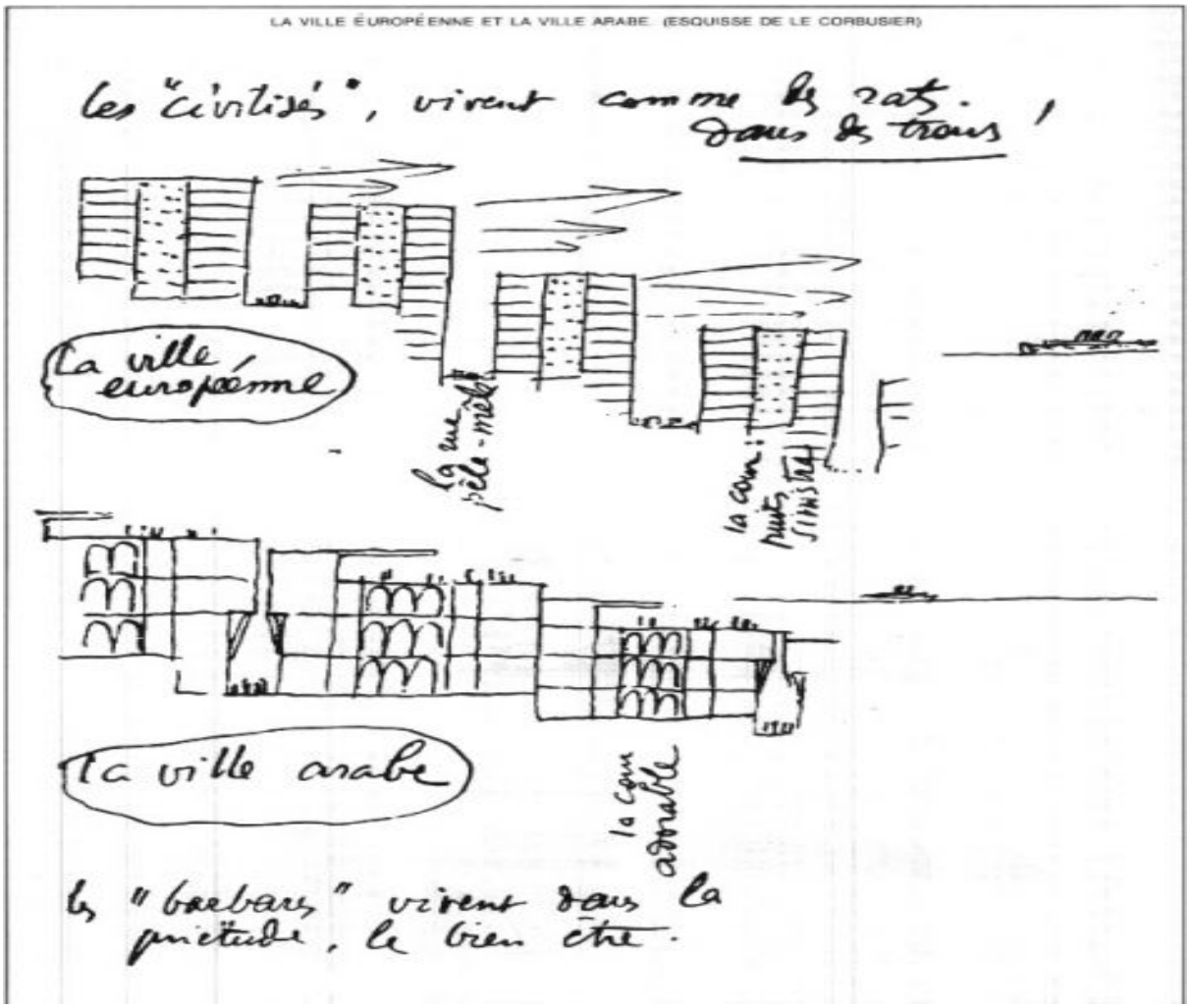

صورة رقم 21 :رسم للمهندس لوكوربوزي يظهر فيه الفرق بين العمارة الأوربية والعربية.[2]

[1] باشا محمد :إشكالية العمارة في الجزائر، من أزمة إبداع إلى إبداع أزمة، مرجع سابق ص 169.

[2] Photo 21:in Alberto Clémenti, Alger entre Terre et Mer, p 10, in archnet.org.

الفصل الرابع

الممارسات الاجتماعية

تمهيد

لقد ساهمت عوامل ثلاثة في رسم صورة الحياة الاجتماعية والثقافية للمدينة خلال العهد العثماني حسب المؤرخ أبو القاسم سعد الله وهي هجرة الأندلسين في القرن 9-10 هروبا من الإضطهاد الاسباني، والتي استقرت في المدن الساحلية كشرشال ومستغانم وتنس والجزائر ودلس وبجاية وعنابة ،إذ ساهموا في تطوير العمارة وصناعة الطب والموسيقى والزراعة والصنائع والحرف والتجارة والتعليم والخط والوراقة وصناعة الكتاب .أما العثمانيين فقد تمثل دورهم في ربط المجتمع الجزائري بالمجتمع الشرقي وأسهموا في نشر بعض التقاليد وأنواع من المآكل والملابس والمشارب، كما أدخلوا المذهب الحنفي وبعض الطرق الصوفية ضف الى تطوير الجانب المعماري كالمساجد والأضرحة وكذا المنشآت العسكرية والبحرية وفي الجانب الفني كالموسيقى والخط واللغة وغيرها...أما العنصر المسيحي واليهودي ،فلم يرق في الأهمية إلى سابقاتها ،ولكن وبسبب الحروب والتبادل التجارب والمهارات العسكرية كالصنائع البحرية وبناء السفن وطرق معرفة البحر وحماية المراسي[1] ،أما بشأن الجالية اليهودية فقد كانت قوية في هذا العهد ،بحيث كانت تعيش في أهم المدن خاصة عواصم الأقاليم ومدينة الجزائر مثل: عائلة بكري وبوشناق ،بحيث شغلت هاته الجالية في بعض الصنائع الثمينة والدقيقة كالخياطة والصياغة والتجارة في الصرافة والدخان والعطارة ووصلهم بعضهم إلى درجة كبيرة من النفوذ لاسيما في الشأن السياسي الداخلي .[2]

وعليه ونظرا لهذا الزخم والتنوع الثقافي خصوصا في الفترة العثمانية ، ارتأينا من خلال فصلنا هذا ، التعرض للحياة الثقافية والفنية لمدينة الجزائر من خلال عاداتها وتقاليدها وممارساتها الاجتماعية والحضرية.

---

[1] أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، 1500-1830 ،دار البصائر، الجزائر ،2007، ص 148-151

[2]نوا، في أبو القاسم سعد الله،نفس المرجع السابق152

المبحث الأول: العادات، التقاليد و الممارسات

أ-تعريف العادات والتقاليد الاجتماعية:

العمل إذا تكرر حتى صار الإتيان به سهلا سمي عادة، أما تكوين العادة هو كل عمل خير أو شر، يصير عادة بشيئين: ميل النفس إليه وإجابة هذا الميل بإصدار العمل، مع تكرار ذلك كله تكرارا كافيا.[1] أما العادة الاجتماعية فهي كل سلوك مكرر يكتسب اجتماعيا ويتعلم اجتماعيا ويمارس اجتماعيا ويتوارث اجتماعيا وليس معنى هذا أن كل سلوك متكرر يدخل في إطار العادات الاجتماعية فهناك أنواع من السلوك المتكرر تعتبر عادات خاصة بالفرد.[2]

يعرف **ماكيفر وشارلز بيدج** العادة، بما وراءها من قوة اكتسبتها بحكم التقاليد، تنظم كل مناسبة في حياة الجماعة وترسم لكل عضو من أعضائها حقوقه وواجباته.[3]

أما لدى **مالينوفسكي**، فالعادات الاجتماعية هي روتين الحياة الحقيقية الذي يشهده الأفراد ذلك الروتين الذي يتعلق بطبيعة اللهجة واللغة التي تستعمل في الحياة اليومية، والتي تتفاعل مع الرموز السلوكية فتكون جملة من الظواهر الاجتماعية المعقدة، التي يصعب على العالم تدوينها أو وصفها أو تحويلها إلى أرقام لكن يمكن مشاهدتها وقت حدوثها أو التكلم عنها.[4]

ويكون التمسك بالعادات، تمسكا واعيا ومقدسا في معظم الأحيان وهذا ما يؤكد قوة استمرارها ورسوخها في سلوكنا وصعوبة تغييرها، ولهذا "ما يميز التقاليد عن العادات والأعراف في أن الناس يشعرون نحو التقاليد بقدر كبير من التقديس ولا يرون أن من الممكن العدول عنها.[5]

---

[1] : أحمد امين ، كتاب الأخلاق، دار الكتاب العربي، بيروت 1969،ص 17 في محمد بوراكي: القيم الثقافية وإشكالية الهوية الوطنية في الجزائر بعد الاستقلال، أطروحة دكتوراه،2002- 2003 ص 107

[2] دياب فوزية: القيم والعادات الاجتماعية ،دار النهضة العربية ،بيروت ،1980 ص 104

[3] نقولا الحداد :علم الاجتماع ،الكتاب الأول ، دار الرائد، الطبعة الثانية ،بيروت 1982.ص 152.

[4] ميتشل دنكن معجم علم الاجتماع ،ترجمة إحسان محمد الحسن بيروت 1989.

[5] دياب فوزية: مرجع سابق ص105

أما التقاليد فيعرفها "**M Radin** على أنها الآراء أو الأفكار أو الاعتقادات الخاصة بجماعة ما التي تنتقل وتورث من جيل إلى جيل، ومن السلف إلى الخلف عبر العصور، ترتبط التقاليد ارتباطا كبيرا باللغة التي تتخاطب بها الجماعة.[1]

كما يدل مفهومها على القدم وعلى صفة "التوريث" من جيل إلى جيل وهي أهم الخصائص المميزة لها، وبمنظور "فيكمان" تعتبر التقاليد عادات مقتبسة رأسيا، أي من الماضي إلى الحاضر ثم من الحاضر إلى المستقبل "وفي نفس السياق فإننا نجد لدى كل مجتمع نماذج مثالية ماضية نتبناها في ممارساتنا اليومية، وعندما ننقل نماذج الماضي ونحاكي سلوك السلف نكون بذلك تقليديين، أي لأننا نقلد نماذج أو قوالب جاهزة وضعها تحت تصرفنا الأسلاف.[2]

بحيث أن العادة الاجتماعية تنتقل من جيل إلى جيل بالتقليد والمحاكاة أي أن كل تقليد أو عادة كان في الأصل عرفا و اصطلاحا أو أسلوبا من الأساليب الشعبية، فلما توارثه الخلف عن السلف أصبح تقليدا أو تقاليد أو عادة تقليدية.[3]

و يضيف:" ماركس رادين أن " التقاليد كمفهوم يتضمن حكما تقويميا من أفراد الجماعة بأن ممارسات قديمة معينة هي الأساليب الصائبة السليمة المرغوب فيها وفي بقائها واستمرارها، وأن تمسك الجماعة بالتقاليد ما هو إلا تأكيد لهذا الحكم القومي.[4]
كما يوضح "رادين" أن مفهوم التقاليد في استعمالها الاجتماعي بشرح مفهوميها الديني والقانوني: فهناك تقارب كبير بين المفهومين القانوني والديني للتقاليد لأنهما يؤكدان فكرة "الوديعة، ثمينة ويطلب منه أن يحافظ عليها ويصونها ويرعاها.4

---

[1] فايزة أنور أحمد شكري: القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم ،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2002 ص 152.

[2] دياب فوزية: مرجع سابق , ص 163

[3] نقولا الحداد :علم الاجتماع ، المرجع السابق ص349

[4] دياب فوزية :مرجع سابق, ص 165

ويرى "هولتزلر" أن كل ما ينجح من الممارسات أو كل ما قد نجح منها بالفعل على محك التجريب وفي دنيا المحاولة والخطأ، يعطي الناس شعورا الأمن والطمأنينة، لذلك يحرص آباؤنا على توريثه إيانا وكأنما يقولون إنما نسلمكم هذه العادات لتهتدوا بها ولتساعدكم ضد عثرات الزمن فاحرصوا عليها، إن هذه العادات ودائع ثمينة، ولابد أن تحافظوا عليها بأي ثمن.[1]

يفرق بعض العلماء بين العادة والتقليد وهذا على أن العادة تتعلق بالسلوك الخاص بينما التقليد يتعلق بسلوك المجتمع أو الدولة نجد تقاليد، وحيث لا يشترك نجد عادات، فالاحتفال بأعياد الزواج أو الميلاد الخاصة يعتبر عادة أما الاحتفال بعيد ديني أو زعيم فيعتبر تقليد .[2]

ومن هنا نستطيع أن تستخلص الباحثة دياب فوزية، بان التقاليد تشمل جميع ميادين الحياة الاجتماعية نظرا لما تمتاز به من صفات أهمها "القداسة" التي تشعر بها الجماعة نحوها، وسيطرتها وطغيانها كذلك فالخارجون عن تقليد الجماعة غالبا ما يعتبرون منبوذين وهذا وفقا لآراء كل من "فوكونيه " و"موس" التي وردت في علم الاجتماع في الموسوعة الكبرى، عبارة عن " نظم" أي أشكال يجدها الفرد قائمة تماما قبل أن يولد، ويجهل في الغالب أصلها ولذلك ينبغي له أن يتوافق معها أو يناصبها العداء معرضا نفسه للمخاطر والمتاعب .[3]

كما تضيف أن التمسك بالتقليد لا يتطلب إعمال الفكر وإجهاده و لا شحذ القريحة والذكاء اعتمادا على ما في القديم من خير وصواب بدليل القول الشائع عند الغرب ،بمعنى "الطرق القديمة الصالحة" كما يمكن اعتبارها قوالب لكونها "أنماط السلوك المقننة التي تنتجها

---

[1] غيث محمد عاطف :المرجع السابق ص 489

[2] بدوي أحمد زكي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية : انجليزي, عربي ,فرنسي ,مكتبة لبنان 1993 ص, 428

3 دياب فوزية ،مرجع سابق ص94

الجماعة وتعمل على تدعيم تماسكها ووعيها بذاتها نماذج الماضي كما تحظى بالقبول من جانب الأعضاء. [1]

أما القيم الاجتماعية فحسب **دور كايم**، هي المثل الجماعية القادرة على توجيه سلوك الأفراد، وعند انتظام هذه القيم الحاملة لنظرة معينة للعالم، تعطي معنا للأفعال و السلوكات بل تفرض نفسها على أفراد المجتمع.[2]

المعايير : هي القواعد التي تسير الافعال الأفراد في المجتمع ،وتفرض عليهم بشكل رسمي على شكل قواعد قانونية ونصوص تنظيمية –وهو الشكل الغالب في المجتمعات الحديثة–او قواعد خفية غير معلنة وغير مكتوبة ،يكتسبها الأفراد خلال مسار التنشئة الاجتماعية ،وهي ذات اهمية كبيرة ،نظرا للأثر الذي تمارسه على سلوك الأفراد وعلاقاتهم داخل الجماعة التي ينتمون لها."[3]

وعليه وحسب الدكتور عبد الرزاق جلبي، فإن القيم هي أم المعايير ،فالقيمة هي التي تحدد تلك التفضيلات الاجتماعية، أما المعايير فهي تحدد الالتزامات الاجتماعية.

ب- الممارسات الاجتماعية

هي كل نشاط الحياتية المعنوية والمادية، الفردية أو الجماعية التي تخضع لمجموعة علاقات، علاقة الإنسان بربه، علاقته بالكون، علاقة الانسان بالانسان، علاقة الإنسان بالطبيعة. وهذه العلاقات تخضع لنظم اجتماعية محددة، وهي تعرف بأنها كليات ثقافية أساسية منظمة وهادفة تتكون من قوانين وقواعد ومثل عليا وغير مدونة، وتتكون من الأدوات والوسائل التنظيمية، وتحقق نفسها اجتماعيا في الممارسات الموحدّة والمقننة والشرعية وفرديا

[1] فوزية دياب نفس المرجع السابق, ص 167

[2] دور كايم(68)في دريس نوري : استعمال المجال العام في المدينة الجزائرية ،رسالة ماجستير 2006– 2007 ص 100

[3] Marc Mountousée ,GillesRenourd(1997),100 fiches pour comprendre la sociologie. Éd Bréal Rosny.p 68

في الاتجاهات والسلوك التعودي للأفراد ويقوّم الرأي العام على دعمها وتنفيذها بصفة رسمية وغير رسمية عن طريق الهيئات الخاصة التي ترعاها .[1]

ويعرفها قاموس السوسيولوجيا العامة، أنها سلوكيات ملموسة للفاعلين الاجتماعيين أما بالنسبة للسوسيولوجيا الوظيفية فهي تشير إلى عملية بناء الأدوار الاجتماعية.[2]

معنى ذلك أن الممارسة الاجتماعية هي الوجه المقابل للتصور والتمثل، فهي الجانب العملي المادي في مقابل الجانب التجريدي التأملي.

كما تعتبر عملية القيام بحركة أو انتقال إلى الفعل والتي عن طريقه يتم تكملة ما حضره الفرد أو الجماعة من قبل أو ما تم التخطيط له أو القصد منه.[3]

بالنسبة **لبيار بورديو:** الممارسة الاجتماعية تتحدد من طرف بنية الاستعدادات المكتسبة "الهابيتوس" حيث يرى أن "كل فرد يملك معرفة تطبيقية مادية انطلاقا من وضعيته في الحقل الاجتماعي. بحيث نستخلص أن الممارسة الاجتماعية تعتبرا مصدرا للمعرفة الانسانية وهي تتشكل من خلال البعد المادي لها المرتبط بوضعية الفرد أي في حقل اجتماعي".[4]

أما مفهوم الممارسات عند **كارل ماركس:** فيتعلق بمجموع النشاطات المادية والفكرية للأشخاص والتي تساهم في تشكيل الحقيقة الاجتماعية.[5]

---

[1]:محمد التريكي وخالد بوريد : المعمار والممارسة الاجتماعية , المعهد التكنولوجي للفنون والهندسة المعمارية , تونس , 1989 , ص 10 .

[2]Alpe (Y) ,Lambert (J.R) et al :lexique de sociologie ,2 eme édition, éd Dallouz ,paris, 2007.p 22

[3]Moreau (L) et Poussin(D) : sociologie (définition, champs, démarche) les éditions ASH, Paris, 2000, p 35

[4]Bourdieu (P) Médiation pascalienne, Seuil, 1997, p220, in Chauvie (CH) et Fontaine (O) : le Vocabulaire de Bourdieu, éd ellipses, Paris, 2003, p 36.

[5]Alpe (Y) ,Lambert (J.R) et al op.cit ,p 228

أما سايل، فقدا اعتبر الممارسات العامل الأساسي في الحفاظ على النسيج الاجتماعي للأسرة [1]. وبالنسبة **لريمي جون،** فإن المسكن مجال لإنتاج الممارسات.

ت- **الممارسات الاجتماعية واليومية بالقصبة**

من خلال دراستنا هذه، سنتناول مفهوم الممارسات ليس فقط ببعدها الثقافي المتعارف عليه المرتبط بالعادات والتقاليد في الاحتفال بالمناسبات الدينية والأفراح والتي خصصت لها مبحث نظرا للزخم الكبير من التراث اللامادي الذي تزخر به القصبة، لكن يتجاوزها إلى بعدها الاجتماعي والمجالي اليومي، أي المتعلق بالممارسات اليومية للأسر بالقصبة داخل منازلهم من خلال مجمل نشاطاتهم المنزلية، بحيث نجد كثير من الباحثين تكلموا عن أهمية هذا النوع من الممارسات في نسج علاقات و روابط بين الساكن وسكناه وكذا مع منحوله من جيرانه، منهم "شومباردلو" و"سايل" و "باشلار"، هذا الأخير الذي أعطى تعريفا حيا لها، عندما اعتبر الأعمال المنزلية نسيجا من الروابط التي تجمع بين الماضي القديم والقريب الجديد ،بحيث توقظ المرأة القائمة بالأعمال المنزلية الأثاث من سباته العميق.[2]

لذا سنتطرق للممارسة "**التناوب في التنظيف**" **أو ما يتعارف عليها ب"الدالة" بالقصبة،** وهذا لما كان لها من اهمية لدى سكان القصبة القدامى، والتي تكون من خلال التناوب بين افراد العائلة في ما بينهم، أو مع الجيران إن كانوا يتقاسمون الدويرة الواحدة في القيام بأشغال التنظيف والتي استطاعت بفضلها ان تحافظ على تراث العمراني للقصبة من خلالها، وهذا منذ أمد طويل بشهادة عديد من الرحالة والمؤرخين من بينهم، "حمدان خوجة" بحيث وصفهم بالنظيفين "سكانها...بسطاء في نمط حياتهم ونظيفون في منازلهم "[3]، وعليه فإن هاته الصفة

---

[1] سايل (1985)وريمي جون(36: 1974) في سليماني جميلة، علاقة الفضاء المنزلي بالصحة النفسية لدى سكان أحياء القصبة، أطروحة دكتوراه 2008 ص9 وص85

[2] باشلار (1967:74)في سليماني جميلة، مرجع سابق ص 85

[3] حمدان بن عثمان خوجة :المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق ،محمد العربي الزبيري ،الطباعة الشعبية للجيش 2007 ،ص 101

لصيقة بسكان القصبة، كما أنها تعتبر دائما من أهم سمات الفرد الحضري المديني" والتي استطاع سكان القصبة ان يتميزوا بها عن طريق تقسيمهم لمهام العمل المنزلية وفق جدول زمني محدد، فبغض النظر عن العمل بنظام التناوب في تنظيف الدويرة، كانت بقية الأعمال المنزلية الأخرى، كغسيل الملابس الذي كان يتم وفق جدول زمني معين لأنه سيشغل مساحة مشتركة معينة(بيت الصابون أو وسط الدار) ، وعليه وجب إعلام جميع الساكنين بالدويرة آخذين بعين الاعتبار ظروف ومواعيد جيرانهم كاستقبالهم لضيوف أو وجود رجال بالبيت لظروف معينة وغيرها، وكذا لكي لا تبق الدويرة سائر أيام الأسبوع وهي في حالة فوضى وأشغال، وهذا من أجل الحفاظ على الهدوء والتمتع بالراحة بسكناهم، وعليه فهذا إن دل فإنما يدل على أن هاته الممارسات اليومية وإن تظهر عادية وبسيطة، إلا أنها تتضمن محتوى اجتماعي كبير متعلق باحترام الجار والمجال المسكون من خلال الحرص على المحافظة على المنازل بالنظافة، و كذا عدم استنزاف أركانها، كما هو الحال في أيامنا هاته.

كما أن هناك ممارسة أخرى، تتم من خلال احترام ثقافة و هندسة الدويرة عن طريق استغلال كل ركن منها بما يتوافق ووظيفته المنوطة به، سواءا مساحة منازلهم الفردية أو المشتركة، وتتمثل في **كيفية استهلاكهم لوسط الدار والسطح** الذين يعتبران ركيزتا الدويرة لما يحملانه من مضامين رمزية، بحيث أن أغلب الاحتفالات بالعادات والتقاليد الحضرية "القصباجية" تدور مجرياتها في هذين المجالين، وكل العلاقات الاجتماعية و الجوارية تنسج فيهما، حيث كانا بمثابة ورشة تلتقي بها النسوة لتبادل الخبرات والفنون وتلقين الصنائع التقليدية الحضرية لبعضهم البعض، وعليه فالنسوة كن يدمجن الوافدات إلى المنزل وإلى القصبة ككل، عبر تلقينهن لطريقة الحياة بحضرية و مدينية، وكذا بتعليمهن طريقة استعمال المنزل وثقافة استهلاكه وفقا لهندسته كما ان السطح كان بمثابة نزهة تقوم بها نسوة القصبة لرِؤية قصبتهم من الخارج وفرصة للتمتع بخليج الجزائر.

ضف إلى ذلك فإن هناك ممارسة جد مميزة، عرفت بها، وهي ممارسة **تبييض المنازل بالجير مرة كل سنة**، والتي عادة ما تكون قبل مناسبة دينية[1]. بحيث أن كل التسميات التي أطلقت على القصبة كبلاد الجير على حد وصف الشيخ "ابن المسايب التلمساني" في إحدى قصائده "ببلاد الجير" كناية عن شدة بياضها وبعدها، البيضاء والبهجة وغيرها من الألقاب، كانت نتيجة محافظتهم على هاته الممارسة ،كما وصفها الكثير من الرحالة أمثال "وليام شالر" ...الحيطان الخارجية لجميع البيوت الجزائرية يعنى بصيانتها وبطلائها بالجبس، الأمر الذي يجعل المدينة تبدو من بعيد في مظهر أنيق أخاذ"[2]وكذا أ.ليسور و و.ويليد، في كتابهما رحلة طريفة في أيالة الجزائر، وصفا فيه منظر الجزائر من الميناء، بحيث قالا :"تشبه الجزائر محجرة من محاجر الرخام الابيض"[3]

كما يذكر "نور الدين عبد القادر " في كتابه صفحات من تاريخ مدينة الجزائر أن حتى الأسطح كانت تطلى بالجير الخاثر في آخر الصيف لتسد الشقوق، وهذا ما سمي بالغلالة... نسبة إلى الغليلة وهي نوع من اللباس كان مشهورا آنذاك يغطي البدن، ويضيف ان هذا السطح لم يكن مجالا للعب الأطفال ولا للتسياق ولا للكسر ولا تستعمل المهاريس فوقها، لكن الأحوال تغيرت..."[4] و نحن في هذا المقام نعقب على تعقيبه لنقول لو توقف حال استعمال تلك الأسطح عند هذا الحد لكان حالها أفضل مما عليه الآن، فالأسطح على يومنا أصبحت أرضيات للقصدير والبناء الفوضوي والحمامات وغيرها... وليس لاستخدام المهاريس؟ أما التبييض، فاصبح طلاء يعتبر من ضمن مهام البلدية أو السلطات المخولة بالقصبة، وبشأن السطح ووسط الدار فهما مجال مشترك بين الجيران تستغل كل شبر فيه بطريقة أقل ما يقال عنها أنها عنيفة واستنزافية له، أما الدالة فأصبحت في خبر كان، لأن ما

---

[1] نور الدين عبد القادر صفحات من تاريخ مدينة الجزائر دار الحضارة ،الجزائر 2006 ص 134

[2] وليام شالر في عمار عمورة : الجزائر بوابة التاريخ، ما قبل التاريخ إلى 1962،الجزائر خاصة، ج 2 ،مطبعة دار المعرفة،2006 ، ص 202

[3] أ.ليسور و .ويليد، : رحلة طريفة في أيالة الجزائر، تحقيق وتقديم وتعليق وترجمة محمد الجيجلي، دار الأمة ،لوحة 1 .

[4] نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص 136

يهم كل أسرة بالدويرة هو غرفها، إذ تنتهي عملية التنظيف بانتهاء حدودها الفيزيقية، أما تنظيف المساحات المشتركة، إن بقي حيز منها فارغ؟ فهي تبقى معلقة لحين مناسبة أو تطوع من طرف الجار المتضرر من الأوساخ أو الأردام وغيرها، بحيث أصبحت هاته الممارسات اليومية، تشكل عبئا على السكان بعد أن كانت وسيلة لتوطيد العلاقات ،وهذا بسبب انعدام الإحساس بالانتماء للدويرة ككل، وهذا ما يؤكده "شومباردلو" بقوله "أن الانتماء الى منزل أو حي هو انتماء إلى جماعة اجتماعية" [1] ولهذا أصبحت هاته المساحات تشكل مسرحا للنزاعات والمشاكل بين سكانه على احقية الاستغلال بعد أن كانت مصنعا للتآلف والترابط. بحيث أن الممارسات الاجتماعية بالقصبة خصوصا تلك المتعلقة بطرق استهلاك الدويرات ومجالاتها المشتركة، أصبحت تنتج وفق منظور استغلالي محظ لملك مشاع يحق لكل فرد استهلاكه كما يشاء ويظهر كل مواقفه من خلاله سواءا اتجاه جيرانه أو اتجاه السلطات المتكفلة به لذا صارت ممارساتهم تسير في إطار ملك البايلك، والتي تكلمت عنه "نسيمة دريس" في تحليلها الميكرو سوسيولوجي للممارسات والاستعمالات[2]، والذي يعني بمفهومه الحالي ملك الدولة التي اهتمت في نظرهم بالبكاء على أطلال القصبة أكثر من اهتمامها بواقعهم المزري بها الأمر الذي أثر سلبا عليها وسبب خرابا وضياعا لتراثها المادي (الدويرات) والمعنوي (فراغا للمحتوى الاجتماعي للممارسات) وهذا ما تفنده الاحصائيات بحيث بينت المصلحة التقنية لبلدية القصبة فإن 40% [3] من الأضرار التي تصيب دويرات القصبة ،هي بفعل إرادي للحصول على سكن اجتماعي. وعليه فقد كان محقا "شومباردولو" حين قال: أن المسكن يعتبر انعكاسا لتطلعات المجتمع والاسرة بحيث ترتبط تفاصيل المسكن وحاجاته بنظرة الافراد لواقعهم ولعملية انتمائهم الاجتماعي وعاملهم الثقافي. وهذا ما سنحاول توضيحه أكثر من خلال اقترابنا الميداني للموضوع.

---

[1] في سليماني جميلة ، مرجع سابق ص (1971) ,Chambard de lauwe,74

[2] NassimaDris(2001)opcit ,p 178في دريس نوري استعمال المجال العام في المدينة الجزائرية، مرجع سابق ص 122

[3] المصلحة التقنية لبلدية القصبة

وفي هذا السياق تكلم "لسبت جعفر "مهندس معماري، باحث في علم الاجتماع (مستشار بجمعية L'ASCA: عن تجربته في محاولة الحفاظ على تراث القصبة من خلال إحياء ممارسة "الدالة " وهذا عن طريق تنظيم مسابقة concours :la maison la mieux entretenue، والتي نظمت في رمضان 2014، من طرف جمعية الحفاظ عن القصبةL'ASCA، وهذا من أجل توضيح ما لهاته الأخيرة من تأثير على حالة النسيج التي تشكو تدهورا كبيرا، وهذا تحت شعار "المنزل الأكثر صيانة"، بحيث شاركت في هاته المبادرة 72 منزل سواء أكان عائليا أو مشتركا ،كما ساهمت فيه بعض المؤسسات. بحيث من خلالها أوضح أن هناك علاقة وطيدة بين الدالة وحالة المنازل، والذي دعى من خلالها السلطات بتشجيعها عن طريق تبني هاته المبادرة من خلال وضع أولوية لإعادة إسكان للذين حافظوا على بيوتهم ومعاقبة المتسببين في الإضرار بها ،وهذا كوسيلة لحماية تراث القصبة. كما أنه سبق لهاته الجمعية في شهر رمضان 2013، الأخذ على عاتقها مبادرة تسخير شباب أحياء القصبة، تحت شعار "من أجل قصبة نظيفة" وهذا في إطار تحسيس سكانها والمصالح المعنية بالنظافة والسلطات العامة على ضرورة الحفاظ على محيط القصبة من الأردام والأوساخ، بحيث وصفها بالناجحة ،والتي تتطلب التقنين والتشجيع من طرف السلطات والسكان، مدعما تجربته بصور التقطها.[1]

Dar-Es-Djour – Quartier Sidi-Ben-Ali
Maison sauvegardée, par « Ed-Dalla ».
Ou mettre photo maison lauréate

Dar-El-Attochi : Quartier Sabate-El-Ar'sse
Maison, après interruption de la « Dalla ».

[2] صورة 22: حالة دويرات القصبة أثناء حفاظ أصحابها على ممارسة الدالة و الأخرى بعد التخلي عن هذه الممارسة. للسبت جعفر.

[1]Lesbet Djafaar, concours de L'ASCA 2014« ed-Dalla »est la régence de la casbah « : la maison la mieux entretenue »

[2] Photo n 22 in Lesbet Djafaar, « ed-Dalla »est la régence de la casbah, idem

ث- **أشهر العادات والتقاليد في الاحتفالات بالقصبة**

لقد برزت أغلب الممارسات الثقافية بالقصبة، من خلال مظاهر الاحتفال البهية بمختلف المناسبات سواءا الاجتماعية أو الدينية خاصة، بحيث كانت هاته الممارسات غنية كذلك، بمضامينها الروحية المستوحاة بتبجيل كل ما تعلق بالمعتقد الديني، نذكر من أهمها:

- **شهر رمضان:**

اعتبر الشهر المميز، الذي فيه تسود الرحمة والبهجة وتوقد المصابيح فوق منارات المساجد وتضاء أهلتها ويتلى بها القرآن الكريم و يحفظ به صحيح البخاري، ويسهر الناس إلى ما بعد صلاة التراويح لمشاهدة العروض المسرحية والهزليات المتنوعة والقراقوز وسماع الموسيقى في المقاهي العربية.[1]

- **عيد الفطر و الأضحى :**

بحيث كان يعلن عن العيدين، بطلقات مدافع مدوية ،ليستيقظ الناس على أنغام الموسيقى الصاخبة التي يعزفها السود ،وهم يرتدون أجمل الثياب وبأيديهم الطنابير والصفائح الحديدية ويرتدي الاهالي في الثلاثة أيام أجمل الثياب كتلك المطرزة بالذهب والفضة خاصة الأطفال وهم يمرحون ليصنعوا جوا قمة في الروعة.[2]

- **المولد النبوي الشريف:**

تنظم الأشعار والموشحات النبوية ويلتقي العلماء والفضلاء والحكام في المساجد لتلاوة القرآن وتضاء الشموع وتحر بها أطعمة خاصة بالمناسبة.[3]

---

[1] أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان1830-1855 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 2007 الجزائر ص 116

[2] فاغنر في أبو العيد، مرجع سابق ص 118

[3] أبو القاسم سعدالله ،مرجع سابق. ص 161

-الألعاب البهلوانية :

يذكر حمدان خوجة أن الاحتفال ثلاثة أيام بهاته الأعياد الدينية و بعيد الأضحى، بحيث فيها تعرض الألعاب البهلوانية ،وتقام لعبة العصي بمشاركة الباشا فقط في هذه المناسبة ، إذ يقوم الفرسان برمي عصيهم على بعضهم البعض بالرماح والرابح تقدم له الهدايا من طرف الباشا. بالإضافة إلى العروض الهزلية التي تشارك فيها شخصيات من العباد والحيوانات وتحتوي على الكثير من السخرية وكذا المسرح الشعبي الذي أدخله الأتراك للمدينة للتمتع بعروض القراقوز أو ما يسمى بخيال الظل.[1]

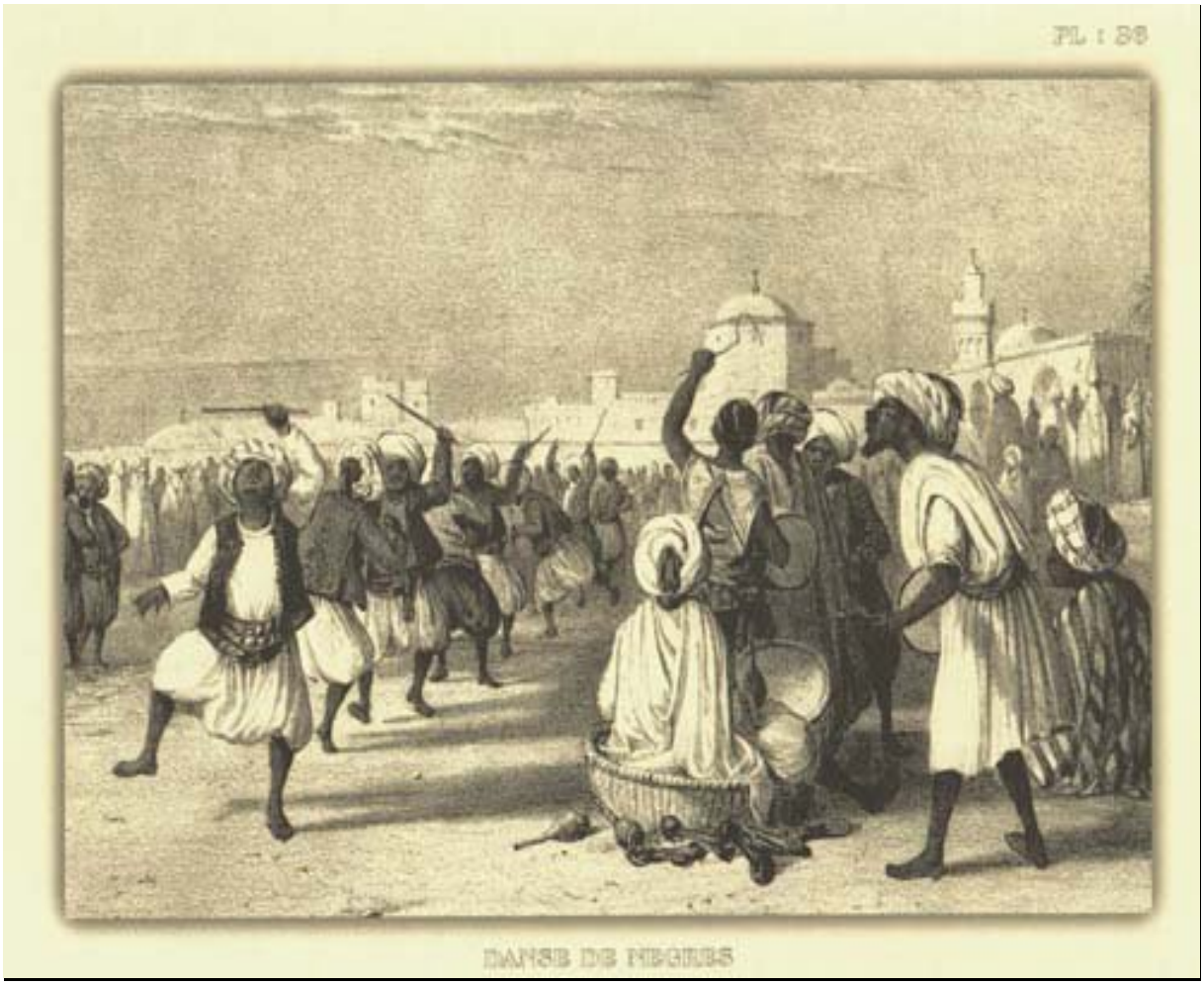

صورة 23 : مظهر من مظاهر الاحتفال بمدينة الجزائر .[2]

[1] أبو القاسم سعدالله ، نفس المرجع ،ص 161

[2] صورة 23: https://www.Algeraunecertaineepoque .com /photos

- **الختان :**

وحسب "فاغنر" فإن هذا الاحتفال يشبه الاحتفالات الأخرى تماما، إذ لا يختن الطفل إلا إذا بلغ سن الرابعة على يد " البشار" الذي يقوم بهاته العملية مقابل أجر .[1]

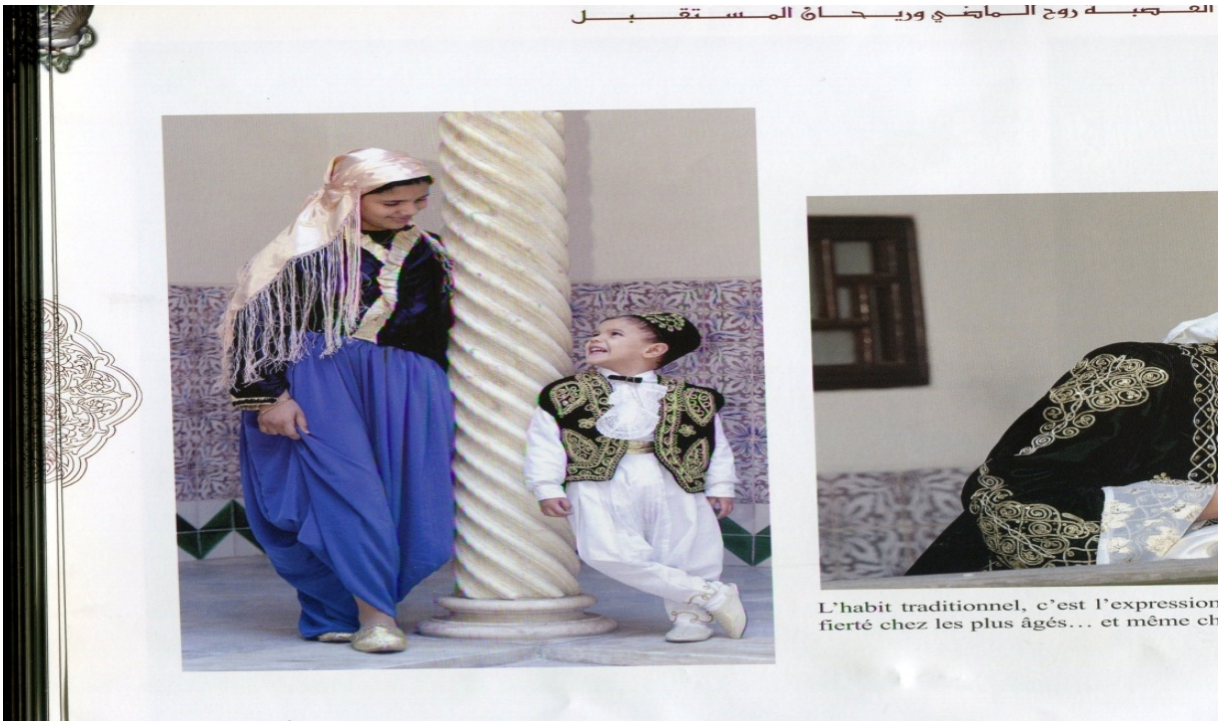

الصورة 24 : لباس الطفل في الاحتفال بختانه.[2]

- **الزواج :**

فحسب وصف "فاغنر" وهو رحالة ألماني زار الجزائر في القرن السابع عشر، بحيث يقول أنه كان يتم الزواج عن طريق الخاطبة وهي إحدى النساء التي تتخذ رسولا بين بين عائلة البنت والخاطب فتخطبها له ويتم الاتفاق على الصداق الذي يمنح للعروس ومن ثم يتم العقد عند القاضي وتتلى الفاتحة ليتم الزواج على بركة الله.[3]

---

2 : فاغنر في ابو العيد، مرجع سابق ص 122

[2] الصورة 24 : من كتاب نادية زايد وسامية أمقران: القصبة روح الماضي و ريحان المستقبل.

[43]فاغنر في ابو العيد، مرجع سابق ص 122

- **مجريات العرس التقليدي العاصمي**

تعتبر مراسيم الاحتفال بالزواج من اهم الاحتفالات التقليدية بالقصبة بحيث تبدأ أول خطوات الزواج بالخطبة التي تكون في غالب الأحيان نسائية محضة عن طريق التوسيط وعادة ما يكون ذلك من أماكن معينة مثل الحمام، الأعراس، المقابر، الأضرحة...، بعد الخطبة والدفوع أو قطيع الشرط يحدد موعد العرس ويبدأ التحضير له بإعداد بفتيل الكسكسى وصنع الحلويات ويتم ذلك بطريقة جماعية (بين النسوة) ويحضر مشروب يدعى الشاربات يقدم للأهل والجيران كإعلان عن بدأ الدعوة للعرس[1]. كما يسبق يوم العرس ليلة الحناء التي يقوم فيها أهل العريس بتقديم "التبق "للعروس وبمجرد وصول الموكب إلى بيت العروس تشرع النسوة في التقدام (نوع من الغناء)كإعلان عن الوصول بالإضافة للزغاريد .بينما تستقبل سيدة من أهل العروس القادمين برشهن بالعطر وتتوجه إحدى النسوة الكبيرات في السن لإحضار العروس التي ترتدي لباس وردي اللون يدعى "البنوار" وهي مغطاة الوجه بقطعة قماش تدعى" الحويك" حيث لا يجب الكشف عن وجهها طوال ليلة الحناء .تدخل العروس الى الحضور الدي يتكون غالبا من الأهل والأقارب والجيران .فتجلس وسط المكان (الدار)أو السطح، وتقوم عجوز بتحنية العروس بينما تحمل شابتين شمعتين على جانبي العروس وطفل يقف من خلفها يحمل مرآة، تبلل حنة العروس بماء الزهر ويضاف إليها السكر وبيضة تقوم العروس بكسرها بكعب رجلها وقبل وضع الحناء توضع بيدها قطعة ذهبية "لويزة" لتحنى عليها، خلال عملية التخضيب بالحناء ، تقوم سيدتان عادة ما تكون أم العروس ووالدة العريس "بالتقدام" (نوع من الشعر الملحون النسوي) حيث تبدأ الأولى وترد عليها الثانية بطريقة الحوار ,ويكون فحوى هذا التقدام مدح العريسين والتمني لهما السعادة والهناء ,بعد الانتهاء من الحنة تحمل الشمعتين من طرف فتاة من الحضور للرقص بهما حتى

[1]Nadia Zaid , Samia Amokrane : la Casbah ; âme de passé et Eden de l'avenir . .copyright 2006 ,p 42

تنطفئ، وفي ختام الجلسة تتسلى الحاضرات بالبوقالات (نوع من الشعر والحكم الشعبية تضم الأمنيات السعيدة المستقبلية) وكذلك الغناء والرقص.[1]

صورتان لمظاهر الاحتفال بطقوس تخضيب العروس بالحناء (الحنة).[1]

[1]Nadia Zaid , SamiaAmokrane : photos idem , p 42

المبحث الثاني: الممارسات الاجتماعية و الثقافية

أ- الفنون والحرف والصنائع بالقصبة

بحيث يعتري هذا النوع من النشاطات من الأهمية بما كان إذ يعتبر واجهة حضرية وحضارية للأمم فكما يعبر عن ذلك ابن خلدون :"إن الصنائع لابد لها من العلم ،إن رسوخ الصنائع في الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها ،إن الصنائع إنما تستجاد وتكثر إذا كثر طلبها ...وأن الصنائع وإجادتها إنما تطلبها الدولة ...لأن الدولة هي السوق الأعظم." و لأن مدينة الجزائر كانت في عهد الدولة العثمانية تشهد أوج ازدهار فنونها وحرفها وكان يمثل نشاطا اقتصاديا محليا قائما بذاته لتنظيمه الشديد من طرف الدولة والحرفيين بطوائف أو مجموعات حرفية يسهر على مراقبتها أمينها من حيث الجودة والأسعار وضمان الامن والنظافة وترتكز في شوارع أو زنيقات فنجد زنقة النحاسين، العطارين، الفخارين، سوق الذهب ... إلخ، بحيث ذكر حمدان خوجة في كتابه المرآة وجود آلاف من المحلات الحرفية التي قضى عليها الاستخراب الفرنسي في المدينة خصوصا ورش حكاية الحرير التي كانت بصناعة الصوف، الحدادة، الجلود المدبوغة، النجارة والأواني الخزفية والأدوات الفخارية والأحذية والأثاث والحلي والزجاج والصابون والسفن ومواد البناء والبنادق والمدافع والبارود وغيرها ... التي اعتبرت من أهم الصناعات المحلية[2].

---

[1] الصورتان 25- 26 من كتاب . [1]Nadia Zaid , Samia Amokrane : la Casbah ; âme de passé et Eden de l'avenir

[2] Khodja hamdan: ,le miroir,ed sindbad 1985 p 319 .دار النشر في نجاة أحمد عروة: من وحي التراث المعماري والحرفي في الجزائر دحلب الجزائر 2011 .

الصورة 27: الحرفي مصطفى بن دباغ أثناء القيام بعمله(القصبة) مع بعض تحفه.[1]

صورة 28 –29 :عمي الهاشمي بن ميرة و حرفة النحاس بالقصبة لاتزال قائمة بالقصبة.[2]

ومن أهم أصحاب الحرف في مدينة الجزائر : نذكر النجارون (الدوغرامجي)يصنعون أثاثا متنوعا النحاسي(النحاسجي) يصنع موائد كبيرة ومستديرة، النساج (فلسجي) يصنع الزرابي

[1]Nadia Zaid , Samia Amokrane : la Casbah ; âme de passé et Eden de l'avenir ,idem. : 27 الصورة[1]

[2] صورة رقم 28 –29: من تصوير الباحثة

الدباغون (دريجي) و يدبغ الجلود العادية والفاخرة ،الاساكفة (بابوجي) يصنع أحدية ونعال الصباغون (بوياجي) يصبغ الأقمشة بالألوان، الخراطون (طورناجي) يصنع أدوات منزلية مختلفة الأقفال (جلينكير) يضع أقفالا جيدة واغلبها مزودة بلولب أو جرس، الرصاصين (تنكه جي) يضع أشياء عديدة من بينها إبريق القهوة، الزجاجين (جامجي) الساعاتية لا يصنعون الساعات بل يصلحوها فقط خاصة القديمة، الخزافون (طوبراق جناقجي) صانعوا السلال(زنبيلجي) يصنع زنابيل مستديرة خاصة بالحمالين وأيضا السلال من الحلفاء وسعف أو الصفصاف، صانعوا الحصائر (حصيرجي) يصنع بطانيات وحصائر من الحلفاء وسعف النخل، الخياطون (وزقجي) يصنع المطارح والكنبات الخاصة بالأغنياء النساخين(كتاب يازجي) ينسخون بالقلم الكتب التركية والعربية على حد السواء لانعدام فن الطباعة آنذك الجلادون(صحفجي) قوم بتجليد الكتب بالورق المقوى بشكل صلب ثم تغطى بالجلد الفاخر أو المخملي الأخضر الجنائية (باغجنواجي) يزود شرفات السيدات بالورود والأزهار وكانت هده المهنة من اختصاص الأسرى المسيحيين.[1] ومن الصناعات المستحدثة التي ارتبطت بالوجود الأندلسي بالجزائر نسيج القطيفة التي "المخملي" التي اختص بها مهاجروا غرناطة صناعة الشبيكة(المهاجرات الأندلسيات) سواءا من حيث الآلات المستعملة في نسجها وطريقة أو الطرز المتبع في تشكيلها .

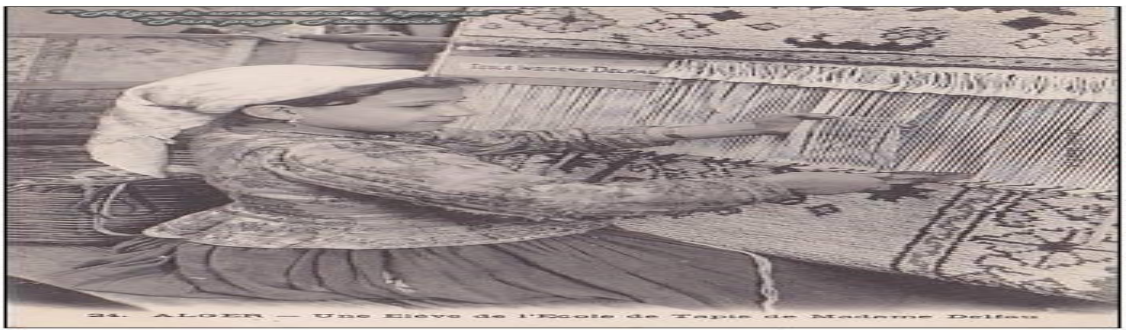

صورة لحرفة النسيج بالجزائر.[2]

[1]Nadia Zaid , Samia Amokrane : la Casbah âme du passé et Eden de l'avenir : Idem p 44

[2]صورة رقم 29 : https://www.Algeraunecertaineepoque .com /photosالصور من موقع أنترنيت

ولم يكن فن التطريز الجزائري أندلسيا محضا بل جلب من القسطنطينية حضارة الخلافة العثمانية التي أطلقت على بعض الغرز أسماء عثمانية مثل غرزة الزليج .[1] وفي ذكر مهارة الحرفيين الجزائريين الذين اطلق أ.أليسور عليهم تسمية المغاربة، استغرابه في كيفية اتقان الخراط لمهنته دون معرفة للنسب والمقاييس الهندسية، وكذلك الحال في حرفة النحت والنقش التي تتطلب معرفة ودقة ،قد تفتقر إليها بلدهم رغم تطورها[2].ويضيف أ.ليسور أن سكان الجزائر عرفوا بفن استخراج عطر الورود فهم يتقنون صنعه إتقانا لا يمكن أن يبلغه عندنا الكيميائيون من ذوي الخبرة وينسجون زرابي تنافس زرابي "سميرن" و"القسطنطينية" ويعالجون الصوف معالجة دقيقة تمنحها قابلية لاتخاذ كل الألوان . [3]

ب- فن الطبخ و الموسيقى

عرف الطبخ الجزائري في الحقبة العثمانية، بذوقه المميز وطعمه اللذيذ وكذا بطريقة تقديمه الراقية، والتي تستعمل فيه السكر بشكل كبير وكذا الإبزار وماء الورد والياسمين، ومن اشهر الأطباق التي ذكرها أ.ليسور المعروفة آنذاك، "البيبو" وهو طعام شرقي يتألف من الأرز واللحم والتوابل، وكذا الكسكس باللحم والخضار، المطبوخة كلها على البخار، وغيرها من الاكلات التي استقدمت من الشرق، أما بالنسبة لحلوياتهم فقد كانت تتبل وتعطر بكيفيات مختلفة عديدة وتقدم في أطباق صغيرة مزينة بالورود والأزهار، وفي بعض الاحيان بشموع صغيرة مشتعلة.[4]

---

[1] Nadia Zaid ,ibid p 44

[2] أ.ليسور و .ويليد، : رحلة طريفة في إيالة الجزائر، لوحة 10

3 :الصور من موقع أنترنيت https://www.Algeraunecertaineepoque .com /photos

[3] ليسور و .ويليد، :نفس المرجع ، لوحة 10

[4] .ليسور و .ويليد، :نفس المرجع ، لوحة 20

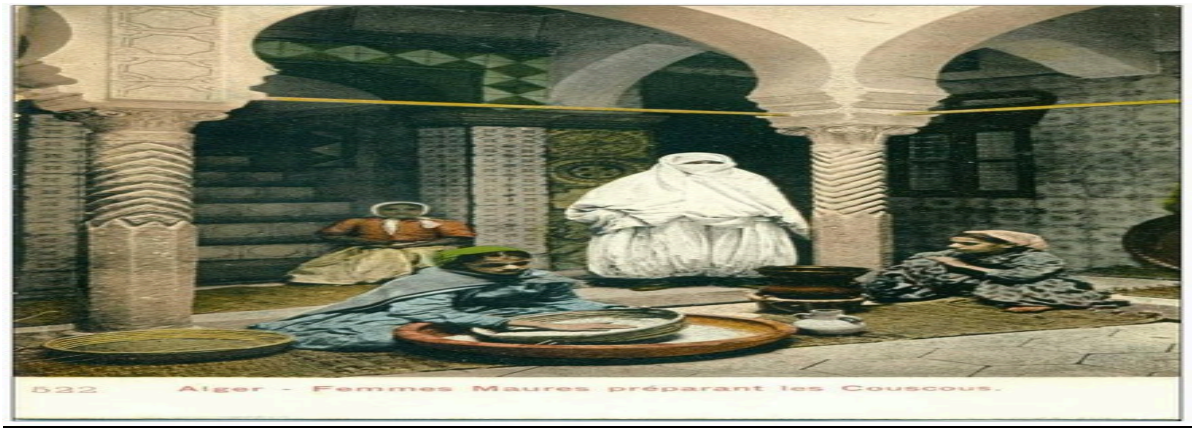

صورة 31 : فتيات في وسط الدار بأحد دويرات القصبة وهن يحضرن طبق الكسكسي.[1]

أما بالنسبة للحم البقر فقد كان لا يستهلك إلا نادرا، وهذا لدى بعض العائلات التي كانت تقوم بتصبير لحم الثور عن طريق تجفيفه ووضعه بالزيت ويسمى "بالخليع".[2] أما بالنسبة للشراب فقد وجد نوع من الشراب يعرف به الحضريون وهو "السلوب" وهو مصنوع من مغلى الشعير المحمر قليلا يقدمه "السلوبجي"،ويشرب في الصباح الباكر خاصة في فصل الشتاء[3]

أما بالنسبة لنظام الأكل لديهم فكان على الساعة السادسة صباحا فطور والتاسعة الغذاء والسادسة العشاء وبعدها النوم، لتغلق المدينة أبوابها لتفتحها عند الشروق.[4]

- **فن الموسيقى**

لقد كان للمدينة رصيد هام في ميدان الموسيقى وتطورها خاصة بعد ان هاجر إليها عدد من الأهالي الوافدين على الجزائر كالأندلسيين الذين تركوا بصمتهم في تلمسان المعرفة بموسيقى "الغرناطي" التي توجد صلة قوية بينها وبين موسيقى 'الصنعة" المعروفة في الجزائر بوجود فرق في الهيكل لعم لنوباته ،إلا أن هاته الأخيرة لم تستطع الحفاظ على هذا الموروث كتلمسان...

[1] صورة 31: من موقع https://www.Algeraunecertaineepoque .com /photos

[2] احمد السليماني :تاريخ المدن الجزائرية ،دار القصبة للنشر ،2007 ص76

[3] هانيرس فون مالتيان (ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا) ترجمة أبو العيد دودو، في احمد السليماني :تاريخ المدن الجزائرية ،مرجع سابق ص72

من بين الآلات الموسيقية التي يعود تاريخ وجودها إلى العهد العثماني ، نجد آلة الزرنة بحيث اقتبس الجزائريون هذا النوع من الموسيقى من الأتراك ، بحيث اقتصرت موسيقى الزرنة في تلك المرحلة على الطبقة التركية الحاكمة باستعمالها في الأحداث الرسمية ،وترافق الخروج اليومي للداي وبنوبة خاصة تدعى نوبة (العجمي) وكانت تستعمل أيضا لمرافقة المحكوم عليهم بالإعدام وتميزت بلحن حزين رهيب وتقنية خاصة للعزف ومن خصائصها توقف قرع الطبوع وسط المقطع فاسحا المجال للغايطة وهي نوبة تركية الأصل ،كان الداي يستيقظ كل يوم جمعة على أنغامها .تعبر موسيقى الزرنة عن معنى هو الإشهار بخبر جديد ويعتبر الحاج " بوعلام تيتيش" رائد هذه الموسيقى الشعبية الشهيرة.[1]

يعد الطابع الأندلسي من ألمع الطبوع الموسيقية وأكثرها انتشارا ومن بين ممثلي هذه الموسيقى نذكر "محي الدين باشطارزي ". بالإضافة إلى" محمد خزناجي" "سيد احمد صاري" " محمد فخارجي" ...الذين كانوا أصل تأسيس عدة مدارس رائدة مثل " الفخارجية" "السندسية" "الجزايرية" و"الموصلية".[2]

كما اشتهرت القصبة بالفن الشعبي الذي لقي رواجا كبيرا ولمعت فيه عدة نجوم صنعت بهاء البهجة وربت اجيال بكلماتها الموزونة التي تعبر في مجملها عن حكم ونصائح للحياة كما كان دائما مواكبا لمجريات أحداث المدينة والمجتمع ككل، وأشهر مطربيها الرجال نذكر الحاج مريزق، الحاج بورحلة، الشيخ الناظور، الحاج محمد العنقى، الهاشمي قروابي، ومن بين النساء: الشيختان طيطمة ويامنة، مريم فكاي، فضيلة الجزائرية وأخريات.[3]

ت-فن التطريز واللباس التقليدي العاصمي

لقد عرف الجزائريون في هاته الفترة بذوقهم الرفيع وحبهم لكل للظهور بكل ماهو جميل ،وهذا بشهادة أ.ليسور الذي ذكر أن الجزائريين يظهرون ترفهم في ملابسهم وسجوف شققهم [2]،

---

[1] ,1 , 2, 3 Nadia Zaid , SamiaAmokrane ,opcit p 45

[2] أ.ليسور و .ويليد، :مرجع سابق ،لوحة 23

وكان فلقد أخذوا عن العثمانيين والأندلسيين بالإضافة إلى ما يكون يمتلكونه من إرث شمال إفريقيا، وذلك بشهادة الكثير من الرحالة الذين كتبوا في المجال، فنجد الكاتبة الإنجليزية 'صوفيا برنارد"(1811) تصفهم فتقول"...و أما لباسهم فهو جميل جدا وأما سلوكهم مع الأجانب فهو يتسم بطيبة القلب وروح المجاملة..."وكذا وصف "وليام شالر" "...لباس الجزائريين يتكون من عدة قطع بعضها بأكمام والبعض الآخر بدون أكمام، مفتوح في الصدر ومزين بأزرار وبعدها تأتي سراويل فضفاضة إلى الساق، أما الرجال فيلبس حزاما يلفه عدة مرات حوله يضع فيع النقود وساعاته وعلى رأسه عمامة وفي رجليه بلغة وملابس الأتراك الكراغلة مزينة بالفضة وبحواشي الذهب والفضة أو الحرير ونوع وشكل العمامة وثناياها هي المقياس الذي يحكم عليه بقيمة الرجل الذي يلبسها، وفوقه برنوسا ذا قلمون يحمله على كتفيه...[1]

[2] ورشة لتطريز اللباس التقليدي العاصمي (الفتلة والمجبود)

[1] عمار عموره :الجزائر بوابة التاريخ ،مرجع سابق ص 212

[2] الصورة 32 و33 من موقع "https://www.Algeraunecertaineepoque .com /photos

نوع من اللباس للمرأة بمدينة الجزائر(المحرمة و الغليلة والسروال المدور)[1]

أما من الألبسة العريقة العاصمية التي لا تزال باقية ليومنا هذا نذكر من أشهرها:

- **الحايك:** هو نوع من اللباس ترتديه المرأة لتغطي به جسمها كاملا عندما تريد الخروج للشارع في أي مهمة كانت بحيث هو عبارة عن قطعة واحدة تلتف فيها من رأسها إلى أخمس قدميها مهما كان سنها أو مستواها الاجتماعي وهو متنوع الأشكال والألوان والتسميات في عديد مناطق الوطن، أما في مدينة الجزائر فلونه أبيض ويسمى "بالحايك مرمة" وتلبس تحته سروال عريض أو مدور عند الخروج ويسمى سروال 'الزنقة" بحيث تترك المرأة فقط عيناها لترى بهما المحيط الخارجي بعد أن تغطي وجهها بالعجار الذي هو عبارة عن غلالة توضع على الوجه ويزين أسفله "بقطع طرز من الشبيكة أو الدانتيل" ...ويرجع المؤرخون لبسه في العاصمة إلى القرن السادس عشر.[2]

[1] الصورة 33 من نفس الموقع

[2] ليلى بلقايد : تاريخ لباس متوسطي في نفيسة لحرش تطور لباس المرأة الجزائرية، دار انوثة للنشر الجزائر 2007 ص ص37-41.

صورة 34 :المرأة العاصمية بالباس خارجي(الحايك والعجار)[1]

- **أما الملابس المنزلية و المناسباتية للمرأة الحضرية** فقدة تميزت به عن مثيلاتها في الريف أو غيره، فقد اتسم بالذوق الرفيع و كثرة التطريز به، ومن أشهر ملابسها السروال الذي قد يفوق قماشه 06 امتار حسب وصف إحدى سيدات القصبة[2] ،بحيث كانت له تسميات عدة حسب مناسبات لبسه: سروال مدور يخاط بعدة ثنيات، سروال الزنقة وهو عريض يلبس عند الخروج، سروال شلقة وبه فتحتان من الجانبين يصلان حتى أعلى القدم، كما كانت القمصان تحاك من الشاش او الحرير أو الصوف وتلبس مفتوحة من الأمام أو نصف مفتوحة، مع معاصمها الغريضة المطرزة بشرائط حريرية مزخرفة ويلبس فوق القميص قفطان أو قطعة من الحرير المطرز يشبه الغليلة ويلبس مفتوحا من الأمام ، أما الغليلة فهي سترة تشبه الصدرية بأكمام أم بدونها ويكون قماشها إما من قطيفة أو حرير مطروز بخيوط ذهبية والأحجار...

[1] صورة 34 : " من موقع https://www.Algeraunecertaineepoque .com /photos

[2] نفيسة لحرش : تطور لباس المرأة الجزائرية، مرجع سابق، ص 64

- **القفطان:** لبس من طرف المرأة والرجل يعود الى العهد العثماني، بحيث يلبس طويلا حد القدمين ويفصل بشكل مخروطي بحيث يكون مطرز ومفتوح من الأمام حتى الأسفل[1] .
- **الكراكو:** ظهر في القرن 19 عشر مع تراجع الغليلة : وهو لباس عاصمي يلبس خاصة بالمناسبات بحيث يشبه الغليلة لكنه بأكمام وأزار وتطريز رائع نابع من تقليد لبدلات البحارة العثمانيين في القرن 18 عشر "kabbut caban" وهما تطريزان عرفا في الأندلس والمغرب الكبير.[2]
- أما بشأن الأحذية فقد كان الجزائريون يصنعون أحذيتهم الجلدية بأنفسهم ، فنجد "البشماق" الذي يلبس بالبيت و"البابوش" وهو حذاء بدون جوانب ويطرزونها بخيوط ذهبية وفضية للرجال والنساء وكذا "الصباط" وهو الحذاء المقفل" الذي تلبسه المرأة عند الخروج وغيره ...[3]

-و بشأن الحلي المعروف آنذاك نجد "الصرمة" الذي كان يشترط كصداق لنساء العاصمة في القرنيين 18 و19 والحلي بما يقدر بأوقية الى أربعة من الذهب والجواهر[4] وهي حسب 'بارادي' عبارة عن طاقية نسائية مطرزة بالذهب أو الفضة. لتتطور فيما بعد وتصبح "محرمة الفتول". لكن مع الاستعمار الفرنسي ونهب ثروات سكان المدينة تراجع هذا اللباس الأنيق ليعود للظهور مؤخرا ويصبح الرقم واحد للباس العروس العاصمية مع إدخال تصاميم جديدة عليه.[5]

---

[1]،[2]،[3] : نفيسة لحرش، نفس المرجع السابق ص 70. 104. 113

[4]عائشة غطاس فينفيسة لحرش ص .114

ث- الحياة الاجتماعية بالقصبة (السوق، المقهى، الحمام)

- الأسواق :

لقد تميزت المدينة بأسواقها المنظمة المتخصصة من طرف أمناء السوق الذي لكل منهم سوق أو صابة يحرص على سيرورة البيع والشراء بها وفق قوانين تضمن حقوق كلا من البائع والمشتري . بحيث نجدها ارتكزت في شارعين رئيسيين أحدهما يمتد من باب عزون إلى باب الوادي والآخر من وسط المدينة لينحذر نحو المرسى، ففي الشارع الأول توجد كل من سوق الكتان وسوق الزيت وسوق الشمع والفحم وسوق الحرايرية وسوق الخشبة والحديد وسوق الصياغين وسوق اللوح ودار اللحم و سوق الخضارين ورحبة الزرع، أما في الشارع الثاني فنجد عدة أسواق منها سوق السمن والقيسارية حيث يجتمع الخطاطون وتباع الكتب والذي أمر بهدمه الجنرال 'كلوزيل' غداة الاحتلال. وغيرها من الأسواق التي كانت محكمة التنظيم وساهمت في انتعاش الاقتصاد المحلي والوطني خصوصا في القرنين السادس والسابع عشر إلى تقهقرها في القرن الثامن عشر وجمودها واندثارها بعد الاستعمار.[1]

- المقاهي :

عد "حمدان خوجة' عدد المقاهي بمدينة الجزائر الى60[2] مقهى، أغلبها موجودة في باب عزون الى باب الواد، وفيها تلتقى كافة فئات المجتمع لتبادل الحديث والترفيه والتثقيف ولعب الشطرنج وسماع الموسيقى وعقد الصفقات التجارية بها ،من أشهرها قهوة الإنكشارية الفنارجية، العريش، العسكر، الجامع ،البهجة وغيرها بحيث أن لكل مقهى رواده من طبقة اجتماعية ومهنية معينة، وكانت تسمية كل منها إما لروادها المشهورين أو لوظائفهم أو المعلم الذي يجاورها، فمثلا مقهى "الفنارجية" كان يرتاده عمال الإنارة المسؤولين على إنارتها

[1] د/ ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية الجزائر 1984. ص71

[2] حمدان خوجة: المرآة، مرجع سابق.

ليلا وإطفائها صباحا والذي كان الفنان بوعلام تيتيش من أشهر روادها، أما بالنسبة للمقهى المعروف حاليا نجد مقهى "مالاكوف" أو قهوة الحاج "مريزق" بحي البحرية التي كان يتردد عليها كبار مغنيي الشعبي أمثال الحاج مريزق والعنقى وقروابي .[1]

صورة 35 : لأحد المقاهي القديمة بالقصبة.[2]

- **الحمامات:**

لقد اشتهرت مدينة الجزائر بحماماتها الراقية ،والتي روعة وجمال هندستها تنم عن مدى تحضر ساكنيها ،بحيث لم تقتصر وظيفتها على التنظيف فقط وتزويدها بالمياه بل تعدت ذلك فقد كان لها دورا اجتماعيا كبيرا ،فهو مجال ذكوري وأنثوي تتم فيه عقد مختلف الاتفاقيات والمراسيم الاجتماعية كالزواج والدفن وبعض الأعمال التجارية وفيه تحكى الحوادث العائلية بين الأصدقاء.[3]بحيث كان هناك حوالي 60 حماما في أيام "هايدو" فحسب وصفه كانت نظيفة ومضاءة الأسقف ومجهزة بالماء الساخن والبارد ،يتمتع فيها المستحم بخدمة التدليك والتدليل والترفيه مقابل دفع مبلغ معين، أما بالنسبة للنساء فقد كان فرصة لهن لإظهار فتياتهن للزواج وكذا للتعريف بثروتهن ومكانتهن الاجتماعية وكن يتمتعن بأفضل الخدمات كالموسيقى والغناء وغيرها، إذ أنه يعد بمثابة إجازة لعطلة نهاية الأسبوع للتخلص

[1] نادية بوزيد وسامية مقران القصبة :روح الماضي وريحان المستقبل، ص 45

[2] صورة 35 : " من موقع https://www.Algeraunecertaineepoque .com /photos

[3] دراسة وليام سبنسر : الجزائر في عهد رياس البحر، في أحمد السليماني : تاريخ المدن الجزائرية ،دار القصبة للنشر 2007.

من الضغوطات المنزلية والتعب ومعرفة كل المستجدات، ومن بين أشهر حماماتها الباقية الى يومنا هذا نذكر حمام سيدنا، حمام التشباشق.[1]

صورة رقم 36 :لأحد الحمامات .[2]

– الفنادق :

لقد اتسمت مدينة الجزائر كونها مدينة تعج بالحركة التجارية والاقتصادية في الفترة العثمانية لدرجة إطلاق عليها تسمية "إسطنبول الصغرى" فكان من الضروري توفير الفنادق للوافدين إليها، إذ بلغ عددهم حوالي 18 فندقا في فترة العثمانيين حسب ما ذكر Raymond André[3] أما تسميتها فكانت تنسب إما للبضاعة المخزنة وتجارها، مثل :فندق الزيت، فندق العسل، فندق المذبح، أو فندق أو ينسب للعمارة المجاورة لها مثل فندق القهوة الكبيرة أو نسبة إلى

[1] نادية بوزيد وسامية مقران ،مرجع سابق ،ص39

3 : " الصورة 36 من موقع https://www.Algeraunecertaineepoque .com /photos/ :

[3] Raymond André: les villes arabes à l'époque Ottomane p 389

النشاط الخاص بها أو لصاحبها ،كما كان يطلق عليها بعض الألفاظ المحلية ،مثل رحبة الفحم، ديوان الكرموس .[1]

صورة 37 : سوق بقصبة الجزائر[2]

المبحث الثالث: أشهر الشخصيات بالقصبة

أ- على المستوى الديني والعلمي

- **عبد الرحمان الثعالبي**

هو أبو زيد عبد الرحمان، ينتسب إلى قبيلة الثعالبة بوطن الجزائر، ولد بواد يسر سنة 1385، يعتبر من أكبر علماء وزهاد القرن 15 عشر، نهل العلم على يد علماء بجاية وتونس (الزيتونة) ثم القاهرة، وغيرها من البلدان، عاد إلى مدينة الجزائر سنة 1417 ، فكان

[1] نجاة أحمد عروة ،من وحي التراث المعماري والحرفي في الجزائر .دار النشر دحلب الجزائر 2011.

[2] صورة 37 : https://www.Algeraunecertaineepoque .com /photos/

معلما ناجحا ومحدثا ومفسرا ومتصوفا ،من أشهر تلاميذه: أحمد بن عبد الله الجزائري ،محمد السنوسي. توفي سنة 1479، بعد 90 عاما من العطاء، دفن بربوة خارج باب الواد بمقبرة الطلبة، ثم تأسس ضريحه عند زاويته التي أصبحت مجمع الطلبة، يدرسون فيها التصوف والعلوم الإسلامية و لا يزال ضريحه مزارا لغاية يومنا هذا. ومن أشهر مؤلفاته الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحفة الإخوان في إعراب القران روضة الأنوار ونزهة الأخيار، رياض الصالحين وغيرها...[1]

- **أبو عبد الله محمد بن قاسم بن منداس:** ولد بمدينة الجزائر سنة 1162، وبها أخذ العلوم الشرعية واللغوية عن نخبة من علمائها ،من بينهم علي بن عتيق وأبي محمد بن عبد الله وأبو موسى الجزولي ثم انكب للتدريس في مدينة الجزائر معلما شتى فنون العلم وخاصة علوم الحديث، وكانت وفاته سنة 643 الموافق ل 1245 .[2]
- ومن المشاهير كذلك أحمد زروق بن عمار سعيد قدورة محمد بن بلقاسم بن اسماعيل المطماطي وغيرهم.[3]
- **حمدان بن عثمان خوجة** : هو كورغلي، ينتسب إلى أسرة عريقة من مدينة الجزائر، ولد بها سنة 1773،رجل ذو ثقافة واسعة، يتقن اللغتين العربية والتركية، ويحسن الإنجليزية والفرنسية، اشتغل بالتدريس ثم التجارة، عين كمستشار للداي حسين، برز كشخصية سياسية وثقافية بعد الاستعمار، ولعب دورا في الدفاع عن القضية الجزائرية، من مؤلفاته المرآة عام 1833، والذي يمثل بمثابة احتجاج سياسي ضد السياسة الفرنسية في أيالة الجزائر، وكتاب "التحاف المنصفين والأدباء لمباحث الاحتراز من الوباء 1838، و"تقاييد على كتاب حمدان"، وغيرها من الرسائل والترجمات وتوفي بأسطنبول سنة 1845.[4]

---

[1] عمار عموره : الجزائر بوابة التاريخ ،ما قبل التاريخ إلى 1962 –الجزائر خاصة.–دار المعرفة ،الجزائر 2006ص49–52

[2] عمار عموره : نفس المرجع ص52

[3] أحمد السليماني ، تاريخ المدن الجزائرية ،مرجع سابق ص 80

[4] عمار عموره: مرجع سابق ص 388.

ب- على المستوى الثقافي والفني

- **محمد راسم :**

ولد بالقصبة في 14 من شهر يونيو 1896، من عائلة فنية فاتجه منذ صغره الى فن الزخرفة والتلوين على الخشب، ثم انجر الى فن المنمنمات، وفي سنة 1910 دخل مدرسة الفنون الجميلة وورشة الرسم بالجزائر ،فصقل موهبته هاته، إذ بدأ مشواره المهني بالمشاركة في تزيين كتاب عن لرسول صلى الله عليه وسلم الذي أنجز لوحاته الفنية آنذاك "إتيان دينات" أو "ناصر الدين دينات" بعد إسلامه، ثم كلف بتزيين كتاب آخر عن ألف ليلة وليلة للمؤلف "مادوس "وبعدها صال بمختلف المتاحف العالمية إلى أن عاد للجزائر في سنة1932 ليغين كأستاذ في مدرسة الفنون الجميلة وليتخرج على يده في ما بعد "تمام" و"حاميمومنا" وتلاميذهم من بعد هم، زخرت حياته الفنية بالمعارض العالمية باريس، لندن، روما، فيينا، ستوكهولم، القاهرة، إلى أن فاز بالجائزة الفنية الجزائرية الكبرى وبوسام المستشرقين سنة 1933، توفي الفنان بالجزائر سنة 1975 .[1]

- **مصطفى بن دباغ** :ولد بالقصبة سنة 1906 ،وبعد بلوغه سن السادسة عشر انقطع عن التعليم وربط علاقات مع الفنان دلاشي عبد الرحمان الذي تعلم على يده حرفة النجارة والزخرفة واخذ عنه كل فنون هذه "الصنعة" وخاصة الرسم على الخشب والزجاج والفخار. كما تعلم فن صناعة الخزف على يد الفنان الايطالي "سوبيرو" في مدرسة الفنون الجميلة في حي البحرية سنة 1929 مثل الجزائر في المعرض الدولي في بريطانيا بطلب من وزارة الخارجية والحكومة الفرنسية، في 1933 استدعى للمشاركة في المعرض الدولي لشيكاغو في سنة 1937 استدعي في معرض باريس للمشاركة في المعرض الدولي حيث حصل على جائزة في فن الرسم ، وبعد عودته إلى الجزائر كون المكتب التأسيسي لجمعية

[1] نجاة أحمد عروة: من وحي التراث المعماري والحرفي في الجزائر .مرجع سابق، ص61.

أسماها جمعية شمال إفريقيا للفنون الحرفية التي أصبحت فيما بعد "جمعية الحرفيين المسلمين الجزائريين" في سنة 1943 فتح الفنان "بروسبير ريكار" فرع خاص لفن مصطفى بن دباغ بالمدرسة الوطنية للفنون الجميلة. في 1955 نال في المعرض المنظم في باريس أعلى وسام بإحرازه على جائزة : درجة فارس جوقة الشرف فعين كضابط في الأكاديمية الفرنسية للفنون، ثم ضابط للتعليم العمومي بالمدرسة الوطنية للفنون الجميلة والتطبيقية ،بعد الاستقلال ساهم في بعث الحركة الفنية في الجزائر في عدة معارض منها المعرض الأول للفنون الجميلة والتطبيقية السنة 1968 التي انتقل فيها إلى روسيا واسيا الوسطى في مهمة دراسة في 1975 قام بمهمة دراسة إلى المجر. وتتويجا لنشاطه العلمي عين كرئيس للأساتذة للمدرسة الوطنية للفنون الجميلة بالجزائر .توفي في 23 جانفي.2006[1]

- **محي الدين باش طارزي:** ولد بالقصبة سنة 1897 ،بدأ حياته حزاب في الجامع الجديد، حفظ القرآن ورتله بصوته الجميل ،عمل كمدير لأول جوق موسيقي جزائري في جمعية "المطربية" وقد عمل في مجال الطرب والغناء والإذاعة ثم التلفزة ، وسجل أزيد من 400 نغم كلاسيكي وديني، كما انخرط في الجمعية الموسيقية "الفخارجية"، وكان أول من أذن بمناسبة افتتاح مسجد باريس، كما اعتبر فيما بعد من مؤسسي المسرح الجزائري الوطني، وأخرج عدة وجوه للجمهور مثل: مصطفى كاتب، كلثوم، نورية، رويشد، وترك ما يزيد عن 100 مسرحية توفي في 06 فيفري 1986.

[1]Nadia Zaid , Samia Amokrane :la Casbah âme du passé et Eden de l'avenir : Idemp p46

صورة للفنان باش طارزي على اليمين والأخرى للفنان رويشد[1]

ت- على المستوى السياسي الثوري

- **جميلة بوحيرد:** ولدت في 09 جوان 1935 بالقصبة، تعلمت بالمدرسة الحديثة الفرنسية، ثم معهد الخياطة والتفصيل بسوسطارة، بعدها انضمت إلى الثورة في سن 20سنة، عملت في البداية كأمينة سر لعبان رمضان ثم فدائية في مجموعة يوسف سعدي وكانت من أولى واضعي القنابل أو متطوعات الموت ،قبض عليها من طرف الاستعمار في 09 أفريل 1957 وتم تعديلها بأبشع الطرق لاستنطاقها، بدون جدوى، فحكم عليها بالإعدام سنة 1957 جويلية 15، لتصبح بعدها قضيتها قضية رأي عام ،وتنقل إلى المحافل الدولية ويرافع عنها "جاك فرجيس" في كتاب "من أجل جميلة" ثم لتصبح رمز نضال للمرأة .ومن فيلم "جميلة " التي مثلته الفنانة ماجدة، من إخراج يوسف شاهين إلا عرفانا عن بجهادها .[2]

- **ياسف سعدي:** ولد بالقصبة سنة 1927، بدأ مشواره النضالي في عمر 16 عشر سنة، انضم الى المنظمة العسكرية ، بمرور سنتين عن اندلاع الثورة التحريرية ومؤتمر الصومام، عين بعدها مسؤولا على منطقة القصبة بحيث كانت آنذاك منطقة حكم ذاتي، وفي 23 سبتمبر 1957، اعتقل من طرف المظليين وحكم عليه بالإعدام وبعد الاستقلال، أصبح

[1] صورة 38 -39 : من موقع Google image

[2] أنظر نجود علي جميلة بوحيرد ،مجلة أنوثة الجزائرية ،2002 الجزائر ص02 في أحمد السليماني ص 80.

رئيس Casbah film كما أصدر كتاب "ذكريات معركة الجزائر" Souvenirs de la bataille d'Alger.[1]

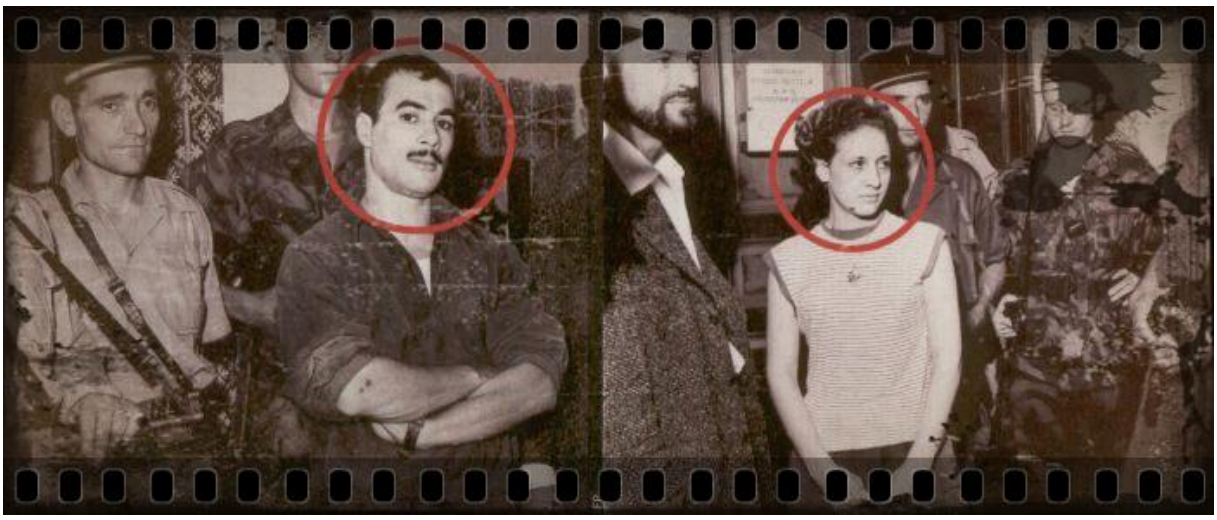

صورة للمجاهدة جميلة بوحيرد والأخرى للمجاهد ياسف سعدي[2]

خلاصة الفصل الرابع: نستخلص من خلال ما تم عرضه بهذا الفصل أن للقصبة زخم كبير من الموروث الاجتماعي والثقافي الذي تجسد في كل ما سبق استعراضه من عادات وتقاليد وممارسات اجتماعية وحضرية ساهمت في بروز فنون وصنائع غاية في الرقي والجمال، والتي استطاعت أن تخلق التميز الحضري والمديني لها و لسكانها ، لكن إذا أردنا أن نرصد واقع هذا التراث اللامادي حاليا في ظل رحيل أغلب السكان القدامى عن القصبة الحاملين لهاته الثقافة الحضرية، وجب علينا النزول إلى الميدان الذي كشف لنا واقع ومصير هذه الممارسات في ظل كل هذا التغير الاجتماعي الذي شهدته والتي سنعرض نتائجه في الفصول اللاحقة وكذا تلك المتعلقة بالتحريات الميدانية .

[1] Nadia Zaid , Samia Amokrane P46

[2] صورة 40 : من موقع https://www.Algeraunecertaineepoque .com /photos/

الفصل الخامس

التغير الاجتماعي

تمهيد :

يعد مفهوم التغير الاجتماعي من أعقد المفاهيم الموضوعة على بساط البحث الاجتماعي وهذا لتشعب وتفرع مفاهيمها وتداخلها ومصطلحاتها التي تأثرت بمختلف العصور وخصوصية المجتمعات و لما أن له من صلة مباشرة بالمجتمع وسماته والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية ، وعليه فقد اختلفت الرؤى حوله باختلاف الزمان والمكان، كما تعددت المفاهيم المنضوية تحته، فمن التقدم إلى التطور ثم النمو وبعدها التنمية كلها أشارت إلى التغير الاجتماعي بحيث انه شاع استخدام كل منها حسب مراحل تاريخية وعلمية معينة له ولم يبدأ التفريق بينها إلا في بداية القرن 20 م بعد كتاب **وليم أوجبرن**" التغير الاجتماعي"، باعتبار ان مفاهيم (التقدم، التطور ،النمو)تحمل بعدا قيميا أخلاقيا، في حين أن التغير الاجتماعي مفهوم موضوعي يصف لنا الواقع الاجتماعي كما هو وليس كما يجب أن يكون .[1]

لذا فقد أردنا من خلال هذا الفصل أن نتعرض لمفهوم التغير الاجتماعي باعتبار دوره المهم الذي يلعبه في تشكيل البناء الاجتماعي لمدينة الجزائر (القصبة) قديما وحديثا، وهذا من خلال تأثيره المباشر على كافة المجالات المادية والمعنوية للمدينة.

[1] فهد عبد الرحمان الخريف ،مقرر التغير الاجتماعي، سلسلة محاضرات. جامعة الملك فيصل للعليم عن بعد في / lbtihalino.blogspot .com ب.ت

المبحث الأول: المفهوم، الخصائص والأبعاد، المظاهر و الآليات

أ- مفهوم التغير الاجتماعي

يعرفه **جي روشيه** :على أنه كل تحول في البناء الاجتماعي، يلاحظ في الزمن ولا يكون سريع الزوال لدى فئات واسعة من المجتمع ويغير مسار حياتها.[1]

- **هربرت سبنسر**: التغير انتقال المجتمع من حالة يسودها التجانس الى حالة اللاتجانس[2]
- **روس:** هو التعديلات التي تحدث في المعاني والقيم التي تنتشر في المجتمع أوبين بعض جماعاته الفرعية [3].
- **كينجزلي ديفز**: هو كل تغير في التنظيم الاجتماعي سواءا في تركيبه أو في وظائفه أما
- **مالينوفسكي** فيرى أنه العملية التي يتحول بها نظام المجتمع من نموذج إلى آخر [4] .
- **جيرث ورايت ميلز**: يشير إلى ما الذي حدث في جزء من الزمن بالأدوار الاجتماعية التي يقوم بها الأفراد والمؤسسات والأنظمة المكونة للبناء الاجتماعي سواء أظهر نمو وانهيار.[5]
- **معجم العلوم الاجتماعية:** هو كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي، سواءا في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة، ويشمل ذلك كل تغير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي ونظمه الاجتماعية أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكانهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها.[6]

---

[1] دلال ملحس إستيتة : التغير الاجتماعي والثقافي، عمان- الأردن، دار وائل للنشر والتوزيع ،2004 ص 25

[2] فادية عمر الجولاني: التغير الاجتماعي(مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير)مركز الاسكندرية للكتاب، ص 13.

[3] تهاني حسن: الثقافة والثقافات الفرعية ، تقديم أحمد مصطفى ،دار المعرفة الجامعية، مصر 1997 .

[4] فادية عمر الجولاني مرجع سابق ص 13.

[5] Gerth,Hans and c.Wright mills, character and social structure .new York :Harcourt, 1953.p398

[6] رحالي حجيلة، التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري، المفهوم والنموذج ، جامعة بسكرة 2010.

- **محمد عاطف غيث:** هو التغيرات التي تحدث في التنظيم الاجتماعي أي في بناء المجتمع ووظائف هذا البناء المتعددة والمختلفة.

ويرى أن التغيرات الاجتماعية تتخذ صورا شتى : الغير في القيم، في النظام الاجتماعي، في مراكز الأشخاص وغيرها... [1]

- **عبد اللطيف وآخرون** (119:2000)التغير هو التحول الذي يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في تركيبه أو بنائه أو في وظائفه[2]. وعليه فقد اتفق المفكرون على أن التغير الاجتماعي هو: كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الوظائف والقيم والأدوار الاجتماعية خلال فترة محددة من الزمن، وقد يكون هذا التغير إيجابيا أي يمكن اعتباره تقدما، وقد يكون سلبيا أي تخلفا سريعا ومفاجئا أو بطيئا وتدريجيا أو زيادة أو نقصان...أي ليس هناك من اتجاه أو نمط محدد للتغير الاجتماعي.[3]

ب- **صفات التغير الاجتماعي** : حددها "غي روشيه"**Guy Rocher** في الصفات التالية:

- التغير الاجتماعي ظاهرة عامة، تؤثر في أسلوب حياة أفراد المجتمع وأفكارهم.
- التغير الاجتماعي هو كل تحول يصيب البناء الاجتماعي بشكل عميق.
- يكون التغير الاجتماعي محددا بفترة زمنية معينة.
- يتصف التغير الاجتماعي بالديمومة والاستمرارية، أي ليس مؤقتا و سريع الزوال وهذا من أجل إدراكه ومعرفة أبعاده.
- يمكن للتغير الاجتماعي أن يكون ذو اتجاه إيجابي أو سلبي.[4]

---

[1] دلال ملحس إستيتة ،مرجع سابق ص 25

[2] عبد اللطيف وآخرون في زيدان عبد الباقي: علم الاجتماع الحضري والمدن العصرية ،القاهرة ،لا يوجد دار النشر ،1974 ص 22.

[3] شائم بن لافي الهمزاني: التغير الاجتماعي في منطقة حائل، دراسة علمية غير منشورة للدكتور ،1990.

[4] فهد عبد الرحمان الخريف: التغير الاجتماعي، مرجع سابق. ب. ت

ت- **أشكال التغير الاجتماعي:**

لقد تحدث عنها "بيتر سوركين "في نظريته حول التغير الاجتماعي والثقافي فقال: "إن للتغير الاجتماعي أشكالا دورية أو مستقيمة أو غير منتظمة وأن التغير دائما يتحرك من الفكري إلى الحسي أو تغلب الحسي على الفكري". [1] و على أي حال سواء أأطلق على هذه النظرية اسم الخطية أو الدائرية، فأنها كلها تصب في كونها قائمة في تصنيفها على أساس اتجاه معين ومحدد، يتم التكهن به قد يصدق على مجتمعات ولا يصدق على أخرى. كما أن هنالك من قسمه على أساس عدة عوامل مسببة له وهناك من فسر هذا التغير وفق الاتجاه الحديث القائم على أساس الهيمنة الرأسمالية الليبرالية مثل "فوكوياما" والتي سنتطرق إليها لاحقا.

ث- **أقسامه :**

من ضمن التقسيمات التي أعطيت للتغير الاجتماعي، نذكر تقسيم ريتشارد لابير في كتابه "التغير الاجتماعي"، والذي قسم فيه التغير الى نوعين رئيسيين هما :

التغيرات الكمية و النوعية، [2] فالتغيرات الكمية هي الناتجة عن الزيادة في حجم السكان وتوزيعه وتركيبه ونمو الاستهلاك للمواد الغذائية والطاقة أي بالأشياء المادية والحاجيات ومصالحهم باختلافها. أما التغيرات الكيفية فهي التي تحصل على مستوى أسلوب التعامل والتفاعل بين الأفراد داخل المجتمع التي تنتقل من العرفية إلى الرسمية.

كما أن هناك من قسم التغير إلى نوعين التغير التراجعي والتغير التقدمي فالتراجعي هو الذي ينطبق على قصبة الجزائر وكل مثيلاتها، بحيث يتعرض المجتمع للتفكك والانحلال والعزلة.

---

[1] فهد عبد الرحمان الخريف: نفس المرجع السابق ب.ت

[2] معن خليل : التغير الاجتماعي ، دار الشروق للنشر و التوزيع ط 1 عمان 2004 ص39-40.

أما التقدمي : فيظهر فيه المجتمع متقدما ويشعر أفراده بالرفاهية والانتعاش الاقتصادي ويؤيد هذا الطرح ابن خلدون وسبنسر.

ج- عوامل وعوائق التغير الاجتماعي:

إذ لا بد من وجود دوافع أو عوامل لحدوث عملية التغير الاجتماعي، بحيث أنه لا يمكن لها أن تحدث صدفة أو دون عوامل أو دوافع ساهمت في بروزها واتخاذها لأشكال معينة وإنه من الصعب علينا بما كان أن نفرق بين العوامل والدوافع أو أن نصنفها وذلك لتداخلها، فبالنسبة لبارسونز فإن القوة الدافعة للتغير، ربما تأتي من منظومة الأنماط الثقافية أو من خلال التغيرات السكانية أو كم المناخ او من التكنولوجيا أو غير ذلك. [1] أما د/ تهاني حسن فقد لخصتها فيما يلي: الحاجة إلى التغيير و شروط الاشباع و المنفعة الواضحة.[2] ولكي نوضح هذا التداخل ارتأينا أن نعرض عواملها على هذا النحو:

-العوامل الطبيعية أو الإيكولوجية:

بما أن الانسان ابن بيئته، وباعتبار أن العوامل البيئية تؤثر على أشكال توزيع السكان وتجمعهم ونشاطهم وغيره فهي تؤثر بذلك على أشكال العلاقات الاجتماعية في بينهم.[3]

وعليه فالقائلون بهذا العامل، يفسرون التغير الاجتماعي على أساس ظروف خارجية مفروضة على المجتمع ناتجة عن البيئة الجغرافية، وربط "بورجس و بارك و شومباردلو" بين الظواهر الاجتماعية والمناطق الطبيعية في المدينة، مؤكدين في ذلك أن المناطق المتخلفة بالمدينة تعتبر مكانا طبيعيا للجريم والأمراض والفساد ...إذ حاولوا من خلال دراساتهم

---

[1] محمد عبد الكريم الحوراني: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ،التوازن التفاضلي صيغة توليفيه بين الوظيفة والصراع، مطبعة مجدلاوي، عمان الأردن، ط1 2008. ص 237

[2] نفس المرجع : ص ص 279-280.

[3] الدسوقي عبده ابراهيم: التغيرات الاجتماعية والوعي الطبقي، تحليل نظري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الإسكندرية ، ص ص 47-48

الكشف عن شواهد عديدة تثبت وجود فروق بين سكان الريف والمدن، وكذا داخل المدن نفسها .

-العوامل الإيديولوجية:

وتتمثل في تلك الأفكار التي تسود بمجتمع ما وتكون قابلة للتغير والتطور، لكن بوتيرة بطيئة والتي تؤدي بعدها الى التغير في العادات والتقاليد والقيم. وكما هو حاصل بالقصبة، فبعد أن بدأت تفقد رمزيتها كمدينة عريقة ومركز تاريخي وحضري نظرا لحالة الانهيار والانحطاط المادي والمعنوي، أصبح الفكر السائد لدى أغلب وافديها، أن المكوث بها يعد مرحلة من مراحل مسيرتهم الاجتماعية، والتي بفضلها يستطيعون الحصول على سكنات اجتماعية لائقة، وعليه فهي فرصة لا تعوض لمن أراد بلوغ هذ الهدف، فاللجوء إليها له قيمة منفعية وليس قيمة ثقافية أو حضرية كما كانت عليه سابقا .

-العوامل الثقافية

إذ يعتبراه أهم عامل كلا من "أوجبرن وسوركين" بحيث أن بعضهم اعتبرها نسقا اجتماعيا ذا صلة بالعلاقات الاجتماعية .[1]كما أن المجتمعات الأكثر اتصالا بغيرها أكثر عرضة للتغير ضف إلى ذلك فإن تأثير الاتصال على تبادل الأفكار والمعتقدات السياسية والدينية وأساليب الحياة والتكنولوجيا ينشط العمليات الاجتماعية وبالتالي يضفي بعدا ديناميا على البناء الاجتماعي القائم .[2]

وهذا ما يمكن ملاحظته، بإسقاطه على قصبة الجزائر، فبازدهار الفنون والحرف والثقافة بشكل عام بها في عصرها الذهبي، كان ذلك سببا في انتعاش العلاقات الاجتماعية بها القائمة على احترام الحقوق والواجبات بدءا باهل الذمة وصولا إلى الجار الذي له مكانته

[1] الدسوقي عبده ابراهيم ، مرجع سابق ص 52

[2] دلال ملحس استيتة :التغير الاجتماعي والثقافي ،مرجع سابق ص 39

الخاصة فكل مجالات العلاقات والتواصل بين الأفراد كانت مبنية وفق قيم ومعايير اجتماعية راقية رقي ثقافة سكانيها.

- **الثورات و الحروب:**

بحيث تساهم في تلك التغيرات الفجائية والعنيف و والجذرية في بعض الأحيان لدى الكثير من المجتمعات الخاضعة للاستعمار، كما كان الحال للجزائر في عهد الاستعمار الفرنسي ولمدينة القصبة خاصة التي كانت مستهدفة من خلال محاولة دثرها حضريا وحضاريا وذلك من خلال إدخال عمران هجين عليها كان القصد من ورائه طمس هوية الشعب وفرض ثقافته ونظمه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على كافة المجتمع.

- **العوامل الديمغرافية:**

إن تغير حجم الكثافة السكانية يشجع التغير الاجتماعي خصوصا في البلدان النامية كما حصل بعد استقلال الجزائر وحدوث حركة النزوح الريفي الى المدن بحثا عن العمل والسكن عرفت القصبة نموا ديمغرافيا كبيرا كان النزوح الريفي المتسبب الأول به مما تسبب في اكتظاظ داخل الدويرات جعل من السكان في ما بعد يلجؤون إلى البناء العشوائي و القصديري بها مما تسبب في تشويه تراثها المادي و طمس تراثها اللامادي الذي كانت تحويه تلك الدويرات من ممارسات اجتماعية وثقافية .

- **العوامل البيئية:**

إذ تؤثر بشكل كبير في درجة تخلف المجتمع أو تقدمه لأن الانسان بن بيئته على حد تعبير ابن خلدون، فسكان الحضر أو المدينة بطبيعة الرفاه الذي يعيشونه وبحكم احتكاكهم وانفتاحهم على ثقافات المجتمعات الأخرى أكثر تقبلا للتغيير والتغير، أما سكان الأرياف والبدو فهم أشد معارضة له بحكم تمسكهم بنظمهم التقليدية المناهضة للتجديد او التغيير

وكذا لصعوبة البيئة التي يعيشون بها التي تجعلهم أحيانا منغلقين على المجتمعات الأخرى وتجعل بعض تلك الابتكارات لا توافق بيئتهم فيقاومونها حفاظا على أنفسهم.[1]

- **عوائق التغير الاجتماعي**

يواجه التغير الاجتماعي عدة صعوبات وعراقيل في تقبله من طرف المجتمعات والتي تختلف ردة الفعل اتجاهه من مجتمع لآخر وفقا لخصائصه ومميزاته، وعليه وحتى وإن حاولنا الإلمام بهاته العراقيل فإننا لا نستطيع لحساسية وخصوصية التغيير، وعليه فسنذكر أهم هاته العراقيل بإيجاز[2]:

- **المصالح الذاتية** إذ يؤكد أوجبرن مقاومة أصحاب المصالح الذاتية للتغير وذلك حرصا على امتيازاتهم خصوصا إن كانوا في السلطة والاقتصاد وحتى الطبقة الشعبية والعاملة مثل معارضة العمال في القطاع الزراعي للآت والتكنولوجيا الحديثة خوفا على مناصبهم.

- **العادات والتقاليد** : تعتبر بعض العادات والتقاليد القديمة المتوارثة من أبرز المعوقات خاصة إذا كان زمام الأمور بالجيل المتقدم بالسن إذ يجدون في تقاليدهم صمام الأمان لهم ولهويتهم وحفاظا على هيبتهم.

- **الخوف من الجديد وتبجيل الماضي وتقديسه:** وعادة ما يحدث نتيجة جهل بمنافع الشيء الجديد أو بالتكنولوجيا الحديثة وعليه يكون هناك التخوف من الجديد المجهول بالنسبة إليهم.

[1] www .moqatel.com : موسوعة مقاتل من الصحراء، موضوعات اجتماعية ونفسية: التغير الاجتماعي. ب. ت .

[2] دلال ملحس استيتة :التغير الاجتماعي والثقافي ،مرجع سابق ص 58

المبحث الثاني: نظريات التغير الاجتماعي

ترجع بذور نظريات التغير الاجتماعي الى القرن التاسع عشر بحيث لم تنقطع عن التطور ولم تقض واحدة على الأخرى، باستثناء النظريات الحتمية التي تكاد تكون قد اختفت تقريبا بحيث ازدادت في سيرورة تقدمها دقة وانتقلت من التفكير التأملي إلى الواقع والبراهين التاريخية. لكن ورغم كل هذا فإن أيا من هذه النظريات لم يتوصل الى كلمة نهائية في رصد ظواهر التغير وتفسيرها، ويرجع السبب في ذلك أن الواقع الاجتماعي يكشف دائما أدلة وبراهين جديدة، إذا دعمت نظرية فإنها تدحض أخرى، لهذا فإن الحديث عن نظرية للتغير الاجتماعي بجب أن يحاط بالحذر، في ضوء الحقيقة التي مؤداها أن التاريخ يمكن ان يزيف اي نظرية" .[1]

كما يعتبر تحديد وحصر مجمل النظريات التي تطرقت لمفهوم التغير الاجتماعي من أبرز الصعوبات التي تواجه أي باحث ،وهذا لصعوبة تصنيفها والفصل بينها لتشعبها وتداخلها فيما بينها.[2] وعليه سنعمد للتطرق لأبرز الإسهامات العلمية في تفسير وتحليل هاته الظاهرة بشكل مقتضب لأن ما يهمنا في دراستنا هاته بعده الإمبريقي الواقعي، وليس بعده المفاهيمي الفلسفي، والذي لا يزال محل دراسة ليومنا هذا نظرا لتشعبه واستحالة الإلمام به لارتباطه بكل ظواهر الحياة المتغيرة.

أ- النظرية التطورية:

إذ نجد هربرت سبنسر ،صاحب النظرية التطورية الكلاسيكية، بحيث يرى أن المجتمعات تتطور من البسيط البدائي إلى الأكثر تعقيدا وتقدما.[3]

---

[1] دلال ملحس إستيتية: التغير الاجتماعي والثقافي ،مرجع سابق 110

[2] محمد عبد المولى الدقس :التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق ،دار مجدلاوي،عمان،1989 ،ص 25

[3] عطاء الله النوعي :القيم البدوية بين الثبات و التغير، دراسة ميدانية على عينة من شباب مدينة القصر الحيران..2008-2007.

أما "لويس هنري مورجان": اتسم بالحتمية الطبيعية في دراسته للتغير الاجتماعي، وفي رأيه أن الخصائص المحددة لكل مرحلة هي الاختراعات التي يستخدمها الانسان لتساعده على الحياة و البقاء .[1]

بحيث أتى بأن التاريخ البشري له مراحل متعددة (المرحلة البدائية ثم المرحلة البربرية وأخيرا المرحلة المدنية أي الحضارة) بحيث أنه التخطي من مرحلة لأخرى كان نتيجة لتطور تكنولوجي في صنع الانسان، أي أن التكنولوجيا على بساطتها أو تعقيدها هي سبب التغير الذي يعتري حياة الانسان وأنظمته الاجتماعية (عبد الحليم،10:2005) وعليه فقد ربط هذا التقدم الانساني بالتقدم الأسلحة والآلات واستخدام المعادن وغيرها...وعليه فالمجتمع والثقافة يتطوران اعتمادا على تطور الوسائل المادية المستخدمة (علي،77:2005)، كما نجد أن ابن خلدون قد تكلم عن هاته التطورية والتي تتم حسبه بشكل دورة حدد من خلالها عمر الدولة بثلاثة أجيال، بحيث ان كل جيل يكون في قرابة 40 سنة وعليه فعمر الدولة يقدر ب120 سنة، تمر من خلالها بمراحل وهي: مرحلة النشأة والتكوين (البداوة) ثم مرحلة النضج والاكتمال فيها يتحول المجتمع من البداوة إلى الحضارة إلى مرحلة الهرم والشيخوخة بحيث يبلغ الترف ذروته وتنهار الدولة جرائه وهكذا دواليه...[2]

كما نجد أوزوالد شبينجلر":هو أشهر مؤسسي النظرية الدورية ، إذ يعتقد أن الحضارة تأتي من خلال دورة التغير مثلها في مثل ذلك دورة الحياة . كل مجتمع يولد ينضج ويبلى وأخيرا يموت. أما "هنري مين" فيقول أن التنظيم الاجتماعي يبدأ من القبيلة والوضع الاجتماعي وينتهي بالحرية والتعاقد.

[1] تهاني حسن في عطاء الله النوعي :القيم البدوية بين الثبات والتغير، مرجع السابق ص 249.

[2] دلال ملحس إستيتة :التغير الاجتماعي والثقافي ،ص125

لقد تم نقد هذه النظرية وذلك بارتكازها على أن التاريخ يعيد نفسه، وأن تطور المجتمعات يكون بصفة جامدة وموجهة بحيث يعتمد على تكهنات صورية تلغي خصوصية كل مجتمع عن آخر.[1]

ب- النظرية الوظيفية :إذ ترتبط أساسا بأعمال "دوركايم" الذي أنشأ نظرية كاملة على أساس التغير التكنولوجي وما أدى إليه من تزايد تقسيم العمل ،فلقد اعتبر "دوركايم" تقسيم العمل بمثابة متغير مهم في تحديد صفة المجتمع، إن كان حضري أم ريفي أو غيره...أي ينتقل المجتمع من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي.

كما نجد تالكوت بارسونز في نظريته البنائية الوظيفية، يعتبر ان المجتمع يعيش في حالة توازن من الداخل حيث يحقق أنساق علاقات منظمة ومتوازنة ،وعنما تتم بالمجتمع حالة تغير فإنه لا يفقد توازنه لأن المجتمع دائما يتكيف مع التغيرات الجديدة ويدمجها داخل بنائه ،كما قسم التغير غلى نوعان قصير المدى والذي يكون نتيجة عوامل داخلية(كظهور أفكار جديدة واختراعات)أو عوامل خارجية مثل (الطبيعة أو الحروب وغيرها...) أما التغيرات البعيدة المدى فهي تلك التي تحصل على نطاق واسع وهنا يحدث التجديد البنائي الذي له القدرة على الاستمرار والبقاء وتظهر تجديدات وتطويرات اخرى تدفع إلى آفاق جديدة من التغير.[2]

كما يضيف أن من أهم أسباب التغير عنده أنه عندما يزداد حجم المجتمع وترتفع درجة التباين فيه تظهر على الفور ثقافات فرعية تتضارب فيما بينها وتكون الغلبة للثقافة الأكثر سيطرة وهنا يحدث صراع ثم تغير اجتماعي.[3]

---

[1] نفس المرجع ص 154

[2] دلال ملحس إستيتة ،مرجع سابق 154

[3] عطاء الله النوعي :القيم البدوية بين الثبات والتغير ، مرجع سابق

ت-النظرية الاقتصادية القائمة على اساس الصراع :

يرى كارل ماركس أن التغير الاقتصادي نقطة مرجعية هامة في دراسة التغير الاجتماعي بحيث يرى أن التغير الاقتصادي هو الذي يحدث التغيرات الأخرى من خلال ميكانيزم الصراع المكثف بين الجماعات الاجتماعية. بحيث أن نظام علاقات الإنتاج هو الذي يكون البناء الاقتصادي للمجتمع وهو الأساس الحقيقي للحياة الروحية للمجتمع وتغيرها ضروري حتى يتمكن التنظيم الاجتماعي للإنتاج من أن يعيد تشكيل بناء على نحو يوافق الاقتصاد وأسلوب إنتاجه الجديد. وعليه فقد رأى ان "حوافز التغير الاجتماعي تتمثل في المقام الاول في تلك المؤشرات الاقتصادية والصراعات بين الطبقات التي تدفع الى التطور التاريخي لأنها محرك التاريخ" بحيث أنه لكل نمط انتاج نظم اجتماعية معينة تتغير إما تدريجيا او عن طريق ثورة.[1]

لقد تضمنت نظرية ماركس أنه لا وجود لجسم في حالة سكون وكل فعل له رد فعل مساو له أو مضاد له، والعالم في سيرورة ناجمة عن الصراع بين الحركة ونقيضها الموجودان في كيان واحد وعليه فالماركسية تجمع لتحديد قوى الانتاج بين عناصر ثلاث هي آلات الانتاج والأفراد المستخدمين للآلات والمعارف التقنية للإنتاج والتي تعتبر منظومة متكاملة من التفاعل التكنولوجي على المستويين المادي والمعنوي أي البشري والآلي (علي 78:2005) وعليه فالبناء الفوقي للأنظمة الاجتماعية قائم على أساس التكنولوجيا والتي تعتبر بدورها أساسا للتغير .

لقد تم نقد هذه النظرية من طرف الكثيرين من بينهم "أ.جيدنز" بحيث رأى أنه تعرض للتغير الاجتماعي من خلال اهتمامه بالرأسمالية والمجتمع الحديث اكثر من كونه تتبع واستقصاء لأطوار نمو المجتمعات.

[1] أنتوني جيدنز : مقدمة نقدية في علم الاجتماع ،ط2،ترجمة أحمد زايد وآخرون ،على مولا القاهرة ،مصر 2006 ص 80

- أما "ماكس فيبر" فقد تطرق إلى التغير الاجتماعي من خلال دراسة أصل الرأسمالية فهو يتفق مع ماركس في نظريته بأن النظام الرأسمالي يعتمد على وجود طبقتين بورجوازية وبروليتارية، لكن يختلف معه في العوامل التي تفسر طبيعة المجتمع الرأسمالي والتغيرات التي تطرأ عليه فهو يفسرها بالبناء الفوقي للمجتمع (الوعي والإيديولوجية الاجتماعية) الذي يعتبره هو أساس تحوله المادي والتكنولوجي.[1] وعليه فهو يرى أن الأفكار والقيم الثقافية والآراء هي التي تساهم في تشكيل المجتمع وتوجيه أفعاله الفردية، وهذا حسب نتائج دراسته التي قام فيها بمقارنة بين الأنساق الدينية في الصين والهند وبين الغرب من جهة أخرى اين وجد ان بعض جوانب التعاليم المسيحية قد تركت أثرها على نشوء الرأسمالية، وليس فقط تلك التغيرات الاقتصادية التي تكلم بها ماركس وعليه فإن للدين والقيم أثر قوي على التغير الاجتماعي.[2]

ث-النظرية التكنولوجية

يعد وليام أوجبرن من أهم رواد هذا الاتجاه، إذ انصبت دراسته على العلاقة بين الاختراعات والتغير الثقافي، كما أنه لم ينكر أثر العوامل البيئوية والطبيعية والبيولوجية في تغير المجتمع لكن ليس بحدة العوامل الثقافية أو الاختراعات[3]، (كما أنه يقصد بالاختراع خلق واكتشاف عنصر أو سمة ثقافية جديدة) فيحدث التغير الاجتماعي عند تبني أو إدخال المجتمع لهذا العنصر الجديد، وهاته التراكمات هي التي ستكون لنا فيما بعد التغير الثقافي الذي يعد التغير الاجتماعي جزءا منه.

وفي هذا الطرح يقول "ماكيفر" أن التغير السريع لمجتمعنا يعتمد على درجة نمو أساليب فنية جديدة واختراعات جديدة وأساليب ومستويات جديدة للإنتاج.

---

[1].عطاء الله النوعي : نفس المرجع السابق ص 262

[2]أنتوني جيدنز، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، مرجع سابق ص 81

[3]عطاء الله النوعي: نفس المرجع السابق ص 264

رأى "أوجبرن" مع "تيماكوف" بأن أفضل الطرق لدراسة التغير هو الأجزاء الأخرى من الثقافة وذلك بتتبع أطوار الثقافة عن طريق دراسة التغير التكنولوجي المادي. بمعنى أن التغير الاجتماعي الذي يحدث في الثقافة المادية يكون أسرع من التغير الذي يحدث في الثقافة اللامادية مما يؤدي إلى حدوث ما يسمى بالفجوة أو الهوة الثقافية culturel lag والتي تنتج تعصبا لنزعة الحفاظ على كل ماهو قديم وجهل بحقيقة الاختراع ،فتصبح هاته الأخيرة مصدرا للضغوطات والصراعات.[1]

تعتبر نظرية "أوجبرن" صادقة نوعا ما إذا ما تم إسقاطها على المجتمع الأمريكي بحيث انه حدثت بها تغير تكنولوجي فائق السرعة مقارنة بالتغير القيمي الذي تسير وتيرته ببطئ.

ج-النظرية التطورية الحديثة (فوكوياما)

بحيث امتازت بعدم تركيزها على الحتمية التاريخية ولا أحادية التطور وغيرها ،لكنها جاءت تخدم فكرة الصراع والتفوق الغربي والتي نذكر منها نظرية "نهاية التاريخ" والتي قدمها الأمريكي "فرانسيس فوكوياما "سنة 1989 ،والتي استوحاها من فكرة "هيجل" حول الرغبة في الاعتراف والتقدير ،وهي الفكرة المحركة للتاريخ في نظره، بحيث ينظر "فوكوياما" أن الديمقراطية الليبرالية المعاصرة التي تمثلها أمريكا قد نجحت في إلغاء فكرة العلاقة بين السادة والعبيد والتي كانت موجودة بشكل أو بآخر في النظم السياسية الأخرى، بحيث أن هاته الليبرالية خلقت رغبة عقلانية في الاعتراف بالدولة أو الفرد على أساس المساواة ،وقد حلت بذلك مشكلة الصراع التاريخي من خلال قيمة المساواة، وهي بذلك تكون قد أوقفت التاريخ عن الحركة لأن المجتمعات بنظره تتكون بالطريقة نفسها لتصل الى نفس النهاية، وليس ثمة هناك مجال للتطور بعد هاته الديمقراطية الليبرالية لهذا اطلق عليها "نهاية التاريخ" [2]

[1] الدسوقي عبده ابراهيم: التغيرات الاجتماعية والوعي الطبقي، تحليل نظري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية،2004 ص 24-25.

[2] دلال ملحس إستيتة: التغير الاجتماعي والثقافي، مرجع سابق ص185

أما بشأن تقييم هاته النظريات من طرف العلماء ، فقد تم النظر إليها على أنها نظريات متحيزة تميل إلى تعزيز أفكار معينة، إما بإبراز تفوق شعب من الشعوب أو نظام معين، وهذا ما جعلها تولد بعض الصراعات وتجعلها عنصرية نوعا ما.[1]

وعليه فإن الخوض في أحقية نظرية عن أخرى أو نجاعتها، يبقى مستحيل ،لأن كل واحدة منها هذه النظريات اتت بشق مهم يؤثر في عملية التغير الاجتماعي، التي هي كل مركب يبنى و ينتج عن طريق تفاعل كل العناصر أو العوامل، التاريخية و الثقافية و الاقتصادية و التكنولوجية.

ح-التغير الاجتماعي و التغير الثقافي:

حدده "معن خليل" التغير الثقافي، على أنه يشر إلى ظهور صفات جديدة ومركبة تمثل الجوهر الثقافي، ويعني التبدل في عناصر الثقافة المادية والمعنوية (أي التبدل في المعرفة والأفكار والأخلاق والآلات والتكنولوجيا...[2]

لقد اختلفت آراء الباحثين حول وجود فرق بين التغير الاجتماعي والثقافي أو عدمه، فمنهم من اعتبره ناتجا من مشكاة واحدة، مثل "ماكيفر" يقول بأن: الثقافة في نظر بعض العلماء تختلف عن المجتمع من حيث البناء الاجتماعي الذي يكون لب الدراسة في علم الاجتماع وخصائصها تختلف عن خصائص الثقافة، بحيث أن دراسة التغير الاجتماعي تنصب أساسا على العلاقات الاجتماعية البعيدة عن الثقافة.

أما الاتجاه الآخر الذي نجد "مالينوفسكي" قد اعتبر أن التغير الثقافي هو العملية التي يتغير من خلالها النظام القائم في المجتمع من جميع جوانبه المادية والروحية، إذ يعطي هذا الاخير العمليات البطيئة أو السريعة التي تعدل من القانون السياسي في المجتمع ونظمه

---

[1] دلال ملحس إستيتة: نفس المرجع السابق

[2] معن خليل ،التغير الاجتماعي ، دار الشروق للنشر و التوزيع ط 1 عمان 2004، ص70-71.

المحلية وأشكال الاستقرار الإقليمية فيه ومعتقداته ونظم المعرفة والتربية والقانون بالإضافة إلى الأدوات المادية واستعمالاتها واستهلاك السلع التي يقوم عليها اقتصاده الاجتماعي .[1]

وهناك من ينظر إلى كون التغير الاجتماعي منضو ضمن التغير الثقافي الذي يضم الجانب المادي واللامادي من المكون الثقافي، وبما أن في نظرهم التغير الاجتماعي يمس الجانب اللامادي للمجتمع، من بناء اجتماعي ووظيفة و علاقات وقيم وغيرها فإن كل تغير اجتماعي هو تغير ثقافي وليس العكس بصحيح.[2]

كما أن طبيعة التغير الثقافي ووتيرته تختلف من مجتمع لآخر، فهناك من يكون بسبب التثاقف أو بمعنى ناتج عن تفاعلات خارجية بين الأفراد تتم بتبادل الثقافات وتأخذ شكلا تطوريا، كما يمكن أن يكون اتباع أعمى كما من خلال تبني قيم ثقافية خارجية لمجتمع متطور ما، يطلق عليه حاليا بعولمة الثقافة، وغالبا ما تتبناها الدول المتخلفة ،كنوع للمحاولة منها للخروج من حالة التخلف تلك، كما يذكر ابن خلدون ان المغلوب يكون مولع باتباع ثقافة الغالب، وهناك من يكون قهريا وهذا تحت وطأة استعمار، أو وذلك بفرضه لثقافته قهرا وما يسمى بالاقتلاع الثقافي والذي يسعى من خلاله المستخرب إلى فرض ثقافته وقيمه وعاداته قصرا على المجتمع وعلى حساب الثقافة الأصلية للمجتمع، بحيث هنا تظهر فعالية الهوية في مواجهة هذا الاقتلاع الثقافي كما حدث مع الجزائر خلال الاستعمار الفرنسي، من خلال محاولتها طمس الثقافة الجزائرية عن طريق محاربة اللغة العربية والإسلام ومبادئه التي كانت قائمة عليها ثقافته، من خلال غلق المدارس العربية والقرآنية والزوايا التي كانت مؤسسات تربوية وتعليمية وتثقيفية، مقابل الإبقاء على تلك التي تنشر الخرافات والشعوذة والجهل والخضوع، وكذا من خلال فرض اللغة الفرنسية كآداة للتعليم والتواصل، غيرها من الوسائل ... والتي من خلالها كانت تسعى إلى صناعة مجتمع خاضع بهوية تابعة لها،

2مصلح الصالح :التغيرات الاجتماعية وظاهرة الجريمة ،عمان مؤسسة الوراق 2005.ص ص 54-55.

[2]فهد عبد الرحمان الخريف محتوى التغير الاجتماعي، مرجع سابق ب.ت.

تسخره لخدمة وطنها الأم فرنسا. وعليه فقد استعانت بوسائل ذات طابع ثقافي لنشر قيم ثقافية استعمارية من أجل إحداث تغيير اجتماعي جذري يخدمها.

خ- التغير الاجتماعي و التحضر

يرى "روث سمنر" أن التحضر عملية تغير اجتماعي معقدة تؤثر في البلاد بعامة وتمتاز بخلق المراكز الحضرية الواسعة بالهجرة أو الإقامة المؤقتة والدائمة للعمال في المدن مع تزايد عدد الناس المتدفقين من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية.

بحيث يلعب التحضر دورا مهما، فهو يمكن أن يكون سببا من أسباب التنمية بسبب الحراك السكاني نحو المدن وتجميع الفئات ذات المستوى المهني والعلمي العالي وبالتالي يرقيها اجتماعيا واقتصاديا، مبرزا علاقات اجتماعية تواكب الحياة الحضرية ويخلق نمطا من الحياة الثقافية باستعمالهم لوسائل الاتصال الحديثة والرغبة في مواكبة الشباب للتطور..."[1]

كما يستطيع أن يكون عاملا من عوامل التأخر والتقهقر، بحيث أن التحضر الناتج عن النزوح الريفي والذي عادة ما يتم بطريقة عشوائية بحيث أن تلك الوفود لا تكفيها موارد المادية والمعنوية للمدينة وهذا ما يساهم في انتشار القصدير والبناء العشوائي الذي تميزه ثقافات هجينة متصارعة. كما حصل بالقصبة تماما والذي يرجع أساسا لمخلفات الاستعمار الفرنسي الذي استنزف خيرات الأرياف ثم احرقها وشرد أهلها، محطما بذلك قيمها القبلية القائمة على أساس التعلق بالأرض و التكافل الاجتماعي، مما جعلهم ينزحون الى المدن بحثا عن العمل والسكن، مما تسبب في اكتظاظ كبير بها، أرغمهم على السكن بالصفيح والأكواخ، وهذا ما كان سببا في إحداث تغيير على بناء المجتمع الحضري وبروز قيم هجينة بين الريفية والحضرية، أضرت بالمدينة وعرقلت من وظيفتها الحضرية، و في هذا السياق كان من ضمن النتائج التي توصل إليها فارق بن عطية في دراسته للاندماج الحضري

[1] الدسوقي ابراهيم عبده :التغير الاجتماعي والوعي الطبقي ، دار الوفاء للطباعة والنشر،الإسكندرية.2004.ص 44.

بمدينة الجزائر (القصبة خاصة) باعتبارها عرفت نزوحا كبيرا بحيث وجد أن:" بقايا النمط المعيشي الريفي لا تزول إلا تدريجيا، فسيرورات التغير تبدأ ما إن يقيم النازح بالمدينة"[1] . وهذا ما سنتطرق إليه بالتفصيل لاحقا، في المبحث الخاص بمظاهر التغير الاجتماعي بالقصبة.

وعليه ومن خلال كل هذا نستطيع ان نقول أن كل من التغير الثقافي والتحضر يصبان في وعاء واحد وهما عمليتان تستهدفان المجتمع، و بغض النظر عن شمولية واحد للآخر (بالنسبة للتغير الثقافي والاجتماعي) ، فإن الغاية هي واحدة وهي إحداث تغيير بالمجتمع بحيث تعتبر المدينة أهم مظهر لبروزهما، هذا ما تؤكده الباحثة Francoise Bouchenine في قولها انه يمكن قراءة التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية على المجالات الحضرية"[2].

د- بعض الدراسات التي تعرضت للتغير الاجتماعي بالجزائر

تشكل الدراسات السابقة دعامة أساسية من دعائم المنهجية العلمية، وبالتالي تصبح عنصرا اساسيا من عناصر البحث العلمي تمكن الباحث من تكوين خلفية نظرية عن موضوع دراسته.[3] لذا اخترت بعض الدراسات التي تطرقت لموضوع التغير والتي رأيتها تصب في منحى حضري أذكر منها:

- دراسة محمد السويدي: مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري

بحيث تساءل في دراسته هاته عن ما إذا كنا أمام ظاهرة للتحضر أم للتريف، ووفقا للتحليلات الإحصائية لظاهرة النمو الحضري في الجزائر، ألا يمكن اعتبار ظاهرة النمو

---

[1]BENATIA Farouk : Alger agrégat ou cité, l'intégration citadine à Alger, SNED 1980P17.

[2]BouchenineF. N : les espaces publiques dans les villes maghrébines في قيس النوري ،استعمال المجال العام في المدينة الجزائرية ، مرجع سابق ص 125

[3]أحمد بن مرسلي: مناهج البحث العلمي في علوم الاعلام والاتصال ،ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2 ،2004 ص 86.في بليفة ميلود: صورة الغرب في المخيال الثقافي والاجتماعي للشباب الجزائري. ص48

الحضري وبشدتها الحالية عملية تريف في الأساس وليست تحضر؟ خصوصا إذا علمنا أن هذه العملية ترتبط الى حد كبير بالأصل الريفي للسكان إلى جانب سكان الحضريين هم في الأساس لا يتمتعون بتقاليد حضرية عريقة.

كما تطرق الى فكر مالك بن نبي حول التخلف والتحديث، فوجد أن مشكل التخلف في البلدان العربية والشرقية هو مشكل نفسي (نتيجة الاستعمار والشخصية الموروثة التي تتنافى مع الأوضاع الاقتصادية التي حددتها الحضارة الغربية، وكذلك عامل الزمن (الغرب: الآلات و اختصار الحركات والجهد المبذول بآلة أما الشرق، فلا تزال النشاطات بأدوات تقليدية.[1]

-دراسة فارق بن عطية :

بحيث طرح فيها تساؤله حول: هل تؤدي مدينة الجزائر وظيفة المدينة؟ آخذا بذلك القصبة كنموذج، لأنها عرفت بعد الاستقلال افواجا من النازحين الريفيين، لذا فقد اعتبرت اول محطة لهم تبين اندماجهم أو فشلهم في العيش بالمدينة الجزائر .

بحيث كان من أهم ما وصلت إليه نتائج دراسته: أن سيرورة الاندماج الريفيين تكون بطيئة وبتعاقب الأجيال ويستحيل أن تتحقق عند جيل واحد، كما ان الاندماج بها يكون جزئي مرتبط بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي لكل فرد وللجماعة التي ينتمي إليها، وكذا أن الاندماج يتم وفق مراحل، يساهم فيها التسكن، وسلوك الإقامة في تعزيز ذلك من خلال الزواج وتكوين علاقات اجتماعية و جوارية. [2]

---

[1] محمد السويدي :مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر ،ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية ،بن عكنون ،الجزائر 2005 ،ب. ت.

[2] [2]BENATIA Farouk : Alger agrégat ou cité, l'intégration citadine في سليماني جميلة : علاقة الفضاء المنزلي بالصحة النفسية لدى السكان بأحياء القصبة، أطروحة دكتوراه 2008 -2009 ص 35

- **دراسة بليفة ميلود: صورة الغرب في المخيال الثقافي والاجتماعي للشباب الجزائري.**[1]

بحيث حاول الوقوف بها على تصورات الطلبة للغرب و تمثلاتهم له وتحديد مرتكزاتها مع مقاربتها بواقعنا الاجتماعي الثقافي مما يساعدنا على فهمه فهما عقلانيا ،وبالتالي يبين لنا كيفية التعامل مع الغرب تعاملا متناغما مع مجرى هذا الواقع.

أما نتائج بحثه فقد تلخصت في ما يلي :

– التغيرات السوسيو ثقافية التي شهدها ويشهدها المجتمع الجزائري ،تغيرات لا ترجع في شموليتها إلى عملية التغير المصاحبة للصيرورة الطبيعية للمجتمع الجزائري في محيطه الجغرافي وانتمائه هناك تغيرات على مستويات عدة اجتماعية، ثقافية ، فكرية وفنية ...ذات المرجعية الثقافية الحضارية الغربية ،والتي أصبح لها مفعولها على هوية المواطن الجزائري عامة والطلاب الجامعيين كذلك.

– ظهور مفعول هاته التغيرات على مستوى النظرة والتصورات والمواقف وردود الأفعال الطلابية اتجاه العالم الغربي ،كفضاء خارجي وللمواطن الغربي صاحب هذا الفضاء.

– مجمل التغيرات الكمية والكيفية الحاصلة على المستوى الثقافي والاجتماعي والمرتبطة بالمجتمعات الغربية إلى جانب أخرى مستعارة نتيجة عوامل عدة ،كلها ظلت تحتفظ بمرجعيتها الغربية داخل النسق الثقافي الاجتماعي العام ،كما أصبحت تسهم في تشكيل ثقافة غربية دخيلة "ثقافة برانية" في تنام مستمر، مما جعلها نستنتج أن الطالب الجامعي أصبح لا ينظر للغرب بمنظار ثقافي اجتماعي جزائري خالص ،بل بمنظار ثقافي تشارك فيه الثقافة الغربية الدخيلة (تلوث ثقافي) مما جعل التصورات والصور المخيالية والأفكار الناجمة عن هذا الأخير ،تعرف انحراف مقارنة بتلك التي أفرزها المخيال الجمعي الجزائري المرتبط بالأجيال السابقة التي نظرت للغرب وتعرفت عليه في ظروف ومعطيات مغايرة .

[1] بليفة ميلود :صورة الغرب في المخيال الثقافي والاجتماعي للشباب الجزائري، طلبة جامعة تلمسان نموذجا، أطروحة دكتوراه في الأنثروبولوجيا جامعة تلمسان 2014.

-دراسة رشيد زوزو: الهجرة الريفية في ظل التحولات الاجتماعية الجديدة في الجزائر [1]

سلط الضوء في دراسته هذه إلى ظاهرة الهجرة بالجزائر في ظل التحولات المجتمعية في المرحلة الممتدة من 1988 إلى 2008، مبرزا بذلك، دوافع وعوامل الهجرة والآثار الاجتماعية والثقافية للهجرة على المجتمعين المحليين، الريفي والحضري وكذا على المهاجر وأسرته. بحيث كشف في نتائج دراسته عن مايلي :

- الخصائص الاجتماعية للمهاجرين من خلال خصوصية وواقع المجتمع الجزائري في ظل التحولات الاجتماعية.
- الأنماط الهجرة وأشكالها وفق عدة مستويات منها: السيكولوجية والاجتماعية وغيرها.
- عوامل الهجرة الريفية ودوافعها والتي كان للعامل الاقتصادي التأثير الأكبر ليأتي بعده العامل الاجتماعي.
- نتائج الهجرة وآثارها على جميع المستويات والأصعدة على المستوى الحضري المستقبل والريفي الطارد.

-دراسة ليلى بلعيفة: التغير القيمي السوسيو ثقافي في المدينة الجزائرية، المظاهر والأبعاد.

بحيث تعرضت لأشكال التغير القيمي في المدينة الجزائر، الذي تقول فيه أنه نجم تغير مكونات البناء الاجتماعي والثقافي، وتنوع الظروف المادية والمعنوية، واختلاف المراحل التاريخية التي يمر بها المجتمع الجزائري والتي ساهمت في ظهور أشكال قيمية متباينة تعكس الصراع القيمي الموجود والمتمثلة في ثلاثة أشكال متباينة: تقليدية، عصرية، دخيلة. تقليدية، بما تضمه من قيم التضامن والتسامح والتعاون وبما حوته من خصائص التنظيم

[1] رشيد زوزو: الهجرة الريفية في ظل التحولات الاجتماعية الجديدة في الجزائر 1988-2008،أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع ،جامعة قسنطينة، 2008

الاجتماعي والمجالي للمدينة الجزائرية كالحومة والجوار وغيرهما...أما بشأن القيم العصرية فقد أرجعتها إلى تلك القيم القادمة من الغرب وظهور النزعة الفردانية من خلال البحث عن الاستقلالية وتغير نمط العلاقات الاجتماعية كالتعارف قبل الزواج وغيرها...أما القيم الدخيلة فقد اعتبرتها الباحثة قيما هجينة سرع في ظهورها ضعف منظومة القيم التقليدية أمام تأثير العولمة وضعف انتقال القيم من مؤسسات التنشئة الاجتماعية من الأجيال القديمة إلى الأجيال الجديدة .

وعليه فقد خرجت الباحثة بأن ما تشهده المدينة الجزائرية هو حالة من اللاتجانس القيمي التي تعانيها هذه الأخيرة (بين التقليدية والعصرية). وأن المدينة ليست هي من يدمج القادمين الجدد إليها، ولكن القادمين الجدد هم من يعطي للمدينة الصورة التي تتوافق مع قيمهم و ذهنياتهم.[1]

- دراسة جيماوي نتيجة: آثار العلاقات القرابية على الاندماج الاجتماعي ببسكرة

بحيث سعت من خلالها إلى توضيح وكشف طبيعة العلاقات الاجتماعية للنازحين الريفيين ببسكرة نظرا لانتشار التكتلات المجالية للجماعات القرابية بها وتأثيرها على طبيعة العلاقات الاجتماعية لهذه الجماعات التي بقي أغلبها منغلق داخل شبكته القرابية وأعاق اندماجهم الاجتماعي الثقافي داخل هذا الوسط الحضري. بحيث خرجت من هاته الدراسة بالنتائج التالية:

- تتسم الأسر المهاجرة إلى مدينة بسكرة بالأحياء المدروسة تتسم بالازدواجية في علاقاتها ،وهذا بين العلاقات القرابية داخل الوسط الحضري وسطهم الأصل وبين العلاقات الجديدة خارج شبكتهم القرابية لأن أغلبية علاقات هذه الأسر النازحة هي مع بني قرابتهم وذويهم

[1] دراسة ليلى بلعيفة: التغير القيمي السوسيو ثقافي في المدينة الجزائرية ،المظاهر والأبعاد، جامعة فرحات عباس سطيف. بموقع عمران نت 2009

سواءا بالمدينة أو بالريف، وبالتالي ورغم ما تفرضه الحياة الحضرية من تعاملات وعلاقات بمختلف مرافقها ومجالاتها ،نجد أن عامل القرابة يطغى على وضعية التجمعات القرابية بالأحياء المتواجدة على أطراف المدينة كأحياء منطقة "العاليا" المدروسة في خضم التغيرات المختلفة التي تشهدها الأوساط الحضرية بالجزائر، كما تساءلت الباحثة عن وضعية القرابة المستقبلية وانعكاساتها الاجتماعية بمدينة بسكرة.[1]

[1] جيماوي نتيجة: آثار العلاقات القرابية على الاندماج الاجتماعي، أطروحة ماجستير ،جامعة محمد خيضر بسكرة، 2010.

المبحث الثالث: مظاهر التغير الاجتماعي بالقصبة

تعتبر مدينة القصبة النواة الحضرية للجزائر قديما، وكذلك من أبرز المدن التي ظهرت بها معالم التغير الاجتماعي بصفة عنيفة وجذرية، وهذا نتيجة تغير مكونات بنائها الاجتماعي والذي كان هو بدوره نتيجة عدة عوامل: تاريخية كالاستعمار الفرنسي الذي هدم جزءا كبيرا منها بغرض القضاء على الهوية الوطنية من خلال دحر هوية عمرانها الاسلامي والحضري، ولم يكتف بذلك فقط بل فرض عليها طوقا من التهميش والعزلة، من خلال حرمانها من المشاريع الحضرية للجزائر وحط مكانتها من مدينة إلى حي لكي لا تستفيد من أي مشروع حضري [1] جاعلا إياها أشبه بمعسكر لحشود الفقراء والأهالي، بعد أن كانت مقر السلطة بالعهد العثماني، والتي وللأسف واصلت سياسية ما بعد الاستقلال السير على نفس المنوال و حتى إن لم تكن تقصد الإضرار بها، وذلك من خلال سياساتها الحضرية المخصصة لكبريات المدن دون الالتفات للمدينة القديمة من خلال ترميها أو إخراجها من ماهي عليه من تهميش وتخلف. أما الديمغرافية، وذلك من خلال هجرة تلك الوفود النازحة من الأرياف صوب القصبة، الحي الذي يمكنهم من العيش بالمدينة بأقل التكاليف ويوفر لهم فرص العمل، الأمر الذي ضاعف من تعداد سكانها وسبب ضغطا كبيرا على دويراتها التي لم تعد تتحمل ذلك العدد الهائل من المستهلكين لها بشكل عشوائي، بعيدا كل البعد عن هندستها الراقية واسلوب استهلاكها الحضري، أما الاقتصادية من خلال اختفاء أسواقها وصاباتها المتخصصة بكل حرفة للانهيارات المتتالية وكذا برحيل أصحابها وأمنائها، وكذا من خلال تخلي سكانها عن الصنائع والحرف التقليدية، كالنحاس والجلود والطرز و الحلي وغيرها... والتي كانت بمثابة الاقتصاد المحلي للمدينة لصالح الأسواق العشوائية أو ما يعرف "بالدلالات"، والتي ساهمت في انتشار عدة آفات اجتماعية: كالسرقة والغش، والعنف وانتشار الاتجار بالمواد المخدرة وغيرها... تحت غطاء تأمين لقمة العيش. و عليه فتظافر

[1] إشبودان العربي :مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، دار القصبة للنشر، الجزائر ،2007 ص 192

كل هاته العوامل على القصبة حولها و صيّرتها لما هي عليه حاليا، من تخلف وتهميش على عديد المستويات ،اجتماعيا ثقافيا واقتصاديا وحتى على مستوى الذاكرة الجمعية لسكانها الحاليين أو من خلال نظرة المجتمع المديني إليها أو غيرهم. لذا أردت تسليط الضوء على بعض من مظاهر التغير الاجتماعي بالقصبة من خلال عدة مستويات.

أ-على مستوى مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة،المسجد، الزوايا)

لقد لعبت مؤسسات التنشئة الاجتماعية بالقصبة دورا كبيرا في بناء الهوية الحضرية لساكنيها وغيرهم من الوافدين إليها، وهذا من خلال اكسابهم للقيم والمعايير و القواعد الخاصة بالسكان والمجال الواجب اتباعها وهذا من أجل دمجهم في محيطها الحضري و المديني ليتمكنوا فيما بعد من التكيف مع المجال والمجتمع ليواصلوا هم دورهم في تنشئة الاجيال القادمة. وعليه سنبدأ بأول مؤسسة، وهي الأسرة بحيث كانت أغلب الأسر التي تعيش بدويرات القصبة هي أسر ممتدة متكونة من الجد والجدة وباقي فروعهم من أبناء وأحفاد نظرا لاتساع مجال الدويرات التي كانت كل عائلة تشغل دويرة تسمى باسم العائلة أو صاحبها الأول، وعليه فقد استطاعت بتركيبتها هاته أن تنقل التراث الحضري والثقافي للقصبة وان تحافظ عليه من خلال نقله وتوريثه ابا عن جد فالكل كان يربي الجد، العم، الأب ،الأم وحتى الجار الذي سنتكلم عنه وعن مكانته لاحقا، وهذا من خلال تشريبهم للعادات والتقاليد الاجتماعية الحضرية العريقة لها وكذا من خلال تلقينهم لأسلوب العيش بالطريقة التي تتماشى وهندسة الدويرات التي لكل ركن منها وظيفته الخاصة ، وكذا للفنون والحرف التي تعبر عن رقى المستوى الثقافي لها ، التي من خلالها تضمن بذلك إعادة بناء لممارساتها الاجتماعية والثقافية داخل ومن خلال ومع مجالهم.

أما بشأن ثاني مؤسسة كان لها الدور الفعال في التنشئة الاجتماعية والدينية للأفراد فقد كانت تلك المدارس والمساجد والزوايا ،والتي كانت تقوم بدورين التربية أولا ،وذلك من خلال تلقين أبناء المدينة تعاليم الدين السمحة وآداب المعاملة والأخلاق الفاضلة ثم التعليم، من خلال تدريس الكتابة والقراءة والحساب ،لتتطور العلوم بالتدرج الدراسي للطالب. لتخرج نخبة من

العلماء والائمة والأولياء والادباء والفنانين أمثال عيسى الثعالبي، يحى الشاوي، عبد الرزاق بن حمادوش، محمد بن شنب وغيرهم ،أما الآن فلا نكاد نجد ما نتحدث عنه بخصوص هاته المؤسسات، فبحكم مغادرة العائلات القديمة بالقصبة لدويراتها والملقنين لثقافتها الحضرية، وتحول العائلات الممتدة إلى أسر نووية لكل منها غرفة أو اثنتين بالإيجار، وبذلك غياب المالك أو "كبير الدار"، موازاة مع توافد موجة من الأسر الوافدة والنازحة من كل حدب وصوب إليها، وعليه بتعدد الأسر المقيمة بالدويرة الواحدة وباختلاف ثقافات وعادات وتقاليد كل منها، ومع تقلص المربين والملقنين، جعل من دور الاسرة التربوي والتثقيفي يتراجع إن لم نقل يغيب، فانحصر بذلك دور تلك الأسر النووية فيتامين لقمة العيش لها ولأبنائها، نظرا لصعوبة ظروفهم الاجتماعية، البطالة وأزمة السكن الخانقة والاكتظاظ المريع الذي يعيشونه داخل الغرف ... ما جعل هم كل واحدة منهم تبحث عن حلول لمشاكلها ولأولادها خارج نطاق العائلة الكبيرة، إذ ليس لديها الوقت للبحث في تعليمهم وتلقينهم لإتيكيت القصبة التي تخلى عنها سكانها الأصليين الذين شهدوا عصرها الذهبي ناهيك عنهم الذين وجدوها تحتضر وسط ظروف أقل ما يقال عنها انها مزرية.

أما بشأن المساجد والمدارس والزوايا، إذ وبعد غلق ما تم غلقه من طرف الاستعمار الفرنسي لإفقاد الشعب هويته و لجعله يعيش في أمية وجهل تسمح له بالسيطرة عليه بإحكام، بحيث ترك فقط تلك الزوايا التي كانت تحث على الاستسلام والخضوع للأمر الواقع، بنشرها للخرافات وطقوس الشعوذة. و برحيل أئمتها ومدرسيها وشيوخها، وانهيار ما تبقى من مقراتها بوقوعها أسفل دويرات القصبة المهترئة تلاشى دور هاته الاخيرة وغاب وسط الانجراف نحو التقدم باكتفاء السكان بالمدارس الأكاديمية، مهملة بذلك الشق التربوي الديني الذي كانت تغطية هاته المساجد والزوايا وعليه ومن خلال كل هذا، نستنتج أن دور هاته المؤسسات في التنشئة الاجتماعية بدأ يتلاشى في إطار كل هاته التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وكذا التكنولوجية من خلال سعيها لمواكبة العصرنة عن طريق التقليد الأعمى والاستهلاك من دون انتاج أو على الأقل إعادة انتاج للمحتوى الاجتماعي والحضري العريق للقصبة.

ب- على مستوى علاقات الجوار ورمزية الحي

تعتبر علاقات الجوار من أبرز المؤشرات التي يمكن أن نقيس بها حضرية الساكن من عدمها في المدن، وهذا لما تعبر عنه من وضعيات اندماج واستقرار أو نقيضهما، وعليه وبما أن القصبة حققت وبامتياز هذه الوظيفة (الادماج) من خلال تقديسها لعلاقات الجوار الذي كان يعتبر الجار على حد تعبير شريفة حجيج "الأخ الاجتماعي لجاره الذي يعرف عليه كل صغير وكبيرة"، وله من الحقوق والصلاحيات لكي يحل محل جاره الغائب من خلال السهر على تأمين بيته وأهله مرتكزة في ذلك على المبادئ الاسلامية التي تنص على حق الجار على جاره ، لدرجة أنه كان يمكن لأحدهم التنقل لمنزل جاره عن طريق السطح.

وكذا من خلال إعطائهم الحي لقدسية كبيرة بحيث كان يمثل مجال حميمي شبه عائلي وهو بمثابة الملجأ الآمن للاحتماء به ..."[1] على حد وصف Jaque BERQUE والذي يعتبر امتدادا للمنزل، وفق هندسة اجتماعية قبل ان تكون معمارية، بحيث كان يكفل حق كل ساكن وزائر إليه، يحدد له واجباته في إطار راق يعكس أخلاق وتعاليم المجتمعات الاسلامية بحيث كان الانتماء للحي يعتبر كبطاقة تعريف لساكنه، يخوله صلاحيات الدفاع عنه وعن ساكنيه ويمنحه حقوق الأمن والأمان والاحترام، وهذا ما يفسر تصميمها بشكل دروب وممرات ضيقة والتي كان من أهم أسرار معمارها، الحفاظ عل الحياة الشخصية لساكنيه .

أما حاليا فنجد أن قدسية الجار ورمزية الحي، بدأت تتلاشى باعتبار أن أغلب السكان الحاليين للقصبة هم من الوافدين الجدد والنازحين، من كل المناطق سواءا الداخلية او ضواحي المدن، مختلفي الثقافات والمرجعيات لا تربطهم أي سمات اجتماعية وثقافية مشتركة، بحيث أن قاسمهم المشترك الوحيد هو الدويرة وظروفهم القاسية بها، لذا ترى أن كل

[1] ICHEBOUDENE Larbi : l'Intégration Citadine, à propos de la difficulté d'être Algérois, in la ville dans tous ses états, revue de réflexion, casbah ,1998

ساكن منهم يسعى التأقلم مع ضيق غرفته اكثر منه مع جاره، هذا ما حول علاقاتهم متوترة يشوبها الصراع حول المجال أو الانغلاق على النفس لتفادي المشاكل التي قد تنجم عن الاحتكاك ببعضهم البعض ما أحدث قطيعة بين الجار وجاره .

أما بالنسبة لرمزية الحي والانتماء له فقد تراجعت كثيرا، بسبب تحول معظمها إلى مكبات للنفايات و الأردام المنازل المنهارة و المهترئة، وكذا مرتعا للشجارات والنزاعات بين شباب مختلف الأحياء الأخرى فيما بينها، بحيث صارت كل فئة تترصد للأخرى بحجة أنها دخيلة ولا تستحق العيش باحترام داخل القصبة، ضف إلى أن البعض منها صار بمثابة المتنفس للشباب لقول كل ما لا يقال بمنازلهم، ما أحدث قطيعة بين المنزل والحي، وعليه فقد صار يسأل عن اسم الحي من طرف الزوار من أجل تقدير خطر الولوج له من عدمه اكثر من كونه سؤالا بريئا للتعارف بعد ان كان يعد رمز مفخرة لساكنيه.

ت- على المستوى الثقافي (القيم، العادات والتقاليد)

حسب "مور"W.Moor ،تغير القيم شرط ضروري من شروط التغير، أما "مانهايم"، يقول أن الأفكار لا تنبثق إلا عن طبيعة روح العصر، تلك الروح التي تتمخض عن سائر العمليات التاريخية والثقافية القائمة في البناء الاجتماعي.[1]". ولأنه ولدراسة البناء والقيم لابد من السياق السوسيو تاريخي، نستطيع أن نقول أن القصبة حدث بها تغير كبير على مستوى القيم وكان للأسف تغيرا تراجعيا سلبيا، متأثرا بالمراحل التاريخية والاجتماعية والثقافية والسياسية مر بها، إذ اصبحت حاليا تشهد تنوعا ومزيجا قيميا، فمن القيم التقليدية المدينية التي كانت مبعثا للاعتزاز وافتخار سكانها والسمة الغالبة لسكانها، يكاد الآن حاملوها يحسبون على الأيدي لرحيل أغلبية السكان الاصليين، إذ وحتى الباقون منهم انغلقوا على أنفسهم وفضلوا أن يحتفظوا بها لأنفسهم ليجعلوها آلية للتمايز الاجتماعي والحضري لهم بين السكان، بحيث طغت القيم الريفية التقليدية، التي أتى بها السكان النازحين من الأرياف والذين تشبثوا بها

[1] ليلى بلعيفة: التغير القيمي السوسيو ثقافي في المدينة الجزائرية ،المظاهر والأبعاد ،جامعة فرحات عباس،سطيف،2009

للفراغ القيمي المديني أن صح التعبير ،الذي وجدوه بالقصبة والناتج عن تدهور حالتها ماديا ومعنويا، ضف إلى أنهم لم يجدوا الملقنين للقيم المدنية، كما أن الثلة الباقية منهم أصبحت تنظر اليهم بازدراء ،هذا ما جعلهم يحرصون على قيمهم الريفية كوسيلة لفرض نفسها و لكسر الحصار المفروض عليها، بحصرها هي كذلك علاقاتها مع مثيلاتها، وظهر ذلك من خلال (إقامتها لأعراسها واحتفالاتها حسب تقاليد أصولها الجغرافية ،كما أن ارتباطاتها كانت أولية قائمة على اساس القرابة)، أما بالنسبة للقيم العصرية التي وجدناها سائدة لدى البعض من سكان القصبة فكانت نتيجة أولئك الوافدين من أنحاء العاصمة بحكم احتكاكهم و تأثرهم بالمدينة العصرية الجزائر وسط "الكولونيالية سابقا " لذا فقد تميزت هاته القيم بالتحرر والفردانية، مما سبب لها نقدا لاذعا من طرف الجيل القديم سواءا المديني أو الريفي، وذلك لما قد تشكله من انسلاخ عن الهوية الوطنية بشكل عام، ومن أهم مظاهر هذه القيم (تفضيل اللباس العصري الغربي ، تقاليد الزواج العصري بإقامة سهرات وغيرها، الاختيار الفردي للشريك، الموسيقى الصاخبة ، رفض التقاليد القديمة ...).

كما وجدنا كذلك نوعا من القيم المختلطة والهجينة بالقصبة بين الحضرية و العصرية و الريفية، لا تستطيع مهما حاولت أن تصنف حامليها، بحيث استعانت بها فئة من السكان لتحقيق التعايش مع من حولهم من السكان في ظل اختلاف مرجعياتهم وثقافاتهم وكذا للتكيف مع المجال المشترك لهم والذي يتطلب نوعا من الليونة في العلاقات، ومن أهم مظاهر هاته القيم(الأخذ ببعض من تقاليد القصبة في اللباس والأطباق والتخلي عن البعض الآخر منها خصوصا ما يتعلق بمكان إقامة الأعراس فهناك من فضل قاعة الحفلات العصرية وهناك من يقيمها بالريف لدى الأقارب، وكذلك التنصل من تلك الممارسات المدينية التي تفرض وجوب التعاون والتظافر في تنظيف الدويرة أو الحي أو إصلاح عطب معين ، بحيث تجد الكل يتراجع وينفي انتمائه للحي أو للدويرة بإرجاعها لمالكها المسؤول أو السلطات إن تعلق الأمر بالحي) وهذا ما يجعلنا نقول أن هاته الأخيرة

أصبحت هذه القيم تتبنى وفق وضعيات مختلفة و تستخدم كآداة لقضاء المصالح من طرف السكان لا غير.

وعليه نستنتج من خلال كل هذا أنه، بسبب ضعف المنظومة الأسرية والاجتماعية والثقافية والحضرية المسؤولة على التنشئة بالقصبة من خلال نقل القيم من جيل الى آخر، ودمجهم وتكيفهم مع مجالهم، الذي أصبح يشهد أوضاعا صعبة، وبالتأثر بوسائل الاتصال المعولمة أصبح الحفاظ على منظومة قيمية أصيلة وثابتة مهما كانت صبغتها من الأمر الصعب المنال، ناهيك البحث عن القيم المدينية، خصوصا في ظل صراع سكانها من أجل البقاء والاستمرار.

ث- على مستوى الاقتصاد المحلي (الأسواق ،الحرف التقليدية):

عرفت مدينة القصبة قديما بمينائها وتجارتها المزدهرة، التي كانت مقصد عديد تجار العالم، ما جعلها تقيم أسواقا وصابات متخصصة لكل منها بضاعة وحرفة معينة، ينظمها أمين الحرفة الذي يضمن حقوق البائع والمشتري، والتي ساهمت بشكل مباشر في إنماء الاقتصاد المحلي وذلك بتأمين الاكتفاء الذاتي لسكانها وتعرض منتوجاتها التقليدية الراقية من لباس و وحلي وجلود و أواني فاخرة وحتى المواد الغذائية المصبرة تقليديا...وذلك بشهادة عديد الرحالين والمؤرخين[1] بحسب ماذكره حمدان خوجة.

أما الآن فأغلب الأسواق والحرف التقليدية زالت بزوال ملقنيها ورحيلهم، بحيث أن بعض الدكاكين الباقية الخاصة بأبناء كبار الحرفيين المعروفين بهاته الحرف كالنحاس أو الزخرفة على الخشب او صناعة الجلود... غيرت نشاطها، أو أجرت دكاكينها، وهذا لصعوبة الحرف وما تأخذه من وقت وجهد و لقلة أرباحها لانصراف أغلب السكان عن هاته المنتوجات التقليدية إما لغلائها مقارنة بالقدرة الشرائية المحدودة لأغلب سكان القصبة، وبذلك تفضيلهم

[1] حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة**، تقديم وتعريب د.محمد العربي الزبيري، وزارة الثقافة، 2007

للسلع الجاهزة الصينية الأقل تكلفة، ما تسبب في بروز الأسواق الفوضوية لبيع الخردوات وتسويق مختلف السلع الصينية لشباب نخرت البطالة عقولهم وجيوبهم في رحلة فر وكر مع الشرطة، وحتى الأسواق الجوارية التي تم فتحها مثل "سوق زوج عيون و "لالاهم" أنشأت فقط من أجل امتصاص غضب البطالين وللقضاء على الأسواق غير الشرعية ،أين تم بها نقل بعض السلع الاستهلاكية المحلية والصينية الموجودة في الأرصفة لا غير، وليس إحياءا للتراث أو عرضا للسلع التقليدية، ماعدا زنيقة العرايس la rue de la lyre التي لا زالت تحافظ على تراث القصبة من خلال عرض الملابس التقليدية القصباجية النسائية وكذلك الملابس الخاصة بختان الأطفال. وعليه فشتان بين أسواق القصبة قديما التي كانت تمثل أهم المعالم بالمدينة، وأسواقها حديثا، وأي وجه للمقارنة مع قصبة "الزوالية" الذين يكاد بائعوها المتجولون أن يشحذوا من زبائنهم وسط فوضى عارمة لا تراع فيها لا حرمة السكان والزوار و لا أخلاقيات المهنة؟

ج- على مستوى الذاكرة الجمعية للأفراد:

تذكر "ليون تلفزيان".[1] أن من أحد وسائل إعادة المعاني للمدينة بعد الانفصام الناتج عن ممارسة التنظيم المدني الحديث هو إعادة شحنها بالذاكرة، بحيث طرح سؤال استطرادي عن كيفية احتفاظ الأماكن المبنية بهويتها وهي خاضعة للتغير الدائم." وعليه وفي السياق نفسه، وبما أن معالم القصبة الثقافية والحضرية الآن تشهد تدهورا لا مثيل، نظرا لكل المآسي التي مرت بها من سياسية واجتماعية واقتصادية رمت بظلالها على تراثها المادي والمعنوي وجعلت سكان القصبة يعيشون في مفارقة كبيرة بين ماضي تليد عريق يحكي قصة مدينة تاريخية وبين واقع مرير لم يترك لهم حتى فرصة لاسترجاع ذكريات أجدادهم وعيش حنين

[1] ليون تلفزيان :الخصائص البنيوية وهوية المكان الثقافية في سياسات التخطيط العمراني والحفاظ ،مجلة المهندس العدد 26 آذار 2011 بيروت لبنان .

الماضي، إذ أصبحت تمثل لدى سكانها كابوسا مروعا لكثرة انهيارات منازلها التي لطالما خلفت ضحايا ومشردين وكذا وتهميش وتسويف المسؤولين لهم بإيجاد حلول لمشاكلهم والذين جعلوا منها مصدرا لمشاريع موقوفة التنفيذ ،ناهيك عن انتشار الآفات لاجتماعية كالسرقة والادمان واحتلال المنازل الشاغرة "المهدمة" والصراعات اليومية بين السكان المختلفين الطباع الوافدين إليها رغبة في الحصول على شقق اجتماعية وغيرها ، وعليه فمن كل هذا وذاك أصبحت القصبة اليوم تمثل رمزا للتهميش الحضري والتخلف الاجتماعي ومبعث خجل لبعض سكانها ورعب بالنسبة لبعض الزوار، لدرجة أنها صارت بمثابة "قيتو" للفقراء الطامعين بمساكن بعد أن كانت مركزا للإشعاع الحضري ومبعثا للفخر بالانتماء اليها الأمر الذي جعلنا نوافق "ليون تلفزيان" في رأيه القائل أن دمار المعالم يعطل الذاكرة الجماعية مخلفا اختلالات في الهوية الثقافية الفردية والمجتمعية".[1] و بما أن معالم القصبة الآن هي شبه مدمرة فإن ذاكرتها أكيد هي معطلة.

[1] ليون تلفزيان، نفس المرجع السابق

خلاصة الفصل الخامس

لقد تم التطرق في هذا الفصل إلى مفهوم التغير الاجتماعي الذي يعد من أقوى المفاهيم التي حظيت بكم هائل ومتنوع من الدراسات والتحاليل من طرف عديد الباحثين والعلماء في شتى ميادين العلوم، وهذا لما يحتويه من مضامين وآليات تؤثر بشكل مباشر في سيرورة المجتمعات وبقائها وأنظمتها ،وهذا لتغلغلها وصلتها على كافة الأصعدة والمستويات، السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها ... هذا لأن عملية التغير تقابلها عملية أخرى، وهي الضبط الاجتماعي (عدنان الدوري،1995 : 35) والتي من خلالها يكون توجيه سلوك الأفراد وفق قيم ومعايير مجتمعه، لحفظ التوازن الاجتماعي به، وتمكن من مواجهة و إشباع الجماعات لمتطلبات أفرادها وحاجاتهم في ظل تحوله المستمر.[1] و باعتبار أن لا مجتمع ثابت والتغير هو سنة كونية به، يسير وفق سيرورة مرتبطة بالزمان والمكان وظروفهما ،وفي هذا السياق تم التعرض لها من طرف العلماء والباحثين بمنظور مختلف، بدءا بكونه عملية تطورية تمر به كافة المجتمعات، من البدائية الى الاكثر تعقيد او تطورا وهذا وفقا لنظرية "سبنسر"، ثم أتى بعده "مورجان" الذي رأى أن الاختراعات والتكنولوجيا هي المسير، بحيث أنه تتطور المجتمعات بتطور التكنولوجيا، وعليه فإن كل من "سبنسر" و"مورجان" و"ابن خلدون" قبلهما يشتركون في رؤيتهم الى أن التغير الاجتماعي عبارة عن دورة يعيد التاريخ فيها نفسه، مغفلين بذلك خصوصية كل مجتمع عن آخر وذلك بقولبته في شكل دورة لها بداية ونهاية. أما النظرية الوظيفية فقد ارتبطت بأعمال "دور كايم" من خلال رؤيته في تقسيم العمل على انه وسيلة مهمة لتحديد صفة المجتمع إن كان حضريا أو ريفيا أو غيره، أما "مالينوفسكي" فقد تطرق في وظيفيته البنائية الى اهمية النسق الاجتماعي في حفظ توازن المجتمع في حالة تغير معين وهذا بتكييف عناصره وفقا لوضعياته الجديدة، ثم

[1] مزوز بركو: اضطرابات الوظيفة الأسرية ، التنشئة الاجتماعية في الأسرة الجزائرية ،،مجلة شبكة العلوم النفسية العربية ،عدد 12–22 شتاء وربيع 2009 ص ص 43 –49

أتت النظرية الاقتصادية القائمة على اساس الصراع ل"ماركس" على أن التغير الاقتصادي هو أساس كل تغير اجتماعي، لأنه لكل نمط انتاج نظام اجتماعي معين يتغير تدريجيا او عن طريق ثورة، أما "ماكس فيبر" فقد جاء بان اساس الدين والقيم تلعب دورا مهما في عملية التغير الاجتماعي إلى أن أتى "أوجبرن" بالنظرية التكنولوجية القائلة بأن اساس التغير الاجتماعي هو اكتشاف عنصر أو سمة ثقافية ،بحيث يعتبر التغير الاجتماعي جزءا من التغير الثقافي، وصولا الى النظرية الحديثة ل "فوكوياما" "نهاية التاريخ" والتي اتت لخدمة فكرة التفوق الغربي بمنهجها الديمقراطي الليبرالي ،والذي تعتبر حسبه اقصى حد يمكن أن تصله المجتمعات في تطورها بحيث لا يوجد بعده تطور.

أما بالنسبة لتطرقنا نحن للتغير الاجتماعي، فقد كان بربطه بالتحضر باعتباره نوعا من التغير، الذي عرفته كل المدن ومدينة الجزائر خاصة، والتي تعتبر القصبة نواتها الحضرية، وبما أن التحضر عندنا مرتبط بالنزوح الريفي والذي الحديث عنه يجرنا إلى العودة إلى الاستخراب الفرنسي الذي كان السبب وراءه وأفقد التوازن المتواجد بين العلاقة ريف مدينة. [1] التي كانت عليها قبل دخوله، بحيث انتهاجه لسياسة النهب واستغلال الثروات والخيرات لصالح فرنسا وبعدها لسياسة الأرض المحروقة ثم إقامة المحتشدات للسكان الريف والتي أفقرتهم وجعلتهم يتقهقرون الى الوراء، كل ذلك جعل سكان الريف يفرون وينزحون لأطراف المدن ثم لمراكزها مقيمين بذلك أكواخا وبيوتا قصديرية بحثا عن العمل والسكن، وهذا ما لم يتماشى وطبيعة المدينة التي فقدت جرائه بريقها وخصوصيتها الثقافية والحضرية، خصوصا وأنه كان للقصبة النصيب الأوفر منه، بعد الاستقلال وذلك بهجر سكانها الاصليين لها باتجاه السكنات الحديثة الكولونيالية وما سببه ذلك من فراغ اجتماعي لها، بعد أن أعيد احتلال دويرات القصبة من طرف النازحين الذين اتوا بمنظومتهم القيمية الريفية وبمشاكلهم وأوضاعهم الاقتصادية الصعبة ،ومن هنا وفي هذا السياق بدأت مظاهر التغير الاجتماعي

[1] بودوون عبد العزيز: التحضر في الجزائر، مجلة الباحث الاجتماعي ،قسم ع الاجتماع ،قسنطينة،عدد 05 ،جانفي 2004 ،ص ص 165-166

بالقصبة بالبروز وهذا على كافة الأصعدة والمستويات ،فعلى مستوى الجانب الأسري ساهم هذا الحراك في تحطيم ذلك الرباط القوي القائم على التكافل بين أفراد الاسرة الممتدة في كل شيء خاصة في مجال تنشئة الاجيال وغرس القيم الثقافية و الحضرية بهم لتتحول الى أسرة نووية قائمة على المنفعة المادية والفردانية واللهث وراء لقمة العيش لأولادهم لا غير، كما أن حتى الفئة القليلة الباقية من العائلات القديمة انغلقت على نفسها وابقت موروثها لنفسها للتمايز به عن بقية السكان النازحين او لعدم قدرتها على التأثير وسط هذا الكم الهائل من النازحين هذا، مما ساهم في تضييع الموروث الحضري المعنوي للقصبة لعدم وجود ملقنين له، مما تسبب بدوره في بروز القيم الريفية بالمدينة على حساب المدينية والتي لم تعد المدينة قادرة على انتاجها لعدم كفاية مقدراتها المادية والمعنوية لذلك ما جعل النازحين يتمسكون بقيمهم للصمود والاستمرار في ظل فردانية ووسط تهميش وظروف قاسية لا مثيل لها، فأنشأت بذلك كميونات قائمة على أساس القرابة أو الانتماء للأصل الجغرافي الواحد لتجعل من علاقاتها قائمة على اساس عمودي قائم على القرابة مناف لعلاقات المدينة التي تكون على أساس أفقي مجالي ،وغابت بذلك قدسية علاقات الجوار المغذية لروح الثقافة المدينية. فأصبحت المجالات المشتركة بين الجيران بمثابة حلبات للصراع والنزاع على حق الاستغلال، ناهيك عن الأحياء التي كانت امتداد للمنازل لما توفره من أمن وأمان لسكانها لتصبح هي كذلك امتدادا للصراعات والمشاحنات التي لم يتم إنهائها بالدويرات، وعليه هذا ما ساهم في ظهور ثقافة جديدة بالقصبة أشبه بها إلى ثقافة الفقر التي تكلم عنها "لويس أوسكار" بناها السكان وفق قيم منفعية، تتبنى فيها كل العادات والتقاليد وتنسج فيها كل العلاقات التي من شانها أن تساعدها على التكيف مع محيطها الاجتماعي وقدراتها الاقتصادية لتحقيق متطلباتها ، بحيث أنها تأخذ ما يناسبها وتطرح غيره، ما يجعلك تحتار في أي خانة يمكن تصنيف هاته القيم وحامليها ،بحيث تجد الأسرة تتبنى بعض العادات والتقاليد الشكلية أو الظاهرية للقصبة في الاحتفال ببعض المناسبات لكي تحظى ببعض المساعدة والتضامن من طرف الجيران وتتخلى عن اهم ممارساتها الحضرية عندما تتعلق الأمر بدفع بعض

الالتزامات للمنفعة العامة للسكان بالدويرة ،كما أن هاته الثقافة التي أضحت منتشرة لدى الأسر بالقصبة لا تتماشى وثقافة القصبة التي كان الانفتاح على الغير من أجل دمج الكل من أولى أولوياتها. ضف إلى ظهور التجارة غير الشرعية و الأسواق العشوائية، بدلا من تلك الأسواق المنظمة المتخصصة التي كانت بها ما جعل المدينة تغوص في فوضى لا مثيل لها ،من انتشار للسرقة والغش وترويج الممنوعات وأوساخ وتدهور فيزيقي للمكان. وعليه فكل هاته المظاهر الآنف ذكرها جعلت من القصبة تعرف تغيرا اجتماعيا عنيفا وتراجعيا جعله يؤثر على الذاكرة الجمعية لسكانه ولغيرهم بطريقة سلبية ليروه على أنه قيتو للمهمشين طالبي السكن الاجتماعي بعد أن كان مركز إشعاع حضري للصناعة الهوية المدينية للفرد.

وعليه لا يمكن لتاريخ وتراث القصبة العريق أن يصمد وسط هذا التغير الاجتماعي العنيف والمستمر، دون إيجاد آلية مناسبة و متكاملة الأبعاد لفهم سيرورته وتوجيهه لما يعيد لها ولسكانها مجدها الحضري.

الفصل السادس

الاستراتيجية المتبعة من طرف الجزائر للحفاظ على تراث القصبة

تمهيد

يعد التراث وإشكالية الحفاظ عليه من المواضيع المهمة المعاصرة المطروحة على بساط البحث لمناقشتها وتحليلها من طرف الباحثين ،وهذا لما ينسجه من علاقة بين ماضي الأجداد وحاضر الأبناء ومستقبل الأحفاد ،فهو بحث في الماضي لفهم الحاضر من أجل التخطيط للمستقبل. أما عن نشأته وتطوره فتعود إلى بعض الدول الأوربية عندما شعر بعض المفكرين بتلك البلدان بضرورة الحفاظ على تراثهم ،خصوصا بعد كل ما تعرض له من دمار ناتج عن الحرب العالمية الاولى والثانية وكذا عن الثورة الصناعية وما أتت عليه من تخريب للتراث التقليدي من اجل مواكبة الحداثة والتطور.[1]وعليه فقد تضمن المفهوم في بداية نشأته الحفظ لكل ماهو قديم إلا أن تطور هذا الأخير وأصبح يحمل مضامين و جوانب شتى وتفرعت أقسامه وأصبحت تحكمه مواثيق واتفاقيات عالمية ،مضبوطة بترسانة من القوانين التي ترسخ لتلك المواثيق، هذا ما جعله يأخذ بعدا انسانيا لا يتعلق بحدود وطن معين. وأصبح الحفاظ على التراث مسؤولية الجميع وعلى رأي **حسن حنفي** "التراث، هو نقطة البداية كمسؤولية ثقافية وقومية"[2]،ما جعل بذلك عديد المؤسسات و الهيئات العالمية المختلفة تتدخل للتكفل بهاته المهمة مثل :اليونيسكو وفروعها بالعالم، ومنظماتنا العربية والإسلامية التي تعنى بتراثنا الإسلامي مثل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة وغيرها والتي سنذكرهما باختصار لاحقا .وعليه فسنحاول من خلال هذا الفصل التطرق الى مفهوم التراث من جميع جوانبه، ونتطرق لبعض التجارب الغربية والعربية في محاولاتها للحفاظ عليه، مركزين في ذلك على تجربة الحفاظ على القصبة من خلال المخطط الدائم للحفاظ وإعادة الاعتبار للقصبة.

---

[1] غادة عاطف سند وآخرون:بحث في الحفاظ على التراث ص ص 1-49 ،جامعة طنطا ،مصر ، ب.س.

[2] حسن حنفي: التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص20ب.س.

المبحث الأول: مفهوم التراث

أ- بعض التعاريف الخاصة بالتراث

- **التراث حسب محمود نجيب زكي:** لفظ التراث يطلق بالمعنى الواسع على نتاج الحضارة في جميع ميادين النشاط الإنساني من علم وفكر وأدب وفن ومأثورات شعبية وآثار وعمران وتراث فلكلوري واجتماعي واقتصادي[1]"

التراث حسب حسن حنفي: بحيث يعتبره قضية وليست فقط عاطفة التقديس والاحترام والتبجيل الواجبة لكل موروث ديني، بل انتساب (الإنسان المجدد إلى ارض وانتماؤه إلى شعب).[2] و يضيف الأصالة أساس المعاصرة و التراث هو الوسيلة، أما التجديد هو الغاية.[3]

التراث : هو الشيء المتوارث عبر الأجيال و له معاني كثيرة ، منها انه يعني الأهمية الاجتماعية و الحضرية أو الانسانية أو الدينية للشيء المتوارث و جمعها آثار و هي شواهد عن الحضارات السابقة.[4]

التراث: هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة فهو إذن قضية موروث وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر على عديد من المستويات.[5]

التراث ثروة حضارية و ثقافية تراكمت عبر القرون، ذات تجارب انسانية متنوعة، فهو يمثل هوية الشعوب و الأمم. و هو التاريخ المادي و المعنوي و المرآة الحقيقية لأية حضارة .[6]

- **تعريف التراث حسب القانون الجزائري المتعلق بحماية التراث 98-04** هو "جميع الممتلكات الثقافية العقارية والعقارات بالتخصيص،والمنقولة الموجودة على أرض عقارات الأملاك الوطنية وفي داخلها المملوكة لأشخاص طبيعيين أو معنويين تابعين

---

[1] محمود نجيب زكي : في موسى دهان ص 19 ،"مجلة العربي عدد 30 "التراث والحضارة"

[2] حسن حنفي:التراث والتجديد،مرجع سابق ،ص 23

[4] لسان العرب ، في لقمان سخري وآخرون :واقع ومستقبل المدن التاريخية في ظل التشريع الجزائري ،رسالة لنيل مهندس دولة ،جامعة أم البواقي في موقع www.chemami.net

[5] خليفة حماش :الأسرة في مدينة الجزائر في العهد العثماني ،رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث 2006 ص 488.

[6] عبدالناصر عبدالرحمن الزهراني : ادارة التراث العمراني : جامعة الملك سعود كلية السياحة و الاثار ، قسم ادارة مواد التراث و الارشاد السياحي الرياض 1433 هـ / 2012

للقانون الخاص والموجودة كذلك في الطبقات الجوفية للمياه الداخلية الإقليمية الوطنية الموروثة عن مختلف الحضارات المتعاقبة منذ عصر ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا.

- تعد جزءا من التراث الثقافي للأمة أيضا الممتلكات الثقافية غير المادية الناتجة عن تفاعلات اجتماعية وإبداعات الأفراد والجماعات عبر العصور والتي لا تزال تعرب عن نفسها منذ الأزمنة الغابرة إلى يومنا هذا[1].
- **مفهوم العمران** : هو فن إدراك تنظيم و بناء و تطور المدن بطريقة إدارية آخذا بعين الاعتبار العوامل الجغرافية السوسيو اقتصادية الجمالية، التشريعية والثقافية، وباختصار كما عرفها Doubreur، العمران هو الذي يقوم على تهيئة المدن ويمكن أن يلخص برنامجه الواسع في ثلاثة نقاط: تطهير، تكبير، تجميل، ويمكن أن نضيف إلى المدن القديمة التاريخية والأثرية المحافظة وإعادة القيمة .[2]

أما التراث العمراني : فهو مجموعة الإنشاءات والبنايات و المعالم التي يخلفها الانسان و التي ترمز لقيمة معينة.[3]

- **التراث العمراني** : حسب ICOMOSهو كل ما شيده الانسان من مدن و قرى و أحياء تاريخية أو ثقافية (لين 1998 ص 17)و جاء تعريف التراث العمراني في المادة الأولى من سورة ميثاق المحافظة التراث العمراني في الدول العربية و التنمية(1424) بأنه: كل ما شيده الانسان من مدن و قرى و إحياء و مباني و حدائق ذات قيمة أثرية أو معمارية أو عمرانية أو اقتصادية أو تاريخية أو علمية . أو ثقافية أو وظيفية ، و تتم تحديدها و تصنيفها وفق ما يلي :
- **المباني التراثية:** تشمل المباني ذات الأهمية التاريخية و الأثرية و الفنية و العلمية و الاجتماعية بما فيها الزخارف و الأثاث القديمة المرتبطة بها

[1] موسى دهان:النظام القانوني لحماية التراث الوطني ،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر 2007 ص20

[2] لجنة التنمية المستدامة،الأمم المتحدة أجندة 21.

[3] لسان العرب،في لقمان سخري : واقع ومستقبل المدن التاريخية في ظل التشريع الجزائري ،مرجع سابق

- **مناطق التراث العمراني:** و تتمثل المدن و القرى و الأحياء ذات الأهمية التاريخية و الأثرية و الفنية و العلمية و الاجتماعية بكل مكوناتها من نسيج عمراني و ساحات عامة و طرق و أزقة و خدمات تحتية و غيرها
- **مواقع التراث العمراني:** و تتمثل المباني المرتبطة ببيئة طبيعية متميزة على طبيعتها أو من صنع الانسان .[1]

ب- أهمية التراث العمراني ومستوياته:

- **الأهمية التاريخية و الحضارية** : هو كنز حضاري ثمين شاهد و رمز صادق عن الإبداعالانساني يعكس جانبا من هوية أو وحدة الأمم، و ذلك من خلال إبراز دورها التاريخي و أصالة شعبها و حضارتها، و لها مؤشرين : المؤشر الزمني من خلال عمر المبنى (تزداد قيمته مع مرور الزمن)، و المؤشر الرمزي من حيث تعبيره التراثي و نذرته، و أصالته
- **الأهمية العلمية:** يعتبر الاستقراء و القياس من أساليب العلمية في مجال علوم العمران تستمر الأمة حضريا من خلال تمسك بنماذج العمرانية الأصيلة التي أنتجها فكر الإنساني.
- **الأهمية الاجتماعية** : يغدي روح الانتماء و الهوية للشعوب، يربط المجتمعات بتراثها و ثقافتها و كذا صناعة سياحة و شبكة علاقات تمكن من الأجيال من تواصل و ربط الماضي بالحاضر.
- **الأهمية الاقتصادية** : يعد عاملا من العوامل التنمية الاقتصادية عن طريق السياحة و ما تجلبه من المداخيل .
- **الأهمية الفنية الجمالية:** بحيث يحتوي على جماليات الماضي بقيمتها و أصالتها و مهارة صناعتها كما أنه يرتبط بدوق الشخصي و الخلق و الثقافي.[2]

- **مستويات التراث:**

حددها الدكتور **حسن حنفي** بثلاثة مستويات ،وهذا وفقا لاختلاف آراء وتوجهات مهتمين بهذا المفهوم ،فمنهم من اعتبر التراث بأنه معطى جاهز من طرف كل ما سبقونا بالماضي وهو كامل وشامل لكل النواحي. وهناك من جاء موقفه معاديا تماما

1-2 : عبدالناصر عبدالرحمن الزهراني، مرجع سابق

للماضي، وهذا باعتبار أن الماضي لا يحمل أية قيمة نظرية أو معرفية ، أما المستوى الثالث، فهو التيار الذي يسعى للتوفيق بين القديم والجديد.

أما نظرة حسن حنفي للتراث، فإنه يعتبره قضية للتنظير المباشر للواقع دون إهمال للمخزون النفسي للجماهير، والنشاط الواقع من نظرية مسبقة.[1]

ث-أنواع التراث حسب القانون الجزائري المتعلق بحماية التراث 98-04:

وتشمل الممتلكات الثقافية بأنواعها، الممتلكات الثقافية العقارية والممتلكات الثقافية المنقولة والممتلكات الثقافية غير المادية.[2]

كما يقصد بعبارة **التراث الثقافي غير المادي:**"الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات، وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية التي تعتبرها الجماعات والمجموعات وأحيانا الأفراد جزءا من تراثهم الثقافي، وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلا عن جيل تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها وهو ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها...[3]

[1] حسن حنفي: التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم،مرجع سابق ص 20

[2] موسى دهان:النظام القانوني لحماية التراث الوطني ،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر 2007 ص20-21

[3] موسى دهان ،نفس المرجع ص 21

المبحث الثاني: آليات الحفاظ على التراث بالجزائر

تعود نشأة مفهوم الحفاظ على التراث إلى بعض الفئات المثقفة التي اهتمت بالتراث الأثري، ليتطور هذا المفهوم الى الحفاظ على التراث الثقافي المعماري، وحاليا يجري الحفاظ على المعالم الطبيعية وغير ملموسة، بدايتها كانت في إيطاليا وفرنسا وانجلترا أما وصوله إلى الولايات المتحدة، فكان في السبيعينات (70)، ثم تبلورت أسسه العامة في أوربا عبر ميثاق البندقية عام 1964، كما يعتبر الإيطاليون هم الذين بدأوا بمعرفة الحفاظ وحماية التراث التاريخي بشكله الحديث بسبب الفاتيكان وسلطة البابا وكذا لغناها بتراث كبير .[1]

– أما في فرنسا فقد عرفت بموطن الترميم الطرازي، أو ما يعرف باسم وحدة الطراز الذي بلور فيه نظريته، ونفذ تطبيقات عملية عليها هو "فيوليه" و"لودوك" .[2]

– وفي إنجلترا، قد دعت إلى العودة إلى الحفاظ عوضا على الترميم ،بحيث وصلت أفكار "لودوك" وطبقها "سيرسكون" و أنشأ نظرية الحفاظ التي تعتمد على الصيانة عوضا على الترميم الطرازي وكان له فيما بعد عدد كبير من الأتباع .[3]

– الولايات م أ: أنشأت مدرسة إدارة المصادر الثقافية في السبعينات(70)، وأفرزت بعده قوانين تحمي التراث.[4]

– الآليات القانونية والسياسية لحماية التراث الوطني

لقد سخرت الجزائر في سبيل حماية تراثها الثقافي ومقدراتها الثقافية مجموعة من الميكانيزمات والآليات القانونية التي تضمن لها تحقيق هدفها المنشود في إطار قانوني متكامل وعليه فقد شملت هاته الأخيرة **النصوص الدستورية** المتضمنة الدستور المصادق عليه من قبل الشعب في استفتاء 28 نوفمبر 1996 المعدل والمتمم مرتين الأولى سنة 2002 والثانية سنة 2008 القاضي بضرورة حماية التراث الوطني ورموز الثورة التحريرية ومآثرها وتراثها التاريخي والثقافي بصفة خاصة بمادته 122 التي تنص على أن مهمة تأطير حماية التراث الوطني الثقافي والتاريخي وكذا المحافظة

[1]،2،3،4 غادة عاطف سند وآخرون: بحث في الحفاظ على التراث،مرجع سابق، ص 10-12-13-14

عليه بوجه عام لا يتم التشريع به إلا بقانون صادر عن البرلمان بغرفتيه (المجلس الشعبي الوطني ومجلس الأمة) .[1]

- **أما الآلية الثانية فقد تمثلت في الوثائق السياسية** (فقرات مستوحاة من البرنامجين الرئاسي والحكومي)المتعلقة بحماية التراث[2]، و المتعلق بمضمون البرنامج الانتخابي للسيد الرئيس بوتفليقة عبد العزيز سنة 2008،وكذا مخطط تنفيذه المقدم من طرف الوزير الأول والمصادق عليه من طرف أعضاء غرفتي البرلمان في ديسمبر 2008**المتعلق بترقية الثقافة بشتى أوجهها**. لكن ونظرا لكثرة هاته القوانين سنتطرق لأهمها والتي كانت بمثابة نقطة فارقة بما تضمنته من مواد هامة وجامعة لشتى مظاهر الحفاظ على التراث الثقافي وهو القانون **رقم 98-04 المؤرخ في يونيو1998** والذي يهدف إلى التعريف بالتراث الثقافي وسن القواعد العامة لحمايته والمحافظة عليه وتثمينه وضبط شروط تطبيق ذلك، خاصة المادة 21 منه القاضية بأن'تخضع كل أشغال الحفظ والترميم والتصليح والإضافة والتغيير والتهيئة المراد القيام بها على المعالم التاريخية المقترحة للتصنيف أو المصنفة أو على العقارات الموجودة في المنطقة المحمية إلى ترخيص مسبق من مصالح الوزارة المكلفة بالثقافة وكذا تلك الأشغال المراد القيام بها في المناطق المحمية على المعلم التاريخي المصنف أو المقترح للتصنيف، كتركيب الشبكات الكهربائية والهاتفية الهوائية أو الجوفية وأنابيب الغاز ومياه الشرب أو قنوات التطهير وكذلك جميع الأشغال التي من شأنها أن تمثل اعتداءا بصريا يلحق ضررا بالجانب المعماري للمعلم المعني. ضف إلى ذلك المادة 22 ،23، 24،25، 26،27 التي تصب في خضوع جميع الأشغال للمراقبة التقنية وحتى تنظيم النشاطات الثقافية يخضع إلى ترخيص مسبق من المصالح المعنية بالثقافة.(بالتصرف)[3]

1- 2 موسى دهان: مرجع سابق، ص 196

[3] موسى دهان، نفس المرجع ، ص211

- **المادة:68** منه "يتمثل **الهدف من حماية الممتلكات الثقافية غير المادية** في دراسة التعابير والمواد الثقافية التقليدية وصيانتها والحفاظ عليها" وتعنى على الخصوص إنشاء مدونات و بنوك معطيات تخص التراث الثقافي غير المادي عن طريق التعريف والتدوين والتصنيف والجمع والتسجيل بكافة الوسائل...الحفاظ على سلامة التقاليد وموادها الثقافية والشعبية للحفاظ على ذاكرتنا بجميع أشكالها لنقلها للأجيال اللاحقة. وكذا نشرهابجميع الوسائل والتعرف على جميع الأشخاص الحائزين على ممتلك ثقافي غير مادي ،كما نص كذلك ضرورة اختزان هاته الأخيرة قي بنك للمعطيات ينشئه الوزير المكلف بالثقافة .[1] بالتصرف.
- أما بخصوص القطاعات الأخرى التي تعنى بحماية التراث العمراني فقد جاء تكليفها في المادة 93 والذي أوكل من خلاله للبلدية وذلك من خلال ...حماية الطابع الجمالي والمعماري وانتهاج أنماط سكنية متجانسة في التجمعات السكنية...وتشارك في صيانة المساجد والمدارس القرآنية الموجودة على ترابها ..
- أما المادة 80 من القانون 90-09 لسنة 1990 فقد"نص على وجوب مساهمة المجلس الولائي في نشر التراث الثقافي بالاتصال مع البلديات وكل جمعية أو تجمع معني".[2]

- **الآليات المؤسساتية الوطنية والتقنية**

جندت الجزائر من أجل مهمة حماية التراث العديد من القطاعات، التي تتكامل في ما بينها مثل: وزراة الأشغال العمومية و الطاقة (الصرف، الطاقة) ، وقطاعات المالية والاملاك، مسح الاراضي و الحفظ و هذا لتحديد الطبيعة القانونية للممتلكات و الملاك وزارة شؤون الدينية و الأوقاف للتدخل في ملكيات الاوقاف، وزارة السكن من خلال تأمين المؤسسات الاستقبال لإعادة إسكان المتضررين، وزارة التضامن لمتابعة الاجتماعية للعائلات والتهيئة العمرانية(وضع الشركات لرفع نفايات و تطهير و غيرها ....) لكن تبقى وزارة الثقافة وهيئاتها التابعة، الوصي الأول على التراث والأماكن الأثرية بالجزائر وكذا على تراثها غير المادي خصوصا: الوكالة الوطنية

[1] موسى دهان، مرجع سابق، ص 225

[2] موسى دهان، نفس المرجع ، ص 299

للقطاعات المحفوظة و الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية واللتين سنتطرق إلى دورهما بالتفصيل في تجربة الحفاظ على القصبة.

- **الآليات التقنية في الحفاظ على التراث:**

-**الحفاظ:** هو الاجتهادات المصممة لفهم التراث الثقافي في تاريخه و معانيه و يتضمن إنقاذ مواده و ما يتطلبه ذلك التراث من تقديم و ترميم و تحيين.[1]

- **الإحياء:** هو إحياء متطلبات الوظيفية و متطلبات الانسانية و الاجتماعية معا و يتم بإحياء المضمون و هو الجانب الثابت في المنظور الذي لا يتغير بتغير الزمان و المكان .[2]

- **الترميم:** وهي إعادة بنية الموقع القائمة إلى حالتها السابقة، إذا وجد دليل كاف على الحالة السابقة، وذلك بإزالة الإضافات، أو بإعادة تجميع العناصر القائمة دون إدخال مواد جديدة أو ترميم أجزاء أخرى ومن أجل كشف أهمية الموقع الحضارية (الإصلاح، إعادة الإنشاء).[3]

- **الصيانة:** وهي صيانة الموقع المعني دون تغيير بحيث تؤجل العملية التلف التدريجي ...ويقتصر الأمر على الحماية والصيانة وربما تثبيت البنية القائمة، مادامت تعكس القيمة الحضارية المرجوة (الإبقاء، المحافظة).[4]

- **التكييف (التأهيل):**هي عملية تعديل ليوائم غرض استخدامه المغاير لاستخدامه الأصلي، وشرط التكييف أن لا ينتقص بدرجة كبيرة من الأهمية الحضارية للموقع وأن يكون التكييف ضروريا لإبقاء الموقع في حالة اقتصادية تمكنه من الاستمرار.[5]

ت- الهيئات العالمية غير الحكومية المختصة في حماية التراث:

- **UNESCO**: (اليونيسكو) ،المنظمة العالمية من أجل التعليم والعلوم والثقافة و كذا الهيئات التابعة لها مثل :[1]

---

[1] جمال عليان : الحفاظ على التراث الثقافي ،مطبعة الساسة الكويت 2005 ص 63

[2] زيدان حليمة المدن العتيقة بالجزائر بين التدهور و محاولة الحفاظ ،حالة مدينة تقرت ، ماجيستير ، جامعة ام بواقي 2007

[3] يوسف محمد عبد الله الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته.جامعة صنعاء اليمن،ب.س ص 13 .

[4] يوسف محمد عبد الله ،مرجع سابق ص 13

[5] نفس المرجع السابق ،ص 13

- **ICOMOS**:(الإكوموس) ،المجلس العالمي للمعالم والمواقع الأثرية.
- **ICOM**:(الإيكوم) ،اللجنة العالمية للمتاحف.
- **ICROM**: (الإيكروم)،المركز العالمي من اجل الحفاظ وترميم الممتلكات الثقافية.
- **OVPM**:المنظمة العالمية للمدن التراثية، بحيث وضعها**ICOMOS** لمساعدة المدن الأعضاء لتكييف وتنشيط نظام تسييرها حسب متطلباتها الخاصة ،بحيث قامت بأعمال وإحصاءات للمدن القديمة في العالم وتصنيفها في محاولة الإبقاء عليها كشاهد على الحضارة الإنسانية.

بحيث تسعى منظمة اليونيسكو،بكل هيئاتها لحماية التراث العالمي،من خلال جرد وتصنيف الممتلكات الثقافية الانسانية عبر العالم لغرض حمايتها ،إذ أنه وبمجرد أن يتم تسجيل الممتلك الثقافي في قائمة التراث العالمي تبدأ إجراءات الحفاظ على الممتلك سواءا أكان ماديا أو لا مادي .

أما بالنسبة للمؤسسات والمنظمات التي تعنى بالحفاظ على التراث العربي والإسلامي نذكر:

- **منظمةالمدن العربية**ATO: انبثقت من جامعة الدول العربية في مارس 1967 ،هدفها الحفاظ على هوية المدينة العربية وتراثها الحضاري.[2]
- **المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ISESCO**:وهي تابعة للمؤتمر الإسلامي تعنى بميادين التربية والعلوم والثقافة والاتصال في البلدان الإسلامية، مقرها الرباط تهتم بتطوير وسائل وآليات الحفاظ على التراث الحضاري والثقافي والحفاظ عليه وتنمية الدول الأعضاء به.2
- **منظمة العواصم والمدن الإسلامية OICC**: وهي منظمة أنشأت سنة 1980 منظمة منتمية لمنظمة المؤتمر الإسلامي ،تعمل على تحقيق إجراء الدراسات التحليلية على العواصم و المدن الأعضاء التي تزخر بالتراث المعماري والعمراني الإسلامي بهدف

[1] لقمان سخري وآخر:واقع ومستقبل المدن التاريخية في ظل التشريع الجزائري، رسالة لنيل مهندس دولة ،أم البواقي في منتدى التسيير والتقنيات الحضرية www.chemmami.com: //http

2.2. 3 أشرف صالح محمد السيد: في جائزة النور للإبداع،دورة المفكر عبد الإله الصائغ 2009،التراث الحضاري في الوطن العربي أسباب الدمار والتلف وطرق الحفاظ ، ص ص 1-25 ، 2009 ص 17

الاستفادة منها في التصميم المعماري والتخطيط الحضري خصوصا ما تعلق بالعصور الإسلامية المختلفة. 1

كما خصصت هاته البلدان العربية جوائز عدة من أجل تشجيع الناشطين في خدمة التراث مثل :

- **جائزة منظمة المدن العربية** والتي تحتوي على جائزة المشروع المعماري لأحسن مشروع نفذ بالمدينة، جائزة التراث المعماري لأفضل تجربة إحياء وحفاظ على جزء هام من المدن التاريخية،جائزة المهندس المعماري العربي ،تقديرا لعمل قام به في الميدان، جائزة آغا خان للعمارة الإسلامية : أسسها ومولها أغا خان سنة 1977، تقديرا للمجهودات المميزة في مجال العمارة ،خصوصا في المجتمعات الإسلامية والتي تخدم المسلمين بصفة عامة، وتسمح بالارتقاء بالفكر المعماري الإسلامي المعاصر وحماية الموروث العربي من خلال الصيانة والترميم.[2]
- **جائزة الملك فهد للتصميم والبحث في العمارة الإسلامية:** أنشأت سنة 1406 هـ مقرها الرياض، وأمانتها بإسطنبول ، تهدف للتعرف على المواهب في فن العمارة الإسلامية وتشجيعها .
- **جوائز منظمة العواصم والمدن الإسلامية:**تمنح كل سنتين سواء للتأليف أو التأليف في مجالات العمارة.

بحسب الباحث أشرف صالح محمد السيد، فإن جوائز منظمة المدن العربية تقدم لإبراز الصورة الحقيقية لتراثنا المعماري(الجانب التطبيقي) وجوائز منظمة العواصم والمدن الإسلامية تهتم بالجانب النظري ،من خلال التنظير والتحليل العلمي، التوثيقي للمعطيات التراث والتي تصب كلها في الحفاظ على تراثنا المعماري الإسلامي.[3]

ث- الإجراءات الواجب اعتمادها في عمليات حماية المعالم التاريخية القديمة

لقد تطرق **د.أحمد محمد السيف** بحيث من خلال مقال شارك فيها في **أمسية العمارة والتراث** إلى مركبات أساسية للمحافظة على التراث العمراني وهي : الوقت و التغير

1-2. 3 أشرف صالح محمد السيد: التراث الحضاري في الوطن العربي ،أسباب الدمار والتلف وطرق الحفاظ ،مرجع سابق، ص 18

[4] أشرف صالح محمد السيد:نفس المرجع سابق ص ص 18-20 .

و القيم، بحيث يقول أنه إذا حصل اختلال لهذا التوازن في المركبات تحدث صعوبات، تجعل من المحافظة على التراث أمرا صعبا ومعقدا.

إذ يعكس الحفاظ على التراث العمراني مفهوما زمنيا مهما في البيئة العمرانية، وقدم "LYNTCH" في كتابه What time is this place مفهوم الوقت كبعد رابع في البيئة العمرانية ،وأسند في تحليلاته على شواهد ومتغيرات فيزيقية ونفسية واجتماعية وطبيعية في البيئة العمرانية، إذ تعد البيئة العمرانية القديمة مرجعا زمنيا لعناصر ورموز معمارية بنيت في الزمن الماضي وحلل Altmanو Wernerفي مقالهما : tomporal as aspect of home ،بحيث وصفا فيها خاصية الزمن في البيئة العمرانية أولهما خطية بحيث تكون بها تتابع رحلة الزمن من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل ،أما الخاصية الثانية للزمن في البيئة العمرانية فهي متكررة ،ففي حياة الانسان هناك حوادث يتكرر حدوثها مثل فصول السنة والمناسبات والأعياد أو غيرها من الأحداث، بحيث أن المحافظة على التراث العمراني كمفهوم زمني في البيئة لا يمكن استرجاعه وعليه فمن الخطأ إزالته مثلا.[1]

كما تطرق لأهم الصعوبات التي تواجه مشاريع المحافظة على التراث العمراني نلخصها في مايلي:

- يتطلب الحفاظ على التراث، قناعة على مستوى صناع القرار التخطيطي، دعما ماديا وفنيا، وقلتها يمثل عائقا أمامها.
- المباني المتهدمة والمهجورة في المناطق العمرانية القديمة تشكل خطرا على حياة السكان وقد يتم اتخاذ قرار سريع يهدمها ومن ثم زوال القيم المنشودة منها.
- تعارض كثير من الأنظمة البناء الحالية والأنماط القديمة، الأمر الذي يقلل رغبة الملاك في ترميمها.
- تعارض البنايات القديمة مع حياة الرفاهية الحديثة ومتطلباتها مما يتطلب إعادة تأهيلها لمواكبة العصرنة.
- ضعف الوعي الثقافي لأهمية التراث العمراني خاصة في الدول النامية .

[1] د.أحمد محمد السيف:المهرجان الوطني للتراث والثقافة–أمسية العمارة والتراث- المحافظة على التراث العمراني،أهمية وسبل المحافظة عليه؟ مارس1997.

– تغير شكل التركيبة الاجتماعية والاقتصادية للمناطق القديمة ،وبالتالي فقدانها إلى الهوية العمرانية .

– عدم وجود قاعدة اقتصادية تجعلها مناطق غير منتجة ومشجعة للاستثمار.

– ربط برامج إعادة التأهيل بالترفيه فقط مما يضعفها بدلا من الاستعمالات السكنية والمكتبية و التجارية.[1]

كما يذكر الأستاذ أحمد بوذراع في دراسته ، عدة أساليب يجب اتباعها أثناء القيام بعمليات الحفاظ على التراث من أهمها :

- مراعاة القيم الفنية للأبنية المعمارية :بحيث تراعي الطابع الفني والجمالي والثقافي للأبنية وكذا سماتها الثقافية والحضارية.

– **مراعاة العمق التاريخي للأبنية الأثرية والمعالم القديمة** ،وذلك عن طريق الصيانة والترميم والتأهيل .

– **مراعاة النواحي الاجتماعية والثقافية والاقتصادية**:لتصبح لها وظيفة تؤديها داخل المدينة. وذلك يتم عن طريق التقنيات التالية:

–**أسلوب الترميم** : هو التعامل مع الأبنية الأثرية والتاريخية القديمة التي أصابها التصدع أو التقشف أو التعرية أو التآكل ،دون المساس بالجوهر والعمق التاريخي والفني لمثل تلك الأبنية.[2]

– **أسلوب إعادة البناء للأبنية الأثرية التاريخية القديمة:** هي إعادة بناء الأجزاء التالفة والمتآكلة وهذا من أجل إتمامها والتي لا يمكن فرض عملية الترميم عليها من أجل إعادتها إلى حالتها الطبيعية .[3]

–**أسلوب صيانة الأبنية الأثرية والمعالم التاريخية القديمة**:وهي تحسين وترقية الأبنية الأثرية والتاريخية ضمن مناخ مناسب لها داخل المدينة، بحيث تنقسم بدورها إلى عدة أصناف...[4]

---

[1] أحمد محمد السيف:المهرجان الوطني للتراث والثقافة، نفس المرجع السابق

2، 3 أحمد بوذراع: المعالم التاريخية القديمة داخل المدينة: ،عدد 12(1999)،ص ص 17-23، جامعة منتوري قسنطينة.ص ص 17-23

المبحث الثالث: بعض الأمثلة عن المحافظة على المدن التاريخية الأثرية

أ- غربيا

Expériences de réhabilitation à travers le monde, genése de la politique de protection du patrimoine en architecture en France.

بدأ ظهور مفهوم التراث في بداية الثورة، بحيث تم اقتراح معايير للحفاظ على التراث بدءا بالمتاحف ثم الجرد، بحيث تمت ترجمة هذه الأخيرة بإنشاء لجنة المعالم سنة 1790 وبعدها بإنشاء متحف المعالم الفرنسية سنة 1793 وتنصيب أول محافظ "ألكسندر لونوار"، وبعدها بإنشاء قوانين لحماية التراث لكن المبني فقط.[1] ،ومنذ 1810 بدأ يعرف التراث المبني وفي سنة 1837 تطور مفهوم الجرد إلى مفهوم التصنيف المعالم والتي تكون وفقا للجنة الخبراء.

في منتصف القرن التاسع عشر وفي سنة 1887 ظهر قانون حماية المعالم التاريخية وهنا بدأت ظهور إستراتيجية الحفاظ من طرف الدولة ،بحيث تم تنصيب مهندسين ورؤساء للمعالم التاريخية المكلفين بترميم بعض المعالم الأثرية والتي كانت مختارة على أساس أهميتها الفنية والتاريخية والملحوظة أين لم تكن موجهة إلى كل التراث والمعالم.[2]

- تنصيب قواعد سياسة الحفاظ على التراث :في بداية القرن العشرين، توسع مفهوم التراث بقانون 1906 الذي توجه أيضا إلى حماية التراث الطبيعي لكن بقيت الجهود فقط على مستوى الإطار المبني، ومع قانون 1913 تم تحديد حقوق الملكية والتدخل المباشر في حالة المعالم المهددة، أما في سنة 1930 تم الانتقال من مفهوم الحفاظ على معلم محدد إلى الحفاظ على القطاع بأكمله، ومن هذا المفهوم بدأ يشترط في المستقبل الحفاظ على التراث الحضري بكل نطاقه، ويعتبر قصر "فرساي" أشهر المعالم التي توسعت نطاق حفاظها إلى 5000 متر سنة 1964.[3]

---

[1] la rehabilitation du patrimoine en architecture : opportunites et contraintes ,les Kssour de la wilaya de Bechar p57.

[2] Institut d'aménagement, d'urbanisme de la région Ile de la France,dans la rehabilitation du patrimoine en architecture, idem

[3] Bezençon Xavier, le guide de l'urbanisme et du patrimoine, paris, éditions du Moniteur ,1992 dans la rehabilitation du patrimoine en architecture, dans idemp 58

- بعد الحرب العالمية الثانية كانت هناك الحاجة إلى إعادة بناء فرنسا العصرية، وعليه فكثير من مراكز المدن تحولت بدون الأخذ بعين الاعتبار للطابع التاريخي والعمراني لها أثناء التأهيل الحضري، بحيث بدأ الخروج من دائرة الحفاظ إلى التسيير المدن ومن هنا يشرع في تدخل الرسمي للدولة عن طريق أشغال وحتى من دون موافقة مالكيها بقانون 1979، أما أهم قانون في سياسة الحماية هاته كان 1983 والذي يأخذ بعين الاعتبار تقسيم الكفاءات وسمحت بظهور فاعلين بميدان التراث، وهي الجمعات المحلية، وكذا قانون ما أطلقت عليه اسم ZPAAU منطقة الحماية التراث المعماري والحضري وقانون SRU التضامن والتجديد الحضري للقطاعات المحفوظة أثر على المناطق المهمة التي قد يصل إلى أكثر من 240 هكتار بشأن القطاع المحفوظ الجديد لفرساي بحيث أثر على كل المحيط الحضري للمدن لأنا تتطلب تصاريح معمارية بفرنسا.

– مثال عن ذلك ترميم أروقة الزجاج بقصر فرساي la restauration de la galerie des glaces وأطلق عليها بهذه التسمية نسبة إلى 357 مرآة التي كانت تزينها.

- و كان من الفاعلين الذين ساهموا في انجاز هذا المشروع من مسيرين في وزارة الثقافة و الاتصال بفرنسا ، و كذلك الفوج الاول العالمي للهبات و البناء و المصالح المشتركة لها و كذا القائد الاول للترميم مدمج لأروقة الزجاج بقصر فرساي . و التي تعتبر اكبر عملية برعاية ثقافية بفرنسا و بمساهمة خبراء في الترميم المعالم تاريخية .
- أنشأ قصر فرساي سنة 1678 و 1684 من طرف جول هاردوين منسرت Jules Harduin Mansart في مكان ثاني لأواخر ديوانين في مجلس الملك و اقامة Sevrigne و الذي يعد كالنمط من مالكية فريدة من نوعها في العالم كما زينت هذه المرايا بسبعة عشر قوس و كذا العديد من الصور الراقية و نفائس الثمينة التي تشهد على الحقبة الملكية للويس الربع العشر و كذا كشاهد لحرب هولند (1672-1678) و كذا كشاهد على تلك التعديلات الادارية و الاقتصادية اثناء الملكية و التي عرفت انواع من الأثاث الفضي و الأثاث الخشبي الذهبي و كذلك نوعا أخر يعود إلى الثورة .

– استعمل قصر فرساي للمناسبات و الحفلات الملكية و استقبالات الراقية اين يقبع عرش الملك في آخر الرواق.

- و بعد السقوط الملكية كانت هذه الاروقة قبلة لعدة أحداث من النابليون الثالث الذي استقبل فكتوريا في 1855 و كذات اتفاقية فرساي التي انهت الحرب العالمية الاولى سنة 1919 و غيرها من الاحداث .
- تم ترميم المعلم عبر مرحلتين الاولى في 2004 حتى صيف 2005 و مرحلة الثانية من ربيع 2006 الى غاية بداية 2007، و كان الممول من طرف Vinci بغلاف مالي قدره 12 مليون اورو بحيث كانت الزيارة مفتوحة و حتى اعمال نصب الصقالة مزينة بطريقة راقية. [1]
- **الفاعلين في هذا المشروع:** تم تشكيل اربعة لجان قبل بداية اشغال و ذلك من طرف ممثلين مباشرين و غير مباشرين و تمثلت هذه اللجان في لجة التسيير و متكونة من المدير العام و الادارة العامة لمؤسسة العمومية لمتحف الوطني لفرساي و كذلك لجنة المتابعة و كذا المجلس العلمي العالمي و اخيرا مؤسسات مجموعة Vinci .

– و عليه نستنتج من هذه التجربة انها قد تم استخدام و استعانة بمختلف الفاعلين الاجتماعيين و اداريين و المتخصصين و الباحثين في ميدان الترميم و كذا العديد من المؤسسات الكفؤة و غيرها من المؤسسات التي سمحت بإنجاز عمليات الترميم دون غلق هذا القصر في وجه زواره بحيث كانت تتم هذه العمليات بشكل مباشر و امام الجمهور عن الطريق الفيديو .

[1] paroles de la restauratrice Cinzia Pasquali membre des entreprises chargées de la restauration dansdansla rehabilitation du patrimoine en architecture, idemp 64.

- **Richard Engelhardf (LEAP): Développement Potentialités locales pour la Gestion et la Conservation du Patrimoine Culturel en Asie et dans le Pacifique.**

كانت الفكرة الأساسية للبرنامج هي تقديم مساعدة للجماعات الصغيرة والمتوسطة التقليدية والتي أغلبها تعيش في وضعية اقتصادية حرجة وهذا من أجل تحقيق قفزة اقتصادية لهه بالمستقبل من خلال الحفاظ وتطوير تراثها المحلي كوسيلة لذلك ، وفي هذا الإطار تم تحفيز الفاعلين المحليين من أجل التسيير الفعال للتراث بمسؤولية ومردودية مستدامة.

بحيث جاء هذا المشروع ليس لاستبدال الجهود الوظيفية للمؤسسات للحفاظ بل لإكمال وتوسيع حقل هاته الجهود في نطاق حضري باستخدام التكنولوجيا العالية ومن النخبة في المجال بحيث تكون المسؤولية لكل أسرة من رجل وامرأة وطفل.

تمثلت الاستراتيجية التطورية لهذا البرنامج على الاعتماد على المصادر المحلية وعلى الحرف والصنائع الأهالي من أجل الحفاظ على وتسيير مصادر التراث بحيث تم من خلالها رسم عدة أهداف منها:توحيد الجماهير حول هذه القضية وتمكينهم من لعب دور أساسي من خلال حماية والمشاركة في عمليات الحفاظ عليه وكذا تشجيع الاقتصاد المحلي بإحياء التقاليد المحلية .[1]

من خلال البرنامج كانت الإعانة مشكلة من خلال مجالس تطبيقية وتقنية وفي الحاجة إلى اقتراض وإعانات من اجل إحيائها.وعليه فمن خلاله أصبح الحفاظ على التراث يعد نشاطا تنمويا واقتصاديا باستعمال كفاءات تقليدية وموارد الأهالي الموجودة بالمجال (لكل مؤسسة أو جماعة أو وحدة)، بحيث ارتكز مخطط عمل هذا البرنامج على عشرة (10) خطوات نلخصها في مايلي:

[1]Richard Engelhardf : LEAP, Développement Potentialités locales pour la Gestion et la Conservation du Patrimoine Culturel en Asie et dans le Pacifiquein: patrimoine et développement durable dans les villes histrique du Maghrebcontemporaines, enjeux, diagnostiques et recommandations Bureau de l'UNESCO à Rabat pp 217-230.

– تحفيز فكرة تبني الجماعات للمشاركة في الحفاظ على تراثهم التاريخي وذلك من خلال إنشاء ورشات ميدانية يقوم بها الأهالي باقتراح أشكال التدخل وهذا بمراقبة ميدانية من طرف مفتشين وخبراء.

- تسخير الدوائر الحكومية المحلية من أجل استخدام الحفاظ على التراث كآلية للتنمية وهذا من خلال التسيير من أجل الحفاظ أكثر منه لأجل سبب آخر وهذا باستعمال الخرائط والدراسات وغيرها في المواقع الأثرية وغيرها من الوسائل التي تقدمها الحكومات من أجل ذلك.
- التعريف بمواقع المشاريع الهامة للسكان والجماعات و أصحابها في إطار حمايتها وذلك من خلال إعلام وتبيان سيرورة تطورها مستقبلا وكيفية استغلالها،وكذا من أجل الحصول على مساعدات الدولية.
- البناء والصيانة تعد شطرا هاما لمشاريع LEAP بإشراك كل الأطراف المقاولين والمرقين وغيرهم.
- العودة إلى مواد البناء التقليدية وهذا عن طريق مساعدة الاقتصاد التقليدي الذي ينتجها والتجارة بها كوسيلة للصيانة فيما بعد .
- الارتقاء وانعاش المهارات الحرفية التقليدية.

– تطوير السياحة بتطوير الثقافات المحلية اعتمادا على الأهالي عن طريق تكوينهم في قطاع السياحة والصناعة بحيث يكونوا هم المترجمين لثقافتهم المحلية.

- إنشاء مشاريع وبرامج تعليمية خاصة بتاريخ التراث المحلي وكيفية الحفاظ عليه وتسييره عن طريق المؤسسات المحلية والجمعيات مثل Rotaryوهذا بالتعاون مع المدارس Lions وغرف التجارة والتي أثبتت نجاحها.
- الحاجة إلى إنشاء برامج استعارة مستدامة وقروض ناجعة الأرباح للحفاظ والصيانة وتطوير هاته المشاريع ، وهذا كان عن طريق إنشاء تعاونية على مستوى المحلي في بعض الحالات كالبنوك الزراعية والتطوير الفيزيقي والذي يمكنهم من قبول قروض لتطوير الصناعات التقليدية والسوق المحلية بحيث لا تستطيع اليونيسكو التكفل بكل مشاريع التطوير هاته بحيث لابد خلق مصنع للمؤسسات القائمة على أسس الثقافة.
- من أجل الاستفادة من تجارب البلدان الآخرين، اهتم LEAP بربط الجماعات والأفراد عن طريق ملتقيات لتبادل الخبرات والمعارف بحيث يتم مرة في السنة بتنظيم ورشة

لمدراء المشاريع لمواقع LEAP وتكون مقامة من طرف إحدى هاته الجماعات المشاركة في البرنامج وذلك وفق موضوع يختار من طرف المدراء.

• **آليات تسير المواقع:** نظرا للمشاكل التي تواجهها الجماعات على المستوى الميداني في الحفاظ على التراث المحلي ،قامت اليونيسكو باعتماد عديد من الآليات نذكر منها مايلي:

- بروتوكول هوايانHoi An لأفضل ممارسات الحفاظ في آسيا بالمحيط الهادي: وهذا بتطوير اليونيسكو ونشر مجموعة من التوجيهات ترتكز فيها على أفضل ممارسة في منطقة هوايان ،وهذا لخصوصية كل منطقة بدلا من تبني تجارب بلدان أخرى تختلف عنهم.
- الإنتاج اليدوي للمالكين لمنازلهم التراثية :وهذا عن طريق ترميم منازلهم وصيانتها من خلال "دليل المالكين للمنازل التراثية" وهذا ليس لاستخلاف المهندسين والمرممين ولكن لتأطير الملاك لكي يتعلموا كيفية التعامل مع منازلهم وصيانتها .
- جوائز آسيا بالمحيط الهادي للحفاظ على التراث:تقدمها اليونيسكو بحيث استقبلت هذه الأخيرة حتى سنة 2000 ما يعادل 134 مشاركة ل 21 بلد وهذا من خلال إبرازها لتجربتها في الحفاظ على تراث منزلها أو أي نوع من الممتلكات الثقافية لها سواءا أكانت عامة أو خاصة .
- تطوير وتكوين في SIG (نظام المعلومات الجغرافية) ليكون على أساس الجوار: بحيث نشرت اليونيسكو دليل SIG لتسيير التراث بعنوان :"نظام المعلومات الجغرافية وتسيير الموارد الثقافية " وهذا من أجل تسيير الموارد الثقافية للمواقع عبر العالم باعتماد المسيرين على التكنولوجيا الحديثة .
- نشر دليل تطبيقي حول الحفاظ على التراث بمجموعة آسيا الشرقية والبنك العالمي موجه للمسؤولين على التخطيط للجماعات المجالية بعنوان:Streetwise Asia.
- تسيير التراث الثقافي والسياحي، نموذج للتعاون بين المتدخلين أو الفاعلين، بحيث تم وضع مشروع على مدى أربع سنوات على ثمانية مواقع مختارة لتطوير مجموعة من النماذج موجهة لترشيد التطور الصناعي للسياحة الثقافية في مواقع التراث، وذلك عن طريق دراسات متكاملة في الاقتصاد والسياسة والتراث ومن ثم انتاج استراتيجية طويلة المدى معتمدة على الجماعات في مجالات عدة.

- إعطاء صفة الامتياز للمنتوجات الحرفية :قامت به اليونيسكو من أجل تشجيع الحرف والإنتاج الحرفي ، وكذاإنشاء شبكة معلومات.
- إنشاء الأكاديمية الآسيوية برعاية اليونيسكو – إيكروم من أجل الثقافة والتسيير للتراث وهي شبكة جهوية للجامعات ومؤسسات أخرى للتكوين في مجال التراث بحيث تعتبر أكاديمية افتراضية مختلفة الوظائف والتي تصب كلها في تحسين القدرة الوظيفية للحفاظ وتسيير التراث في منطقة آسيا والمحيط الهادي .

وعليه وكخلاصة لتقييم هذا المشروع، نستطيع أن نقول أن هذا المشروع وضع الثقافة في قلب التطور الانساني وجعل من التراث ليس بماضي نوستالجي بل حاضرا ومستقبلا للتطور والتنمية المستدامة.[1]

[1]Richard Engelhardf: Développement Potentialités locales pour la Gestion et la Conservation du Patrimoine Culturel en Asie et dans le Pacifique, idem p 230

ب-عربيا

- إحياء مدينة حلب القديمة بسوريا:

بحيث يرجع تاريخ هاته الاخيرة الى 5000 سنة، وسجلت سنة 1986 كموقع من التراث العالمي، بحيث هدف المشروع الى الحفاظ على خصوصية النسيج التقليدي للمدينة، وذلك بواسطة إيقاف عمليات تشويهه وتخريبه ومن ثم تكييفه وتحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية للسكان كما انهم قاموا بتحديد المناطق التي يجب الحفاظ عليها، والتحكم في التغيرات المناطق التي يجب التطوير بها، إجراء إصلاحات طارئة لمنازل المدينة خصوصا لذوي الدخل المحدود، إصلاح البنى التحتية المهترئة، اعتماد مخطط استغلال الاراضي بطريقة متوازنة بين الحفاظ والتطوير، وإشراك القطاع الخاص في العملية وكذا مؤسسات دولية، المباشرة في التنفيذ من خلال الدراسة وتقييم النتائج لتبنيها في تطوير عملية التخطيط تبعا لهذه النتائج. وقد تم هذا المشروع وفق مراحل :

المرحلة الاولى :التحضير والمسح(1992-1994)، بحيث تم بها إجراء مسح للمباني وإجراء العديد من الدراسات لتقييم الوضع الراهن بها وتحديد أولويات مناطق التدخل.

- 1994-1997: هنا بدأ وضع التخطيط والمشاريع الرائدة لتطوير آليات إعادة الإحياء بحيث استعمل مخطط عام وشامل لكل نواحي الإدارة العمرانية كما تم في هذه المرحلة تطبيق المخططات العمة بشكل تفصيلي وعلى مستوى مناطق التدخل.
- 1997-2000 : إقامة المؤسسات والإجراءات تشمل تحسين نظام التخطيط نتيجة للخبرة المكتسبة من الميدان، تطور نظام القروض الصغيرة ليشمل ترميم المنازل والصيانة المعمارية ،إقامة مديرية المدينة القديمة، تبني نظام المعلومات الجغرافية.[1]
- 2001-2004: وهنا تم تطوير وسائل الادارة المستدامة والتمويل، بحيث تم اختيار مشاريع التمويل الجديدة لتشجيع المشاريع الصديقة للبيئة، تنظيم حركة المرور بعد الأخذ بعين الاعتبار للبناء العمراني العام للمدينة.

لقد اعتمد هذا المشروع منذ البداية مبدأ التخطيط الذي يعتمد على الشمولية ونظام الخطة المتكاملة، وطبعا فإن هذا التخطيط الشمولي لا يقتصر على التحليل والدراسة

[1] لقمان صخري وآخر : واقع ومستقبل المدن التاريخية في التشريع الجزائري.مرجع سابق.

والنظرية فحسب، بل تتناول التطبيق المبدئي، أين قسم إلى أقسام وكل قسم مسؤول عن منطقة ، بحيث أن 70% من أعضاء المشروع الاربعين هم عبارة عن مختصين بالبلدية و25% منهم خبراء بالجامعات ،ويتم تمويلهم من طرف الصندوق العربي والوكالة الألمانية للتعاون و5% الباقون فكانوا خبراء دوليين معظمهم من ألمانيا.[1]

- **إحياء مدينة الكاظمية ببغداد:**

تعتبر مدينة الكاظمية واحدة من بين أربعة مدن تاريخية ببغداد،وهي مدينة أثرية ذات شكل دائري، لها نسيج كثيف ومؤثر على تكوينها الوظيفي والاجتماعي والديني. قسم مشروع إحيائها الى خمسة مراحل :

- **المرحلة الأولى:** الحفاظ على المنطقة ككل:عن طريق تحديدها وإعلام جميع مالكي العقارات بالشروط والقوانين الموضوعة لإحياء المنطقة.
- **المرحلة الثانية:** تنظيم حركة المركبات والراجلين، وذلك عن طريق اقتراح تصاميم لأروقة السيارات وتوقفها للحفاظ على أزقة الشوارع بالمنطقة التراثية
- **المرحلة الثالثة:** بحيث هنا تم تصميم أبنية حديثة للمناطق المحيطة من أجل احتلال الفراغات والفضاءات المفتوحة حول الصحن لتعويض الأنسجة المهدمة بحيث تكون ملائمة مع الصحن.
- **المرحلة الرابعة:** المنظور العام للمشروع :وهو وبها تم تصليح نوعية الشوارع والأزقة والفضاءات الجديدة المقترحة ،كذلك التركيز على التصميم الحدائقي الذي سوف يستحدث في المنطقة، وكذا للحفاظ على الثروة الخضراء الموجودة سابقا بالمنطقة.[2]

- **Abulghader. A.bufayed :Ghadames, la Réhabilitation tant que Base pour Assurer un Développement Durable.**

تقع مدينة غدامس في الضواحي الشمالية للصحراء على بعد 600 كلم جنوب غرب طرابلس عاصمة ليبيا والتي تم تأسيسها منذ أكثر من 4000 سنة والتي كانت تعتبر أهم مدينة بالصحراء لموقعها الاستراتيجي بين بحر المتوسط وصحراء إفريقيا ، ولقد تتابع عليها كل من العثمانيين والإيطاليين والفرنسيين حتى 1956 باستقلالها.

[1] : www.gtz-aleppo.org

[2] خويلد عبد القادر:عملية تجديد لحي بني ابراهيم ،ورقلة،مذكرة تحرج لنيل شهادة مهندس دولة في الهندسة المعمارية ،بسكرة ،2002.

لقد تم تصنيف مدينة "غدامس" القديمة بليبيا من طرف اليونيسكو كتراث عالمي وذلك سنة 1986، باعتبارها مجالا لمؤسسة الانسان المستدامة، بعد أن تم هجرها من طرف سكانها في سنوات 70 حتى منتصف الثمانينات(80) وذلك للالتحاق بأحياء جديدة مصممة بالإسمنت ومجهزة بمعدات حديثة، والذي شكل هذا تهديدا على بقاء المدينة القديمة لأن مبانيها قد غطتها وبدأت تحجبها، بحيث استعمل السكان منازلهم التقليدية ومنشآتهم الخاصة كمطاعم ومعارض في المهرجانات مما غير كثيرا المجال الفيزيقي نظرا كون المدينة التقليدية احتوت على سبعة أبواب[1] أي مداخل وتطورت في ما بعد إلى سبعة أحياء كما احتوت على مساجد وزوايا ومدارس أغلبها فردية وهذا بنسبة 80% ذات نمط معماري إسلامي المشيد بالطوب والطين وبأقواسها وشوارعها وأسواقها التجارية ومنازلها المغطاة التي تحوي على جزء سفلي مهيأ للأشغال الزراعية والطابق الأول يحتوي على قاعة استراحة والقاعة الرسمية بقبتها وغرف نوم وفي آخر الرواق المطبخ . وعليه فقد كانت هاته المنازل التراثية تجرى بها عملية الصيانة مرة كل سنة أو في المناسبات وعليه برحيل سكانها عنها تدهوت حالتها بسبب أن كل منزل ملتصق بجدار الآخر وعليه فإن تدهور أحدهم وسقوطه ينجر عنه تدهور حالة الآخر.

لقد شرع بإعادة تأهيل مدينة "غدامس" في أكتوبر سنة 2000 بحيث تضمن هذا المشروع عشرة أهداف لضمان تنمية مستدامة للمدينة وكانت متمركزة هاته الأخيرة على تكوين المهارات اللازمة للتسيير المستدام للمدينة بالموازاة مع إشراك الجمعية والترقية والاستثمار في السياحة المرتبطة بالمدينة .

لقد كان هدف هذا التدخل هو إبراز دور هاته النشاطات في إعادة تأهيلها لتحقيق التنمية المستدامة لها، ولتحقيق هذا الهدف تم التطرق على الجانب الجيوفيزيائي والتاريخي متبوعا بوصف معماري للمدينة ومورفولوجيتها الحضرية ،بحيث تم عرض وتقديم للأشغال الأساسية لإعادة التأهيل مرفقة بالتحديات الواجب مجابهتها وكذا التأثيرات الثقافية والاجتماعية للمشروع على الجماعات ومساهمتها في تنمية المدينة.

[1]Abulghader. A.bufayed:Ghadames,la Réhabilitation tant que Base pour Assurer un Développement Durable in:patrimoine et développement durable dans les villes histrique du maghreb coptemporaines ,enjeux,diagnostiques et recomendations,Bureau de l'UNESCO à Rabat pp 95-102

تم اقتراح الحفاظ عليها سنة 1983 من طرف اليونيسكو ،ومن طرف مركز الأمم المتحدة من أجل المؤسسات الانسانية (HABITAT) في 1990 ومن طرف خبراء "غدامس " المحليين في 1994 وال PNUD في 1998 و L'UNOPS في 1999 من أجل تطوير مخطط عمل وتدخل عام من أجل إعادة تأهيل المدينة والذي احتوى على الأشغال التالية:

- تكوين كفاءات لتسيير المدينة بصفة تنموية.
- ترميم وإعادة تأهيل للمؤسسات بالآجر و الطين.
- إعادة تأهيل منابع المياه.
- صيانة شبكات مياه الشرب والتطهيروتصريف المياه القذرة.
- إعادة إحياء الإنتاج الزراعي.
- تحسين مصالح وخدمات السياحة.
- إجراء دراسات وأبحاث لتطوير المدينة.
- إعادة إحياء الانتاج الحرفي والتقليدي.
- التعاون مع العوام وإشراك الجماعات في الترقية والاستثمار من خلال فرق تقنية وحرفية وعمال ومهندسين برئاسة رئيس المشروع أو مديره.

لقد تم تنفيذ 80% من المشروع وقررإنهائه في نهاية 2004.

بحيث تم تأهيل 11 طريق أو ممر و07 أبواب و11 مكان عمومي و13 مسجد و10 زوايا 02 ومقبرتين ومدرسة و40 موقع بالصيانة الاستعجالية في الشوارع الرئيسية 04 مراحيض عمومية و 05 قوارب تاريخية تم فتحها و02 sous les secteurs de les canaux historiques ouverts وذلك بمجموع 106 .

تأثير هاته العملية على المدينة:

- تكوين مهارات تقنية في المجال البناء القديم ذا النمط التقليدي .
- تم إعادة ربط العلاقات الثقافية بين سكان "غدامس القديمة" والجيل الجديد بغدامس الجديدة،ومن ثم إنقاذ العادات والتقاليد القديمة .
- توفير الشغل وإنعاش الاقتصاد المحلي والسياحة.
- إحياء الضمير السكان وتوعيتهم بالتراث.
- تقليص تكاليف الحفاظ بإشراك السكان المحليين.

وعليه ومن خلال كل انضوى عليه من أهداف، فإن هذا المخطط يعد بمثابة تجربة رائدة يحتذى بها بالبلدان العربية.[1]

ت- قصبة الجزائر والمخطط الدائم لحفظ واعادة الاعتبار للقطاع المحفوظ لها:

ظهر مفهوم القطاع مع القانون 04-98، المتعلق بحماية التراث الثقافي وخاصة في محوره الثالث، لكن تمت المصادقة عليه في سنة 2003 من خلال مرسوم تنفيذي 324-03 المتعلق بكيفيات تسيير مؤسسات المخطط الدائم لحفظ واعادة الاعتبار للقطاع المحفوظ، وفي سنة 2005، تمت المصادقة على إصدار المرسوم التنفيذي رقم 5 .173 المتعلق بإنشاء وتحديد القطاع المحفوظ للقصبة الجزائر.[2]

بحيث يعتبر هذا المخطط آلية لتسيير القطاع الذي يضمن له :

- التطور التناغمي والطموح للمركز التاريخي المتزامن مع الآليات التحضر المطبقة على باقي المدينة.
- إظهار الإبداع المعماري على مستوى القطاع المحفوظ في ظل احترام البناء القديم.
- الحفاظ على القيم التاريخية و الأثرية.[3]

- **حدود القطاع المحفوظ :**

تفوق حدود القطاع المحفوظ حدود التراث المصنف عالميا و وطنيا بين 91 و 92 هكتار و ذلك بإدماج منطقة ضاحيتية للحماية باعتبارها قطعة من هذا القطاع ، و هذا بتطبيق القرار التنفيذي رقم 05-173 لسنة 2005 المحدد للقطاع المحفوظ للقصبة الجزائر كالتالي من شمال : من محور لوني ارزقي و شارع وادلي محمد .

- **مساحة القطاع المحفوظ** : بحيث تغطي كل القطاع المحفوظ بالإضافة الى الأميرالية و جزء من الميناء و البلديات المجاورة : الجزائر الوسطى من الجنوب و الباب الواد من الشمال ومن الغرب تتقاطع مع الحدود الادارية لبلدية القصبة و واد قريش، و مساحته الاجمالية تقدر 105 هكتار .

- **مكونات القطاع المحفوظ**

[1] Abulghader. A.bufayed ,idem p 102

[2] وزارة الثقافة :الديوان الوطني تسيير واستغلال الممتلكات الثقافية والوكالة الوطنية للقطاعات المحفوظة

[3] وزارة الثقافة : نفس المرجع السابق.

– من الشرق : الأميرالية و مسقط خير الدين ، من الجنوب يحتوي على le mole el djafna ، قاع الجفنة الواقعة في محاور الشارعين عزوز بن شابير و بقال ساعد و بون و ذبيح شريف للوصول الى الحصن من الجنوب غربي لثكنة علي خوجة ، ومن الغرب حي بوعلام بن قنة .

– تغيرت تيبولجية النسيج القطاع المحفوظ حسب الاحداث التاريخية التي مرت بها و سياسة كل المحتلين لها، من النسيج التقليدي في الفترة العرب الاندلسية و العثمانية و توسعت في جهة العليا لحدود القطاع .

– نسيج فرنسي لفترة الاستعمارية و توسع في جهة السفلى و كل المنطقة المحيطة به .[1]

– نسيج مختلط من المباني التقليدية remaniées أو بناء على أثار تحتوي أساسا على منطقة وسيطية متدخل فيها بتوسعات الطرق الفرنسية ، شارع عمار القامة و سوق الجمعة .

– بعد الاستعمار عدة مشاريع تترجم تدخلات خصوص في القصبة السفلى .

- **الطبيعة القانونية** : كل المعلومات المقدمة من طرف وكالة الاراضي مكنت CNERUلتصنيف الوضع القانوني لبعض التجزئات، لكن يبقى اغلبها مصنف مجهول. بحيث أن خاريطة CNERU للوضع القانوني تبقى غير ناجعة تعقيد الملكية (الورثة، المالك المجهول و غيره).
- **منهجية الاقتراب** : كانت متطابقة او موافقة لمخطط و قائمة على الاساس القرار التنفيذي لسنة 2003 القاضي بوقف تدهور و تهميش المدينة القديمة و هذا بوضع آلية فاعلة لدمج موقع القصبة في المنظور الجديد لمتروبولية الجزائر بتركيز على قيمتها و خصوصيتها و كذا مشاكلها، و في اطار التنمية المستدامة يتوجب القيام بخطوة قائمة على الاستماع و التشاور بدمج كل الفاعلين الاجتماعيين و الاقتصاديين لأنه لتسيير نسيج حضري خاص يتوجب تضافر نخبة من الفاعلين العوام و الخواص و السياسيين و المسؤولين و الملاك و المستثمرين و البنوك و المكاتب الدراسة و المؤسسات و الجمعيات و غيرها ...

[1]Centre National d'Eudes et de Recherches Appliquées en Urbanisme(CNERU), Alger, PPSMVSS de la Casbah d'Alger, édition finale 2009 ,30.Rue Hassan Ben Naamane Bir Mourad Rais - Alger

- **محتوى مخطط حفظ قطاع القصبة(PPSMVSS)** مصمم من قبل (**CNERU**)[1]: لقد صمم هذا الأخير وفق ثلاثة مراحل بحيث تمت المرحلتين الاوليتين في وقت نفسه:

– المرحلة الأولى : التشخيص و مشروع الاشغال المستعجلة.

– المرحلة الثانية : التحليل التاريخي و تيبولوجي و المشروع التمهيدي لمخطط الحفظ القطاعات.

– المرحلة الثالثة : كتابة شكل بياني لمخطط.

بخصوص **المرحلة الأولى** الخاصة بتحديد الاشغال المستعجلة تمت عن طريق أبحاث متعددة الابعاد بمعاينة حالة مباني و شبكات و تحديد مختلف المشاكل الامراض التي ادت الى تدهور هذا القطاع لاخدها بعين الاعتبار في التدخل السريع الذي كان هدفه توقيف كل عوامل التدهور، و ذالك عن طريق تقارير يرفعها رئيس المشروع مدعمة بجداول تلخيصيه لحالة كل مبنى و شبكة متدهورة اين يتم اعطاء شرح تفصيلي مؤقت لمصالح البلدية و مديرية الثقافة و لمصلحة تسيير القطاع المحفوظ و استخدامها كدليل في الاعمال (d'étayement) اين تم انهاء هاته المرحلة في ماي 2007 و اعتمادها في نوفمبر من نفس السنة ، بحيث تم اعلان عن بدأ الاشغال التدخل السريع في ديسمبر 2007 .

– **المرحلة الثانية** : التحليل التاريخي و طوبولوجي و مشروع التمهيدي لمخطط لكي يتماشى مع الخطوة الاولى و يتطابق مع المادة 45 لقانون 04-1998 الخاص بتحديد بعض القواعد استغلال الارض و احترامها و تحديد شروط المعمارية للحفاظ على التراث عن طريق منهجية اقتراب معتمدة من جماعة CNERU و اطلق عليه اسم (التحليل النمط المورفولوجيا) يتطرق من خلالها لتركيبة تاريخية طوبولوجي و عمرانية و بنائية للقطاع بإضافة إلى دراسة فيزيائية و جيوتقنية و دراسة ديمغرافية و سوسيو اقتصادية و دراسة محيطية و كذا دراسة لمختلف الشبكات ، لقد تم انهاء هذه المرحلة في نوفمبر 2008 و اعتمدت في سنة 2009 .[2]

[1]Centre National d'Eudes et de Recherches Appliquées en Urbanisme(CNERU), Alger, PPSMVSS de la Casbah d'Alger, édition finale 2009 ,30.Rue Hassan Ben Naamane Bir Mourad Rais - Alger

[2] CNERU, , PPSMVSS ,idem

– **المرحلة الثالثة :** التقرير النهائي لمخطط بحيث تمت كتابته بشكل متوافق مع مادة 03 لقرار 2003 و المتعلق بمؤسسات و مخطط الحفظ و عليه اعتمد على مراجع كل مؤسسات المتعلقة بهذا القطاع خصوص PDAU و علاقته بهذا المخطط من خلال اظهار نتائج حالة حفظ المباني، حالة مخططات الشبكات الصرف و التغدية بالياه الصالحة للشرب و تصريف مياه الامطار المستعملة، تصريف و الحد من الأوساخ الصلبة، التعريف بإطار الديمغرافي و الاجتماعي و الاقتصادي و كذا مختلف التجهيزات العمومية بالإضافة إلى الطبيعة القانونية للمتلكات الغير منقولة و كذا مختلف البرامج المسطرة للتجهيز.

– **مشروع الخطوة الاولى :**(مقياس التدخل العاجل) : يحتوي المخطط الاستعجالي على تحليل و معاينة و مقاييس الاستعجال التي تساهم في توقيف سيرورة الانهيار و كذا رصد حالة حفظ المباني و الشبكات ، و كذا انشاء بطاقات (thématique) خاصة لكل النقاط المذكورة و مكونة لقطاع المحفوظ ، بحيث يتم تجميع هذه التدخلات العاجلة على شكل دفتر تدخلات العاجلة من خلال تصنيفها: **الصنف الاول** مباني متدهورة جدا تستوجب الترميم à conforter de l’extérieur et à étayer de l’intérieur

– **الصنف الثاني:** مباني متدهورة جدا يتوجب مغلقة أو مسيجة mure حماية لها من الكوارث الطبيعية وكذا من السكن بها بطريقة غير شرعية .

–**الصنف الثالث:** مباني متدهورة جدا ، à étayer de l’intérieur.[1]

–يعتبر مخطط العمل الفعلي للتدخل العاجل حاويا عل ملخص لحوصلة تحليلية لحالة الحفظ (مباني وشبكات) وكذا على اجراءات التدخل السريع.

– على دفتر شروط لمختلف التدخلات، اقتراح لوضع ورشات وقواعد حياة، وتقدير لأعمال التدخل العاجل، بحيث قدمت دفتر الشروط لمكاتب الدراسة المتدخلة . وكذا دليل الى فرق التدخل العاجل un annuel d étayement provisoire.

– أما بشأن الخطوة او المرحلة الثانية : فهي متمحورة حول الدراسات التحليلية الفيزيائية والجيو تقنية القائمة على أساس كشف توبوغرافي للقطاع وسبر للموقع من طرف ورقة لدراسة للمشروع للميترو، بحيث تضمنت خرائط لمواقع الممتلكات

[1] CNERU: PPSMVSS ,idem

الأركيولوجية الظاهرة ومنحنيات الجيولوجيا و متطلبات جيوتقنية و تبولوجية. تليها كتابة تقرير وصفي لمكونات الارض و تحويلها وتدخلها الجيوتقني. أما في ما يخص تلخيص التحليل التاريخي والذي تم بفضله استخراج الخرائط عديدة كمراحل تطور القطاع المحفوظ، القواعد المطبقة التي بنت تركيب و تحويل لمناطق المكونة للقطاع، مواد و تقنيات البناء، تقنيات المسطرة في تزويد المياه الصالحة لشرب و كيفية تصريف النفيات الصلبة، نمط تصريف شبكات صرف المياه القذرة في اظهار الطرق الشبكة الهيدروليكية في حقبة قصبة جزائر بني مزغنة و من حقبة ايكوزيوم الى جزائر بني مزغنة و كذا في الحقبة العثمانية من خلال شبكات التطهير بالقصبة.

- كما تم تطرق الى دراسة ديمغرافية و سوسيو اقتصادية عن طريق التعريف بنشاطات الحرفية و صناعية و تجارية و تعريف بتجهيزات و كذا الطبيعة القانونية للملاك و هذا ما قام به CNERU في 2007 .

– كما تم انشاء دليل تقني و مواد البناء و هذا من أجل استخدامها في عمليات الترميم و إعادة التأهيل و بناءات الجديدة كما تم تصميم كتب خاصة بمناطق متجانسة و هذا لمعرفة كيفية البناء و سر تناغم بينه و بين بنايات.[1]

– أما بشأن مهمة تنفيذ هذا المخطط فقد تم إسنادها إلى الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية والوكالة الوطنية للقطاعات المحفوظة،التابعين لوزارة الثقافة، المسؤول الأول على القصبة.

- **المتدخلون (القطاعات الفاعلة)**

وزارة الثقافة	**مديرية التراث،مديرية الثقافة،اللجنة المختلطة واللجنة التقنية(وزارة الثقافة وولاية الجزائر)**
وزارة الداخلية	**ولاية الجزائر،المجلس الشعبي الولائي والبلدي (القصبة ،الجزائر الوسطى،باب الواد)**
وزارة السكن والعمران والمدينة	**مديرية السكن،مديرية البناء والتعمير،مديرية التجهيزات العمومية**
وزارة التضامن	**للمتابعة الاجتماعية للعائلات المرحلة أو المنكوبة**
وزارة المالية	**مديرية الأملاك،مديرية مسح الأراضي،مديرية الحفاظ**
وزارة الشؤون الدينية	**الأوقاف،الحبوس(الممتلكات)**
وزارة العدل	

[1]Centre National d'Eudes et de Recherches Appliquées en Urbanisme(CNERU), Alger, PPSMVSS de la Casbah d'Alger, édition finale 2009 ,30.Rue Hassan Ben Naamane Bir Mourad Rais - Alger

وزارة الري	مديرية الري،سيال
وزارة الأشغال العمومية	مديرية الأشغال العمومية
وزارة الطاقة	سونلغاز
وزارة النقل	مديرية النقل،ميترو الجزائر
وزارة التهيئة الإقليمية	مديرية البيئة،
وزارة الدفاع الوطني	الدفاع الوطني،الدرك الوطني

- **نتائج مخطط الحفظ واعادة الاعتبار لقصبة**

– تحديد قواعد عامة و فهم كيفية شغل الاراضي.

– الشروط المعمارية التي تضمن من خلالها المحافظة على المباني و الاطار الحضري.

– تحديد المعايير الخاصة للحماية، خاصة تلك التي تتعلق بممتلكات الثقافية الغير المنقولة الواقعة في القطاع المحفوظ .

– حدد حوصلة لكل من حالة الحفاظ على المباني والمنجزات وكثافة السكان وإحصاء البنايات الغير شرعية و الفوضوية و العشوائية. وكذا معاينات لمحيط والنظافة و تنقل و نقل.

–إنشاء معايير استعجالية و توصيات لحماية مؤقتة لموقع و كذا يحلل التطور الحضري عبر مساره التاريخي وإبعاد الاخطاء عنه ، كما احتوى علىمختلف الشبكات و خصائص الحضرية و سيرورات البناء و العمران عبر التاريخ. المعطيات الاقتصادية و الديمغرافية، الوضعية القانونية و المالية.

– إحصاء النصب ذات الاهمية التاريخية و المعمارية و الاثرية من أجل اخذها بعين الاعتبار في الترميم و اعادة التاهيل و اعادة الاعتبار لممتلكات الثقافية المحمية أو غيرها.

و عليه فمن البديهي ان تدخل القصبة في الاطار المحطط التوجيهي لتعمير PDAU من خلال كل القطاعات المساهمة .

- إن من ضمن **عوامل عرقلة الدراسات الخاصة بالقصبة** هو عدم توحيد طاقات مختلف القطاعات لتفعيلها، و عليه فقد جاءت خطوة الخلية مهمة في توحيد الجهود بحيث ترتكز هذه اللجنة التقنية المسيرة أو المؤطرة و هي تتكون من خبراء و التقنيين يمثل مختلف الشركاء، اللجنة المختلطة و هي تهدف الى جمع المعطيات و ترميزها

و توجيهها و وضع كل هذه الاخيرة لدى مكاتب الدراسات عن طريق الاجتماعات بحيث تجبر هذه المكاتب على تقديم حوصلة تقدم الدراسات للجنة المختلطة،التي تنظم كل 15 يوما اجتماعا تتشاور فيه على المشاكل المذكورة من طرف اللجنة المؤطرة .[1]

- لقد تم في إطار مخطط بدأ الأشغال للمخطط الحفظ واعادة الاعتبار، في تفعيل تلك الدراسات المتعلقة بالحفاظ وإعادة البناء، كما هو مقرر التكفل ب 08 منازل تاريخية،07 نصب أثرية مشهورة 05 مساجد وزوايا،128 أثر سيعاد بنائه،57 قطعة فارغة و45 بناية.بمجموع 235 مبنى.[2]

كما تجدر الإشارة إلى أنه 24 مكتب دراسة تدخلوا في المرحلة الثانية للأشغال الاستعجالية وكذا 46 مؤسسة هم على استعداد لبدأ أشغال الترميم في انتظار تسليم الصفقة.[3]

- إعادة إسكان في جويلية 2014: لقد تم في هذا الإطار في شهر جوان من نفس السنة من طرف المصالح ولاية الجزائر، بإنشاء قائمة متكونة من 27 بناية لإعادة إسكانها لهذا البرنامج بما فيها بنايتين تم إدراجها في 10 جويلية 2014 وهي: بناية رقم 12 شارع رابح سمالة وبناية رقم 06 بشارع نفيسة.
- هناك بعضا من هاته المباني لازالت محتلة من طرف سكانها، وهذا ما شكل عائقا أمام مصالح خلية القصبة من إدماجهم في مخطط بدأ العمل .
- أما بشأن استكمال باقي البرنامج من حيث سيرورات الاستعمال والضبط ورفع التحفظات من قبل المقاطعات الادارية فهي جارية .
- سيرورة العمليات بعد زلزال أوت 2014: بعد زلزال 01 أوت 2014، وبتعليمات من الوالي، تم إنشاء خلية أزمة بالديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية، والتي سمحت بوضع ثماني 08 لجان، بحيث أن كل واحدة منها تتكون من مهندسين معماريين خاصين بخلية القصبة وقطاع OGEBC ومهندسين في المراقبة التقنية والبناء وممثل عن بلدية القصبة وعضو من الحماية المدنية. بحيث كان هدف اللجنة هو مسح ومعاينة كلية لمجموع مباني القصبة، بحيث كانت الأولوية معطاة للبنايات

[1] Centre National d'Eudes et de Recherches Appliquées en Urbanisme(CNERU), idem

[2] الوكالة الوطنية لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية ،خلية القصبة OGEBC

[3] OGEBC:idem

المصنفة من طرف مخطط الحفظ في حالة جد متقدمة من التدهور ،بحيث انه بلغ إجمالي البنايات المعاينة في ظرف خمسة أيام من 3 إلى 07 أوت 2014 عدد 998.

–كما سرع هذا الزلزال بالسلطات إلى تنظيم عملية إعادة إسكان لإجمالي 45 بناية، قد تم ترحيلها مايعني 313 عائلة.[1]

– إن من جملة الصعوبات التي واجهها الديوان أثناء مخطط بدأ الأشغال هو عدم فراغ بعض هاته البنايات المرحلة كليا من السكان،مما جعل إمكانية احتلالها بطريقة غير شرعية وارد مما دفع للديوان بالقيام بتنصيب مصلحة أمن مكونة من 24 عون مكلفة بحراسة البنيات المغلقة المرحل سكانها من الاقتحام غير الشرعي.[2]

- **تلخيص لحالة حفظ المباني:**

– على مستوى 2189 قطعة أو جزء :83٪ من المباني الباقية و17٪فارغة أي 1816 مبنى باق.

– 30٪ منها بحالة جد متقدمة من التدهور

– 50٪ منها بحالة متوسطة أو سطحية التدهور.

– 10٪ في حالة انهيار (أردام)

– 10٪ مغلقة أو محوطة بأسوار.

أغلبية المباني هي في حالة جد متدهورة ومنهارة وفارغة وتقع في القطاعات الفرعية للنسيج التقليدي .

باقي المباني تقع في القطاعات الفرعية للنسيج المختلط. أغلب المباني الأقل تدهورا والمتوسطة التدهور تقع في القطاعات الفرعية القريبة من المسالك الميكانيكية، بحيث ان الملاك الخواص الذين يحتلون ممتلكاتهم هم الذين يضمنون صيانتها.

لقد تم تقسيم القطاع المحفوظ إلى أربعة قطاعات فرعية، ومن خلالهاتم تقسيم عمليات التدخل إلى 04 أنظمة مكونة للنسيج الحضري هي التجزيئات، التجهيزات، الإطار المبني، الأماكن الحرة، وهذا ما يسمح بتنظيم الأنسجة كل حسيب خاصيته المورفولوجية. وتحتوي هاته الأخيرة على وحدات:

[1] الوكالة الوطنية لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية ،خلية القصبة

[2] نفس المرجع.

– **الوحدة الاولى:**ضمن قطاع، عمار علي، البحر الأحمر، سيدي رمضان، وتتميز بالكثافة والبيوت التقليدية ، إذ تعتبر أحياء أثرية.

– **الوحدة الثانية:** للقصبة السفلى، سوق الجمعة، حي لالاهم، بحيث يحتوي هذا الأخير على بنايات واقعة في شارع النصر، بحيث به نسيج مختلط مابين التقليدي والعصري.

– الوحدة الثالثة: تضم النسيج الكولونيالي والتجهيزات الأمنية والمدرسية .

– الوحدة الرابعة: وتضم المنطقة التي تحتوي على الأميرالية أو رصيف خير الدين.

وعليه فقد شمل هذا الجانب التقني:التدخل على مستوى الشبكات المختلفة طرقات تطهير مياه ،إنارة وغاز بالاشتراك معSONALGAZ و PTTوONA.

–كما تم إشراك المجتمع المدني والجمعيات والسلطات المحلية والمالكين في تنفيذ عمليات المخطط. و ما تنظيم مسابقة أحسن منزل 2013 وأحسن حي سنة2014 بمساهمة أساتذة علم الاجتماع والهندسة المعمارية مع جمعية حماية القصبة إلا دليل على ذلك.

جدول يبين حوصلة بحالة حفظ المباني [1]

الاحياء	التجزئة	فارغة	بنايات	قدم درجة اولى	قدم درجة ثانية	قدم درجة ثالثة	قدم درجة رابعة	مهدم	محوط بأسوار	مغلق	بناء غير شرعي	مصلح	اعمال في طور الانجاز	اعمال متوقفة
البحر الاحمر	253	28	199	33	50	15	38	25	05	09	10	22	07	10
عمار علي	917	62	855	99	171	167	80	104	18	74	30	74	22	16
سيدي رمضان	203	39	164	04	16	31	50	14	03	26	03	03	14	02
عمار القامة	330	11	319	20	40	58	130	16	02	29	11	07	04	03
سوق الجمعة	204	29	174	10	17	14	74	06	11	17	02	13	03	10
لالاهم	96	63	33	02	02	02	18	-	01	-	-	03	-	05
البحرية و الميناء	82	Place	78	0	01	14	63	-	-	-	-	-	-	-
القلعة	16	02	13	-	01	03	07	-	-	-	-	01	01	-
منطقة الضاحية	88	06	82	10	11	24	36	-	-	01	22	-	01	-
مجموع القصبة	2189	240	1816	178	273	328	496	165	40	155	78	123	52	46
مجموع القصبة			/83	10	15	18	27	10	2	8	4	6	2	/2

[1] 1-2-Centre National d'Eudes et de Recherches Appliquées en Urbanisme(CNERU), Alger, PPSMVSS de la Casbah d'Alger, édition finale 2009 ,30.Rue Hassan Ben Naamane Bir Mourad Rais - Alger

حوصلة البناء غير الشرعي و الهش[1]

Extension illicite	Construction illicite précaire	Surélévation colonial récente	Surélévation colonial	Surélévation récente	Bâtisse	parcelle	الاحياء
04	10	09	25	50	199	253	البحر الاحمر
19	30	07	82	126	855	917	عمار علي
-	04	-	02	22	163	203	سيدي رمضان
03	05	04	55	12	319	330	عمار القامة
13	05	02	07	34	174	204	سوق الجمعة
02	22	-	-	02	33	96	لالاهم
-	-	-	-	05	78	82	البحرية و الميناء
-	-	-	-	-	13	16	القلعة
-	22	-	-	20	82	88	منطقة الضاحية
41	76	22	171	271	1816	2189	مجموع القصبة
/2	/4	/1	/9.5	/15	/100		مجموع القصبة

كل هاته المباني تسببت في انعدام النظافة بالقصبة وتحولها الى مركز عبور دائم. 2

- **التدخلات الاستعجالية :**

لقد جاء في اطار مخطط مجموعة من التدخلات الاستعجالية من اجل توقيف او حد من سيرورة التدهور بالقصبة و هذا بدءا بالحالات الاكثر خطورة الى الابحاث الاكثر دقة بالتركيز على مختلف مصادر التدهور،و قد تطورت هذه الاشغال (التدخل الاستعجالي) بمحورين، بحيث مس 717 منزل ،المحور الاول غطى 394 منزل و المحور الثاني لا يزال قيد الانجاز إذ يغطي 323 منزل .

ضمت الأشغال 24 مكتب دراسة و 150 مؤسسة و هما على ميدان العمل .

أما بشأن الاعمال الاستعجالية لفترة 2007 و 2010 ، تمثلت في حالة حي عمار علي، بحيث تم إنشاء بطاقة تقنية لكل مبنى و تم اقتراح ما يلي : يجب اعادة اسكان السكان و إفراغ المباني من أجل ترميمها .

يواجه المخطط مشكل انفجار سكاني بحيث تم طرح امكانية تقليل هذه الكثافة على المباني القديمة و التي تمثل اشكالية المخطط. كما تم تعداد 253 لا تتطلب اعادة الاسكان .

1: Centre National d'Eudes et de Recherches Appliquées en Urbanisme(CNERU)

- **مهام الوكالة الوطنية للقطاعات المحفوظة :**

– وضع قائمة بأشكال امتلاك مساكن القصبة :حبوس ،ملك،ملك الديوان الترقية العقارية.

– وضع خلية استماع موجهة للمالكين في حالة ترميمهم وأخذ آرائهم بعين الاعتبار.

– حاليا حوالي 266 عائلة وضعت ملفها لدى الخلية لطلب التأهيل والترميم.

– حوالي 120 مالك طلب التنازل لملكيته لصالح الدولة .

– تم رصد ظرف مالي قدره 92 مليار دينار خاصة بالقانون المالي 2013 لمدة 10 سنوات خاصة بعملية ترميم وإعادة الاعتبار للقصبة.

– قدر الجزء الأول بمبلغ 24 مليار دينار متعلق بالمدة ما بين 2013 و2015 وهذا لدراسة وترميم الممتلكات العقارية خصوصا لأحياء سيدي رمضان وعمار علي و البحر الأحمر.[1]

- **مشروع محطة ميترو الجزائر ورفع التحدي للإبقاء على تراث القصبة**

يقع هذا المشروع في ساحة الشهداء بالجزائر العاصمة، بحيث كشفت التقارير الأثرية المنجزة في 2008 و 2009 أن هناك تأثير كبير لهاته الأشغال على الآثار الموجودة في أسفل الأرض والتي تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد، هذا ما تطلب تعديل المشروع الأول لأشغال الحفر بالميترو، وكذا تقليل وتنظيم حركة الدخول و التنقل به. وهذا للتمكن من إنشاء متحف المحطة مستقبلا.

بحيث تخضع أرض الميترو إلى الموقع الأثري بمساحة 3500 متر مربع وينقسم إلى عدة مناطق متقطعة ومنطقة رئيسية، بحيث ستضم مواقع متخصصة للمسافرين الميترو(محطة المنطقة الشمالية) وكذلك مكان سيخصص للمتحف (المنطقة الجنوبية).

–**المنطقة المتحفية** : بحيث ستكون الآثار معروضة للعامة في متحف المحطة قصد التعريف بالقصبة وتاريخها. كما ساعدت هاته الحفريات الأثرية على التعرف على أواخر عهد مسجد "السيدة" قبل تهديمه من طرف الاستخراب الفرنسي فى1830، وتبيان حالته في القرن 19 عشر وكذا الحي الحرفي أو السوق الذي كان متواجدا

[1] وزارة الثقافة. والوكالة الوطنية لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية .

بنفس الفترة، والتي سيتم عرض دكانين منها ومقبرة بزنطية وكذا معلم عمومي للامبراطورية السفلى أين سيتم عرض فسيفسائها للحفظ والتفرج.

أما بخصوص الفترات الوسيطية فقد تدمرت غالبتها بتلك الزلازل المتتالية عليها والتي لم يبق منها إلا بعض الجدران الشاهدة على فترة إعادة بناء الجزائر منذ القرن 17 عشر تعتبر هاته الخطوة بمثابة خطوة جبارة للحفاظ على تراث القصبة وعرضه للعامة والتي تستوجب دراسة متحفية راشدة لتسيير هذا المشروع المعماري الذي سيتوافق مع التحديات التراثية الموجودة على الموقع والتي تطلبت تقليص وتكييف عمليات الهدم من طرف المهندسين المدنيين وهذا بمجموع 2100 متر مربع بحيث تقرر أن تتم أشغال الهدم بالميترو وفق منهجية علم الآثار الوقائي التي يمكنها من الحفاظ على تاريخ القصبة، بحيث أن عناصر المشاهدة التي تبقى على مساحة الساحة هي نقاط الدخول إلى الميترو بما فيها المتحف ،وعليه ومن هذا المنظور ستبقى ساحة الشهداء منطقة مفتوحة.[1]

- **نماذج عن بعض الترميمات بالقصبة :**

قد تم ترميم قصر رياس البحر أو حصن 23 بالتعاون مع شركة إيطالية وشركة 'إيبو"الجزائرية ،وكلف هذا المشروع وحده حوالي 20 مليارسنتيم.

أما في يخص المساجد فقد تم ترميم:المسجد الكبير سنة 1999، المسجد الجديد سنة 2002 ،مسجد علي بتشين ،مسجد بن علي وسيدي محمد الشريف ، مسجد كتشاوة في طور الترميم .

الأضرحة: ضريح سيدي هلال سنة 2001 ، ضريح سيدي عبد الرحمان – ضريح سيدي بوقدور. أما **القصور**، نجد قصر مصطفى باشا سنة 2005، قصر دار الحمراء سنة 2005قصر دار الصوف سنة 2006 ، قصر دار الألفية (المئوية سابقا) سنة 1999، قصر دار القاضي وقصر حسن باشا .

بالإضافة إلى إعادة الاهتمام بالطرقات وقنوات صرف المياه القذرة وقنوات مياه الشرب والإنارة العمومية على مستوى 40٪ من الطرق والممرات وما تزال العملية متواصلة.

[1] الوكالة الوطنية للقطاعات المحفوظة والديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية : دراسة تأثير مشروع محطة ميترو الجزائر على القيمة التراثية لقصبة الجزائر.

في شهر أكتوبر 2004 ، تم الشروع في عملية التطهير ورفع الأردام المتراكمة منذ عشريتين حيث تم رفع حوالي 100.000 م مكعب من الردوم وتهيئة عدة مساحات للعب والرياضة وكذا طلاء الواجهات وانتهت العملية في شهر فيفري 2005... وجراء الزلزال 21 ماي 2003 تم تدعيم وتهيئة البنايات المتضررة بحيث تم التدخل على مستوى 125 بناية (كولونيالية) و 192 بناية (تقليدية).[1]

القلعة : و التي ما تزال قيد الاشغال بما تشتمله من البطارية 04 و حمام الانكشارية و حي الانكشارية و جامع الداي الجديد و قصر الداي، و مقر البارود و قصور البيات و الكازمات و جناح الصيف (تدعيمها بصور) .

أ –**بطارية رقم 4** : تم تزويدها بدعائم و احاطة القبب بهذه البطارية الواقعة بممر بشارع محمد طالب. بحيث تم تثبيت المؤسسات و غلق الطريق الميكانيكية من اجل تفادي اي خطر على المقيمين بجانبه كما تمت اعادة تفكيك الاجزاء التي تهدد الاثار و كذا انجاز اعمال التدعيم عن الطريق اعادة اعتبار لهذه الاثار و اخيرا اعادة بناء البطارية رقم 4 .

ب– حي الانكشارية : بحيث تم تدعيم و ترميم المطعم القديم للانكشاريين .

- تدعيم سور الكازمات.
- تسييج حدود الأسوار لقلعة بعد تهديم المساكن غير الشرعية .
- ورشة ميترو الجزائر بساحة الشهداء.[2]

[1] سامية أمقران ونادية زايد : القصبة روح الماضي وريحان المستقبل ،2006 . ص 49

[2] الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية

خلاصة الفصل السادس

لقد تطرقنا في هذا الفصل لموضوع التراث، بمفهومه و أنواعه وآليات الحفاظ عليه عالميا ومحليا، وذلك بعرض بعض التجارب في المجال، وبحكم أنه مفهوم عميق متشعب الأبعاد، فقد لاحظنا أنه ارتبط تطوره بحسب المجتمعات، لذا فقد وجدناه عند الغرب، مفهوم تطور وأخذ بعدا تنمويا واستثماريا، ساهم في تطوير الاقتصاد والسياحة بحيث استخدمت أحدث تكنولوجياتها في الحفاظ على تراثها ،وهذا ما أعطاه بعدا ديناميكيا يجعلك و أن تزور متاحفهم أو مواقعهم الأثرية وكأنك في كبسولة للزمن تنقلك من الماضي إلى الحاضر وتجعلك تتخيل ما مصير هذا التراث مستقبلا نظرا لاستخدام أحدث تكنولوجيات التطور التكنولوجي ، وعليه فقد طبقوا توليفة التراث والتجديد والمعاصرة التي تكلم عنها حسن حنفي"...التراث ليس غاية في حد ذاته بل وسيلة لتحريك الجماهير وتغيير الواقع ،وليس موضوع في ذاته ،نفخر به وبمعاصرته ولكن معاصرة الناس هي المطلوب تحقيقه .[1]

أما لدى البلدان العربية فإنها لا تعدو لدى بعضها عن تلك النظرة النوستالجية للتراث والنابعة من تقديس والاحترام والتبجيل الواجبة له وعليه فقد بفي الحفاظ عليه حبيس هذا الإطار النظري الذي يدعو للتشبث ه حفاظا على الهوية، وقلما خرج عن مهمته هذه، بحيث كما يذكر حسن حنفي في "التراث والتجديد" محاولة لتحقيق متطلبات العصر للبلاد النامية من الناحية النظرية والعملية والتغلب على مآسيه وهزائمه، ودفع التنمية خطوة أخرى حتى تكون نهضن شاملة تمكنها من أخذ زمام الريادة في العالم، إيديولوجيا وفعليا، معنويا وماديا.[2] وعليه وحتى وإن وجدنا بعض دولنا العربية بدأت تعمل في إطار هذا المنظور كدول الخليج وغيرها ...لكن تجربتها في ميدان الحفاظ على التراث تبقى تجربة فتية نابعة من اقتفاء آخر ما وصل إليه الغرب في هذا الميدان ومحاولة تجسيده على تراث بلدانها3.

أما بشأن قصبتنا فإن الحكم على تجربة الحفاظ عليها كمركز تاريخي لمدينة الجزائر. يبقى بعيدا جدا لأن ما هدم وأهمل لعقود من السنين لا يرمم ويأهل من خلال

---

[1] حسن حنفي: التراث والتجديدموقفنا من التراث القديم،مرجع سابق ص 56

[2] نفس المرجع ص 49

[3] غادة عاطف سند وآخرون:مرجع سابق

مخطط و ترسانة من القوانين، فكما ساهمت عوامل عدة (بشرية وسياسية واجتماعية ...) في تدهور حالته هاته ، يجب أن تتكاثف من جديد من أجل إصلاح ماتم تخريبه سواءا أكان عن قصد أو إهمالا، خصوصا من طرف الفاعلين المختصين أي المهندسين والمرممين، إذ تذكر" **ديابي فيروز**" أن عملية إعادة تأهيل التراث تتطلب إلى إعادة تأهيل التكوين لكي يتجه التعليم إلى المهندسين.[1] وتضيف يجب إدخال مفهوم إعادة التأهيل وإنتاج المجال الحضري والمعماري المعاصر من منظور بعض القوانين المتناغمة مع التراث أي إعادة تقييم الهندسة المعمارية والحضرية عبر التراث. بحيث تضيف أن **92 %** من المهندسين الذين يعملون في المجال يرجعون القول بأن الهندسة المعمارية في الجزائر هي في أزمة وسببها الأساسي هو ثقافي لأننا لا نكون المهندس الاجتماعي و المهندس المحافظ و لا حتى المهندس التقني لأنه لا يمتلك الوسائل اللازمة لذلك .[2]

وفي السياق نفسه نجد الأستاذ "جعفر لسبت" في تقييمه الأولي لمخطط حفظ القصبة يقول أن"...كثير من بنود المشروع تبقى معطلة لأنها تفتقر إلى الوسائل المادية والتقنية والبشرية الضرورية لتحقيق المشروع، كما نادى بضرورة معرفة المعايير التي يجب أن تتخذ قبل القيام بأي عملية ترميم سواء للمنازل أو غيرها من المرافق، وعليه فقد طالب بتوقيف منح الشقق الاجتماعية واستبدال ذلك بهبة تساهمية تمنح من أجل ترميم منازل القصبة وغيرها بهدف الحفاظ على تراث القصبة"[3]. كما لا يجب أن ننظر الى تراث القصبة حسب رأي **إدوارد سعيد**"بنظرة المستشرقين الذين يقدمون التراث ككائن مريض على فراش الموت ينبغي تحنيطه ووضعه في المتحف لتأمله والنظر إليه، وربما توثيقه كجزء من موروثات الأمة الثقافية التي لا تصلح للحاضر".[4] بل يجب النظر إليه كآلية لتنمية المجتمع ثقافيا واقتصاديا وحتى سياسيا، لكن ورغم كل هذا يبقى هذا المخطط خطوة إيجابية ، بحيث تعتبر دراسته التي قام بها

[1]Diabi Fairouz : Le patrimoine se conjugue –il uniquement au passé ?qu'en est –il du rapport identité/patrimoine dans la conception des nouveaux projets ?

[2]Diabi Fairouz:idem

[3]Lesbet Djafaar: la Casbah est sauvée ,le nouveau plan de sauvegarde est arrivé, Lettre ouverte parue dans l'hebdomadaire Algérie actualité (janvier 1993).

[4]Said Edward,orientalism,1978 في وليد أحمد السيد،التراث والهوية والعولمة ،جامعة لندن ص ص 8-24

CNERU المركز الوطني للدراسات والأبحاث الحضرية[1] من أهم وأشمل الدراسات التي حضيت بها القصبة لحد الآن ،لكن تبقى آليات تنفيذها ميدانيا هي الأساس، خصوصا لحالة القصبة لاعتبارها تراثا مسكونا ويشهد ضغطا سكانيا كبيرا ، يعرقل من سيرورة التدخلات وكذا مشكل ملكية المنازل (الورثة، المستاجرين، الحبوس) التي تبقى عائقا أما أي تدخل ضف لذلك الانقطاعات المتواصلة للأشغال كلما تغير المسؤول الوصي على العملية وكذا قلة الكفاءات وضعف آلية مراقبة الأشغال في الميدان، كل هذا حال دون تحقيق ما هو مرجو في المرحلة الأولى من مخطط الحفظ، لكن تبقى نية العمل وهاته الشراكات الجزائرية الأجنبية(الإيطالية والتركية...) المقامة في ميدان الحفاظ على التراث دليل على النية الجادة للمسؤولين للنهوض بالقصبة، كما أن إنشاء مدرسة وطنية للترميم بالقصبة السفلى ماهو إلا صحوة من السلطات لضرورة الاستعانة بالتطور التكنولوجي و مختلف العلوم من أجل الحفاظ على التراث، لذا نأمل أن تكون هاته بوادر خير في تفعيل تجربة الحفاظ ورد الاعتبار لتراث القصبة، ويبقى الحكم بعد الفراغ من تحقيق بنود وأهداف هذا المشروع وليس قبل ذلك، فقط نحن سنحاول جس فعالية هاته التدخلات الاستعجالية للمخطط على نسيج القصبة من خلال اقترابنا الميداني لاحقا، و كما يجب التنويه إلا أنه يجب تظافر كل الجهود خاصة البشرية وبكل فئاتها لأن "قضية التراث قضية وطنية و جزء من واقعنا ونحن مسؤولون عنه" .[2]

[1] CNERU:idem

[2] حسن حنفي ص23

صورة41: دار علي لبوانت التي استشهد بها مع رفقائه بالقصبة بعد الترميم[1]

صورة 42 : مسجد علي بتشين أثناء عملية ترميمه[2]

[1] الصورة41-42 من كتاب : samia amokrane et nadia zaid : la casbah :ame du passé,eden de l'avenir

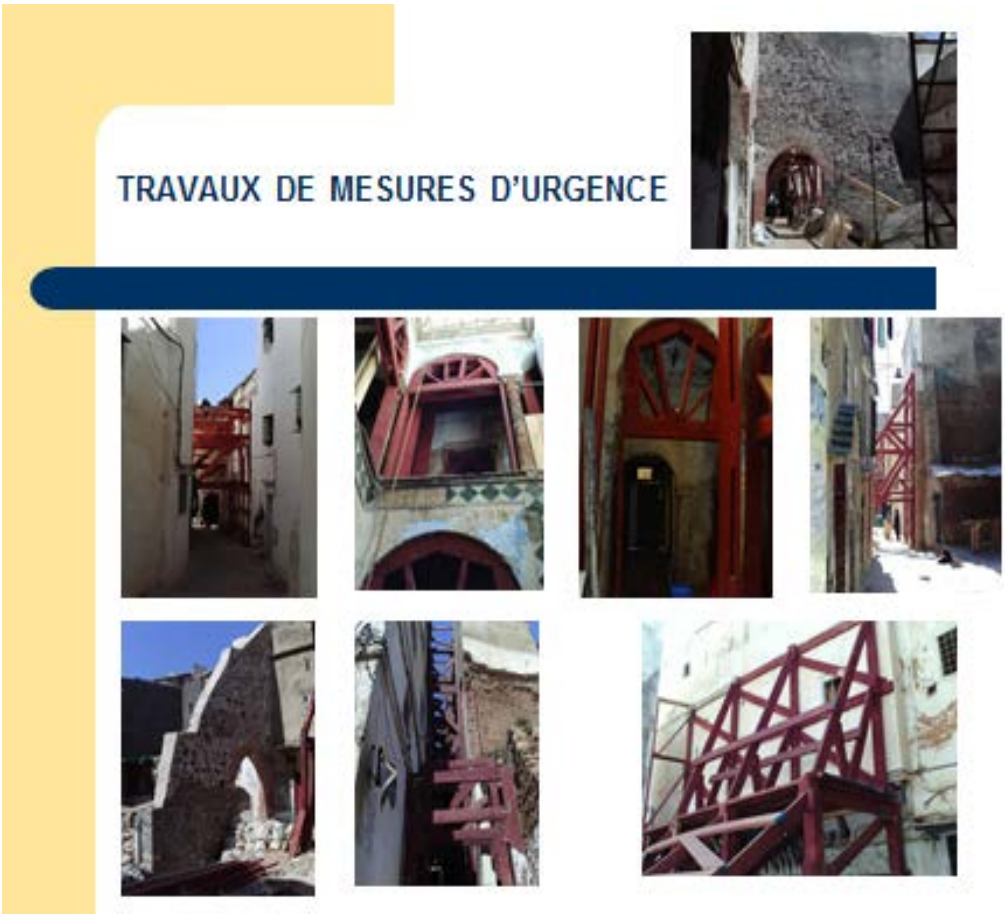

صورة 43: لأعمال التدخل الاستعجالية على دويرات القصبة.[1]

صورة 44 :أحد الأحياء الجميلة بعد الترميم بالقصبة.[2]

[1] Phtos: Traveau de mesures d'urgence(CNERU)

[2] صورة 44:من تصوير الباحثة.

صورة 45:أشغال الترميم بأحد الأحياء بالقصبة[1]

صورة 46: أسطح القصبة بعد البناء العشوائي القصديري عليها [2]

1 : صورة 45 : تصوير الباحثة

[2] https://www. Algeraunecertaineepoque.com/photos 46

صورة 47 : لخيم عشوائية نصبت للسكن بأحد المساحات الفارغة التي استرجعت بعد رفع ردوم الدويرة السابقة.

صورة 48: تزامنا مع أشغال الترميم، وبالأعلى بأحد الدويرات نلاحظ تشويه للنيسج التقليدي بإضافة طوابق.[1]

[1] صورة 46 :تصوير الباحثة.

الباب الثاني

التحريات الميدانية

أ-منهجية البحث :

تعتبر الدراسات الانسانية والاجتماعية من أعقد الدراسات وهذا كون الباحث والمبحوث يشكلان موضوع البحث نفسه، خصوصا إذا تعلق الأمر بهوية الشخص وذاته والتي ليس من السهل علينا قياس أفعاله وتصرفاته المنجرة عنها، و لأنه وعلى حد تعبير ديكارت " لا نستطيع أن نفكر في بحث حقيقة ما إذا كنا سنبحثها بدون منهج لأن الدراسات والأبحاث بدون منهج تمنع العقل من الوصول الى حقيقة". وعليه وفي بحثنا هذا توجب علينا الاستعانة بأكثر من منهج من أجل توضيح أبعاد دراستنا، والتي تطلبت منا توظيف المنهج التاريخي والذي يحدد استخدامه د. محمد عبيدات على أنه "... يستخدم للحصول على أنواع مختلفة من البيانات والمعلومات ذات الطابع المعرفي وذلك لتحديد تأثير هذه الأحداث الماضية على المشكلات أو القضايا التي تعاني منها أفراد المجتمعات في الأوقات الحالية"[1]. وعليه فقد اعتمدنا عليه من خلال قراءتنا لأغلب التراث التاريخي والثقافي والسوسيولوجي التي تطرق لقصبة الجزائر باعتبارها نواة تاريخية وثقافية وحضرية والمدون في كتب ودراسات ومجلات وغيرها...كما استعنا بهذا المنهج كذلك في تطرقنا لمفهوم الهوية فكان ذلك من خلال إطلاعنا على بعض الدراسات المحلية والأجنبية التي تطرقت لها والتي كانت قليلة نوعا ما، أما بشأن ثاني منهج تم الاعتماد عليه بشكل أساسي فكان المنهج الوصفي والذي يعرفه عريفج سامي وآخرون على أنه" طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها"[2] ولأن الظاهرة المراد دراستها وهي الهوية الحضرية بعمقها وغموضها كانت تتوجب علينا توصيفا دقيقا لكل ما هو متعلق بها ويؤثر بها من بعيد أو من قريب من خلال النزول الى الميدان و محاولة الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات والتفاصيل الدقيقة المساهمة في تشكيل هويتهم وفي بلورة مفهومها لديهم وهذا ما جعل من الاعتماد على هذا المنهج و الاستعانة بتقنياته من الأمر الضروري بما كان .

[1] محمد عبيدات وآخرون :منهجية البحث العلمي، القواعد، المراحل والتطبيقات، دار وائل، عمان، 1999، ص 42

[2] سامي عريفج وآخرون :مناهج البحث العلمي وأساليبه، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 1999 ، ص 84.

ب-التقنيات المستعملة في جمع المعطيات: لقد اعتمدنا في اقترابنا الميداني لهاته الدراسة على عدة تقنيات :

- **الملاحظة في عين المكان** : يعرفها "موريس أنجرس" على أنها تقنية مباشرة للتقصي العلمي تسمح بملاحظة مجموعة ما بطريقة غير موجهة من أجل القيام عادة بسحب كيفي بهدف فهم المواقف و السلوكات ".[3] والتي استعنت بنوع من أنواعها وهي :الملاحظة بالمشاركة بحيث قمت بمشاركة بعض سكان القصبة في حياتهم اليومية و المناسباتية، لكن دون التصريح لهم بطبيعة نشاطي العلمي، فكانت "ملاحظة بالمشاركة مستترة " وهذا بحكم معرفتي الشخصية ببعض معارفهم و احتكاكي بهم كوني كنت موظفة بالقصبة وأقتسم مع بعض زملائي القاطنين بها همومهم وانشغالاتهم ، بحيث كانت هذه الملاحظة متقطعة بحسب ظروف العمل و دامت طول مدة عملي هناك ، كما ساعدتني هاته التقنية في التعرف العميق على المبحوثين وتعلم لهجتهم في الخطاب والتعرف على المعاني الممنوحة من طرفهم لكل المفاهيم التي نحن بصدد دراستها من خلال واقعهم المعيش بالقصبة.

- **المقابلة غير الموجهة:** تعد قلة الدراسات لموضوع الهوية الحضرية داخل القصبة من أبرز العوامل التي جعلتني أعتمد على بعض المقابلات مع عدة شخصيات بارزة ومسؤولين المكلفين بالقصبة وتراثها، وكذا للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات حول واقع الممارسات والعادات بالقصبة والتي كانت موجهة لبعض العائلات القديمة العارفة بالتاريخ الثقافي والحضري للقصبة وسكانها والمعاصرة لواقعها بالوقت نفسه وكذا مع بعض المسؤولين ببلدية القصبة لتزويدنا بأهم المشاريع المسطرة للحفاظ على تراث القصبة المادي واللامادي، وكذلك الشيء نفسه بمقابلة بعض المسؤولين بوزارة الثقافة الهيئة الوصية على القصبة، وذلك من أجل إمدادنا بأهم الخطوات المتخذة من أجل الحفاظ على القصبة وتعريفنا بسيرورة مشاريعها وتقدمها.

- **استمارة المقابلة** : إذ يعرفها موريس أنجرس على أنها: "وجيز أسئلة يطرحها المستجوب الذي يقوم (في نفس الوقت) بتسجيل الإجابات المقدمة من طرف المستجوب." [4]بحيث وبفضل ذلك الكم من المعلومات التي تم تزويدنا بها عن طريق الملاحظة والمقابلة استطعنا

[3] موريس أنجرس :منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية ، دار القصبة للنشر، 2010 ،ص 184

[4] موريس أنجرس : نفس المرجع السابق ، ص 206

بفضلها الاطلاع على حالة ووضعية سكان القصبة ورصد واقع الهوية هناك في علاقتها المباشرة مع ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية الأمر الذي ساعدنا فيما بعد على بلورة الاستمارة بالمقابلة النهائية المعول عليها بشكل اساسي في اقترابنا الميداني ،والتي كانت مصممة وفق أربعة محاور أساسية تخدم انشغالات الفرضيات الأربع ،بالإضافة الى الجزء المخصص للتعريف بالبيانات الشخصية للمبحوث وعليه فقد احتوى المحور الأول على بعض المؤشرات التي تساعدنا على تحديد هوية المبحوث سواءا الانتمائية أو المرجعية فكان عدد أسئلته 24 أربعة وعشرون سؤالا، أما المحور الثاني فقد ارتكز على بعض المؤشرات التي تساعدنا في تحديد ثقافة استهلاك السكان لدويراتهم واحتوى بدوره على 14 اربعة عشر سؤالا أما المحور الثالث فقد ارتكز على بعض المؤشرات التي تحدد حالة ووضعية نسيج دويرات القصبة في ظل عمليات الترميم ،بحيث احتوى على 13 ثلاثة عشر سؤالا أما المحور الرابع فقد ارتكز على المؤشرات التي تدل على العادات والممارسات بالقصبة، وقد احتوى بدوره على **14** أربعة عشر سؤالا.

وقد قمت بتصميم الاستمارة بالمقابلة على هذا النحو لتبيان مسؤولية كل جهة أو فئة من الفئات سواءا أكانت عامية أو مسؤولة على ما تشهده القصبة والذي كان له تأثيرا مباشرا على بناء هويتهم باعتبار مجال القصبة الوعاء المادي لها ،كما قمت بطرح هذه الأسئلة بشكل عفوي دون الالتزام بالترتيب المبين بها لحساسية بعضها وكذلك لخصوصية المبحوثين وطبائعهم المختلفة.

ت- تحديد مجتمع البحث: كانت كيفية اختياري للعينة بشكل قصدي أو ما يسمى بالعينة القصدية والتي يعرفها محمد عبيدات وآخرون على أنها "العينة التي يتم انتقاء أفرادها بشكل مقصود من قبل الباحث نظرا لتوافر بعض الخصائص في أولئك الأفراد دون غيرهم ولكون تلك الخصائص هي من الأمور الهامة بالنسبة للدراسة" [5]،فلقد اشتمل مجتمع بحثنا الذي انتقيناه ممثلا لسكان القصبة على: القدامى والجدد المولودين بالقصبة من غيرهم، الملاك لمنازلهم والمستأجرين والساكنين بطرق غير شرعية وخلافهم ... ، بحيث قصدنا بهذه

[5] محمد عبيدات وآخرون :مرجع سابق ذكره

التوليفة أن نبرز الصورة الحقيقية عن واقع القصبة وسكانها بالابتعاد تماما عن تلك الصورة النمطية القديمة لها التي لطالما تذكر في عديد الخطابات والمناسبات ،كما حرصنا على القيام بما في وسعنا من أجل الاقتراب ببعض الفئات التي كان من الممكن أن تمدنا بمعلومات مهمة لتحديد مسؤوليات السلطات في الحالة الكارثية التي تشهدها القصبة أمثال أولئك المستفيدين من عمليات الترميم والذين لم نستطع مقابلة إلا عدد قليل منهم لرفضهم وتذمرهم لعدة أسباب سنعرفها لاحقا والتي ذكرها لنا المبحوثين الذين قبلوا بإجراء الاستمارة بالمقابلة معنا، كما استعنا كذلك بعينة الكرة الثلجية والتي يعرفها موريس أنجرس على أنها ..."إجراء غير احتمالي للمعاينة معزز بنواة أولى من أفراد مجتمع البحث والذين يقودوننا إلى عناصر أخرى ..." [6]وقد استعملناها للبحث عن السكان القدامى بالقصبة ، نظرا لانغلاق العائلات القديمة الباقية على نفسها والذين لم يبق سوى أحفادهم وأبنائهم ،بحيث كانت كل عائلة منهم ترسلنا الى عائلة شبيهة لها في الصفات من حيث الأقدمية وغيرها مما كون لنا عينة تراكمية عنهم .

أما بشأن تحديد حجم العينة والتي يعرفها موريس أنجرس على أنها "مجموعة فرعية من عناصر مجتمع بحث معين "[7] لم يكن بالأمر الهين لنا بحيث أننا أردنا التعمق في عدة جوانب للهوية الحضرية التي تنصب في سلوكات وممارسات سكان القصبة والتي تتطلب علينا تخصيص وقت أوفر لكل مبحوث وبالوقت نفسه أردناها أن تكون ممثلة لنستطيع فيما بعد تعميم نتائج الدراسة عليها ،وهذا ما جعلنا نستقر على اختيار 205 مفردة، بدت أغلبها من فئة الذكور والتي كان أمرا عاديا لنا باعتبار أنني تنقلت مع زميل لي بالعمل فكان سكان الدويرة من الرجال يبادرون بالتحدث إلينا حتى يطمئنوا لنا ،وبعدها يقدموا زوجاتهم لي على انفراد للحديث معي ببعض التفاصيل التي لا تستطيع سردها إلا المرأة وهذا ما جعل عينتي تبدو ذكورية أكثر رغم أنها بالواقع كانت مشتركة بين الزوج والزوجة وثرية بفضل مساهمة

[6] موريس أنجرس : نفس المرجع السابق ص 304

[7] موريس أنجرس ،نفس المرجع السابق ص 301.

العنصر النسوي، بحيث لم يكن علينا هينا الالتقاء بهم لولا معرفتنا الشخصية ببعضهم ومساعدة بعض أصدقاء العمل بالقصبة الذين ساعدونا بإرسالنا لبعض معارفهم لكسب ثقة السكان الذين أضحوا لا يثقون بأي شخص يتكلم عن القصبة أمامهم وينظرون إليه بنظرة المتلاعب أو المتواطئ مع السلطات بسبب الوعود التي أسموها بالكاذبة لكل المسؤولين والمهتمين بالقصبة التي لا يزورونها إلا في المناسبات والكوارث، لهذا صاروا يمتنعون عن التحدث الى أحد، إن لم يتطور الأمر لأكثر من ذلك وعليه فعملنا الميداني كان أشبه بمغامرة تحفها الكثير من المخاطر والتي استعنت ببعض الأصدقاء لخوض غمارها.

ث- مواصفات العينة

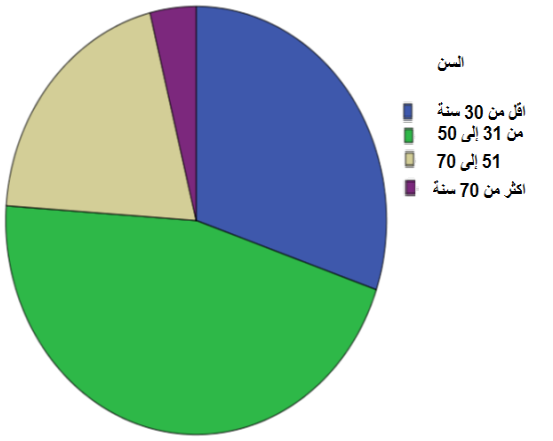

توزيع المبحوثين حسب السن

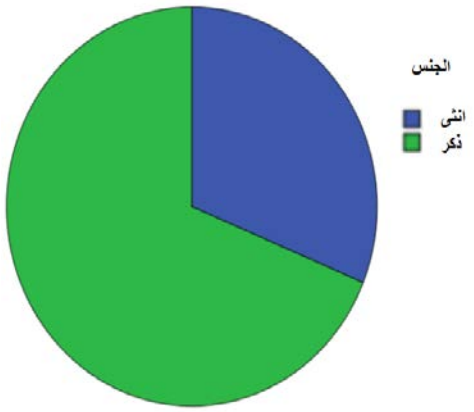

توزيع المبحوثين حسب الجنس

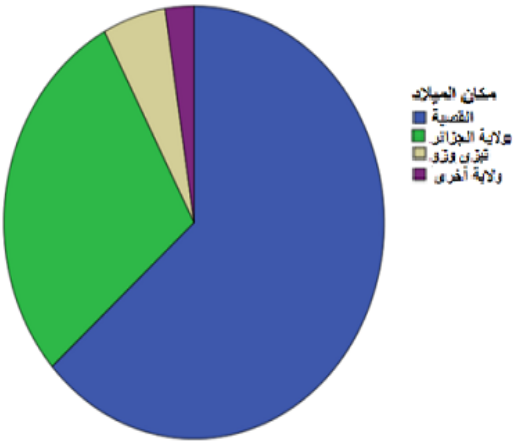

توزيع المبحوثين حسب مكان الميلاد

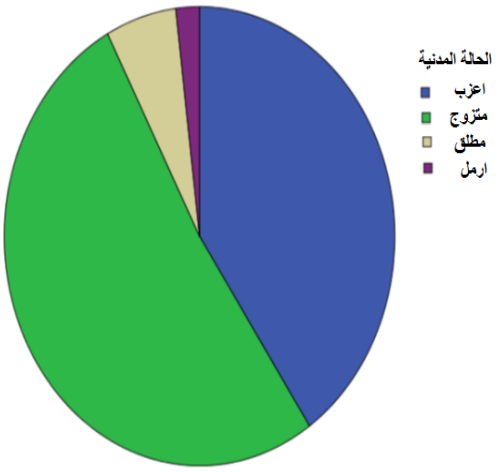

توزيع المبحوثين حسب الحالة المدنية

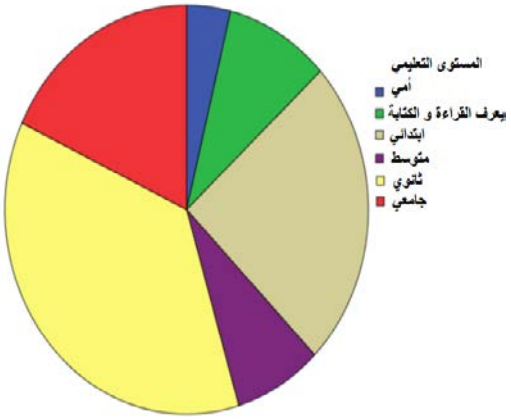

توزيع المبحوثين حسب المستوى التعليمي

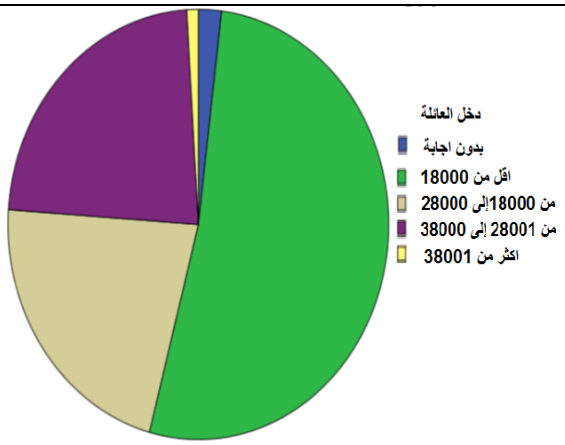

توزيع المبحوثين حسب دخل العائلة

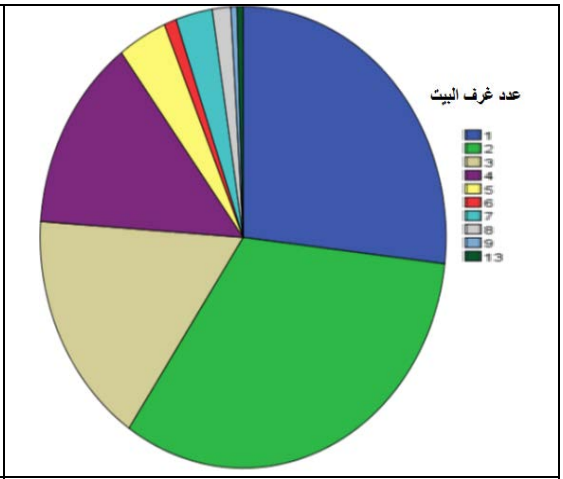

توزيع المبحوثين حسب عدد غرف البيت

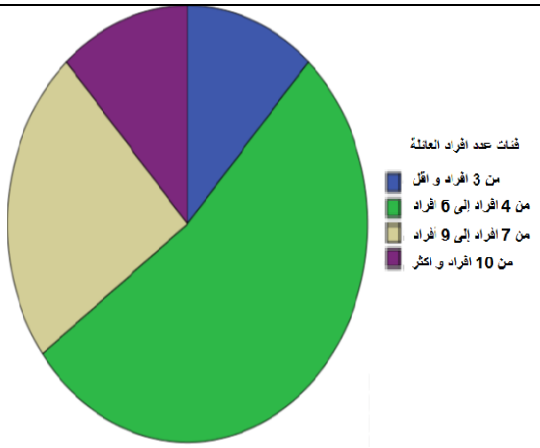

توزيع المبحوثين حسب فئات عدد افراد العائلة

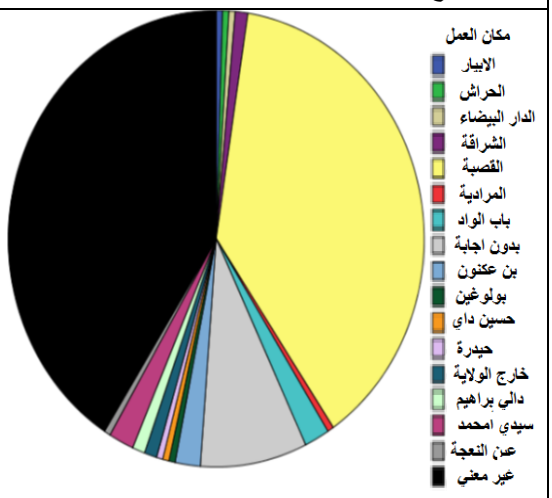

توزيع المبحوثين حسب مكان العمل

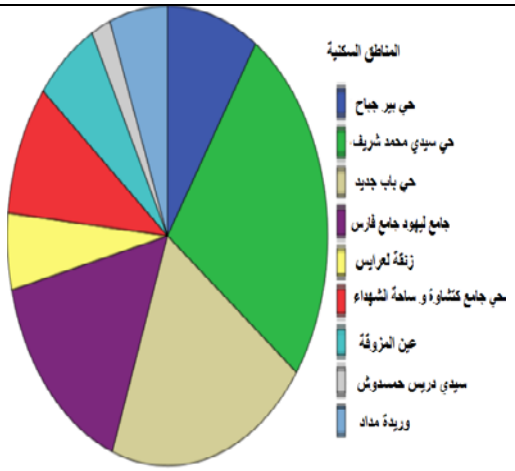

توزيع المبحوثين حسب المناطق السكنية

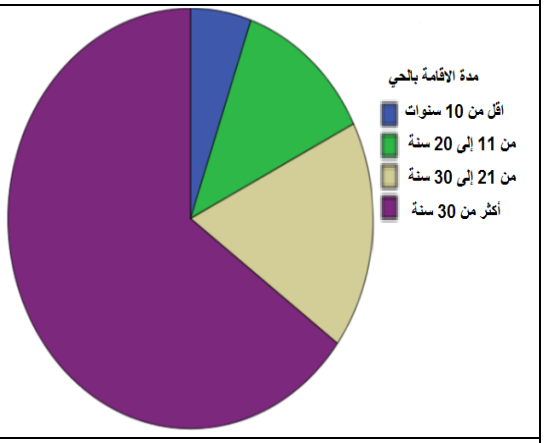

توزيع المبحوثين حسب مدة الإقامة بالحي

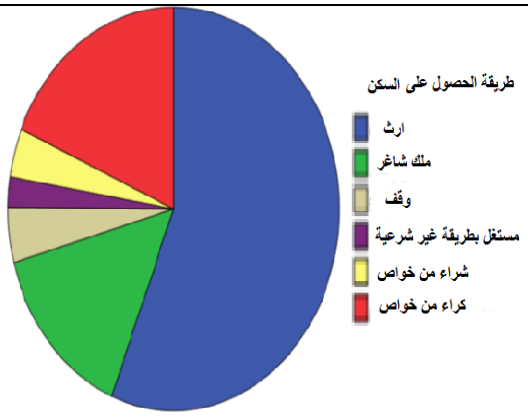

توزيع المبحوثين حسب طريقة الحصول على السكن

ج-التحديد الزمكاني لمجتمع البحث:

لقد تمركزت أغلب عينتي نسبيا بالقصبة العليا أي من حول أحياء سيدي امحمد الشريف إلى غاية باب الجديد وهذا ليس اختيارا مني بل كان حتمية نظرا لمرونة سكان هذا الجزء من القصبة لظروفهم الأفضل نسبيا عن باقي سكان القصبة السفلى لتدهور الحالة الاجتماعية والاقتصادية لهم والتي جعلتهم لا يتحملون اي نوع من المقابلات الخارجة عن نطاق ترحيلهم إلى شقق اجتماعية .

أما بشأن المدة الزمنية التي استغرقها ملأ استماراتنا فكانت 06 أشهر متواصلة لم أكن بها لوحدي.

ح

-التقنيات المستعملة في تحليل المعطيات: لقد استخدمنا تقنية **SPSS** والتي يعرفها محمد عبيدات وآخرون على أنه: "برنامج إحصائي من البرامج الشائعة الاستخدام في مجال تحليل البيانات الخاصة بالأبحاث والدراسات الانسانية".[8]فهو تقنية استخدمناها للمعالجة الإحصائية للمعطيات المحصل عليها عن طريق استمارات المقابلة ،وذلك من خلال ترميز الإجابات وإدخالها للحاسوب بحيث تكون جاهزة فيما بعد للتحليل واستخراج النتائج عن طريق أسلوب الجداول المتقاطعة التي تمكننا من الحصول على معلومات اكثر عمقا ودلالة من خلال اعتمادنا على متغيرين و أكثر.

[8] محمد عبيدات وآخرون : نفس المرجع السابق .

تحليل نتائج الفرضية الأولى

تمهيد

من أجل بحث مدى نجاعة الفرضية القائلة بأن بقاء الفئة القليلة من أبناء وأحفاد سكان القصبة الأصليين القدامى، يساهم في حفاظ القصبة على بعض من رموز هويتها الحضرية. بحيث قمنا بالاعتماد على عدة متغيرات رأيناها ذات فعالية بحيث كانت مستنبطة من الدراسة العميقة للتاريخ الثقافي والاجتماعي للقصبة وسكانها، وأيضا من الدراسات السابقة في هذا المجال، وكذا بتلك الزيارات الميدانية لها، لذا فقد تم اختيار أهم المؤشرات للهوية الحضرية داخل القصبة وهي :علاقات الجوار، الانتماء للحي من خلال مساهمة السكان في حل مشاكل حيهم، كيفية الاحتفال بالمناسبات والأفراح، أشكال التعاون القائمة بينهم بها، سيرورة تبادل الزيارات الجوارية، الحفاظ على القيام ببعض الحرف التقليدية المشهورة بالقصبة ،الحفاظ على مفهوم "الدالة" أو التناوب في تنظيف المساحات المشتركة بين الجيران في الدويرة الواحدة ،القيام بالتبييض وغيرها من الممارسات الحضرية و المدينية التي لطالما ميزت سكان القصبة الأصليين ... بحيث قمنا بربطها بمكان الميلاد ومدة الإقامة والسن، وهذا من أجل تبيان دور القصبة كمكان ميلاد في التنشئة الاجتماعية والحضرية للسكان ،ومدة الإقامة لتوضيح أثرها على سيرورة الاندماج الاجتماعي والحضري للأفراد غير المولودين بها، ومن ثم تتبع كيفية انتقال الموروث الحضري من القدامى إلى الجدد، بحيث حملت لنا هاته الأخيرة عدة دلالات ظاهرة وضمنية لواقع ومفهوم الهوية الحضرية بالقصبة، ودور هذه الفئة المعول عليها كثيرا في نشر وتلقين الثقافة الحضرية للوافدين والساكنين الجدد بالقصبة ، فكانت الجداول التالية:

جدول رقم1: توزيع المبحوثين حسب مكان الميلاد والسن مع طريقة احتفالاتهم بالمناسبات.

مكان الميلاد			كيفية الاحتفال بالمناسبات				المجموع
			على الطريقة التقليدية القصباجية	حسب تقاليد أصولكم الجغرافية	بطريقة عصرية	بطريقة إسلامية(الأناشيد والمدائح الدينية)	
القصبة	السن	اقل من 30 سنوات	26 72.2 %	5 13.9 %	5 13.9 %	– –	36 100 %
		من 31 إلى 50 سنة	48 76.2 %	4 6.3 %	4 6.3 %	7 11.1 %	63 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	23 85.2 %	1 3.7 %	2 7.4 %	1 3.7 %	27 100 %
		أكثر من 70 سنة	1 25 %	1 25 %	1 25 %	1 25 %	4 100%
	المجموع		**98** **75.38 %**	**11** **8.46 %**	**12** **9.23 %**	**9** **6.92 %**	**130** **100 %**
ولاية الجزائر	السن	اقل من 30 سنوات	15 60 %	3 12 %	5 20 %	2 8 %	25 100 %
		من 31 إلى 50 سنة	17 68 %	3 2 %	2 8 %	3 12 %	25 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	7 77.8 %	1 11.01 %	1 11.01 %	– –	9 100 %
		أكثر من 70 سنة	– –	– –	– –	– –	– –
	المجموع		**39** **66.10 %**	**7** **11.86 %**	**8** **13.55 %**	**5** **8.47 %**	**59** **100 %**
تيزي وزو	السن	اقل من 30 سنوات	– –	1 100 %	– –	– –	1 100 %
		من 31 إلى 50 سنة	1 50 %	1 50 %	– –	– –	2 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	3 75 %	1 25 %	– –	– –	4 100 %
		أكثر من 70 سنة	3 75 %	1 25 %	– –	– –	4 100 %
	المجموع		**7** **63.63 %**	**4** **36.36 %**	– –	– –	**11** **100 %**
ولاية أخرى	السن	اقل من 30 سنوات	– –	– –	– –	– –	– –
		من 31 إلى 50 سنة	1 25 %	1 25 %	1 25 %	1 25 %	4 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	1 100 %	– –	– –	– –	1 100 %
		أكثر من 70 سنة	– –	– –	– –	– –	– –
	المجموع		**2** **40 %**	**1** **20 %**	**1** **20 %**	**1** **20 %**	**5** **100 %**
المجموع الكلي			**146** **71.2 %**	**23** **11.2 %**	**21** **10.2 %**	**15** **7.3 %**	**205** **100 %**

يوحي لنا الاتجاه العام للجدول أن: 71,2%من المبحوثين يحتفلون على الطريقة التقليدية "القصباجية"، تليها 11,2 %للذين يحتفلون حسب عادات وتقاليد أصولهم الجغرافية ،ثم 10,2 % للذين يحتفلون بطريقة عصرية، وأخيرا نسبة 7,3 %للذين يحتفلون بطريقة إسلامية.

وعند إدخالنا للمتغير المستقل مكان الميلاد، وجدنا أن النسبة الغالبة من السكان المولودين بالقصبة تحتفل بشكل "قصباجي" وهذا بنسبة 75,38، تليها فئة المولودين بالجزائر بنسبة 66,10 %،تليها فئة المولودين بتيزي وزو بنسبة 63,63 %، ثم الفئة المولودة بولايات أخرى بنسبة 40%.

وبإدخالنا للمتغير الرائز السن ،وجدنا أن نسبة 100 %من الفئة العمرية 51-70 سنة كانوا من المولودين بولايات أخرى ويحتفلون بشكل تقليدي قصباجي ، ثم بنسبة 85,2 % من للفئة العمرية نفسها للمولودين بالقصبة ، و بنسبة 77,851% للمولودين بالجزائر العاصمة وبنسبة 75 % للمولودين بتيزي وزو لدى كل من الفئة العمرية 51-70 وأكثر من 70 سنة.

نستنتج من خلال الجدول التالي، أن أغلب السكان المبحوثين بالقصبة يحتفلون بمناسباتهم بشكل تقليدي" قصباجي" وهذا باختلاف أماكن ميلادهم وبأغلبية لدى الفئة العمرية بين 51الى70 سنة فما تفسير ذلك يا ترى؟

بحكم احتكاكنا الكبير بسكان القصبة، ظهر لنا جليا أن هذا التبني للطريقة "القصباجية" لدى الأغلبية المبحوثة باختلاف مكان ميلادهم، ماهو في الحقيقة إلا وسيلة لتحقيق بعض الامتيازات الحضرية بالحي والتي يقدمها فقط للذين يثبتوا اندماجهم المديني من خلالها فيكسبهم ذلك التقدير والاحترام وضمان المساعدة والتآزر في هاته المناسبات، وأهم من ذلك التخلص من النظرة الدونية للسكان القدامى الأصليين لهم ، خاصة بعد كل هذا الانحطاط والرداءة في الذوق الذي آلت إليه القصبة وسكانها وانتشار الآفات الاجتماعية التي اتهموا بأنهم المتسببين و المنتجين والمصدرين لها.

أما بخصوص احتلال المولودين بالقصبة الصدارة في تبني هذه الطريقة التقليدية، فشيء طبيعي باعتبارهم و أجدادهم المنتجون والمورثون لتلك العادات والتقاليد الحضرية المميزة لهاته الطريقة.

وبشأن السن ، فقد لاحظنا أن أغلبهم كانوا من الفئة العمرية 51-70سنة، للسكان القدامى للقصبة والذين إما بقوا في منازل آبائهم وأجدادهم حبا لها أو رحلوا معهم وعادوا إليها لما كبرت أسرهم في ظل أزمة السكن ، وعليه فهذا الجيل المخضرم الذي شهد وآبائه زمن القصبة الجميل ونشأ على تلك العادات والتقاليد القصباجية "في ربط الحنة للعروس" و في الاحتفال بازدياد المولود وختانه وغيرها... والتي لا زالت محفورة بداخلها وتود في كل مناسبة إحيائها للعيش بنشوة الماضي الجميل ، وبما أن أغلبية هذه الفئة العمرية هي من أرباب وربات البيوت فهي المقررة للطريقة التي تجرى بها هاته الاحتفاليات وهذا ما ساعد هاته الطريقة بالاستمرار في التواجد ضف إلى ذلك فإنها تعتبر بالنسبة إليهم الممثل الأول لمبادئ الحياء والتي من خلالها يضمنون الحرمة والاحترام لكل عائلاتهم ، وهذا ما جعلها تتبناه باختلاف أماكن ميلادها لما يتميز به من تناغم مع مجالهم ومبادئهم وكذا أعمارهم ، وعليه من هنا يتبين لنا دور هذه الفئة العمرية المولودة بالقصبة على الأقل في الاحتفاظ ببعض مظاهر الاحتفالات القصباجية ، لأن مفهوم الاحتفال القصباجي قد أفرغ كثيرا من مضمونه وهذا الذي لمسناه من خلال سؤالنا على أهم التفاصيل التي يحرصون عليها والتي تعتبر مميزة وفارقة لهاته الاحتفالات والتي وجدناها غائبة ومختزلة في الحرص على دعوة الكل وتامين لهم أجواء الحرمة وعدم الاختلاط واحترام الجيران ،وعليه فأين هي العادات والطقوس القصباجية الأصلية من كل هذا ؟بدءا من طقوس الخطبة إلى الحنة والحمام وصولا إلى مراسيم إتمامه ، أو تلك الطقوس الدينية في الاحتفال بالشهر الفضيل أو المولد النبوي وغيرها... المفصلة سابقا في الجانب النظري ،هذا ما جعلنا نبرر تشبث تلك الفئات المولودة خارج القصبة بالطريقة القصباجية وعدم فعالية عامل السن لديهم، لأنهم يتبنونها بشكل سطحي خال من مضمونه الأصلي يظهرون من خلالها حضريتهم، وكذا لأنها تتماشى مع مرجعياتهم المحافظة ، عكس المولودين بالقصبة الذين لمسنا لديهم على الأقل سيرورة الانتقال الموروث الحضري ،بحيث كلما زاد عمر الفرد زادت معها درجة التمسك

بالتقاليد القصباجية، وعليه ورغم كل التحولات في معنى ومضمون الاحتفال "القصباجي" وجب علينا الاعتراف بنتائج الجدول التي بينت أن أغلب المبحوثين يتبنون الطريقة التقليدية "القصباجية" في مناسباتهم باختلاف مكان الميلاد لدى أغلبية الفئة من 51 إلى 70سنة مما يثبت فعالية القصبة في تحقيق اندماج سكانها في هذه الجزئية وذلك بالالتفاف حول هاته الطريقة التي يعتبرون الحفاظ على أي مظهر من مظاهرها هو حفاظ على هوية القصبة الحضرية .

جدول رقم 2 :توزيع العينة حسب مكان الميلاد والسن ونوع الموسيقى المفضلة

مكان الميلاد			نوع الموسيقي					المجموع
			الشعبي	جزائري مختلط	قبائلي	أناشيد دينية	غربي	
القصبة	السن	اقل من 30 سنوات	23 63.9 %	8 22.2 %	4 11.11 %	1 2.8 %	– –	36 100 %
		من 31 إلى 50 سنة	39 61.9 %	10 15.9 %	7 11.1 %	6 9.5 %	1 1.6 %	63 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	23 85.2 %	– –	3 11.1 %	– –	1 –	27 100 %
		أكثر من 70 سنة	3 75 %	– –	– –	1 25 %	– –	4 100 %
	المجموع		**88** **67.69 %**	**18** **13.84 %**	**14** **10.76 %**	**8** **6.15 %**	**2** **1.53 %**	**130** **100 %**
ولاية الجزائر	السن	اقل من 30 سنوات	10 40 %	5 20 %	7 28 %	2 8 %	1 4 %	25 100 %
		من 31 إلى 50 سنة	15 60 %	2 8 %	6 24 %	2 8 %	– –	25 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	6 66.7 %	1 11.01 %	2 22.2 %	– –	– –	9 100 %
		أكثر من 70 سنة	– –	– –	– –	– –	– –	– –
	المجموع		**31** **52.54 %**	**8** **13.55 %**	**15** **25.42 %**	**4** **6.77 %**	**1** **1.69 %**	**59** **100 %**
تيزي وزو	السن	اقل من 30 سنوات	1 100 %	– –	– –	– –	– –	1 100 %
		من 31 إلى 50 سنة	1 50 %	– –	1 50 %	– –	– –	2 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	3 75 %	– –	1 25 %	– –	– –	4 100 %
		أكثر من 70 سنة	2 50 %	– –	1 25 %	1 25 %	– –	4 100 %
	المجموع		**6** **54.54 %**	– –	**4** **36.36 %**	**1** **9.09 %**	– –	**11** **100 %**
ولاية أخرى	السن	اقل من 30 سنوات	– –	– –	– –	– –	– –	– –
		من 31 إلى 50 سنة	1 25 %	1 25 %	– –	1 25 %	1 25 %	4 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	1 100 %	– –	– –	– –	– –	1 100 %
		أكثر من 70 سنة	– –	– –	– –	– –	– –	– –
	المجموع		**2** **40 %**	**1** **20 %**	– –	**1** **20 %**	**1** **20 %**	**5** **100 %**
المجموع الكلي			**127** **62.7 %**	**27** **13.2 %**	**33** **16.1 %**	**14** **6.8 %**	**4** **2 %**	**205** **100 %**

جدول رقم3: المبحوثين حسب مكان الميلاد والسن ونوع الأطباق المفضلة في المناسبات

مكان الميلاد			الأطباق المحضرة في المناسبات			المجموع
			الأطباق المعروفة بها القصبة	الأطباق المشهورة في مناطق أصولكم الجغرافية	الأطباق العصرية	
القصبة	السن	اقل من 30 سنوات	31 86.1 %	2 5.2 %	3 8.3 %	36 100 %
		من 31 إلى 50 سنة	51 81 %	8 12.7 %	4 6.3 %	63 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	23 85.2 %	3 11.1 %	1 3.7 %	27 100 %
		أكثر من 70 سنة	3 75 %	1 25 %	– –	4 100 %
	المجموع		**108** **83.7 %**	**14** **10.76 %**	**8** **6.15 %**	**130** **100 %**
ولاية الجزائر	السن	اقل من 30 سنوات	13 52 %	9 36 %	3 12 %	25 100 %
		من 31 إلى 50 سنة	18 72 %	5 20 %	2 8 %	25 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	7 77.8 %	– –	2 22.2 %	9 100 %
		أكثر من 70 سنة	– –	– –	– –	– –
	المجموع		**38** **64.40%**	**14** **23.72 %**	**7** **11.86 %**	**59** **100 %**
تيزي وزو	السن	**اقل من 30 سنوات**	– –	1 100 %	– –	1 100 %
		من 31 إلى 50 سنة	1 50 %	1 50 %	– –	4 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	3 75 %	1 25 %	– –	4 100 %
		أكثر من 70 سنة	2 50 %	1 25 %	1 25 %	4 100 %
	المجموع		**6** **54.54 %**	**4** **36.36 %**	**1** **9.09 %**	**11** **100 %**
ولاية أخرى	السن	100 %	– –	– –	– –	– –
		من 31 إلى 50 سنة	2 50 %	2 50 %	– –	4 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	1 100 %	– –	– –	1 100 %
		أكثر من 70 سنة	– –	– –	– –	– –
	المجموع		**3** **60 %**	**2** **40 %**	– –	**5** **100 %**
المجموع الكلي			**155** **75.6 %**	**34** **16.6 %**	**16** **7.8 %**	**205** **100 %**

يتضح لنا من خلال الجدول رقم 02 ، أن الاتجاه العام له يتمركز حول نسبة 62,7 %من المبحوثين يفضلون موسيقى الشعبي، تليها نسبة 16,1% تفضل الموسيقى القبائلية،ثم 13,2 % للذين يفضلون كوكتال من الموسيقى الجزائرية، ونسبة 6,8 % للذين يفضلون سماع الأناشيد الدينية ، وأخيرا 02% للذين يفضلون الموسيقى الغربية.

وعند إدخالنا للمتغير المستقل المتمثل في "مكان الميلاد ، وجدنا أن نسبة 67,69% من المولودين بالقصبة يفضلون الشعبي ، تليها 54,54% للمولودين بتيزي وزو، ثم 52,54% للمولودين بالجزائر العاصمة، و40%للمولودين بولايات أخرى.

وبإدخالنا للمتغير الرائز "السن" وجدنا أن نسبة 100 %من المولودين بولايات أخرى والتي تفضل موسيقى الشعبي كانوا من فئة السن 51-70 ، ثم 85,2% من المولودين بالقصبة، ثم 75% للمولودين بتيزي وزو، و 66,7 % للفئة العمرية نفسها لدى المولودين بالجزائر العاصمة .

أما بالنسبة للجدول رقم (3) المتعلق بمكان الميلاد والسن وعلاقته بنوع الأطباق المفضلة، فقد وجدنا أن 75,6 % من العينة تفضل الأطباق القصباجية ، ثم 16,6 % من الذين يفضلون الأطباق المشهورة بها أصولهم الجغرافية و7,8 % للذين يفضلون الأطباق العصرية

وعند إدخالنا لمتغير الميلاد وجدنا أن نسبة 83,7 % من المولودين بالقصبة يفضلون الأطباق القصباجية مقابل 64,40 % للمولودين بالجزائر العاصمة ، و 60 %للمولودين بمختلف الولايات و 54,54 للمولودين بتيزي وزو .

وبإدخال المتغير الرائز "السن" وجدنا نسبة 100% من فئة السن 51-70 والتي تفضل الأطباق القصباجية هي المولودة بولايات أخرى، مقابل 86،1 %من فئة السن الأقل من 30 سنة المولودة بالقصبة ،و77,8% لفئة السن 51-70 للمولودين بالجزائر العاصمة و75 % للمولودين بتيزي وزو من الفئة العمرية نفسها.

نستنتج من خلال الجدولين السابقين (2) و(3) أن تأثير مكان الميلاد والسن يسير بنفس المنحى وطريقة الاحتفال بالمناسبات ، بحيث لاحظنا أن أغلب المبحوثين يفضلون موسيقى الشعبي و كذا الأطباق العاصمية المشهورة بالقصبة، وهذا باختلاف أماكن ميلادهم ،لكن بأغلبية ساحقة لدى المولودين بالقصبة باعتبارهم مؤسسو هاته الفنون الموسيقية والمطبخية ،كيف لا ولما نذكر الشعبي نذكر عمداءه كالشيخ "السفنجة" و الحاج مريزق "الحاج العنقى" وصولا إلى "الهاشمي قروابي" و"عبد القادر شاعو" وغيرهم من المولودين بالقصبة ،والذين اعتمدوا هذه الموسيقى الشعبية البسيطة ظاهريا ،لكن الغنية باطنيا بكلمات ومعاني قمة في الرفعة والوطنية والانتماء التي جاءت كلها لتعزيز مشاعر الإخاء والحب والكرم والوفاء بين الجزائريين بصفة عامة والحضريين بصفة خاصة باعتبارهم الأقرب للسلطة والأكثر تأثيرا بالمجتمع كما تميزت بكلمات شعبية وقورة هادفة تتوافق ووقار الحي أو الحومة وكذا بتقوية روابط الانتماء الاجتماعي والمجالي للحي أو الحومة ، وما ذلك الرصيد من الأغاني الخالد إلا دليل على ذلك مثل "الحمدلله ما بقاش استعمار في بلادنا" و"ألو ألو"و"القصبة وأنا وليدها" وغيرها والتي لا يسمح المجال بذكرها .والتي بقيت صالحة لكل أزمنتها حتى وان تغيرت ظروف مجالها،وهذا ما فسر لنا سر تشبث الأغلبية بها ،والشيء نفسه لاحظناه لدى الأغلبية التي فضلت الأطباق القصباجية عن غيرها وهذا بسبب ذوقها الرفيع والمميز وكذا لما لها من دلالة حضرية ومدينية قوية لسكانها من عدمها ، وباعتبار أن أغلب المناسبات قائمة على مآدب الغذاء والعشاء فإن فن الطبخ هنا يستخدم كبطاقة إثبات للهوية خصوصا الحضرية لدى القصباجيين الأصليين ، كما يستعين بها المولودين خارجها لإثبات اندماجهم الحضري بشكل عام والمديني بشكل خاص ،كما لاحظنا أن وتيرة الارتباط بهاته الفنون الحضرية تقل كلما ابتعدنا على القصبة كمكان للميلاد.

أما بالنسبة لمتغير "السن" أن فئة 51 – 70 سنة كانت الغالبة، وهذا ما جعلنا نرجعه لكون أن موسيقى الشعبي هي الأنسب لهاته الفئة العمرية بكل ما تحمله من رصانة ومعاني ،أما بالنسبة لتلك الأطباق القصباجية ، فقد وجدنا أن أغلبية الذين يفضلونه كانوا من فئة السن الأقل من 30 سنة وهذا ما نبرره بكون أن هذه الأخيرة أرادت إحياء تراث الأجداد من خلاله وعلى الأقل الحفاظ على هذا التميز من خلال معرفة أسراره خاصة بعدما أصبح فن الطبخ

استثمارا ماديا يستفيد أصحابه منه عن طريق الممارسة والتلقين، بالخصوص العاصمي الذي تعد القصبة مدرسة له بكل ما يحتويه من مكونات وجماليات من خلال استخدام ماء لزهر والسكر والقرفة ناهيك عن استخدام بعض التوابل السرية التي تعطي نكهة خاصة للطبخ وتزيينها بالياسمين في أشكال قمة في الذوق، والذي لطالما ذكره ومدحه المؤرخين والباحثين في تطرقهم للقصبة .

وعليه نستنتج أن المحافظة على تقاليد القصبة العريقة في الاحتفالات ونوع الموسيقى والأطباق في علاقته مع مكان الميلاد يحمل شقين، شق يظهره لنا على أن ضعيف بدليل أن الأغلبية تتبنى هاته العادات والرموز الحضرية باختلاف أماكن ميلادها ،وشق آخر يظهر لنا على أنه قوي بدليل أن وتيرة الحفاظ عليها هي أقوى لدى المولودين بالقصبة.

أما بشان السن فقد وجدنا أن أغلب هؤلاء المحافظين هم من الكهول إلى الشيوخ 51-70 سنة من السكان الأصليين بالقصبة الذين يساهمون في الحفاظ على تراث أجدادهم ولو رمزيا، وكذا بكون أغلبية العينة من الفئة العمرية نفسها.

جدول رقم 4 : يوضح توزيع المبحوثين حسب مكان الميلاد والسن وعلاقتهما بتبييض السكان للمساحات المشتركة بينهم في الدويرة الواحدة.

مكان الميلاد			أوقات تبيض المساحات المشتركة				المجموع
			مرة في سنة	في المناسبات	إذا اقتضت الحاجة	لا تقوم بتبييضها	
القصبة	السن	اقل من 30 سنوات	6 16.7 %	7 19.4 %	19 52.8 %	4 11.11 %	36 100 %
		من 31 إلى 50 سنة	18 28.6 %	14 22.2 %	17 27 %	14 22.2 %	63 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	8 29.6 %	6 22.2 %	7 25.9 %	6 22.2 %	27 100 %
		أكثر من 70 سنة	2 50 %	1 25 %	1 25 %	– –	4 100%
	المجموع		**34** **26.53 %**	**28** **21.53 %**	**44** **33.84 %**	**24** **18.46 %**	**130** **100 %**
ولاية الجزائر	السن	اقل من 30 سنوات	4 16 %	9 36 %	7 28 %	5 20 %	25 100 %
		من 31 الى 50 سنة	8 32 %	6 24 %	7 28 %	4 16 %	25 100 %
		من 51 الى 70 سنة	2 22.2 %	3 33.3 %	4 44.4 %	– –	9 100 %
		اكثر من 70 سنة	– –	– –	– –	– –	– –
	المجموع		**14** **23.72 %**	**18** **30.50 %**	**18** **30.50 %**	**9** **15.25 %**	**59** **100 %**
تيزي وزو	السن	اقل من 30 سنوات	– –	– –	– –	1 100 %	1 100 %
		من 31 إلى 50 سنة	1 50 %	1 50 %	– –	– –	2 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	2 50 %	1 25 %	1 25 %	– –	4 100 %
		أكثر من 70 سنة	1 25 %	1 25 %	2 50 %	– –	4 100 %
	المجموع		**4** **36.36 %**	**3** **27.27 %**	**3** **27.27 %**	**1** **9.09 %**	**11** **100 %**
ولاية أخرى	السن	اقل من 30 سنوات	– –	– –	– –	– –	– –
		من 31 إلى 50 سنة	3 75 %	– –	– –	1 25 %	4 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	– –	1 100 %	– –	– –	1 100 %
		أكثر من 70 سنة	–	– –	– –	– –	– –
	المجموع		**3** **60 %**	**1** **20 %**	– –	**1** **20 %**	**5** **100 %**
المجموع الكلي			**55** **26.8 %**	**50** **24.4 %**	**65** **31.7 %**	**35** **17.1 %**	**205** **100 %**

يتضح لنا من خلال الجدول التالي أن الاتجاه العام يميل إلى أن 31,7% من المبحوثين يبيضون مساحاتهم المشتركة عند اقتضاء الحاجة فقط ،تليها نسبة 26,8 %للذين يبيضونها مرة في السنة ، ثم نسبة 24,4 % للذين يبيضونها في المناسبات و17,1 % للذين لا يقومون بالتبييض.

بأغلبية 33.84% للمولودين بالقصبة في الفئة الغالبة و التي تقوم بتبييض مساحاتها المشتركة إلا عند اقتضاء الحاجة، تليها نسبة 30.50% للمولودين بولاية الجزائر ثم نسبة27.27 % للمولودين بولاية تيزي وزو.

أما بالنسبة للسن، فقد وجدنا أن نسبة 52.8%من الفئة العمرية الأقل من 30 سنة والمولودة بالقصبة ، تليها 50% للفئة الأكثر من 70 سنة المولودة بتيزي وزو ، ثم 44.4 % للفئة من 51-70 سنة والمولودة بولاية الجزائر .

لقد قمنا بصياغة هذا الجدول لتبيان مدى تأثير مكان الميلاد والسن على وتيرة تبييض المساحات المشتركة ، باعتبار أن من أهم سمات سكان القصبة النظافة والبياض بحيث كانوا يقومون بتبييض دويراتهم بالجير مرة كل سنة خصوصا تلك المساحات الاجتماعية المشتركة بينهم كوسط الدار والسطح و غالبا ما تكون قبيل الشهر الفضيل وهذا لتهيئة المكان للاجتماع و الاستمتاع بكل مناسبة ، وما تلك التسميات لها "كالبيضاء وبلاد الجير..." إلا دليل على ذلك، لهذا أردنا معرفة مدى محافظة سكانها على هذه الممارسة أم لا؟

بحيث بينت النتائج للأسف غير ذلك أين وجدنا أن غالبية العينة لا تقوم بتبييض مساحاتها المشتركة إلا عند اقتضاء الحاجة فقط مما جعل دويرات القصبة تؤول إلى سواد ممزوج بروائح الرطوبة الخانقة التي تكاد تحبس الأنفاس ، فتحولت الممارسات الحضرية لسكانها الأصليين إلى ممارسات تشبه إلى حد كبير تلك التي نراها في العشوائيات وبيوت القصدير،بحيث أن مكان الميلاد لم يعد له تأثير عليها ، باعتبار أن أغلب الذين يعتمدون تبييض هذه المساحات الاجتماعية المشتركة كانوا من المولودين بالقصبة مما يثبت عدم

تشربهم لعادات أجدادهم في الحفاظ على هذه الممارسة ،فإذا كان هذا هو سمتهم باعتبارهم كملقنين لمثل هكذا ثقافات وممارسات ،فكيف إذا يكون حال المولودين خارجها الذين لم تكن لهم علاقة أو فكرة بهذا التقليد ، وعليه فشيء طبيعي أن يحاكوا سكانها المولودين بها ويتركوها على حالها حتى تجبرهم الحاجة الملحة في ذلك كتصبب مياه الرطوبة عليهم أو تعرض أطفالهم لأزمات الربو والأمراض الصدرية أو لضرورة الاحتفال بأي مناسبة شخصية لهم تتطلب تغطية ذلك السواد.

أما بخصوص الرائز "السن" فقد أوضح لنا أسباب تخلي السكان المولودين بالقصبة عن هاته الممارسة مرة في السنة كما كانت عليه ، إذ وجدنا أن أغلب هؤلاء كانوا من الفئة العمرية الأقل من 30 سنة التي تفتقد لحس المسؤولية اتجاه هاته المساحات المهمة في الدويرة ولم تتشرب بعد لثقافات أجدادها في التعامل والحفاظ على الدويرة وكذلك لمحدودية إمكانياتها المادية التي لا تستطع حتى أن تغطي مصاريفها اليومية ، كما هذا الجيل الباقي أو العائد للسكان القدامى يرى في هاته الدويرات حلم الحصول على شقق فردية كفيلة بضم أسرة صغيرة بعيدا عن نزاعات أحفاد وأبناء العائلات القدامى بالدويرة ،من أجل هذا أصبحت هذه المساحات تعاني الأمرين :النزاعات وكذا الرطوبة والسواد، وهذا هو حال أولئك المولودين خارجها سواءا في العاصمة أو تيزي وزو أو مختلف الولايات الأخرى التي وجدنا أن عملية تبيضها تختلف وتيرته حسب السن فعند الفئة 51-70 سنة وجدنا أغلبها تبييض إما مناسباتها الشخصية باعتبارهم أرباب بيوت من مسؤوليتهم إخفاء تلك الرطوبة على أعين المدعوين وضيوفهم وإرجاء مشروع التبييض لوقت الضرورة الملحة.

وعليه يمكن أن نستنتج أن الميلاد بالقصبة خصوصا لدى الجيل الباقي من السكان القدامى لم يظهر مفعوله الايجابي في تشرب هؤلاء لثقافة تبييض مساحاتهم المشتركة بالدويرة وإعادة تلقينها لغيرهم من السكان، مما يطرح الكثير من التساؤل عن فعالية هويتهم الحضرية ؟وهذا ما سنحاول توضيحه أكثر في الجدول الذي يليه.

جدول رقم 5: توزيع حسب مكان الميلاد والسن مع طريقة ترميم مساحاتهم المشتركة

مكان الميلاد			ترميم المساحات المشتركة					المجموع
			الاشتراك في ترميمها	مالك المنزل من يقوم بترميمها	التناوب على الدفع	البلدية أوالمصالح المعنية الأخرى	نتركها على حالها	
القصبة	السن	اقل من 30 سنوات	23 63.9 %	7 19.4 %	2 5.6 %	4 11 %	– –	36 100 %
		من 31 إلى 50 سنة	38 60.3 %	10 15.9 %	5 7.9 %	8 12.7 %	2 3.2 %	63 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	16 59.6 %	5 18.5 %	1 3.7 %	3 11.01 %	2 7.4 %	27 100 %
		أكثر من 70 سنة	4 100 %	– –	– –	– –	– –	4 100 %
	المجموع		81 62.30 %	22 16.92 %	8 6.15 %	15 11.53 %	4 3.7 %	130 100 %
ولاية الجزائر	السن	اقل من 30 سنوات	16 64 %	2 8 %	1 4 %	5 20 %	1 4 %	25 100 %
		من 31 إلى 50 سنة	13 52 %	3 12 %	1 4 %	5 20 %	3 12 %	25 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	7 77.8 %	1 11.01 %	1 11.01 %	– –	– –	9 100 %
		أكثر من 70 سنة	– –	– –	– –	– –	– –	– –
	المجموع		36 61.1 %	6 10.16 %	3 5.08 %	10 16.94 %	4 6.77 %	59 100 %
تيزي وزو	السن	اقل من 30 سنوات	– –	– –	– –	1 100 %	– –	1 100 %
		من 31 إلى 50 سنة	2 100 %	– –	– –	– –	– –	2 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	4 100 %	– –	– –	– –	– –	4 100 %
		أكثر من 70 سنة	4 100 %	– –	– –	– –	– –	4 100 %
	المجموع		10 90.90 %	– –	– –	1 9.09 %	– –	11 100 %
ولاية أخرى	السن	اقل من 30 سنوات	– –	– –	– –	– –	– –	– –
		من 31 إلى 50 سنة	3 75 %	– –	– –	1 25 %	– –	4 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	1 100 %	– –	– –	– –	– –	1 100 %
		أكثر من 70 سنة	– –	– –	– –	– –	– –	– –
	المجموع		4 80 %	– –	– –	1 20 %	– –	5 100 %
المجموع الكلي			**131** **63.9 %**	**28** **13.7 %**	**11** **5.4 %**	**27** **13.2 %**	**8** **3.9 %**	**205** **100 %**

يتضح لنا من خلال هذا الجدول أن أغلب العينة تقوم بترميم (إصلاح)مساحاتها المشتركة باعتماد طريقة الاشتراك في دفع المستحقات فيما بينها،وهذا بنسبة 63,9 %،تليها نسبة 13,7 % للتي توكل مهمتها لمالك الدويرة،ثم 13,2 % للتي توكلها للبلدية أو للمصالح المختصة، و نسبة 5,4 % للتي تتناوب في ما بينها في ترميمها وأخيرا نسبة 3,9 % للذين يتركونها على حالها.

بأغلبية المشتركين في ترميمها لدى المولودين بتيزي وزو وهذا بنسبة 90,90 %، ثم بنسبة 80 %للمولودين بمختلف الولايات، تليها نسبة 62,30 % للمولودين بالقصبة ،وأخيرا 61,1% للمولودين بالجزائر.

أما بالنسبة لرائز "السن" فقد وجدنا نسبة 100 % لكل من المولودين بالقصبة من الفئة العمرية الأكثر من 70 سنة وكذا لكل من الفئات الثلاثة من السن أي من 31 إلى أكثر من 70 سنة لدى المولودين بتيزي وزو ، الذين يقومون بالاشتراك في ترميم مساحاتهم ونسبة 100 % كذلك للمولودين بمختلف الولايات الأخرى لدى فئة السن 51-70 ، وأخيرا نسبة 77,8% للمولودين بالجزائر العاصمة من فئة السن 51-70 .

نلاحظ من خلال نتائج الجدول التالي أن هناك إجماع شبه كلي على تبني طريقة الاشتراك في دفع تكاليف ترميم المساحات المشتركة بين السكان في الدويرة الواحدة ، وبأغلبية لدى المولودين بتيزي وزو والولايات الأخرى ، ولم تكن لدى المولودين بالقصبة خصوصا إذا ما علمنا أن التعاون والتآزر بين جيران الدويرة يعد واجبا لدى القصباجيين فلماذا ياترى؟

يمكن إرجاع سبب ذلك في كون النظام المتعارف عليه لدى السكان القدامى للقصبة بخصوص ترميم المساحات المشتركة قائم على أساس إسنادها لمالك الدويرة الذي له الحق في التصرف والإدارة حتى وإن كان غائبا عليه ،وهذا ضمانا له ولحمايته من كل التدخلات

العشوائية التي يمكن أن تسبب له الضر ر بحيث كان يلعب دور الحارس الأمين على دويرته ، وكذا الملقن الأول لثقافة التعامل مع المجال الحضري ، وبما أن هذا العرف رحل برحيل أناسه القدامى ،وبعد أن تحولت الدويرة لملاكها الجدد مجرد نزل للإيجار يوفر لهم مداخيل إضافية ،لحين إيجاد صيغ مناسبة للبيع بعد ذلك،وبتخلي هؤلاء عن دورهم ومسؤوليتهم اتجاه دويراتهم خصوصا لتلك المساحات الاجتماعية المشتركة بكل ما تحمله من ثقل ثقافي وحضري ، وهذا التخلي أجبر الجيران فيما بعد لاعتماد أسلوب الاشتراك في ما بينهم على الأقل لإصلاح تلك المساحات التي يستهلكونها بشكل جماعي وهذا لمضاعفة وتيرة استغلالهم للدويرة ككل ،والتي أضحت فيما بعد عرفا دارجا لدى السكان الحاليين للقصبة ، وهذا ماجعلنا نجدها أكثر حدة لدى المولودين خارجها خصوصا بتيزي وزو إما بجهلهم لعرفها القديم السائر في طريق الانقراض أو لأنهم يعملون بعرف أصولهم الجغرافية القائم على "التويزة" أو "التاجماعت" باشتراك كل الجماعة من اجل انجاز مشروع أو إصلاح أعطاب معينة ، ضف إلى كل هذا فإن تعدد أشكال الملكية لدويرات القصبة جعل إمكانية اتصال المستأجرين بالمالك الأصلي أو ربط علاقات معه أمرا شديد الصعوبة بمكان لذلك فهم يعتمدون على أنفسهم و يلجأون لهاته الطريقة في الترميم أو الإصلاح بمعناها العملي لديهم من اجل مواصلة العيش بالدويرة بأمان لا أكثر ولا أقل ،وبما أنها أغلبية وسط ثلة من المولودين بالقصبة التي بقت بدويرتها أو أجرتها لأقربائها و لا تزال تحافظ على عرفها القديم الملخص على حد تعبيرهم ب "كي يكثروا الرياس البابور يغرق" لم يف بالغرض ،مما جعل دويرات القصبة تفقد رياسها الذين كانوا حراس وملقنين لثقافة الاستعمال الحضري ونموذجا لتحمل المسؤولية .

إذ وحتى مظهر الاشتراك هذا تشوبه الأنانية رغم أن ظاهره يعبر عن التضامن ، باعتبار أن إذا تعذر على جاره الدفع أو رفض يلغى مشروع الترميم من طرف البقية ، وهذا ما عزز

النزاعات حول هاته المساحات التي كانت مسرحا لتلقين الفنون والصنائع بينهم وتحولت إلى مسرح للخصومات والمآسي.

أما بخصوص السن فقد وجدنا أن معظم الذين يعتمدون نظام الاشتراك بينهم للترميم تلك المساحات هم من الفئات الأكبر سنا كونهم أربابا لتلك الأسر و المسؤولين الماديين عليها ،وبما أن الغرض من إضافة هذا الرائز كان لتبيان دور هذا الجيل الباقي من السكان في تحمل مسؤولية الدويرة بسكانها كما كان عليه أجدادهم، قد وجدناه غائبا ومغيبا فلا دلالة للسن في هذا المقام ولا جدوى من تحليله.

جدول رقم 6:يمثل توزيع المبحوثين حسب مكان الميلاد والسن وعلاقتهما في الانخراط بأحدى الجمعيات التي تعنى بالحفاظ على تراث القصبة.

مكان الميلاد			الانتماء إلى جمعية تعني بالحفاظ على القصبة		المجموع
			نعم	لا	
القصبة	السن	اقل من 30 سنوات	– –	36 100 %	36 100 %
		من 31 إلى 50 سنة	4 6.3 %	59 93.7 %	63 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	– –	27 100 %	4 100 %
		أكثر من 70 سنة	– –	4 100 %	4 100 %
	المجموع		**4** **30.7 %**	**26** **96.92 %**	**130** **100 %**
ولاية الجزائر	السن	اقل من 30 سنوات	– –	25 100 %	25 100 %
		من 31 إلى 50 سنة	– –	25 100 %	25 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	– –	9 100 %	9 100 %
		أكثر من 70 سنة	– –	– –	– –
	المجموع		– –	**59** **100 %**	**59** **100 %**
تيزي وزو	السن	اقل من 30 سنوات	– –	1 100 %	1 100 %
		من 31 إلى 50 سنة	– –	2 100 %	2 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	– –	4 100 %	4 100 %
		أكثر من 70 سنة	– –	4 100 %	4 100 %
	المجموع		– –	**11** **100 %**	**11** **100 %**
ولاية أخرى	السن	اقل من 30 سنوات	– –	– –	– –
		من 31 إلى 50 سنة	– –	4 100 %	4 100 %
		من 51 إلى 70 سنة	– –	1 100 %	1 100 %
		أكثر من 70 سنة	– –	– –	– –
	المجموع		– –	**5** **100 %**	**5** **100 %**
المجموع الكلي			**4** **2 %**	**201** **98 %**	**205** **100 %**

يتبين لنا من خلال نتائج هذا الجدول أن أغلب المبحوثين لا ينتمون إلى أي جمعية من تلك التي تعنى بحماية القصبة وذلك بنسبة 98 %مقابل 02% للذين ينتمون إلى إحدى هذه الجمعيات .

وذلك بنسبة 100 % لكل من المولودين بولاية الجزائر وتيزي وزو والولايات الأخرى غير المنتمين لأي جمعية من هذه الجمعيات ، تليها نسبة 96.92 للمولودين بالقصبة للفئة نفسها.

أما في ما يخص السن فقد وجدنا نسبة 100% تتقاسمها أغلب الفئات العمرية باختلاف أماكن ميلادها، القصبة ،الجزائر، تيزي وزو ، ومختلف الولايات الأخرى .

نستنتج من خلال قراءتنا الإحصائية لنتائج الجدول أن غالبية سكان القصبة ليسو منخرطين في أي جمعية من الجمعيات التي تعنى بالحفاظ على تراث القصبة ، باختلاف أماكن ميلادهم وتعدد فئاتهم العمرية، عكس ما كان شائعا في الماضي عن سكانها من حس مدني عال إزاء مدينتهم ،وما تلك تعدد النقابات وممثليها بكل حي إلا دليل على ذلك سواءا أكانت متعلقة بالحرف والصنائع أو التسيير والحماية وغيرها ... والتي لطالما تحدث عنها الكثير من المؤرخين ، عكس ما نشهده الآن من انسحاب شبه كلي للسكان في تسيير أو المساهمة في تقرير مصير مدينتهم ، سواءا أكانوا مخيرين في ذلك أو مجبرين تبقى النتيجة واحدة ،والتي بررتها لنا غالبية السكان بانعدام الثقة بتلك الجمعيات التي رأوها تخدم مصالحهم الشخصية أكثر من خدمة القصبة ، بحيث يستفيدون من ورائها بعدة امتيازات ومنافع منها التقرب من المسؤولين والاستفادة من عمليات الترميم أو السكن وكذا بالاستفادة من تلك الأظرفة المالية المخصصة لإحياء بعض التظاهرات الثقافية بها وغيرها...ضف إلى ذلك ما تعطيه الجمعية لمكانة اجتماعية مرموقة لصاحبها بحييه لا غير. أما بشأن تلك الفئة القليلة من المنتمين إلى إحدى هذه الجمعيات وجدناها تلك المولودة بالقصبة من فئة الشباب إلى الكهول والتي لا تزال تؤمن بضرورة المحاولة والمشاركة في إنقاذ تراث أجدادها الآيل للزوال.

وعليه يمكن أن نخلص بأن نقول لا تغطي مثل هاته المبادرات المحتشمة والمساهمات غير الكافية للحركات الجمعوية القصباجية للجيل الباقي من السكان الأصليين بالقصبة كل

مشاكل ومآسي القصبة فعلى حد تعبير سكانها لم تترك لهم ظروف حياتهم القاسية الوقت للتفكير في مستقبلهم ناهيك عن التفكير في مستقبل ومصير تراث القصبة ، وعليه للنهوض بهذه الأخيرة والوصول بسكانها لدرجة الوعي الثقافي والسياسي والاجتماعي بأهمية أحيائهم كتراث وطني وعالمي ومن ثم بتشكيل وتنظيم مثل هكذا جمعيات وجب أولا حل مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية ثم تتأتى فاعلية سكانها و إشراكها في مستقبل مدينتهم، نتيجة لكل هذا ظهر لنا أن لمكان الميلاد والسن تأثير ضعيف جدا على سيرورة الانخراط من عدمها لهاته الجمعيات ، والتي لا علاقة لهذين المتغيرين بها.

جدول رقم 7 :توزيع المبحوثين حسب مكان الميلاد ومدة الإقامة والمساهمة في حل مشاكل الحي.

مكان الميلاد			هل تساهم في حل مشاكل حيك		المجموع
			نعم	لا	
القصبة	مدة الإقامة بالحي	اقل من 10 سنوات	6 66.7 %	3 33.3 %	9 100 %
		من 11 إلى 20 سنة	**9** **81.8 %**	**2** **18.2 %**	**11** **100 %**
		من 21 إلى 30 سنة	18 85.7 %	3 14.3 %	21 100 %
		أكثر من 30 سنة	74 83.1 %	15 16.9 %	89 100 %
	المجموع		**107** **82.3 %**	**23** **17.7 %**	**130** **100 %**
ولاية الجزائر	مدة الإقامة بالحي	اقل من 10 سنوات	2 100 %	– –	2 100 %
		من 11 إلى 20 سنة	5 45.5 %	6 45.5 %	11 100 %
		من 21 إلى 30 سنة	8 57.1 %	6 42.9 %	14 100 %
		أكثر من 30 سنة	21 65.6 %	11 34.4 %	32 1000 %
	المجموع		**36** **61 %**	**23** **39 %**	**59** **100 %**
تيزي وزو	مدة الإقامة بالحي	من 11 إلى 20 سنة	– –	1 100 %	1 100 %
		أكثر من 30 سنة	9 90 %	1 10 %	10 100 %
	المجموع		**9** **81.8 %**	**2** **18.2 %**	**11** **100 %**
ولايةأخرى	مدة الإقامة بالحي	اقل من 10 سنوات	1 50 %	1 50 %	2 100 %
		من 11 إلى 20 سنة	1 100 %	– –	1 100 %
		من 21 إلى 30 سنة	1 100 %	– –	1 100 %
		أكثر من 30 سنة	2 100 %	– –	2 100 %
	المجموع		**4** **80 %**	**1** **20 %**	**5** **100 %**
المجموع الكلي			**156** **76.09 %**	**49** **23.90 %**	**205** **100 %**

يتضح لنا جليا من خلال الجدول التالي أن اتجاهه العام يميل إلى أن أغلبية المبحوثين يساهمون في حل مشاكل حييهم وهذا بنسبة 76,9% مقابل 23,90% للذين لا يساهمون. بغالبية لدى الفئة المساهمة في حل مشاكل حييها و المولودة بالقصبة بنسبة 82,3 % تليها لدى المولودين بتيزي وزو بنسبة 81,8% ،ثم ب 80% للمولودين بولايات مختلفة ،وبنسبة 61,0% للمولودين بولاية الجزائر .

أما بخصوص مدة الإقامة لدى هؤلاء ، فقد وجدنا نسبة 100% لدى الذين تجاوزت إقامتهم عن 30 سنة في فئة المولودين بولايات مختلفة ، ثم نسبة 85,7 منهم تراوحت مدة إقامتهم بالحي بين 21–30 سنة فئة المولودين بالقصبة ، وبنسبة 81,8% لدى أغلبية الذين فاقت إقامتهم عن 30 سنة لدى الفئة المولودة بتيزي وزو، وأخيرا نسبة 65,6% لأغلبية الذين فاقت إقامتهم عن 30 سنة في فئة المولودين بولاية الجزائر.

نستنتج من خلال قراءتنا لهذا الجدول أن أغلبية العينة المبحوثة تساهم في حل مشاكل حييها بغض النظر عن أماكن ميلادها ، بتصدر فئة المولودين بالقصبة لقائمة المساهمين ،لكن بفارق بسيط بينها وبين المولودين خارجها ، وهذا ليس بالأمر الغريب إذا ما علمنا أن للحي أو الحومة مكانة وقدسية كبيرة لدى سكان القصية الأصليين، فهو بمثابة الامتداد المادي والمعنوي لدويراتهم ،امتداد مادي لأن مساحة خارجية مشتركة وذكورية ، باعتبار أن المساحات المشتركة الداخلية للدويرة تركت للنساء، بحيث يخصص لالتقاء سكان الحي لتبادل شتى المعارف والأخبار وحل النزاعات وتنظيم كل المناسبات ،وهو امتداد معنوي لما يوفره لساكنيه من حماية وطمأنينة البيت والذي لا يسمح باستعماله والبقاء به إلا للساكنين، وعلى حد وصف "جاك بارك"...هو الملجأ الآمن للفرد..." وعليه فقد احتوى على نظام ضبط صارم يتقيد كل الساكنين والوافدين إليه ، لذا فقد شكل جزءا من تاريخ تنظيمهم الحضري والاجتماعي . كما وجدنا أيضا أن المولودين خارجها يساهمون في حل مشاكل حييهم ، فهل ياترى لأن سكان القصبة القدامى استطاعوا أن يدمجوا هؤلاء الوافدين إليهم ، فتبنوا بدورهم مبادئهم القائمة على تقديس الحي والسعي دائما للحفاظ عليه كامتداد لمنازلهم،

أم أن القصبة بأحيائها لازال تمتلك تلك الهيبة والنفوذ على ساكنيها وتحتم عليهم واجب المشاركة في حل مشاكلها؟أم هناك قراءات خفية لأرقام هذا الجدول ياترى؟

عند نزولنا لميدان القصبة وجدنا أن النسبة الكبيرة من سكانها صرحت بمساهمتها في حل مشاكل حييها، عند الضرورة أو في المناسبات والنكبات ، وشكل هاته المساهمات يكون محصورا إما بالتوعية وإرشاد شباب الحي المنحرف أو بفك خصوماته وإذا تطور يذهب إلى التنظيف السطحي له بالمناسبات، أما إذا تعلق الأمر بتلك الإسهامات التي تقتطع بعضا من أموالهم كالترميم و التبييض و رفع الأردام فهم ينتظرون السلطات المعنية حتى وإن طال أمد تدخلاتها وإهترأ الحي ، هذا ما جعل مفهوم المساهمة الحقيقية بحل مشاكل الأحياء بالقصبة يفقد جوهره ويؤول لما هو عليه حاليا من ملجأ أمان إلى وكر اللا أمن لانتشار مختلف أنواع الإجرام والآفات، وهذا ما جعلنا نقول إن أحياء لكي تعود لسابق عهدها أو تحافظ فقط على بعض ميزاتها يتطلب مساهمة دائمة ومتواصلة للسكان بكل أشكالها وليس فقد تلك الإسهامات المناسباتية المتقطعة التي تذهب فعاليتها عقب كل أزمة تتعرض لها . أما بشان تأثير مدة الإقامة في سيرورة مساهمة السكان في حل مشاكل حيهم فقد كانت أقوى وأوضح من مكان الميلاد خصوصا لدى المولودين خارجها بحيث أن الذين لديهم مدة إقامة أطول كان إسهامهم أكبر من غيرهم وهذا باعتبار أن طول مدة الإقامة بالحي تزيد من وتيرة الانتماء للحي وبذلك تعزز إسهامات الفرد به في حل مشاكلها وكذلك تريد من خلاله تلك الفئة أن تبرهن على ولائها للحي رغم عدم ازديادها به ، وهذا لكسب احترام السكان القدامى لها وتأمينا لنفسها منهم بحصولها على بعض الحقوق والامتيازات التي تمنح "لأولاد الحومة ".

أما بالنسبة للفئة القليلة التي لا تساهم لا بالقليل ولا بالكثير في حل مشاكل حيها، فقد لمسناها بوضوح لدى المولودين خارجها خصوصا لدى الفئات الحديثة الإقامة بالقصبة مما يكشف سبب قدوم هؤلاء إليها لأغراض منفعية محضى متعلقة بالسكن الاجتماعي أو إيجاد فرص العمل وغيرها ... والتي لا تعطي للحي ومشاكله أي اعتبار أو وظيفة إلا بكونه جسرا تعبر من خلاله لمراقدها .

وعليه يمكن أن، نقول أن لمكان الميلاد ومدة الإقامة بالحي تأثير على سيرورة تدخل السكان لحل مشاكل حييهم لكن ليس بشكله القوي.

جدول رقم 8:يوضح توزيع المبحوثين حسب مكان الميلاد ومدة الإقامة بالحي على سيرورة تبادل الزيارات بين الجيران.

مكان الميلاد			تبادل الزيارات بين الجيران		المجموع
			نعم	لا	
القصبة	مدة الإقامة بالحي	اقل من 10 سنوات	8 88.9%	1 11.1 %	9 100 %
		من 11 إلى 20 سنة	6 54.5 %	5 45.5%	11 100 %
		من 21 إلى 30 سنة	14 66.7 %	7 33.3 %	21 100 %
		أكثر من 30 سنة	77 68.5 %	12 13.5 %	89 100 %
	المجموع		**105** **80.8 %**	**25** **19.2 %**	**130** **100 %**
ولاية الجزائر	مدة الإقامة بالحي	اقل من 10 سنوات	1 50 %	1 50 %	2 100 %
		من 11 إلى 20 سنة	11 100 %	- -	11 100 %
		من 21 إلى 30 سنة	10 71.4 %	4 28.6 %	14 100 %
		أكثر من 30 سنة	28 87.5 %	4 12.5 %	32 100 %
	المجموع		**50** **84.7 %**	**9** **15.3 %**	**59** **100 %**
تيزي وزو	مدة الإقامة بالحي	من 11 إلى 20 سنة	- -	1 40 %	1 100 %
		أكثر من 30 سنة	6 60.4 %	4 40 %	10 100 %
	المجموع		**6** **54.5 %**	**5** **45.5 %**	**11** **100 %**
ولاية أخرى	مدة الإقامة بالحي	اقل من 10 سنوات	- -	- -	- -
		من 11 إلى 20 سنة	2 100 %	- -	2 100 %
		من 21 إلى 30 سنة	1 100 %	- -	1 100 %
		أكثر من 30 سنة	2 100 %	- -	2 100 %
	المجموع		**5** **100 %**	- -	**5** **100 %**
المجموع الكلي			**166** **81 %**	**39** **19 %**	**205** **100 %**

يميل الاتجاه العام لهذا الجدول على أن نسبة 81% من المبحوثين بالقصبة يتبادلون الزيارات الجوارية فيما بينهم مقابل 19% من الذين لا يتبادلون،بأغلبية المتبادلين للزيارات لدى المولودين بولايات أخرى بنسبة 100 %،تليها الفئة المولودة بالجزائر العاصمة بنسبة 84,7 %،ثم المولودين بالقصبة بنسبة 80,8 %،وأخيرا للمولودين بتيزي وزو بنسبة 54.5%.

أما بخصوص رائز مدة الإقامة فقد وجدنا نسبة 100% للمولودين بولايات أخرى والذين مدة إقامتهم تتروح من 11-20 و21-30 و أكثر من 30 سنة، وبنسبة 100 % ، كذلك للمولودين بالجزائر والتي مدة إقامتهم من 11-20 ثم المولودين بالقصبة بنسبة 88,9 % للذين مدة إقامتهم أقل من 10 سنوات ،وأخيرا للمولودين بتيزي وزو ومدة إقامتهم أكثر من 30 سنة بنسبة 60.4%.

نستنتج من خلال قراءتنا الإحصائية، أن أغلب العينة المبحوثة تتبادل الزيارات الجوارية فيما بينها داخل القصبة ، وهذه من البديهيات بالنظر إلى تاريخ القصبة الاجتماعي الذي يحث على تبجيل الجار كيف لا إذا ما علمنا أن تصميم دويرات وأحياء القصبة قائم على أساس احترام حرمة الجار وخصوصيته ، وما عدم تقابل أبواب منازلها ، ووجود السقيفة كمان لانتظار الغرباء لأن يسمح لهم بالدخول ، وتحديد علو منازلها لعدم حجب الشمس عن بعضهم البعض وغيرها من الخصوصيات المعمارية إلا دليل على تفكير اجتماعي مسبق يجعل راحة الجار هي إحدى أهم الأولويات ، بحيث خلقت هذا التباعد لضمان شرف المنزل وتعزيزا لعلاقات جوارية فاقت بكثير حدود المنازل بحيث كانت أسطحها جسور للالتقاء والعبور من منزل لآخر ، وهذا ما جعل الجار يعد كفرد من العائلة له ما له حقوق وما عليه من واجبات، ما جعلنا نجد أن رمزية ومكانة الجار لا زالت موجودة بالقصبة ، ليست بنفس الثقل والوتيرة المذكورة سابقا وهذا للحالة المزرية التي تعيشها القصبة وسكانها الآن لكن تبقى موجودة حسب النتائج المتوصل إليها ، لكن لم تكن الأسبقية للمولودين بالقصبة كما هو العرف، بل كانت للمولودين خارجها، وهذا ما يفسر بكون الفئة الباقية من الجيل القديم المولودين بالقصبة، ترفض أي علاقة مع جيرانها الجدد أو الوافدين إليها ,وهذا

حرصا على مكانتها الحضرية بالحي وكذا تخوفا منهم باعتبار عدم معرفتها لأصولهم جيدا ,كما أنها تعتبرهم المسؤولون على حالة التدهور التي تشهدها القصبة بثقافاتهم الهجينة وسلوكياتهم العشوائية ، لحد طلبهم منا أن نبلغ السلطات لتبدأ بترحيلهم منها،وعليه هذا ما جعلها لا تتصدر قائمة المتبادلين للعلاقات الجوارية ، تاركا المجال لفئة المولودين خارجها،والذين برروا لنا تشبثهم بالجار كنوع من الحماية لهم وتأمينا لهم من أي تصرفات قد تنتج من السكان القدامى ضدهم ، كما أن صعوبة ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية تحتم عيهم التكتل مع جيرانهم في جماعات لمقاومة التهميش والنظرة الدونية لهم من طرف السكان القدامى وكذا لمواصلة العيش داخل القصبة بسلام ، وهذا ما جعل علاقات الجوار تأخذ منحى آخر ريفي قائم على أساس هوية مرجعية للأصول الجغرافية لهؤلاء أكثر منه حضري قائم على أساس الانتماء للحي،مما جرد هذه الزيارات من بعدها الحضري والمديني.

أما بشأن مدة الإقامة فلقد وجدنا لها تأثير متباين لى كل من الفئتين فالبنسبة للمولودين خارجها وجدنا انه كلما زادت مدة إقامتهم بالقصبة ازدادت شبكة زياراتهم الجوارية ،أما لدى المولودين بالقصبة فقد وجدنا العكس بحيث أن نسبة الزيارات الجوارية لدى الفئة التي مدة إقامتها قصيرة أكبر من تلك القديمة وهذا ما يوضح أكثر انغلاق القدامى على جيرانهم بشكل أكبر من غيرهم.

جدول 9: توزيع المبحوثين حسب مكان الميلاد ومدة الإقامة بالحي وعلاقته بوجود تعاون بين الجيران في المناسبات

مكان الميلاد			وجود تعاون بين الجيران		المجموع
			نعم	لا	
القصبة	مدة الإقامة بالحي	اقل من 10 سنوات	7 77.8 %	2 22.2 %	9 100 %
		من 11 إلى 20 سنة	10 90.09 %	1 9.1 %	11 100 %
		من 21 إلى 30 سنة	18 85.7 %	3 14.3 %	21 100 %
		أكثر من 30 سنة	81 91 %	8 9 %	89 100 %
	المجموع		**116** **89.2 %**	**14** **10.8 %**	**130** **100 %**
ولاية الجزائر	مدة الإقامة بالحي	اقل من 10 سنوات	1 50 %	1 50 %	2 100 %
		من 11 إلى 20 سنة	10 90.9 %	1 9.1 %	11 100 %
		من 21 إلى 30 سنة	8 57.1 %	6 42.9 %	14 100 %
		أكثر من 30 سنة	29 90.6 %	3 9.4 %	32 100 %
	المجموع		**48** **81.4 %**	**11** **18.6 %**	**59** **100 %**
تيزي وزو	مدة الإقامة بالحي	من 11 إلى 20 سنة	- -	1 100 %	1 100 %
		أكثر من 30 سنة	9 90 %	1 10 %	10 100 %
	المجموع		**9** **81.8 %**	**2** **18.2 %**	**11** **100 %**
ولاية أخرى	مدة الإقامة بالحي	اقل من 10 سنوات	- -	- -	- -
		من 11 إلى 20 سنة	2 100 %	- -	2 100 %
		من 21 إلى 30 سنة	1 100 %	- -	1 100 %
		أكثر من 30 سنة	1 50 %	1 50 %	2 100 %
	المجموع		**4** **80 %**	**1** **20 %**	**5** **100 %**
المجموع الكلي			**177** **86.3 %**	**28** **13.7 %**	**205** **100 %**

يشير الاتجاه العام للجدول أن نسبة 86,3% من العينة المبحوثة تقر بوجود تعاون بينها وجيرانها في المناسبات ،مقابل 13,7 %من الذين صرحوا بعدم وجود هذا التعاون.

بأغلبية المتعاونين المولودين بالقصبة بنسبة 89,2% ثم 81.8% للمولودين بتيزي وزو، ثم 81.4% للمولودين بولاية الجزائر و 80 %للمولودين بولايات أخرى.

أما بالنسبة لرائز "مدة الإقامة بالحي" ،فقد وجدنا نسبة 100 % تتقاسمها كل من الفئتين اللتين مدة إقامتهما تراوحت بين 11-20 و21-30 سنة للمولودين بولايات مختلفة ، تليها نسبة 91 % في الفئة التي مدة إقامتها أكثر من 30 سنة والمولودة بالقصبة ،ثم نسبة90.9% للتي مدة إقامتها من 11-20 سنة والمولودة بولاية الجزائر ، وبنسبة 90 %للذين مدة إقامتهم بالحي فاقت 30 سنة و المولودين بتيزي وزو .

نستنتج من خلال الجدول التالي أن أغلب سكان القصبة يقرون بوجود تعاون بينهم في المناسبات ،مما يؤكد ما سبق التطرق إليه في الجدول السابق من أهمية ورمزية العلاقات الجوارية بالقصبة والتي تجسد فعليا في التعاون والتكافل مع بعضهم البعض أثناء مختلف مناسباتهم، ما جعلنا نجدها أكثر حدة لدى المولودين بالقصبة الذين تشربوا لمثل هاته القيم والمثل الحضرية العليا في التعامل مع جيرانهم خصوصا لدى هؤلاء القدامى بالحي ،بحيث ذكر المؤرخ "عثمان بن خوجة" أن العائلات الغنية بالجزائر أي القصبة كانت تقتني حليا خصيصا لإعارته للنساء الفقيرات في مناسباتهم ، وعليه فهذا السلوك ليس بالجديد على سكانها ، وحتى بعد الأوضاع الصعبة التي يعيشها سكانها فهم يقرون بأن الحفاظ على هذا السلوك هو سر تمكنهم من العيش بالقصبة لحد الآن ، بما أن أغلب السكان يعيشون داخل الدويرة بغرفة أو غرفتين وبأجرة تقل عن 18000 دينار جزائري ، تجعل من تغطيتهم لمناسباتهم بدون اللجوء إلى مساعدة جيرانهم بالشيء المستحيل وعليه فهم يحرصون على هذا السلوك النبيل مخيرين ومجبرين كذلك، تتبعها الفئة المولودة بتيزي وزو والتي مدة إقامتها بالحي فاقت 30 سنة ، كيف لا إذا علمنا أن أقدم الوافدين إلى القصبة ينحدرون من ولاية تيزي وزو ، فهم بذلك قد تشربوا لهاته الثقافة من خلال معاصرتهم لسكان القصبة الأصليين كما أن مد يد العون والتكافل مع الجيران تعد من شيمهم "كقبائل" وما أشكال التضامن تلك مثل "التاجماعت" في الدشرة لتزويج شاب أو دفن ميت أو بناء مسجد وغيره إلا دليل على ذلك،وكذلك الحال بالنسبة للمولودين بالجزائر فضيق الشقق بالأحياء الشعبية جعل من

اللجوء إلى الجار شيء ضروري كاستعارة بيته أو أوانيه وما شابه ذلك ،أما بالنسبة لتلك الفئة المولودة بمختلف الولايات الأخرى فقد وجدناها تعرض خدماتها على الجيران من أجل خلق فرص للاقتراب من جيرانهم وكسر حصار تهميشهم وذلك بإظهار نواياها الحسنة واستعدادها في الاندماج الاجتماعي والحضري خصوصا للسكان القدامى ، وهذا ما جعلنا نجد مدة الإقامة ليس لها تأثير في سيرورة تعاونهم بالمناسبات ،عكس لدى المولودين بالقصبة الذين يعطون أهمية كبيرة لمدة إقامة السكان والتي بفضلها يحددون طبيعة تعاملاتهم مع الآخر .

جدول رقم 10 : توزيع المبحوثين حسب مكان الميلاد ومدة الإقامة وعلاقتهما بالرغبة في البقاء أو الرحيل من القصبة

مكان الميلاد			هل تقبل بالرحيل عن القصبة		المجموع
			نعم	لا	
القصبة	مدة الإقامة بالحي	اقل من 10 سنوات	7 77.8 %	2 22.2 %	9 100 %
		من 11 إلى 20 سنة	8 72.7 %	3 27.3 %	11 100 %
		من 21 إلى 30 سنة	17 81 %	4 19 %	21 100 %
		أكثر من 30 سنة	66 74.2 %	23 25.8 %	89 100 %
	المجموع		**98** **75.4%**	**32** **24.6 %**	**130** **100 %**
ولاية الجزائر	مدة الإقامة بالحي	اقل من 10 سنوات	1 50 %	1 50 %	2 100 %
		من 11 إلى 20 سنة	7 63.6 %	4 36.4 %	11 100 %
		من 21 إلى 30 سنة	8 75.1 %	6 42.9 %	14 100 %
		أكثر من 30 سنة	26 81.3 %	6 18.8 %	32 100 %
	المجموع		**42** **71.2 %**	**17** **28.8 %**	**59** **100 %**
تيزي وزو	مدة الإقامة بالحي	من 11 إلى 20 سنة	1 100 %	- -	1 100 %
		أكثر من 30 سنة	8 80 %	2 20 %	10 100 %
	المجموع		9 81.8 %	2 18.2 %	11 100 %
ولاية أخرى	مدة الإقامة بالحي				
		من 11 إلى 20 سنة	2 100 %	- -	2 100 %
		من 21 إلى 30 سنة	1 100 %	- -	1 100 %
		أكثر من 30 سنة	2 100 %	- -	2 100 %
	المجموع		**5** **100 %**	- -	**5** **100 %**
المجموع الكلي			**154** **75.1 %**	**51** **24.9 %**	**205** **100 %**

نلاحظ من خلال الجدول التالي أن اتجاهه العام يميل إلى أن نسبة 75,1 %من المبحوثين أبدوا رغبتهم في مغادرة القصبة ، مقابل 24,9% للذين يفضلون البقاء بها.

وهذا بأغلبية 100% لدى الذين يرغبون بالرحيل لدى المولودين بولايات مختلفة أخرى باختلاف مدد إقامتها بالحي بدءا بالأقل من 10 إلى أكثر من 30 سنة بنسبة 100% لكل منها ، تليها للمولودين بتيزي وزو بنسبة 81,8 ، بأغلبية الذين مدة إقامتهم بالحي من 11-20 سنة وذلك بنسبة 100% ،ثم المولودين بالقصبة بنسبة 75,4 % بأغلبية لدى الفئة التي مدة إقامتها 21-30 سنة وذلك بنسبة 81% ، وأخيرا للمولودين بالجزائر العاصمة بنسبة 71,2% ، بأغلبية لدى الفئة التي مدة إقامتها بالحي أكثر من 30 سنة وذلك بنسبة 81,3 %.

نستنتج من خلال هذه القراءة الإحصائية، أن غالبية سكان القصبة باختلاف أماكن ومدد إقامتهم يرغبون بالرحيل عن القصبة ، بل ويطوقون إليه ،لكن لا يعني هذا إلغاء تأثير مكان الميلاد على هذه الرغبة من عدمها، إذ وجدنا أنها بشكل أكبر لدى المولودين خارجها وهذا ما يثبت الدوافع الحقيقة تلك الوفود إلى القصبة والتي كانت ضحية لظروفها الصعبة من فقر إلى إرهاب وغيره... ما جعلها تختار القصبة باعتبارها المكان الأمثل الذي من خلاله تستطيع تسوية أوضاعها الاجتماعية والحصول على سكن لائق فيما بعد تخصصه السلطات للمتضررين بها ،وهكذا صارت القصبة من مركز جذب حضري وثقافي لا يستطيع ساكنيه التفكير في الخروج منه إلى مركز عبور لمختلف الفئات النازحة و المحرومة الطامعة في تلك السكنات الاجتماعية ، أما بالنسبة للمولودين بالقصبة فقد برروا رغبتهم هذه بالرحيل بتلك الأخطار المحيطة بهم جراء الانهيارات المستمرة للدويرات وسط غياب للسلطات وغياب لسكانها الأصليين القدامى الذين كانوا من ضمن دوافعهم التي تحثهم على البقاء ،فأمام خطر الموت المحقق التي يخلفه هذا النسيج المهترأ، لا مكان لا للحنين إلى ماضي الأجداد ولا الوفاء لتاريخ مدينتهم ، وهذا ما تسبب في تراجع تأثير مكان الميلاد بالقصبة ،بحيث لمسنا تذبذبا لدى المولودين بالقصبة في رأيهم بهذا الخصوص فلا هم احتلوا المرتبة الأولى لدى الراغبين في الرحيل ،و لا لدى الرافضين له ، وهذا جعلنا نجد أن تلك الفئة القليلة التي

أبدت رغبتها بالبقاء كانت مولودة بالجزائر العاصمة من الأسر الميسورة الحال والتي تعيش بدويرات سليمة بتلك الأحياء السياحية الواقعة بأعالي القصبة ، ولم تكن من المولودين بالقصبة الذين مزقت ظروفهم الصعبة أواصر الوفاء للعشرة والمكان، أما بشأن مدة الإقامة فلم نجد لها تأثير على رغبة السكان في الرحيل خصوصا لدى المولودين خارج القصبة إذا ما علمنا أنهم أتوا أصلا إليها من أجل أن يعاد ترحيلهم إلى شقق لهذا نجده مطلب الجميع باختلاف مدد إقامتهم ،وهذا ما جعلنا نخلص لأن نقول أن رغبة سكان القصبة بالرحيل أو البقاء بها، له علاقة بالظروف الاقتصادية والاجتماعية للسكان أكثر من علاقته بمكان الميلاد ومدة الإقامة وما يحملانه من مضامين مدينية نوستالجية.

استنتاج الفرضية الأولى

بعد القراءة الإحصائية والتحليل السوسيولوجي لنتائج الجداول التي كانت مصممة من أجل معرفة مدى نجاعة الفرضية القائلة بقاء الفئة القليلة من أبناء وأحفاد سكان القصبة الأصليين القدامى، يساهم في حفاظ القصبة على بعض من رموز هويتها الحضرية، بحيث أظهرت لنا نتائجها أنها بشقين ، شق لمسنا فيه صدقها وآخر لمسنا فيه خلاف ذلك ، ما جعلنا نخلص لأن نقول أن هذه الفئة القليلة الباقية من السكان القدامى للقصبة استطاعت أن تثبت في بعض من المِؤشرات فعاليتها في الحفاظ على الهوية الحضرية و بعض من المؤشرات تبين لنا عكس ذلك،وتظهر لنا الوجه الخفي لذلك الحفاظ على هوية القصبة، فكيف ذلك يا ترى؟

فبالنسبة لطريقة الاحتفال بالمناسبات ونوع الموسيقى والأطباق المفضلة بها ، وجدنا أن أغلب العينة المبحوثة صرحت أنها تعتمد الطريقة التقليدية المعروفة بالقصبة أو "القصباجية" في جميع مناسباتها، وتحرص في إحيائها هذا على موسيقى الشعبي، وكذلك بالنسبة للأطباق المقدمة لهاته الأخيرة التي تمثلت في فن الطبخ التقليدي المتعارف عليه لدى سكانها ، وهذا باختلاف أماكن ميلادهم والذي إن دل فإنه يدل على تمكن القصبة في هذا الشق من احتواء أغلب ساكنيها ودمجهم مع بعضهم البعض ومجالهم الحضري، فتبنيهم لمثل هذه العادات والتقاليد هم يظهرون توحدهم على مرجعية أفقية واحدة ، وأثبتوا انتمائهم المجالي والاجتماعي للقصبة كحي ومدينة ، باختلاف أصولهم الجغرافية ،وهذا ما يبين لنا كذلك إسهام هذه الفئة الباقية في نشر الفنون والصنائع الحضرية وتلقينها للوافدين للقصبة ، باعتبار أن أغلب المحافظين على العادات القصباجية في طقوس الاحتفال و الموسيقى والأطباق كانوا من فئة المولودين بالقصبة ،وتقل النسبة كلما ابتعدنا عن القصبة كمان للميلاد ، وهذا شيء طبيعي بكون هذه الأخيرة المكان الأمثل للتنشئة الاجتماعية والحضرية بحيث تحتوي على كل الإرث الثقافي والاجتماعي له ،وبتشرب هذه الفئة لثقافة الحي من عادات وتقاليد وممارسات وأعراف ، فمن البديهي لها أن تتشبث به ، حتى وإن تغيرت ظروفه الراهنة لأنه يعيش بذاكرتها الجمعية لآبائها وأجدادها وتعيشه بماضيه الجميل وتاريخه الحضري لا بواقعه المزري، وعليه فهي تحاول الحفاظ عليه إما تشربا له أو حبا فيه

أو التزام يقتضيه عليها واقع القصبة إن أرادت أن تحافظ على تميزها وخصوصيتها الحضرية به في ظل ما تشهده من مشاكل لا حصر لها بين مختلف الوافدين إليه مما جعله وسكانه عرضة لعديد الأوصاف والأقاويل المشينة، حتى وإن كان حفاظها عليه رمزيا أو شكليا بافتقاره لعديد أركانه الأصلية، فهو يعتبر طوق النجاة لهم لاكتساب الاحترام والتقدير الذي تمتعوا به سابقوهم للمجال ، و حكمنا عليه بأنه شكلي أو رمزي كان نتاجا لعدة أسئلة طرحناها على هذه الفئة عن أهم تفاصيل ومميزات احتفالاتهم والتي وجدنا أنهم حصروها في دعوة كل الأقارب والجيران وتوفير شروط الحرمة من عدم اختلاط وغيره... صحيح أن هذه الأخيرة تعد من مقومات سلوكيات الفرد "القصباجي" في مناسباته وحتى بأيامه العادية لكن لا يعني هذا أنها كاملة ،فأين تلك الطقوس المتعارف عليها في الأفراح كتخضيب العروس بالحنة"ربط الحنة" وطقوس الحمام التقليدي وإقامة الاحتفالات وسط الدار والسطح والتزيين بالياسمين،وإحضار "المسمعات" أو تلك الفرق النسوية القصباجية بوسط الدار لإمتاع النسوة بأغاني الشيخات "كطيطمة، ومريم فكاي و فضيلة الدزيرية... وأين فرق الآلي بالحي التي لطالما أمتعت الحي ورجاله بما جادت عليهم حناجر عمالقة الأغاني الشعبية كالشيخ "السفنجة" والحاج "مريزق والعنقى "وغيرهم ... وأين تلك الطقوس التي ذكرناها بالتفصيل في التناول النظري للدراسة ، ما جعلنا نقول أن مفهوم "الاحتفال القصباجي" لتلك الفئة وغيرها من السكان غير مكتمل باعتبار ما تشهده من ظروف اجتماعية واقتصادية صعبة تقف أمام عادات وتقاليد القصبة الأصلية والتي تتطلب دويرات وأحياء سليمة وراقية وأناسا أرقى يتقنون تسيير مناسباتهم بها، وعليه لا السكان ولا المجال أصبحوا صالحين لمثل هكذا أحداث اجتماعية وعليه فقد وجدنا أنفسنا أمام هذا الإشكال مجبرين على تحديد عدة مفاهيم إجرائية بدءا بطريقة الاحتفال القصباجي وغيرها ، وهذا بالعمل بما وجدناه شائعا لدى سكانها الحاليين ، باكتفائهم بالمحافظة على ميزة أو مظهر من المظاهر المعروفة بالقصبة العريقة ، ليسموا أنفسهم واحتفالاتهم ب"القصباجية"،هذا ما أوجب علينا التطرق إليها لكي لا يتخيل القارئ أن أغلب سكان القصبة لا يزالون ينتجون مثل تلك الممارسات المدينية التي كانت تعرف سابقا ،لكن يبقى الاعتراف بنتائج الميدان قائما باعتبار أن هذه الفئة القليلة

الباقية من السكان القدامى للقصبة تعد نفسها من أهم المساهمين في الحفاظ على هوية القصبة بكل ما تعيشه من مآسي.

أما بخصوص السن في هذا المقام،فقد وجدنا أن أهميته ودلالته تكمن لدى المولودين بالقصبة ،باعتبارهم الوارثين والمورثين لما بقي من هذا الإرث الثقافي الحضري،بحيث نظهر من خلاله سيرورة الانتقال له أبا عن جد ، بحيث وجدنا أن أغلبهم كانوا من الفئة العمرية 51-70، والذين بقوا بدويراتهم القديمة حبا لها أو ذهبوا مع آبائهم وعادوا إليها مجددا بعد أن صاروا أرباب عائلات و أنهكتهم أزمة السكن ، وعليه فهم متشربون لمثل هاته العادات التقليدية المحافظة والراقية في الوقت نفسه عن آبائهم وأجدادهم، وبما أنها كذلك فقد تم تبنيها من طرف الفئة العمرية نفسها لغير المولودين بالقصبة لما تحمله من قيم ومعايير أصيلة تصلح لهاته الفئة العمرية التي تعد المسؤولة على تنظيم وتسيير مناسباتها، وهذا ما جعل من هذه الأخيرة تكتسب رواجا عند مختلف الفئات المولودين داخلها وخارجها وما جعلها تبرز أكثر لدى فئة السن 51-70سنة.

وعليه فقد أظهروا ثقافتهم الحضرية عن طريق اعتمادهم لبعض من العادات والتقاليد القصباجية في المناسبات والأفراح.

أما بخصوص الشق أو الوجه الثاني لها والذي لم نلمح به فعاليتها ودورها في الحفاظ على الهوية الحضرية للقصبة ، فقد تمثل في المؤشرات الخاصة بكيفية تبادل الزيارات بين الجيران، وكذا في الطريقة المعتمدة من طرف سكان الدويرة لترميم وتبييض مساحاتهم المشتركة وغيرها من الممارسات الأصيلة لدى السكان الأصليين بالقصبة ، بحيث تبين لنا أن تلك الفئة من السكان المولودين بالقصبة التي كانت تطلق على نفسها "القصباجيين الحقيقيين" تخلت عن دورها كآلة فاعلة في إعادة إنتاج هذا ممارسات خضرية ومدينية باعتبار أن من بين أهم مميزات السكان القدامى الاجتماعية وهذا بشهادة عديد المؤرخين الأجانب والمحليين ،منهم "شالر وليام"...سلوكهم يمتاز باللباقة والمجاملة ، متميزين ومهذبين وإنسانيين" كما وصفهم "عثمان بن خوجة" على أنهم اجتماعيون لدرجة أن هناك عائلات غنية تخصص حليا باهض الثمن لإعارته للعائلات الفقيرة أوقات مناسباتها (بالتصرف).

وغيرهم كثيرا من الذين وثقوا هاته الميزة الخاصة بسكان القصبة، وعليه فأين هم من كل هذا حاليا ؟بدليل أن الجدول المخصص لهذا الغرض بين أن هناك تبادل للزيارات بين الجيران لكن ليس بأغلبية المولودين بالقصبة وهذا لأن البقية من الجيل القديم لسكان القصبة ترفض أي علاقة أوصلة مع الجيران الجدد أو الوافدين وهذا حرصا على هويتها من الاضمحلال وسط تلك الهويات والمرجعيات المختلفة لأولئك والذين يعتبرونهم المسؤولين عن كل الانحطاط الحضري والثقافي الذي آلت إليه القصبة وما انتشار الآفات الاجتماعية وانهيار الدويرات إلا دليل على ذلك، وعليه وجدت في الانعزال والابتعاد عنهم الحل الأنجع لتفادي مشاكلهم والاحتفاظ بهويتهم القصباجية التي لا يمكن أن تكون في متناول كل من هب ودب إليها، ضف إلى أنهم برروا ذلك بكون هاته العلاقات تتطلب وقتا لمعرفة الجار جيدا وبما أن هؤلاء جدد فالتخوف منهم يبق قائما . وعليه فانغلاق هاته الفئة الباقية من الجيل القديم على نفسها يعرقل دمج الوافدين للقصبة وسيلقي بظلاله على كل ما سينتج لاحقا ، فبالاندماج تستطيع القصبة أن تقوم بغرس روح الانتماء للمجال ومن ثم التشبع بثقافته وسكانه وإعادة إنتاج ممارساته الحضرية و المدينية المميزة للقصبة ، وعدم دمج هاته الفئات جعل منها فئات مهمشة وعدوانية تفتقر لشعور الانتماء للقصبة ككل و لدويراتها ، فانغلاق تلك الفئة من القدامى وتخلي كل منها ومالك الدويرة عن دورهما في دمج وتلقين الثقافة الحضرية في استعمال مجال القصبة ، وأضحى الاهتمام بترميم المساحات المشتركة بين الجيران يخضع إلى الاشتراك بينهم في دفع تكلفة الترميم الذي أصبح إصلاحا للأعطاب أكثر منه ترميم ،بدلا عن تكفل المالك بها والسهر على حمايتها بحيث خزل دوره في جمع الإيجار من المستأجرين لا غير ، مما تسبب في غياب لتلك الممارسات والسلوكيات الحضرية لسكان الدويرة الواحدة، كالتناوب على التنظيف والترتيب أو "دالة التسياق" كما هو معروف بالقصبة ،وحتى وإن ظهر هذا الاشتراك بينهم على أنه نوع من أنواع التضامن إلا أنه يحمل بداخله فردانية كبيرة باعتبار أن كل ساكن يدفع نصيب ما لإصلاح العطب الذي يخصه لاغير، وهذا ما ساهم في تدهور الدويرات وغياب تلك العلاقات الاجتماعية القائمة على الحب والتكافل وتحمل المسؤولية اتجاه الدويرة وسكانها وبتخلي المالك عن دوره كحارس أمين لها وملقن لفنونها غابت عديد تلك العلاقات والممارسات الحضرية.

أما فيما يخص القيام بعملية تبييض مساحاتهم المشتركة بالدويرة ،كتقليد حضري اتسم به سكانها القدامى كما وصفه الشيخ "ابن المسايب التلمساني" في إحدى قصائده "ببلاد الجير" كناية عن شدة بياضها ،فأين هم من هذا الوصف ، بحيث أثبتت لنا نتائج الدراسة عن تخلي أغلب سكان القصبة عن هاته الممارسة باختلاف أماكن ميلادهم بحيث أصبحوا يبيضوا أوقات الحاجة الملحة بدلا من مرة كل سنة كما كان متعارف عليه ، سواءا بحلول الشهر الفضيل أو قبيل أي مناسبة دينية أخرى استقبالا و احتفالا بها ، وعليه وبتخليهم عن هاته المناسبة التي كانت اجتماعية أكثر منها تجميلية ،وذلك باجتماع سكان الدويرة على تبييضها وغرفهم لتهيئة الأوضاع والمقامات التي تضمهم وجيرانهم سواءا وسط الدار أو السطح للاحتفال والسمر وتبادل الأخبار والخبرات بين النساء، وعليه فاهتمامهم بهاته المساحات المشتركة، كان فرصة لتوطيد أواصر العلاقات الجوارية وللتضامن أكثر من للتبييض، عكس ما وجدناه حاليا ، بحيث أصبح الساكن يهتم بالجزء الذي يليه في الدويرة ولا يقوم بالتبييض إلا في مناسبة شخصية له لا غير ، هذا ما جعل دويراتها و سكانها أشبه بسكان العشوائيات التي يلوح التلوث والسواد بها من بعيد بدل النظافة والبياض.

أما بالنسبة لمتغير السن فنجد انه ذا دلالة فقط عند المولودين بالقصبة ، أين لاحظنا أن الذين يقومون بتبييض المنزل مرة كل سنة هم من الفئة التي الكبيرة في السن والتي نشأت وترعرعت على هذه العادة وتبدأ أهميته في الاضمحلال كلما ابتعدنا عن القصبة كمكان ميلاد ، وعليه يمكننا القول أن لا تأثير للسن ومدة الإقامة كمتغيرين رائزين بعيدا عن القصبة كمكان ميلاد ، باعتبار أن هؤلاء حاملين لإرث ثقافي واجتماعي يورث عبر الزمن من جيل لآخر ويعرفون هذا جيدا، أما الوافدين إليها فنجد أن أهمية السن تقل ولا تكاد تظهر لأنهم يتبنون مثل هاته التقاليد و الممارسات بشكل سطحي منفعي إما من أجل الحصول على امتيازات داخل الحي أو التخلص من تلك النظرة الدونية للقدامى وغيرها أو إعجابا بها ، وعليه فعدم فعالية متغير السن ومدة الإقامة لدى المولودين خارج القصبة تشير إلى أنه هناك قصور لتلك الفئة الباقية من السكان القدامى في عملية تلقين الثقافة الحضرية للقصبة ونقل تراثها من فئة لأخرى ، بحيث جعلته حبيسا لها بانغلاقها على نفسها ما أحدث هوة

كبيرة بين السكان الجدد والقدامى ، وساهم في دثر عديد الممارسات الحضرية و المدينية وبروز ممارسات هجينة دخيلة عن القصبة وسكانها .

كما وجدنا أن متغير مدة الإقامة يظهر بقوة في علاقته بمدى مساهمة السكان في حل مشاكل حيهم ، بحيث انه كلما زادت مدة إقامة الفرد بالحي بغض النظر عن مكان ميلاده زادت مساهمته في حل مشاكل حييه ،و هذا ما أظهر أنه لازال الحي يمتلك تلك الرمزية الكبيرة لدى سكانه وتزداد قيمته كلما زادت مدة إقامة الفرد به ، وهذا ما يثبت بقاءه كوعاء يذوب تلك الخلافات والمشاكل بين السكان ليلتفوا حوله وقت الأزمات كتلك الانهيارات التي يشهدها أو بتنظيفه وغيرها، لكن وجدناها بأقل تأثير عندما يتعلق الأمر بالرغبة بالبقاء أو الرحيل من القصبة ، إذ وجدنا أنه تضعف أمام تلك المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي يواجهها سكان القصبة خاصة مشكل السكن أو ازدحام السكان داخل الغرف بالدويرة الواحدة ،إذ نرى أن لا مكان الميلاد ولا مدة الإقامة و لا السن يشفع أمام هذا المشكل بحيث أضحى مطلب الجميع الرحيل ، وعليه نلاحظ انه في خضم كل ما يعانيه السكان من المشاكل فشيء طبيعي أن تفقد هاته المتغيرات فعاليتها وسط دويرات مكتظة بأناس مختلفوا الطباع الذي توحدوا فقط بكونهم من ذوي الدخل المحدود أي أقل من 18000دج وبتخلى ملاك البيت عن دويراتهم وانغلاق الفئة القليلة الباقية منهم عن نفسها والتي حولت القصبة إلى أشبه بقيتو يحمل جميع مظاهر الفقر والتهميش .

أما بالنسبة لمكان الميلاد فكان له تأثير قوي من حيث مساهمة سكان القصبة في حل مشاكل حييهم ، كيف لا وهم يعتبرونه بمثابة امتدادا ماديا ومعنويا لمنازلهم أو دويراتهم وله لها من قدسية ،بحيث يعتبر ذاكرتهم الجمعية عن القصبة بكل ما مرت عليه من حقبات ، لكن هذه المساهمة كانت منحصرة وقت الضرورة أي وقت الأزمات وكذا في المناسبات ، فهل يعتبر هذا كافيا لأن نعتبرهم أولاد القصبة فعلا أم تتطلب أحياء القصبة المداومة والاستمرارية بينها وبين ساكنيها لإعادة إنتاج تلك العلاقة الحميمة التي تختزن ذكريات الطفولة والشباب والأمان والتاريخ ككل،لقد تغير مفهوم الحي كثيرا بالقصبة بحيث اقتصرت

مساهمات الحفاظ عليه بالمناسبات وغيرها يفتقر كثيرا لمضمونه الاجتماعي والنوستالجي الذي شكل له خصوصيته عن باقي الأحياء العاصمية .

وبالنسبة لمدة الإقامة فقد وجدنا أنه من الطبيعي على أن تكون لها فعالية باعتبار أن الساكن يزداد تعلقه بالمكان كلما زادت مدة بقائه به ، وباستعماله المتواصل للمجال وجب عليه المساهمة في حل مشاكل حييه ليتمكن من العيش به، وكذا سعيا منه على نسج علاقات مع سكانه القدامى والتي لا تكتمل إلا بهاته المساهمات التي تثبت اندماجه بالحي واستحقاقه للقب "وليد الحومة" بدلا من "البراني".

أما بخصوص الانتماء إلى جمعية من الجمعيات التي تعنى بالحفاظ على القصبة ،فوجدنا أنه لا مصداقية لهاته الأخيرة لدى غالبية سكان القصبة، بوصفها على أنها جمعيات مناسباتية غرضها الاستفادة من بعض المزايا الممنوحة لهم من طرف السلطات أو المنظمات التي تعنى بالتراث، وما تلك التظاهرات والاحتفاليات إلا تغطية عن هدرهم لأموال القصبة على حد تعبيرهم .

وعليه فالانتماء لهكذا جمعيات لا يعني لهم شيئا ، كما برر بعضهم أن الانتماء إلى هذه الجمعيات يبقى حكرا على طبقة اجتماعية معينة تحتل مكانة اجتماعية واقتصادية مرموقة بالحي ولدى السلطات المعنية بالقصبة لا غير، أما بالنسبة لمكان الميلاد فقد وجدنا له تأثير ضئيل باعتبار أن النسبة الضئيلة المسجلة كانت لدى المولودين بالقصبة من فئة الشباب التي لازلت تقطن ببيوت الأجداد و لازالت تسعى لحماية قصبتها وتراثها من الاندثار .

وعليه ومن خلال كل هاته النتائج التي خلصنا لها عن طريق اقترابنا الميداني لهاته الفرضية القائلة بأن بقاء بقاء الفئة القليلة من أبناء وأحفاد سكان القصبة الأصليين القدامى، يساهم في حفاظ القصبة على بعض من رموز هويتها الحضرية، أنها تحمل جزءا من الحقيقة ، لكن ليس كافيا لكي نحكم عليه بأنها صادقة تماما ، بحيث أن مفهوم الهوية الحضرية والحفاظ عليها هو أعمق وأشمل من أن نحصره في التمسك ببعض العادات والطقوس غير المكتملة أو تلك المظاهر السطحية التي ترمز للهوية الحضرية، بل هي اكبر من ذلك باعتبارها اندماج اجتماعي ومجالي وممارسات مدينية وفعالية وإعادة إنتاج اجتماعي

وحضري وثقافي للسكان عبر مجالهم وداخل مجالهم ولصالح مجالهم ،وهذا ما لم نلمسه بصفة واضحة لهاته الفئة المعول عليها بالقصبة ، بحيث أن تمسكهم بهاته العادات والتقاليد الرامزة للقصبة كان للتباهي وخلق التميز بينهم والآخر وليس بمضمونه الثقافي والاجتماعي والحضري الذي كان عليه أجدادهم والذين كانوا بمثابة الملقنين والمنتجين لثقافة المدينة ، عكس أحفادهم الذين عزلوا أنفسهم ووقفوا وقفة سلبية اتجاه الوافدين إليهم والى قصبتهم ، بتركهم فريسة للتهميش والإقصاء و مجالهم الذي صار عرضة للطامعين في السكنات الاجتماعية، وعليه فالحفاظ على الهوية يتطلب أناسا إيجابيين فاعلين اجتماعيا وثقافيا ورمزيا ليس حضريين مع وقف التنفيذ .

تحليل نتائج الفرضية الثانية

تمهيد

لقد قمنا بتصميم هاته الفرضية من أجل تبيان غياب ثقافة استعمال مجال دويرات القصبة وفقا لهندستها الأصلية لدى غالبية سكانها الجدد الذي يعجّل من تدهور النسيج العمراني للقصبة. والتي بنيت وفقا لعدة دراسات سابقة لنا، ومستنبطة كذلك من تقارير لعدة هيئات متخصصة بالقصبة والتي أثرتنا ببعض المعطيات عن حجم هاته التدخلات العشوائية للسكان الحاليين غلى نسيجهم والنابع من جهلهم لثقافة استعمال المجال، إضافة إلى تلك الزيارات الميدانية لنا والتي وضحت لنا صورة تلك التجاوزات الخطيرة على التراث المادي للقصبة، والتي مكنتنا من اختيار اهم المؤشرات لهاته الظاهرة، فاخترنا كيفية استعمال المنزل من طرف ساكنيه وكذا كيفية استعمال المساحات الاجتماعية المشتركة بين سكان الدويرة الواحدة كوسط الدار والسطح ،وكذا معرفة سيرورة الاعتناء والتكفل بهاته المجالات ،كما ألقنا نظرة عن حجم الاكتظاظ بالدويرة بمعرفة عدد الأفراد الشاغلين لها، وغيرها من المؤشرات والتي تم ربطها مع المتغيرين المستقلين المتمثلين في حالة المنزل وحالة المساحات المشتركة له كوسط الدار والسطح، بحيث كان الهدف من كل هذا مغرفة مدى تأثير هاته التدخلات العشوائية التي أصبحت دارجة لدى أغلب سكان القصبة على حالة التدهور الفيزيقي لنسجها وتراثها الحضري بحيث رصدنا النتائج التالية:

جدول رقم 11: توزيع المبحوثين حسب سيرورة تناوبهم على تنظيف المساحات المشتركة بينها وبين جيرانها وحالة الدويرة.

التناوب على تنظيف المساحات المشتركة	حالة المنزل			المجموع
	حسنة	متوسطة التدهور	سيئة التدهور	
نعم	27 % 20.9	72 % 55.8	30 % 23.3	129 % 100
لا	12 % 15.8	34 %44.7	30 % 39.5	76 % 100
المجموع	**39** **% 19**	**106** **% 51.7**	**60** **% 29.3**	**205** **% 100**

يتضح لنا من خلال هذا الجدول أن اتجاهه العام يميل إلى أن نسبة 51.7 %من العينة المبحوثة بيوتهم مصنفة في حالة متوسطة التدهور، تليها 29.3% للذين بيوتهم مصنفة في حالة سيئة من التدهور، و 19% للذين بيوتهم في حالة حسنة.

وهذا بأغلبية 55.8 % لدى الذين يتناوبون على تنظيف مساحاتها المشتركة مقابل 44.7% للذين لا يتناوبون على التنظيف وهذا لدى الفئة التي بيوتها مصنفة في حالة متوسطة من التدهور.

وعليه يتضح لنا جليا من خلال نتائج هذا الجدول الذي كان الهدف منه تبيان العلاقة بين المداومة على بعض من الممارسات اليومية الشائعة لسكان القصبة كالتناوب على تنظيف المساحات المشتركة بين جيران الدويرة الواحدة والمعروفة لديهم ب "دالة التسياق" وتأثيرها على الحالة الفيزيقية لبيوتهم ،والتي وجدنا أغلبها في حالة متوسطة التدهور سواءا أكانوا يتناوبون على التنظيف أم لا ، والذي يرجع إلى عدة أسباب تخرج عن نطاق التنظيف كالزلازل و الفيضانات، أما فيما يتعلق بهذا الشق فقد لمسنا أثر واضح لتأثير هاته الممارسة على البيوت، بحيث أنه استطاعت هذه الأخيرة أن تبقى صامدة بعد الجهد الجهيد الذي

بذله سكانها على الأقل ليحافظوا عليها من الانهيارات، بحيث أن أغلبية هؤلاء كانوا من الذين يتناوبون على تنظيف مساحاتهم المشتركة هذا لأنهم يعون تماما أن دويراتهم هي كل مركب من غرفها وملاحقها المشتركة بينهم والمحافظة عليها هي محافظة على غرفهم التي يعيشون بها وتعد مملكتهم الخاصة وعليه فصورة هذه المساحات المشتركة تعكس صورتهم الاجتماعية وصورة غرفهم ،لأن الهيكل الخارجي للبيت يمكن أن يعطي صورة افتراضية لما هو عليه داخليا .

أما بالنسبة لفئة السكان الذين حالة بيوتهم مصنفة بالسيئة ، فقد وجدنا أن أغلبهم لا يتناوبون على تنظيف المساحات المشتركة، وهذا انعكاس طبيعي وشرطي فإن كانت بيوتهم أو "غرفهم" التي يعيشون بها في حالة كارثية، فكيف لهم أن يهتموا بتنظيف أو ترقيع مساحاتهم المشتركة والتي تعد خارجية بالنسبة لهم، بحيث وجدناهم يتحججون باضطراب العلاقات الجوارية لانغلاق بعضهم أو اختلاف طباع كل ساكن منهم عن الآخر بالدويرة والتي تحول دون القيام بهذه الأعمال التي تتطلب نوعا من المفاهمة والود الغائبين، أما بالنسبة للآخرين فقد صرحوا بأن حالة هاته المساحات المشتركة هو أقل بكثير مما تشهده غرفهم بالداخل وعليه فهم يتعمدون تركها على ماهي عليه لإبراز مدى مأساتهم للتعجيل من فرص رحيلهم منها ،فهم لا تهمهم لا غرفهم ولا تلك المساحات الاجتماعية بينهم ولا صورتهم أمام الآخر بقدر ما تهمهم مصلحتهم الشخصية التي تتطلب مظاهر ثقافة العشوائيات أو الفقر لا ثقافة المدينة أو القصبة القديمة.

أما بالنسبة للذين يسكنون في بيوت هي في حالة جيدة ،فوجدناهم يحافظون على هذه الممارسة المدنية اليومية التي اشتهر بها السكان القدامى والأصليين بالقصبة ،فهم حتى وإن يسكنوا في غرفتين أو أقل بالدويرة ،إلا أن انتمائهم لأرجاء الدويرة أكبر بكثير من ذلك الحيز، فهم تربوا ونشأووا على "الدالة" التي لطالما حفظت وجه دويرتهم، فتعاملهم مع الداخل "غرفهم" وتعاملهم مع الداخل الخارجي "مساحاتهم المشتركة" نفسه ،كما أن هذه المساحات هي واجهتهم وأساس بقاء و تميز منازلهم، ولأنها مفتوحة على غرفهم فهي جزء لا يتجزأ منه ونظافتها من نظافة غرفهم ، ضف إلى أن النظافة تعد مرادفا للحضرية والمدنية بالنسبة لهؤلاء الذين وجدناهم من عائلة واحدة من الجيل الثاني والثالث للقدامى الذين استطاعوا أن

يحافظوا على دويرات الأجداد بحالة جيدة بفضل الحفاظ على عدة ممارسات من بينها ممارسة التناوب على التنظيف أو "الدالة" والتي تعتبر من أهم صفات "القصباجيين" التي استطاعت أن تحافظ على جمال الدويرات وعلى ذوق وثقافة ساكنيه القائمة على روح الانتماء والتعاون وتحمل مسؤولية المجال بكافة أركانه، وذلك بشهادة عديد الزوار أو المؤرخين والكتاب الذين أشادوا بها.

وعليه نستنتج أن ما آلت إليه بيوت القصبة من تدهور ودمار يتحمل كفل كبير منه تلك الفئة الوافدة إليها وشبيهاتها والتي لم تفقه شيئا في كيفية التعامل مع الدويرة وجيرانهم داخلها، فاستغلوها على أنها مرقد أو نزل يقام فيه إلى غاية الحصول على شقة .وفي هاته الأثناء لا غرفهم التي يعيشون بها ولا مساحات دويراتهم سلمت .

جدول رقم 12: يمثل توزيع المبحوثين حسب الطريقة المعتمدة لديهم في ترميم المساحات المشتركة وحالة الدويرة ككل :

ترميم المساحات المشتركة	حالة المنزل			المجموع
	حسنة	متوسطة التدهور	سيئة التدهور	
الاشتراك في الترميم	22 % 16.8	71 % 54.2	38 % 29	131 % 100
مالك المنزل من يقوم بترميميها	10 % 35.7	14 % 50	4 % 14.3	28 % 100
التناوب على الدفع	1 % 9.1	7 % 63.6	3 % 27.3	11 % 100
البلدية أو المصالح المعنية الأخرى	6 % 22.2	11 % 40.7	10 % 37	27 % 100
نتركها على حالها	- -	3 %37.5	5 % 62.5	8 % 100
المجموع	**39** **% 19**	**106** **% 51.7**	**60** **% 29.3**	**205** **% 100**

لقد قمنا بتصميم هذا الجدول لتبيان العلاقة بين الطريقة المعتمدة للسكان في ترميم المساحات المشتركة بالدويرة وتقييم حالتها ككل، إذ نلاحظ دائما أن نسبة 51.7% من البيوت أو الدويرات هي في حالة متوسطة، ثم 29.3 % في حالة سيئة التدهور و 19% في حالة حسنة.

و ذلك بأغلبية 63.6% للذين يتناوبون على الدفع في ترميم مساحاتهم المشتركة وذلك في الفئة التي بيوتها مصنفة في حالة متوسطة من التدهور ، تليها نسبة 54.2% للذين

يشتركون في ترميمها ،ثم 50 %للذين يوكلون مهمة ترميمها لمالك الدويرة و40.7 % للذين ينتظرون البلدية أو المصالح المعنية الأخرى لتقوم بذلك و أخيرا 37.5% للذين يتركونها على حالها.

وعليه نستنتج من خلال قراءتنا الإحصائية لنتائج الجدول التالي ،أن أغلب سكان العينة الذين يسكنون في بيوت مصنفة على أنها في حالة متوسطة التدهور يقومون بترميم مساحاتهم المشتركة بينهم وجيرانهم في الدويرة الواحدة باعتماد طريقة التناوب فيما بينهم في دفع مستحقات تكاليف ترميم أو إصلاح تلك المساحات المشتركة، وهذا الشيء الذي ساهم على الأقل ببقائها على الوجود، بحيث وجدنا أغلب الذين يعتمدون هذا النظام في الترميم من الجيران الذين يعرفون بعضهم وتربطهم علاقات جوارية قوية نوعا ما ،ويدركون الإمكانيات المادية لبعضهم البعض، وعليه فالذي يمتلك المال يقوم بترميم أو إصلاح أي عطب مس هاته المساحات المشتركة بينهم ،ليأتي دور جاره لاحقا ،وهذا تجنبا للمضاعفات التي قد تنجم إذا ما تركوها على حالها خاصة إذا تعلق الأمر بعطب طارئ لا يحتمل الانتظار، وكذا كون هذا الأخير نوع من أنواع التكافل الذي تفرضه عليهم الدويرة أو هذا التقارب الفيزيقي والاجتماعي ،لكن ويكون هذا التناوب في الدفع دائما محسوبة تكاليفه فإذا فاقت سقفا معينا فيعتمدون نظام الاشتراك فيما بينهم فظا عليها في استعمالاته لكي لا يضطر للدفع في المرة ،كما أنهم برروا لنا السبب الأهم في اعتماد هذا الأسلوب في التعامل مع هذه المساحات بأنه الطرية المثلى لردع كل متسبب في أضرار ما خصوصا لدى الفئة المعوزة التي تتحجج دائما بظروفها المادية والاجتماعية لتبرر إهمالها وبعض التجاوزات العشوائية على هذه المساحات المشتركة بينهم، وباعتبار أن الجار الذي يكون دوره لاحقا، يكون على علم بمسؤوليته المادية عليها ،فهو سيسعى دائما للحفاظ على هاته المساحات أثناء استعماله لها، توفيرا لماله وكذا تقليلا من التكاليف التي قد يضطر لدفعها إن لزم الأمر ذلك.

أما بالنسبة للذين وجدناهم لا يكترثون بهاته المساحات المشتركة بينهم ولا يساهمون ولو بالقليل في إصلاحها أو ترميمها ويتركونها على ماهي عليه، فقد كانت أغلبيتهم من تلك التي تسكن بدويرات مصنفة على أنها بحالة سيئة ،و بغرف منهارة أشبه منها إلى الخنادق

المظلمة من شدة السواد والرطوبة ،فإن كان هذا حال مملكتهم الخاصة فكيف لمملكتهم المشتركة أن تكون ،إذ وجدناهم لا يعتمدون أي طريقة من الطرق باعتبار أنه لا يوجد أدنى انتماء لا للمجال ولا للجيران ،بحيث أنهم يكونون أسرا نووية مختلفة الأصول والطباع أتت للقصبة لزهد الإيجار أو العمل أو للحصول على سكنات اجتماعية ،ولصعوبة ظروفهم وحداثة عهدهم بالقصبة فهم لا يعرفون أي رمزية لهاته المجالات الاجتماعية المشتركة، ولا يمتلكون أدنى حس للانتماء لها ولا حتى لغرفهم التي يعيشون بها ،وعليه فالمتأمل في هذه المساحات المنسية يمكنه أن يتخيل بصورة تلقائية لما هي عليه حالة غرفها وبيوتها وثقافة ساكنيها .

وبخصوص الفئة القليلة التي وجدناها تقطن بدويرات بحالة حسنة ، فقد كانوا من أجيال السكان القدامى الذين لا يزالون يعتمدون الطريقة التقليدية في التعامل مع الدويرة ككل ،وهي توكيل مالك البيت بها، أو أحد ورثته الكبار في التصرف في كل ركن من أركانها والقيام بترميم وإصلاح أي عطب يمس المساحات المشتركة ، حتى وان دفع كل واحد منهم لحصته في هاته التكاليف ،فإن المتدخل والمسؤول يبقى واحدا وهو المالك وهذا ما يبرز أهمية هاته الممارسة وأثرها على بيوت القصبة، إذ بتحمل مالك الدويرة لمسؤولية دويرته جعلها دائما بحالة جيدة سواءا على مستواها الشكلي أو المعنوي الخاص والعام، باعتبار أن سكانها دائما يشعرون بأن هناك حارس على هذه الدويرة والتي ينبغي احترامه والخوف منه لأنه قادر على طردهم إن لم يمتثلوا لقواعد الدويرة التي من شأنها أن تضمن لها ولهم السلامة ، ضف إلى ذلك فإن أغلب هؤلاء يقدرون جيدا هاته المساحات وأهميتها الاجتماعية والجمالية بالدويرة والتي لا تقل شأنا عن الغرف والبيوت الخاصة ، وللمحافظة على هكذا تراث وخصوصية وجب تدخل العارف بخبايا كل ركن من أركانها الذي هو المالك ، فإن تركوا لكل أسرة منهم حق التصرف والتدخل بما يناسبه يمكن أن يحدث ذلك تشوهات على معمار وكذا مشاكل بين الجيران، لذا فهي كالسفينة التي تقتضي ربانا واحدا، فإن تغيرت المعادلة وتعددت القيادة غرقت السفينة على حد تعبير أحدهم ، وهكذا هو المنطق التي كانت عليه التدخلات وكافة أشكال الترميم والإصلاح للمساحات المشتركة للجيران بالدويرة، والتي بفضله حافظت هذه الأخيرة على رونقها وجمالها ولقنت ساكنيها ثقافة استعمال المجال والمحافظة عليه وكيفية تسييره، وعليه أناس يمتلكون لهذا الحس من المسؤولية اتجاه هاته المساحات فشيء

مؤكد أن يكون الحس والاهتمام مضاعف إذا ما تعلق الأمر بغرفهم وبيوتهم . وما آلت إليه دويرات القصبة حاليا إلا بسبب هجر أغلب سكانها الأصليين وتخلي أولئك المنتجين لمثل هذا الميثاق وغيره عنها وعن تراثها .

جدول رقم 13: توزيع المبحوثين حسب قيامهم بعملية تبيض مساحاتهم المشتركة مع حالة منازلهم:

تبييض المساحات المشتركة	حالة المنزل			المجموع
	حسنة	متوسطة التدهور	سيئة التدهور	
مرة في السنة	11 % 20	28 % 50.9	16 % 29.1	55 % 100
في المناسبات	8 % 16	32 % 64	10 % 20	50 % 100
اذا قضت الحاجة	17 % 26.2	32 % 49.2	16 % 24.6	65 % 100
لا نبيضها	3 % 8.6	14 % 40	18 % 51.4	35 % 100
المجموع	**39** **% 19**	**106** **% 51.7**	**60** **% 29.3**	**205** **% 100**

لقد قمنا بتصميم هذا الجدول لمعرفة العلاقة بين تبييض المساحات المشتركة كممارسة مدنية اشتهر بها سكانها القدامى وتأثير ذلك على حالة منازلهم، بحيث وجدنا أن الاتجاه العام القائل بأن 51.4 % من المبحوثين بيوتهم في حالة متوسطة من التدهور ثم 29.3 % في حالة سيئة التدهور و 19% في حالة حسنة.

بحيث أن أغلبهم يقومون بتبييض مساحتهم المشتركة في المناسبات الشخصية لهم وذلك بنسبة 64% في فئة الذين بيوتهم مصنفة على أنها بحالة متوسطة من التدهور، تليها نسبة 50.9 % للتي تبيضها مرة في السنة ثم 49.2 % للتي تبيضها عند اقتضاء الحاجة و 40% للتي لا تبيض هاته المساحات المشتركة بينها.

وعليه نستنتج من خلال نتائج هذا الجدول أنه هناك غياب لممارسة تبييض المساحات المشتركة بين الجيران في الدويرة الواحدة، وهذا عكس ما كان شائعا عليها سابقا كعرف يقتضي تبييض الدويرة ككل مرة في السنة ، خصوصا قبيل المناسبات الدينية كالشهر الفضيل ، وعليه فقد وجدنا أن أغلبية السكان و الذين بيوتهم في حالة متوسطة من التدهور يقومون بتبييض هذه المساحات في المناسبات ، ولكن في مناسباتهم الشخصية كإقامة عرس أو احتفال عائلي، أين تتكفل الأسرة بالتبييض الخارجي لها درءا لذلك السواد المتسببة فيه الرطوبة والتي قد أتت على أركان الدويرة ومساحاتها، وهذا تفاديا للإحراج الذي تسببه لهم مع ضيوفهم وليس إحياءا للعادة أو حبا بها، إذ يعتبرون أنفسهم غير ملزمين على تبييضها لأنها خارجة عن نطاق غرفهم أو بيوتهم، فهم يمتلكون لثقافة الاستعمال الجماعي لا التضامن والعمل الجماعي الذي كان دارجا بها سابقا، وعلى حد تصورهم فإن تمكنهم من الحفاظ على بيوتهم وغرفهم في حالة متوسطة من التدهور هو بحد ذاته إنجاز بحكم ما تشهده القصبة من انهيارات مستمرة ،بحيث أصبح كل جار يلقي مسؤولية القيام بها إلى جاره الأقدم منه، في انتظار لأي من تلك المناسبات الشخصية التي تحتم عليه القيام بالتبييض.

أما بالنسبة للذين بيوتهم مصنفة على أنها في حالة سيئة ،فهم لا يقومون بتبييضها لا بالمناسبات الشخصية ولا بغيرها، بل يتركونها على حالتها ،وبما أنهم يشغلون غرفة أو غرفتين آيلتين للسقوط ، فإن الأولى لهم أن يبيضوا غرفهم المتآكلة من الرطوبة، وليس تلك المساحات المشتركة التي يستفيد منها ويشغلها جميع سكان الدويرة ، ضف إلى ذلك فإنهم يلقون اللوم على البلدية أو المصالح المعنية الأخرى التي تركتهم يعيشون هذه الأوضاع ويحملونها مسؤولية التبييض الداخلي والخارجي للدويرات كما تفعله مع الدويرات الأخرى الواقعة بتلك الأحياء السياحية.

أما بالنسبة للذين بيوتهم في حالة جيدة، فقد وجدناهم يبيضون هذه المساحات المشتركة كلما اقتضت الحاجة لها ، وهذا لأنه بحكم أنهم حافظوا على دويراتهم بحالة حسنة عن طريق الترميم والتبييض وما شابه ذلك ، فإنهم حريصون على هاته المساحات كذلك والتي يقومون بتبيضها كل ما استدعت الحاجة، لأنها بنظرهم مبيضة ونظيفة تكمل وجه منازلهم المشرق لذلك ، فلا ينتظرون انقضاء السنة أو أي مناسبة دينية أو شخصية للقيام بالتبييض. وعليه يمكننا أن نستنتج من خلال كل ما سبق ذكره في الجداول الثلاثة السابقة: أن أغلب تلك الممارسات المدينية اليومية لسكان القصبة المتعلقة بفنون التعامل مع المساحات الاجتماعية المشتركة بينهم بالدويرة الواحدة قد غابت، كالتناوب على التنظيف أو "الدالة" و كذا في الترميم والإصلاح التي كانت موكلة لمالك الدويرة ، و ممارسة تبييض هاته المساحات الاجتماعية خصوصا، والدويرة ككل ، والتي ألقت بظلالها على حالة نسيج الدويرات بالقصبة، بحيث أصبح بإمكاننا أن نعرف أسباب تدهور نسيجها من عدمه وتكهن مصيرها من خلال فقط الاطلاع على بعض من الممارسات التي يتبناها سكانها في التعامل مع مساحاتهم المشتركة فالأغلبية المتخلية عن هاته الممارسات حالة منازلها كارثية تعكس تقهقرا ثقافيا وحضريا لهم ، أما الأقلية المحافظة عليها فقد عكست حالة بيوتهم ذلك فالذي يحافظ على ممارسة يومية أو مناسباتية مدينية يمكنه أن يحافظ على تراث معماري مادي فقه قيمته.

جدول 14: المبحوثين حسب ترميمهم لمنازلهم وتأثيره على وتيرة ترميم مساحاتهم المشتركة

ترميم المنزل	ترميم المساحات المشتركة					المجموع
	الاشتراك في ترميمها	مالك منزل من يقوم بترميمها	التناوب على الدفع	البلدية أو مصالح معنية أخرى	نتركها على حالها	
نعم	68 % 63.6	20 % 18.7	4 % 3.7	12 % 11.2	3 % 2.8	107 % 100
لا	63 % 64.3	8 % 8.2	7 % 7.1	15 % 15.3	5 % 5.1	98 % 100
المجموع	**131** **% 63.9**	**28** **% 13.7**	**11** **% 5.4**	**27** **%13.2**	**8** **% 3.9**	 **% 100**

قمنا بتصميم الجدول التالي لمعرفة العلاقة بين ترميم المنزل (الذي نقصد به هنا الغرف التي تسكنها كل أسرة داخل الدويرة الواحدة) وعلاقتها بالطريقة المعتمدة في ترميم المساحات المشتركة بين الجيران، وكما هو مبين فإن الاتجاه العام للجدول يتمحور في كون 63.9 % من العينة تقوم بالاشتراك فيما بينها لدفع تكاليف الترميم والإصلاح مساحاتها المشتركة، تليها نسبة 13.7 % للذين يوكلونها إلى مالك الدويرة و 13.2% للذين يتركونها للبلدية ثم 5.4% للذين يتناوبون على الدفع ، وأخيرا 3.9% للذين يتركونها على حالها.

نستنتج من خلال قرائتنا الإحصائية لنتائج هذا الجدول أن أغلب الذين يشتركون في ترميم مساحاتهم المشتركة بينهم وبين جيرانهم هم من فئة الذين لم يقوموا أصلا بترميم غرفهم أو ما يسمونها "منازلهم" ، وهذا ما يظهر لنا جليا أن وراء هذا الاشتراك في تكاليف الترميم قصد آخر غير الظاهر لنا ، فإن ظهر على أنه نوع من أنواع التضامن بين الجيران أو ساكني الدويرة للحفاظ على دويرتهم ، فإن نتائج الجدول تكذب ذلك وتظهر أنه من المفروض على أولئك المشتركون في ترميم مساحاتهم المشتركة أن يكونوا قد رمموا بيوتهم وغرفهم التي تأويهم ، وأن تكون بحالة جيدة قبل الانتقال إلى ترميم الأجزاء المشتركة بالدويرة إن كانوا

فعلوا ذلك حرصا على الدويرة وإحساسا بالمسؤولية اتجاهها وتكافلا بينهم وجيرانهم، وهذا ما لم نجده في هذه الحالة ، إذ اتضح لنا أن هذا الاشتراك في ترميم المساحات المشتركة للسكان لم يكن إلا ضرورة اقتضتها عليهم الضرورة لإصلاح الأعطاب تلك المساحات للتمكن من استغلالها ، وليس بهدف ترميمها كما يحمله معناه الحقيقي ، إذ يعتبرون الترميم هو مجرد إصلاح ما تهدم ، أو تغليف للسطح لمنع المياه من التدفق لأنه تجاوز مرحلة التسرب ،أو غلق حفر وسط الدار بع اقتلاع بلاطها أو "زليجها" وغيره، وعليه فالضرورة هي التي فرضت عليه ذلك وكذا إجبار جيرانه بالدفع لاغير، لهذا وجدنا أغلبهم لم يرمموا بيوتهم أو غرفهم هذا ما أثبت أنهم لا يمتلكون لهذا الحس من المسؤولية أو الشعور بأهمية المسكن التاريخية و التراثية.

أما بالنسبة لهؤلاء الذين يوكلون مهمة ترميم المساحات المشتركة بينهم لمالك الدويرة ،فقد لمسنا لديهم هذا الحس باعتبار أن أغلبهم كانوا قد رمموا بيوتهم أو غرفهم ، وهذا وما دل على أنهم متشربين لثقافة الاستعمال و المحافظة على الدويرة سواءا من الداخل بترميم غرفهم أو من الخارج بالامتثال للعرف الشائع بها عن طريق توكيل مالك الدويرة بترميم المساحات المشتركة لها وهذا لمعرفته بكل ركن منها واحتراما له، بحيث يدفع كل واحد منهم فيما بعد نصيبه من مستحقات هذا الترميم، وعليه يظهر لنا جليا أهمية هذا العرف في المحافظة على الدويرة من جزئها الخاص إلى جزئها المشترك لما يغرسه المالك من روح المسؤولية والاحترام لهذا المجال الأثري.

وبخصوص الفئات التي توكل مهمة ترميم هاته المساحات إلى البلدية أو المصالح المعنية وكذا الذين يتناوبون في الدفع والذين يتركونها على حالها ، فقد وجدنا أن سلبيتهم هاته كانت مع غرفهم أو بيوتهم ، بحيث أن أغلبهم لم يرمموها ، وانتقلت إلى خارجها وإلى الساحات المشتركة بينهم ، بحيث تخلوا عن مسؤوليتهم وتركوها للمصالح المعنية كالبلدية و وزارة الثقافة أو على ماهي عليه دون طلب أي مساعدة وهذا ما جعل هاته الدويرات في تدهور مستمر سواءا من الداخل أو من الخارج، فهذا الإحساس بعدم الانتماء إلى الدويرة ، ولد لا مسؤولية لدى سكانها وفضح نيتهم وراء السكن بالقصبة ، بكونهم يريدون الرحيل منها وأنهم

ليسوا أناسها الأصليين الذين إحساسهم بالانتماء للقصبة و لدويراتها جعلهم يحرصون عليها من الداخل والخارج رغم كل الظروف عكس ما وجدناه حاليا .

جدول 15: توزيع المبحوثين حسب كيفية استعمالهم للسطح وعلاقتها بحالة المنزل

استعمالات السطح	حالة المنزل			المجموع
	حسنة	متوسطة التدهور	سيئة التدهور	
التجفيف الملابس	37 % 20.1	97 % 52.7	50 % 27.2	184 % 100
مجال نسوي للالتقاء	17 % 26.2	35 % 53.8	13 % 20	65 % 100
مجال غير مستهلك	2 % 28.6	2 % 28.6	3 % 42.9	7 % 100
مجال مشغول بملاحق أخرى	3 % 8.8	23 % 67.6	8 % 23.5	34 % 100
مجال غرف للسكن	1 % 10	4 % 40	5 % 50	10 % 100
المجموع	**60** **% 20**	**161** **% 53.66**	**79** **% 26.33**	**300** **% 100**

*المجموع 300 : سؤال متعدد الإجابات.

لقد قمنا بتصميم هذا الجدول من أجل تبيان العلاقة بين كيفية استعمال مجال السطح وأثره على الحالة الفيزيقية للمنزل .

و كما هو موضح في الجدول فإن نسبة 53.66 % من بيوت العينة المبحوثة في حالة متوسطة من التدهور ، تليها 26.33 % للذين بيوتهم في حالة سيئة، و20% للذين بيوتهم

في حالة حسنة بأغلبية 67.6% للذين أسطحهم مشغولة بملاحق لدى الفئة التي بيوتها في حالة متوسطة، ثم 53.8% للتي تستهلكها كمجال نسوي للالتقاء، تليها نسبة 52.7% للتي تستعمله لتجفيف الملابس و 40 % للذين جعلوه مجالا للسكن وأخيرا 28.6 % للذين أقروا بعدم استخدام أسطحهم.

وعليه نستنتج من خلال هاته القراءة التي صممناها لتبيان وجود ثقافة استعمال مجال السطح من عدمها، بحيث وجدنا أن غالبية سكان القصبة يستهلكون أسطحهم بشكل عشوائي مناف لهندسته الأصلية التي تؤكد على ضرورة خلوه من أي مرفق قد يؤدي إلى الحمل الزائد على أسس ولبنات الدويرة، وكذا لضمان خلوها من المياه التي تستعمل بهذه المرافق التي تعد العدو الأول للدويرة ، بحيث وجدنا أن أغلب هذه المرافق كانت إما غرف أو مطابخ وحمامات أو مخازن للخردوات وغيرها ، متجاهلين بذلك نظام الصرف الصحي الذي صمم لها عن طريق الجب الذي يكون أسفل الدويرة والذي تتجمع به مياه الأمطار التي تستعمل فيما بعد للتنظيف ، وكذا البئر الذي يوجد إما بوسط الدار أو أسفل ذلك والذي يحتوي على مياه الشرب ، والتي أنشأت هكذا من أجل حماية الدويرة من المياه والرطوبة التي قد تؤدي الى انهيارها ، وهذا ما جعلنا نجد أن، أغلب الدويرات مصنفة على أنها متوسطة التدهور الى سيئة التدهور، وعليه فإن دل هذا الاستعمال على شيء فإنه يدل على أن هؤلاء السكان يجهلون تماما ثقافة استعمال المجالات الاجتماعية لدويرات القصبة خصوصا السطح الذي جعل متنفسا لساكني الدويرة باعتبارها مغلقة من الخارج ولا تحتوي إلا على شبابيك صغيرة ، فهذا السطح بمثابة نزهة افتراضية يقوم بها الساكن لاكتشاف ما هو خارج المنزل وكذا استراحة تمكنه من التمتع بخليج الجزائر ورؤية القصبة من الأعلى ، ناهيك عن البعد الاجتماعي له باعتباره مجال نسوي للالتقاء لتبادل الأخبار والمهارات والصنائع التي تدمج كل نساء الدويرة في الحياة الحضرية والمدينية ، لكن بهذا الاستعمال النفعي الخارج عن هندستها واجتماعيتها، خصوصا لدى الفئة التي صرحت بأنها تستغله ليس فقط بإضافة ملاحق بسيطة بل للسكن، وذلك ببناء أكواخ من الصفيح لأبنائها المقبلين على الزواج، ما جعل وتيرة الانهيارات في تفاقم بسب هذه البناءات التي لم تتحملها لبنات الدويرة وكذا تلك المياه المتسربة لجدرانها التي أصبحت تتهاوى هي أيضا ، بدليل أن وجدنا أغلب الذين دويراتهم مصنفة في حالة سيئة من التدهور، كانوا من الذين يستعملون أسطحها للسكن

وبذلك فقد قضوا عليها ماديا ومعنويا بجعلها رمزا للفوضى والعشوائية فحول منظر القصبة من الأعلى إلى مشهد كئيب يحوي جميع مظاهر التخلف والفقر بدلا من الرقي والتحضر.

أما بشأن الذين تركوا مجال أسطحهم حسب تصميمه ولم يلحقوا به أي إضافة ، فقد وجدنا أن دويراتهم وغرفهم في حالة حسنة باعتبار أنهم يمتلكون ولو للحد الأدنى لثقافة استعمال دويراتهم ، ويدركون تماما خطورة البناء على الأسطح بشتى أنواعه وتأثيره على الدويرة ، فإن لم يستهلكوه كمجال اجتماعي للالتقاء النسوي أو للتمتع بمنظر خليج الجزائر ، بحجة عدم معرفتهم بجيرانهم الحاليين بشكل جيد والذي حال دون ربطهم لعلاقات قوية مع بعضهم البعض، إلا أنهم حافظوا على الأسطح خاوية ، وبذلك على دويراتهم من الانهيارات، فكانت بحالة حسنة.

وعليه، ومن كل هذا وذاك، نستنتج أن متغير كيفية استعمال السطح من طرف سكان القصبة له دلالة قوية وتأثير على حالة بيوتهم الآنية ، وما هذا الدمار المادي الذي تشكو منه إلا نتيجة للفراغ المعنوي الذي يشكو منه سكانها الحاليون.

جدول رقم 16: توزيع المبحوثين حسب كيفية استعمالهم لوسط الدار وحالة المنزل

استعمالات وسط الدار	حالة المنزل			المجموع
	حسنة	متوسطة التدهور	سيئة التدهور	
استعمال وسط الدار للاحتفال	17 % 23.3	40 % 54.8	16 % 21.9	73 % 100
استعمال وسط الدار للأعمال المنزلية	21 % 21.2	50 % 50.5	28 % 28.3	99 % 100
مجال نسوي لتبادل الأحاديث	14 % 19.7	36 % 50.7	21 % 29.6	71 % 100
مجال مشغول بملاحق أخرى	10 % 20.8	26 % 54.2	12 % 25	48 % 100
مجال لا يستعمل	3 % 8.1	15 % 40.5	19 % 51.4	37 % 100
مجال يستعمل للسكن	- -	1 % 50	1 % 50	2 % 100
المجموع	**65** **% 19.69**	**168** **% 50.9**	**97** **% 29.39**	**330** **% 100**

*المجموع 330 :سؤال متعدد الإجابات.

لقد قمنا بتصميم هذا الجدول من أجل تبيان العلاقة بين كيفية استعمال مجال وسط الدار على حالة المنزل ، بحيث وجدنا أن غالبية العينة بنسبة 50.90% بيوتها في حالة متوسطة من التدهور، تليها نسبة 29.39% للذين بيوتهم في حالة سيئة ،وأخيرا 19.69% للذين بيوتهم في حالة حسنة .

وعند إدخالنا للمتغير المستقل المتمثل في كيفية استعمال وسط الدار وجدنا أن نسبة 54.8% منهم يستعملون مجال وسط الدار للاحتفال، وهذا لدى الفئة التي بيوتها مصنفة في حالة متوسطة التدهور، ثم 54.2 %للفئة التي صرحت أنه مشغول بملاحق أخرى، تليها نسبة 50.7% للتي تستهلكه كمجال نسوي لتبادل الأحاديث، ثم 50.5% التي صرحت أنها تستهلكه كمجال للقيام بالأعمال المنزلية ، تليها 50% للتي صرحت أنه مجال للسكن و أخيرا نسبة 40.5% للفئة التي أقرت أنها لا تستعمله .

وعليه ومن خلال نتائج هاته القراءة الإحصائية نستنتج أن مجال وسط الدار لازال يمتلك رمزيته الاجتماعية بتخصيص سكانه له للاحتفال واللقاءات الجوارية ، بدليل أن أغلب الذين يستهلكونه كقاعة احتفالات داخلية كانوا من الفئة التي بيوتها في حالة متوسطة إلى جيدة، وهذا ليس بالغريب إذا ما علمنا أن الذين يعرفون أسرار معمار الدويرة وخصائصه يدركون تماما رمزيته ووظائفه التي صممت لكل ركن من أركانه ، ولأنهم حافظوا على هذا التقليد من الزوال فقد سعوا جاهدين ليحافظوا معه على الوعاء الذي يحتوي هذا التقليد وهو وسط الدار ولأنه مجال اجتماعي للالتقاء والاحتفال وجب أن يكون بحالة حسنة تسمح باستقبال ضيوفهم، وعليه الذي يمتلك ثقافة الحفاظ على المساحات الاجتماعية المشتركة للدويرة فإنه حتما يمتلك لثقافة التعامل مع غرفه وبيوته التي تشكل مملكته الخاصة ،هذا ما جعلنا نجد أن أغلبها في حالة متوسطة التدهور إلى حسنة .

أما بالنسبة للذين وجدناهم لا يستهلكوا هذا المجال ماديا ولا معنويا ، فقد كانت حالة غرفهم أو بيوتهم سيئة هذا راجع إلى انهم لا يعرفون شيئا عن ثقافة وسط الدار بكونهم وافدون جدد فهم يعتبرونه مجال خارجي عن غرفهم المستأجرة ، وبالتالي فهو ممر يعبرونه للدخول إلى غرفهم لا غير، كما أن سبب عدم استعمالهم له يعود لعدم مقدرتهم على ذلك باعتباره مجال لكل سكان الدويرة والتي تغلب على علاقاتهم السلبية والتوتر لاختلاف مناطق قدومهم ومرجعياتهم من ثم ثقافاتهم، فهو مكان خصب للنزاعات والشجارات ، وانعدام الاندماج الاجتماعي جعل من الاستعمال الاجتماعي لوسط الدار أمرا مستحيلا ، ناهيك عن استعماله للاحتفالات والمناسبات ، كما أنهم لو كانوا يمتلكون النفوذ لكانوا استهلكوه بأكثر نفعية عن طريق بناء غرف وملاحق للاستفادة منا وليس غير هذا، بحيث أن هاته الميزة لا تمنح إلا

للمستأجرين القدامى أو المالكين الذي لهم حق التصرف الحر واستعمال هاته المجالات المشتركة.

أما بالنسبة للذين استعملوه كمجال سكن ببناء غرف به، فقد كان أغلبهم يعيشون بغرف وبيوت في حالة سيئة ، كيف لا تكون كذلك وهم لا يمتلكون لأدنى ثقافة عن كيفية استعمال وسط الدار و رمزيته ، وقاموا بالبناء فوق أي شبر فارغ في الدويرات ، بحيث ردموا الجب والبئر ليحل محلهما أكواخ صغيرة من القصدير أو البلاستك "bâche" وتخصيصها للسكن مما جعل المياه تتسرب للجدران وتسبب له التآكل والانهيار . لهذا نستطيع الختم بأن نقول أن هناك علاقة قوية بين كيفية استعمال مجال وسط الدار على حالة البيوت بالقصبة، إذ أنه كلما كانت الثقافة استعمال المجالات الاجتماعية المشتركة عالية ومتوافقة مع نمطها العمراني الأصيل لدى السكان ، كلما استطاعوا أن يحافظوا على بيوتهم بشكل أكبر، وكلما انعدمت هاته الأخيرة انعكس ذلك عليها، وضاعف من نسبة تدهور حالتها.

جدول رقم 17: يمثل توزيع المبحوثين حسب طرق التعديلات على الحيز المملوك مع نوعية امتلاكهم للمنزل ومدة إقامتهم بالحي.

إجراء تعديلات على المسكن	نوعية امتلاكه	مدة الإقامة بالحي				المجموع
		اقل من 10 سنوات	من 11 إلى 20 سنة	من 21 إلى 30 سنة	أكثر من 30 سنة	
نعم	مالك	2 % 3.5	11 % 19.3	8 % 14	36 % 63.2	57 % 100
	مستأجر	3 %12.5	3 %12.5	6 %12.5	12 %50	24 % 100
	غير شرعي	1 % 12.5	- -	2 % 25	5 % 62.5	8 % 100
المجموع		**6** **% 6.7**	**14** **% 15.7**	**16** **% 18**	**53** **% 59.6**	**89** **%100**
لا	بدون إجابة	- -	- -	- -	1 % 100	1 % 100
	مالك	3 % 4.2	8 % 11.1	14 % 19.4	47 % 65.3	72 % 100
	مستأجر	2 % 5	3 % 7.5	5 % 12.5	30 % 75	40 % 100
	غير شرعي	- -	- -	1 % 33.3	2 % 66.7	3 % 100
المجموع		**5** **% 4.3**	**11** **% 9.5**	**20** **% 17.2**	**80** **% 69**	**116** **%100**
المجموع الكلي		**11** **% 5.36**	**25** **% 12.19**	**36** **% 17.56**	**133** **% 64.87**	**205** **%100**

يتضح لنا من خلال نتائج الجدول الآتي أن الاتجاه العام، يميل إلى أن 64.87 % من العينة لها أكثر من 30 سنة بالقصبة ، تليها 17.56 % تراوحت مدة إقامتها من 21-30 سنة، ثم 12.19 % مدة إقامتها من 11-20 سنة ، وأخيرا 5.36 % للذين مدة إقامتهم أقل من 10 سنوات .

أما بالنسبة للفئة التي قامت بإجراء تعديلات ولها أكثر من 30 سنة بالقصبة فكانت بنسبة 59.6 %، وهذا بأغلبية المالكين بنسبة 63.2% ثم 62.5% للساكنين غير الشرعيين و 50% للمستأجرين الذين عدلوا منازلهم لدى الفئة نفسها أي أكثر من 30 سنة بالحي.

و بنسبة 100% للذين لم يعطونا إجابة عن نوعية امتلاكهم للمنزل ولديهم أكثر من 30 سنة بالحي ولم يجر أي تعديلات على المسكن، تليها نسبة 75% للمستأجرين ثم 66.7 % للساكنين غير الشرعيين ، تليها نسبة 65.3 %للمالكين للفئة والمدة نفسها.

وعليه نستنتج من خلال قرائتنا الإحصائية هاته أنه ليست هناك علاقة قوية بين نوعية امتلاك المنزل ومدة الإقامة في وتيرة إجراء تعديلات من طرف السكان على حيزهم المملوك، باعتبار تلك الفئة النازحة للقصبة مؤخرا وكذا السكان المحتلين لمساكنهم بطريقة غير شرعية هم السبب في تشويه دور و معمار القصبة ، وذلك بإدخالهم لتعديلات عشوائية عليه، بحيث وجدنا أن هناك من لهم أكثر من 30 سنة بالقصبة وهم من الملاك وقد قاموا بإجراء تعديلات على حيزهم ، وهذا ما جعلنا نتساءل عن السبب ؟

إن طول مدة الإقامة بالحي تعطي لهؤلاء الحق في التصرف في ممتلكاتهم ولو كان ذلك منافيا لهندستها المنوطة عكس ما كان متعارف عليه لدى سكان القصبة الأصليين الذين كانوا الحماة للدويرة ولعمران القصبة ككل ، أما هؤلاء فقد وجدناهم من الجيل لثاني لسكان القصبة الذين لم يجدوا مسكنا لأبنائهم فقامت بإجراء تعديلات بإضافة غرف أو بعض الملاحق وللانتفاع بها ، وهذا ما وضعهم في دائرة الشك بأنهم صحيح قد تشربوا وأدركوا أهمية دويراتهم كتراث مادي يروي رقي أجدادهم ، وعليه فبدل أن يستغلوا مؤشري طول مدة الإقامة وملكية المنزل بشكلهما الإيجابي وذلك بالحفاظ على الدويرة ، قاموا باستغلالهما بشكل نفعي محظ بحيث يستطيعون التصرف بملكيتهم كيفما شاؤوا وما طول مدة الإقامة إلا حجة ثانية تبرر تدخلاتهم العشوائية هاته ، وهذا باعتبارهم أعلم بما ينفع أو يضر هاته الدويرات اكثر من غيرهم.

أما بالنسبة للفئة التي لم تجر تعديلات على حيزها المملوك فكانت غالبيتهم كذلك من أولئك الذين فاقت إقامتهم عن 30 سنة ،من فئتي التي لم تصرح عن نوعية امتلاكها للسكن وكذا

المستأجرين القدامى والتي يمكن تفسيرها إما بكونهم يسكنون المنزل بطريقة غير شرعية وتخوفوا من الإدلاء بذلك أو أنهم أدركوا خطورة هاته التعديلات على التراث المادي للدويرات، أم لسبب آخر والذي يكمن في عدم قدرتهم على التصرف في المكان بعدم ملكيتهم له بحيث أن تلك الفئتين غير المصرحة والمستأجرة لها حق الانتفاع بالمسكن كما هو وليس لها حق لتعديل أو ما شابه ذلك .

وعليه نستنتج أن مدة الإقامة بالقصبة ونوع ملكية المنزل لم يعودا مؤشرين ضامنين لسلامة الدويرة وهندستها المعمارية ، بقدر ما أصبحا مؤشرين قويين يستعان بهما من طرف الملاك والقدامى بالدويرة في تبرير تعديلاتهم وتدخلاتهم العشوائية على دويراتهم ، وهذا ما يمكن إرجاعه إلى أنه لا يتعلق الأمر بثقافة استعمال المنزل التي يمتلكها الملاك والقدامى بالقصبة بقدر ما هو متعلق بأزمة السكن والضغط الذين يعانيان منهما سكان القصبة والذي سيوضحه الجدول التالي.

جدول رقم 18: توزيع المبحوثين حسب عدد الغرف وكيفية استعمال مساحة المنزل:

فئات عدد الغرف	كيفية استعمال مساحة المنزل		المجموع
	حسب احتياجات الخاصة	حسب الهندسة الأصلية لها	
من غرفتين أو اقل	84 % 68.9	38 % 31.1	122 % 100
من 3 غرف إلى 5 غرف	46 % 65.7	24 % 34.3	70 % 100
من 6 غرف إلى 8 غرف	5 % 45.5	6 %% 54.5	11 % 100
أكثر من 8 غرف	1 % 50	1 % 50	2 % 100
المجموع	**136** **% 66.3**	**69** **% 33.7**	**205** **% 100**

لقد قمنا بإنجاز هذا الجدول لتبيان العلاقة بين عدد الغرف وكيفية استعمال مساحة البيت من طرف أفراده، إذ نلاحظ بشكل عام أن أغلبية العينة تستهلك مساحة سكناتها بطريقة تلبي احتياجاتها الخاصة وذلك بنسبة 66.3 %مقابل 33.7 % للتي تستهلكها حسب هندستها الأصلية.

أما بشأن الفئة الغالبة ، فقد كانت من الذين يستهلكونها حسب احتياجاتهم اليومية ،بحيث سجلناها لدى الذين يعيشون بغرفة إلى غرفتين وذلك بنسبة 68.9 % تليها نسبة 65.7 %للتي تعيش في غرفتين إلى خمسة غرف ، تليها 50% للتي تعيش بمنزل به من 06 إلى 08 غرف وأخيرا 45.5% للذين يعيشون بمنزل به أكثر من 08 غرف.

وعليه يمكن أن نستنتج من خلال نتائج هذا الجدول، العلاقة القوية بين عدد الغرف بكيفية استعمال مساحة الدويرات من طرف سكانه ، إذ أنه كلما كانت عدد الغرف بالمنزل كبير كان الاستعمال وفقا لهندسته ، وكلما كان عدد الغرف أقل يكون استعمال المنزل نفعي يتوافق مع الاحتياجات الخاصة لسكانها بغض النظر عن ما إذا كان يسمح له المجال بذلك أم لا ، هذا ما جعلنا نخلص لأن نقول أن ما آل إليه البيت "القصباجي" مرتبط بشكل وثيق بكيفية استعماله للمنزل و التي فرضتها عليه عدد غرفه بحيث وجدنا أن أغلبهم من الفئة التي تقطن بغرفة وغرفتين ، فكيف لهاته العائلات التي تعيش بهكذا اكتظاظ أن تحافظ على ثقافة استعمال المجال ، وهذا ما جعلها تستعين بإضافة ملاحق أو تقسيم غرف منافية لهندستها ضف إلى أنهم برروا ذلك في كونهم حتى وان أرادوا أن يستعملوا مساحات الدويرة حسب عرفها القديم المتوارث لن يستطيعوا ذلك لعدم مقدرتهم الاستفادة من كل أركانه إما بسبب مشاكل مع جيرانهم أو بسبب مشاكلهم الاقتصادية والاجتماعية التي جعلتهم يعيشون ثقافة الفقر بدلا من ثقافة الاستعمال الحضري للدويرات.

أما بالنسبة للذين يستهلكونها بحسب هندستها المنوطة بها فقد وجدناهم من أولئك الذين يقطنون بدويرات كاملة لوحدهم ، بغرفها العديدة ، والتي كان أغلبهم أصحابها ، فهؤلاء فقط يستطيعون استعمال كل من أركان دويراتهم بحسب وظيفته المنوطة به ، باعتبار أننا وجدنا أنهم محافظين على السطح ووسط الدار وكذا على البئر وحتى وإن لم يكن مستعملا ،وعليه فشيء طبيعي أن يحافظوا على هاته الثقافة لانهم متشربين لها أبا عن جد ولأنهم من

المالكون لدويرتهم بكل أركانها، فهم يحافظون عليها حبا وتشربا لها وامتلاكا للمجال المناسب الذي ينتجها ، فهم لا يعيشون ذلك الصراع مع الجيران بداخلها على كيفية استعمال مساحاتها المشتركة والذي قد يؤدي حتما بعد ذلك إلى عدة خروقات تمس بسلامة الدويرة، هذا ما يدعم رأينا السابق الذكر بأن الضغط الذي تعاني منه دويرات القصبة بزيادة عدد السكان في الدويرة الواحدة هو الذي شجع لتفشي الاستعمال العشوائي للدويرات الذي أصبحت أشبه بالعشوائيات الفقيرة.

جدول رقم 19: المبحوثين حسب أسباب اختيار القصبة للسكن وعلاقته بحالة المنزل

سبب اختيار القصبة للسكن	تقييم حالة المنزل			المجموع
	حسنة	متوسطة التدهور	سيئة التدهور	
بدون إجابة	1 % 100	– –	– –	1 % 100
زهد الإيجار أو الشراء	1 % 3.3	14 % 46.7	15 %% 50	30 % 100
القرب من المدينة الكبيرة	5 % 13.5	24 % 64.9	8 % 21.6	37 % 100
من اجل العمل	3 % 17.6	6 % 35.3	8 % 47.1	17 % 100
ولدت فيها	17 % 25.8	32 % 48.5	17 % 25.8	66 % 100
أحبها	7 % 28	13 % 52	5 % 20	25 % 100
الزواج	– –	5 % 62.5	3 % 37.5	8 % 100
القدر المكتوب	2 % 16.7	6 % 50	4 % 33.3	12 % 100
ارث الأجداد	3 % 33.3	6 % 66.7	– –	9 % 100
المجموع	**39** **% 19**	**106** **% 51.7**	**60** **% 29.3**	**205** **% 100**

لقد قمنا بتصميم هذا الجدول لمعرفة مدى العلاقة بين سبب اختيار القصبة للسكن بعلاقتها بتقييم حالة المنزل ، بحيث وجدنا أن الاتجاه العام للجدول تقول أن نسبة 51.7 %من العينة تقطن ببيوت بحالة متوسطة التدهور ، تليها 29.3 %هم من الذين بيوتهم مصنفة على أنها سيئة التدهور، وأخيرا نسبة 19 %من الذين بيوتهم في حالة حسنة.

وبإدخالنا للمتغير المستقل المتمثل في أسباب اختيار القصبة للسكن، وجدنا أن أغلبية 66.7 % من هؤلاء يرجعونها إلى أنها إرث الأجداد الذي بقوا فيه أو رجعوا إليه، وذلك لدى الفئة الغالبة والتي بيوتها في حالة متوسطة من التدهور، تليها نسبة 64.9% الذين أرجعوه إلى قربها من المدينة الكبرى ثم نسبة 62.5% للذين أرجعوه للزواج و 52% للذين أرجعوه لحبهم للقصبة و 50% من أرجعه للقدر أو المكتوب (بالعامية) ثم نسبة 48.5 % للذين صرحوا أنهم ولدوا فيها و 46.7% للذين سكنوا بها لزهد الإيجار أو الشراء بها ، وأخيرا نسبة 35.3 % من الذين قدموا إليها من أجل العمل.

وعليه نستنتج من خلال نتائج القراءة الإحصائية لهذا الجدول أن هناك علاقة وطيدة بين أسباب اختيار السكان للقصبة كمكان للسكن و بين حالة منازلهم ، بحيث وجدنا أغلب الذين صرحوا بأن سبب سكنهم بالقصبة كان لأنهم ورثوا هاته الدويرات عن أجدادهم ،كانت أغلبيتهم منازلهم بحالة متوسطة التدهور إلى حسنة بحيث كانوا من الجيل الثاني والثالث للمولودين بالقصبة الذين إما ولدوا بها أو عادوا إليها لعدة أسباب ، وعليه فهم واعون بأهميته كتراث مادي ومعنوي لأسلافهم وجب المحافظة عليه حتى وإن لم يكن على أكمل وجه باعتبار أن أغلب دويراتهم مصنفة على أنها متوسطة والذي اعتبروه خارجا عن نطاقهم إلا لشدة قدمها أو تأثرها بعدة عوامل خارجة عنهم، هذا ما يبرز أهمية الوعي بكون دويرات القصبة تعد تراثا يجب الحفاظ عليه ، وأثره على دويرات القصبة، أما لدى الفئة التي بيوتها صنفت على أنها سيئة فقد أجمع اغلبهم على أن سبب قدومهم للقصبة كان بسبب زهد الإيجار أو الشراء لغرفة أو غرفتين ، وهذا ما برر لنا أسباب تدهور نسيج دويرات القصبة، إذ أنها بهاته النظرة النفعية المحضى لهؤلاء عن منازل القصبة حط من مكانتها وحولها إلى مركز للعبور وحوله إلى حي مهمش وفقير لها ولمثيلاتها من النازحين والمحرومين بدلا من كونه مركزا للإشعاع الحضري.

وعليه فنستنتج أن كلما كانت أسباب القدوم للقصبة نفعية محظى، قل الوعي بأهميتها و دويراتها كتراث مادي وعنوي ومن ثم تدهورت حالة منازلها أو دويراتها ونسيجها العمراني ككل ، وكلما كان سبب القدوم للقصبة دافعا معنويا متعلقا بميراث أجداد و إحياءا لتراثه وجدنا حالة الدويرات أحسن .

جدول رقم 20: توزيع المبحوثين حسب مكان ميلادهم وكيفية استعمال مساحة المنزل أو الدويرة.

مكان الميلاد	كيفية استعمال مساحة المنزل		المجموع
	حسب احتياجات الخاصة	حسب الهندسة الاصلية لها	
القصبة	83 % 63.8	47 % 36.2	130 % 100
ولاية الجزائر	42 % 71.2	17 % 28.8	59 % 100
ولاية تيزي وزو	7 % 63.6	4 % 36.4	11 % 100
ولاية أخرى	4 % 80	1 % 20	5 % 100
المجموع	**136** **% 66.3**	**69** **% 33.7**	**205** **% 100**

لقد قمنا بتصميم هذا الجدول لتبيان العلاقة بين مكان الميلاد وكيفية استعمال مساحة المنزل بحيث يوضح لنا الاتجاه العام له أن: 66.3 % ممن يستهلكون مساحات منازلهم حسب احتياجاتهم الخاصة مقابل 33.7 % منهم يستعملونها حسب هندستها الأصلية، بأغلبية 80 % لدى المولودين بمختلف الولايات الأخرى ويستعملونها حسب احتياجاتهم الخاصة، ثم 71.2% للمولودين بالجزائر، ثم 63.8% للمولودين بالقصبة وأخيرا 63.6% للمولودين بتيزي وزو لنفس الفئة التي تستعمل مساحة منزلها حسب احتياجاتها الخاصة.

وعليه نستنتج من خلال نتائج هذا الجدول، أن هناك علاقة قوية بين مكان الميلاد وكيفية استعمال مساحة البيت ، وهذا ما فسر أن أغلب الذين يستهلكون بيوتهم حسب احتياجاتهم الخاصة كانوا في فئة المولودين بمختلف الولايات ، هذا ما برر جهلهم لثقافة استعمال دويرات القصبة وما تحمله هاته الأخيرة من رمزية يختص بها كل ركن من أركانه ،وبما أن أغلبهم قدموا إليها بسبب زهد تكاليف الإيجار والعيش أو للقرب من أماكن العمل كما بينه الجدول السابق ، فأكيد أن استغلالهم لها يكون كاستغلالهم كمرقد لا أكثر ولا أقل لا تراعى فيه أي من تلك القواعد المتعارف عليها في استعمال دويرات القصبة ما جعلها تتدهور ماديا ومعنويا، أما بالنسبة للذين حافظوا على نمط الاستعمال التقليدي للقصبة وفقا لهندسته الأصلية، فقد كانوا من المولودين بولاية تيزي وزو والمولودين بالقصبة وبتفاوت جد بسيط بينهما ما نبرر هذا ، بأن أغلب الوافدين القدامى للقصبة يحذرون من ولاية تيزي وزو ، والذين لا تزال هويتهم هوية مرجعية ومتعلقة دائما بأصولهم الجغرافية ، فأصبح من الفخر لهم أن يذكروا أنهم من القبائل المولودة بتيزي وزو أفضل من الانتماء للقصبة وهذا بسبب تقهقر دورها ومكانتها ، ضف إلى ذلك فإنهم من الوافدين القدامى الذين تشربوا لثقافة استعمال البيت "القصباجي" وعليه فقد حافظوا على هذا النمط في الاستعمال كمحافظتهم على الفخر بالانتماء إلى منطقة القبائل .

أما بالنسبة للمولودين بالقصبة فطبيعي أن يحافظوا على هذا النمط في استعمال دويراتهم بحيث هم من صمموها وحددوا لها طرق الاستعمال فهي تعد جزءا لا يتجزأ من هويتهم الحضرية و تاريخهم العريق.

وعليه نستنتج أن لمكان الميلاد دور مهم وتأثير مباشر في كيفية استعمال مساحة دويرات القصبة إلا أنه يبقى نسبي ، بحيث أننا نجد في ظل هاته الأغلبية التي تستهلك مساحات بيوتها بشكل عشوائي والتي أرجعت السبب فيه إلى اكتظاظ الدويرات بالسكان مقابل محدودية غرفها وبيوتها ، والتي جعلها تبتكر طرق وأساليب منافية لهندستها للتمكن من العيش بها ، وأنساها نمط استعمالها الأصيل الذي استطاع أن يجمع بداخله التناغم الاجتماعي والمجالي في آن واحد.

استنتاج الفرضية الثانية

نستنتج من خلال نتائج الفرضية الثانية التي كان مفادها أن غياب وجهل ثقافة استعمال المجال لدى غالبية سكان القصبة جعل من نسيجها في تدهور مستمر ، أنها صادقة نسبيا باعتبار أنها تحتوي على مزيج من السكان والثقافات جعل من طرق استعمالهم للمجال في تنوع وتفاوت مستمرين ، إذ لاحظنا من خلال المؤشرات التي اعتمدناها لإثبات الفرضية التي كانت مستلهمة من التاريخ الثقافي والاجتماعي لسكان القصبة الأصليين ، وكذا بإسقاطها على الواقع المعيش ، أن هناك بعض من التشبث في عادات وممارسات القصبة في كيفية محافظتهم على دويراتهم عن طريق استعمالها بشكل حضري ومدني ،لكن هاته الممارسات والعرف الشائع في استعمال كل ركن من أركانها لم يبق كما كان عليه سابقا ،بحيث بقيت تسمياتها أكثر من مضمونها ومحتواها الفعلي ، إذ لاحظنا أنه بقي مصطلح التناوب قائما لدى السكان في تنظيفهم لمساحتهم المشتركة ،لكن ليس بمعنى "الدالة "الحقيقي الذي كانت تعتبره الأسر "القصباجية" كبصمة لصاحبته على دويرتها تبرز من خلالها نظافتها وذوقها في الترتيب، لكن رغم كل هذا يبقى لذلك التناوب البسيط دور في المحافظة على دويرات القصبة على الأقل في حالة متوسطة ، وكلما غابت هاته الممارسة نهائيا عنها وجدنا هاته الدويرات في حالة يرثى لها ، أما فيما يخص العرف الشائع لدى سكان القصبة بأن يتكفل مالك الدويرة بترميم وإصلاح دويرته ، فقد وجدناه غائبا تماما الأمر الذي زاد من حدة تدهور المنازل وحول الدويرات إلى مراقد و قيتوهات تستهلك من طرف كل العابرين بها بدون أدنى ثقافة أو احترام للمجال الأثري، بحيث حل اشتراك سكان الدويرة الواحدة في دفع تكاليف الإصلاح والترميم محل المالك مما جعل من هاته المهمة مصدرا للمشاكل والخصومات بين الجيران ،ومسرحا للنزاع بين الذين يدفعون نصيبهم والذين يرفضون ذلك ، بدلا من أن تكون هاته المساحات المشتركة مكانا للالتقاء والترفيه ، ناهيك عن تعدد الأيدي غير المؤهلة التي يتم الاستعانة بها من طرف كل ساكن أو في بعض الأحيان تكفلهم بأنفسهم بهاته العمليات والتي تسببت في تدهور حالة النسيج العمراني وتشوهه بطريقة مرعبة ، هذا ما أثبت لنا فعلا دور المالك في الحفاظ على دويرات القصبة الذي كان يعتبر بمثابة الحارس الأمين لها ،وبحرصه على ترميم وإصلاح دويرته كان يعتبر القدوة التي يحتذى بها في تحمل المسؤولية ورادعا لكل متهاون ومخرب للدويرة ، فبتخليه عن دوره واهتمامه بتحصيل

ثمن الإيجار خلق لدى المستأجرين حس اللامبالاة ، فإن كان هذا هو حال مالكه فكيف سيكون حال الغرباء عنه ، ضف إلى ذلك فقط وجدنا أن هاته الممارسة لا زالت موجودة عند الذين بيوتهم في حالة جيدة مما يؤكد أن الدويرة يقودها مالكها فقط كالسفينة التي يقودها ربان واحد ،فإن تعددت الأيدي قد تغرق ، أما فيما يخص ممارسة تبيض الدويرة ومساحاتها المشتركة مرة في السنة كما كان متعارف عليه قد غابت ، بحيث أصبحت تبيض هاته الأخيرة في المناسبات وأي مناسبات تلك الشخصية أو الخاصة بكل ساكن منها مما جعل دويرات القصبة تشهد سوادا لا مثيل له جراء الرطوبة والمياه المتسربة عبر الجدران ، بعد أن كان يضرب المثل بشدة بياضها بحيث يشبهونها بمحجرة من محاجر الرخام الأبيض وعليه فبغياب هاته الممارسة أصبح السكان يبيضون فقط في مناسباتهم الشخصية ، إذ كل واحد منهم يبيض الشق الذي يرى من جانبه للعيان ويترك الباقي ،وعليه فقد أصبحت هاته الممارسة التزام مادي يكلف به صاحب أي مناسبة فإن أجلت أو ألغيت فلا داعي لهاته المصاريف أجل معها مشروع التبييض باعتباره ليس الساكن الوحيد بالدويرة بعد أن كانت ممارسة اجتماعية يلتقي بها كل سكان الدويرة للتبييض والتنظيف استعدادا للشهر الفضيل أو أي مناسبة دينية ولتحضير مكان اجتماعهم وإلقائهم ،وعليه وبحلول هاته الفردانية لدى السكان والتي تتنافى واجتماعية مجال ودويرات القصبة خصوصا تلك المجالات المشتركة منها والتي صيرها لحالة مزرية .

أما بشأن ثقافة استعمال السطح كمجال اجتماعي وثقافي وحضري نسوي للالتقاء وتبادل الخبرات والصنائع الحضرية وكمتنفس خارجي يمكن التمتع من خلاله بمنظر خليج الجزائر فقد طمست ثقافته هاته واستبدلت بأخرى مادية و أكثر نفعية بحيث أصبح يحتوي على ملاحق وغرف للسكن أثرت بشكل كبير ومباشر على نسيج الدويرات الذي أصبح يتهاوى يوما بعد آخر باحتواء هاته الملاحق على الماء الذي يعتبر العدو الأول للقصبة ما شبع الدويرات بالماء الذي أصبحت تتضح رطوبة وسوادا الشيء الذي سجلناه خصوصا لدى الفئة التي مصنفة منازلها في حالة سيئة .

أما بخصوص مجال وسط الدار فقد تم حصر وظيفته في الاحتفال بالمناسبات الشخصية لا غير بدلا أن كان يعتبر كذلك مجالا لالتقاء الجيران وتبادل أفكارهم خصوصا لدى الفئة التي

بيوتها في حالة جيدة ومتوسطة ، أما تلك التي هي في حالة سيئة فقد استعملته للسكن وذلك بإضافة غرف على مستواه .

كما لاحظنا تحول مؤشري مدة الإقامة وملكية السكن لآليات قوية يستطيع من خلالها الساكن بالقصبة التصرف بالدويرة كما يشاء ، وذلك بتعديلها أو ترميمها حسب ذوقه وحاجاته ، بعد أن كانا هذين المؤشرين يعتبران بمثابة آليتين للحماية وصيانة تراث الدويرات لدى "القصباجيين الأصليين ، إذ يستعان بهما للحفاظ على دويراتهم وقصبتهم من أيدي العابثين ، بحيث وجدنا أن أغلب الذين قاموا بإحداث تعديلات على الدويرات كانوا من الملاك الذين فاقت إقامتهم عن 30 سنة ، هذا ما أدحض ما كان شائعا على أن السكان الجدد والمستأجرين هم الذين أخلوا بتراث القصبة العمراني، بحيث وجدنا أن هؤلاء المستأجرين الجدد لم يجرو تعديلات على دويراتهم وهذا ليس حبا فيها أو تقديرا لتراثها ،بل لعدم توفرهم على الصلاحيات لإجراء هذه التعديلات التي تتطلب الملكية أو الأقدمية في السكن ، هذا ما جعلنا نشكك في أحقية هؤلاء الملاك والقدامى في هاته الفئة في استحقاقهم للقب "القصباجيين"، هذا ما جعلنا نتطرق إلى هذا الاستطراد باعتباره مهم في فرضيتنا هاته بحيث ليس فقط غياب ثقافة الاستعمال هي المسؤولة الوحيدة على ما آل إليه نسيج القصبة من دمار ، لكن الحاجة والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المزرية للسكان لها كفل من ذلك بحيث وجدنا أن هناك علاقة قوية بين عدد الغرف وكيفية استعمال مساحة المنزل او"الدويرة"، حيث أنه كلما كان عدد الغرف أقل تم استغلال مساحات بشكل نفعي لا يراع فيه أي ركن من هندستها المعمارية الأصيلة، بحيث كيف لهم أن يستهلكوها بشكل حضري إذ كانوا هم لا يمتلكون تلك المساحات اللازمة لإنتاج مثل هاته الممارسات اليومية التي تتطلب وسط الدار والسطح وبيت الصابون وغيرها من المساحات المشتركة التي قد تحضر عليهم من طرف من يشاركونهم الدويرة أو من صاحب المنزل ، وعليه ففي هكذا أوضاع هم يضطرون لتدبر أمورهم في هذا الحيز الضيق من الغرف الذي يحولوه إلى مملكة خاصة بهم ضاربين بذلك هندسة غرف وبيوت الدويرة عرض الحائط إذ وجدنا أن أغلبهم قاموا بتقسيم الغرف وإضافة تعديلات من شأنها أن تسمح لهم باستغلال مجالها بشكل أكبر و أنفع لهم، كما وجدنا أن الذين يمتلكون عدد غرف أكبر كان استعمالهم لدويراتهم استعمالا تقليديا يتماشى مع هندستها الأصلية وهذا ما يؤكد ما سبق ذكره.

كما استنتجنا أن دافع القدوم إلى القصبة قد تغير وتحول من دافع معنوي لتعلم فنون الثقافة الحضرية إلى دافع مادي نفعي تمثل في زهد إيجار غرفه، بحيث أن قدوم تلك الوفود الكبيرة من السكان للقصبة كان بسبب ما توفره لهم هاته الأخيرة من ثمن أجرة الغرف ، وكذا قربها من مكان العمل ، ناهيك عن السبب غير المصرح به في الاستمارات لكن تم لتصريح به شفهيا أو في خضم بعض المقابلات وهو التطلع إلى الحصول على سكن اجتماعي ،مما حوله إلى قيتو للفقراء والمهمشين ومركزا لانتشار ثقافة الفقر بعد أن كان مركزا للإشعاع الثقافي الحضري يقصده كل من أراد تعلم طريقة الحياة المدينية وتعلم فنونها وصنائعها، فتعاملهم معها بهذا المنطق والعشوائية سرع في وتيرة انهيارها المادي والمعنوي .

كما لمسنا أن لا يزال مؤشر مكان الميلاد بالقصبة محتفظا بقوته فيما يتعلق بكيفية استعمال مساحة المنزل أو "الدويرة ، بحيث وجدنا أن أغلب الفئات التي كانت تستعمل مساحة دويراتها بشكل نفعي عشوائي يخدم حاجياتها كانوا من المولودين بمختلف الولايات ، أما فيما يخص الاستعمال الحضري الأصيل لهاته الدويرات فقد كان لدى المولودين بتيزي وزو و القصبة ، والذي فسرناه على أن أغلب سكان القصبة الحاليين يرجع أصلهم إلى ولاية تيزي وزو بحيث وجدنا أنهم دائما يرجعون هويتهم إلى بلد أجدادهم أي هي إرجاعيه إلى أصولهم أكثر منها أفقية قائمة على الانتماء للقصبة ، خصوصا بعد حالة الانحطاط التي تشهدها، فهم حتى وإن كانوا من القدامى المتشربين لثقافة المجال واستعماله الحضري وفقا لتقاليده الأصلية ،إلا أنهم لا يقدموا أنفسهم إلا على أنهم "قبائل عاصميين".

وعليه نستطيع أن نخلص بأن نقول أنه ووفقا لكل هاته القراءات والتحليلات السوسيولوجية لنتائج الجداول المتعلقة بهاته الفرضية، أنها صادقة نسبيا ، بحيث لأن هناك بعض الأسباب والعوامل المهمة التي ساهمت هي كذلك في تدهور نسيجها العمراني والتي سنتطرق إليها في فرضيتنا التالية ، وعلى حد تعبير BULOT "...المجال يكون ملاحظ ومسجل عن طريق الثقافة الحضرية التي تعني الممارسات الاجتماعية والأمكنة، وبغيابها يغيب هذا المجال".

تحليل نتائج الفرضية الثالثة

تمهيد

لقد قمنا بتصميم هاته الفرضية القائلة أن تدهور النسيج العمراني بالقصبة يؤدي إلى اندثار عديد الممارسات الثقافية والاجتماعية المميزة للقصبة وسكانها الأصليين.

وهذا من اجل تبيان دور القصبة كوعاء اجتماعي وحضري ثم ضم هاته الممارسات والذي بتدهور حالته أصبحت هاته الأخيرة لا تجد مجال ديناميكي يحتويها ويعيد لها إنتاجها كما كان يفعل في الماضي ،وهذا باعتبار أن لكل ركن من أركان القصبة وظيفة ودور اجتماعي أو ثقافي أو حضري يقوم به والذي من خلاله تنتج لنا تلك الممارسات المميزة، وعليه فقد قمنا باختيار بعض المؤشرات التي تلمس هذا الواقع بشكل مباشر مثل: تأثير حالة البيوت والمساحات المشتركة الاجتماعية في الدويرة الواحدة على القيام بحرفة تقليدية معينة ، وكذا على كيفية ومكان إقامة الاحتفالات، وعلى سيرورة تبادل الزيارات الجوارية، ومدى مساهمتهم في حل مشاكل حييهم، وغيرها من المؤشرات التي لمحنا بها إمكانية إثبات فرضيتنا الآنفة الذكر، فكانت الجداول التالية:

جدول رقم 21: توزيع المبحوثين حسب حالة المنزل وعلاقتها بممارسة أي حرفة تقليدية

تقييم حالة المنزل	ممارسة حرف تقليدية		المجموع
	نعم	لا	
حسنة	13 % 33.3	26 % 66.7	39 % 100
متوسطة التدهور	25 % 23.6	81 % 76.4	106 % 100
سيئة التدهور	15 % 25	45 % 75	60 % 100
المجموع	**53** **% 25.9**	**152** **% 74.1**	**205** **% 100**

لقد قمنا بصياغة هذا الجدول من أجل تبيان تأثير حالة المنزل على القيام بممارسة حرفة من الحرف التقليدية المعروفة بها القصبة ، وعليه وكما هو مبين في الجدول أعلاه أن أغلب المبحوثين لا يمارسون أي حرفة تقليدية من تلك المعروفة بها القصبة وذلك بنسبة 74.1% مقابل 25.9 %للذين يمارسون حرفة تقليدية .

وبإدخالنا للمتغير المستقل "حالة المنزل" وجدنا أن نسبة 76.4 % من الذين لا يمارسون أي حرفة، بيوتهم في حالة متوسطة التدهور، تليها نسبة 75 % للذين بيوتهم في حالة سيئة من التدهور ، ثم 66.7% من الذين بيوتهم في حالة حسنة .

وعليه يتضح لنا جليا من خلال هاته النتائج أن أغلب سكان القصبة قد تخلوا عن ممارسة تلك الحرف التقليدية التي كانت تخصص لها "صابات"أو"زنيقات" بحيث أن لكل صابة حرفتها و حرفيوها وأمينا للحرفة الذي يسهر على تنظيم ومراقبة جودة المنتوج ،فنجد صابة النحاسين و الصياغين والدباغين وغيرها... لهذا أردنا ربط اختفاء هاته الحرف بحالة النسيج العمراني الذي كان يعد كوعاء أو ورشة لهاته الصنائع ،بحيث لمسنا وجود علاقة

وثيقة بينهما ، إذ وجدنا أن أغلب الذين تخلو عن هاته الحرف أو لا يمارسونها أصلا كانت بيوتهم في حالة متوسطة إلى سيئة التدهور، كيف لا وهم يعيشون في بيوت آيلة للسقوط لن تستطيع حتى استيعابهم كأفراد ، ناهيك القيام بحرفة وجلب معدات إضافية للقيام بهاته الحرف ، كما أن السكن عامل مهم جدا في الاستقرار النفسي ومن ثم الإبداع الفني ، فكيف لهم في مثل هكذا شروط أن يقموا بهاته الحرف التي تتطلب الرصانة والهدوء والتركيز وكذا المساحة اللازمة لها، بدليل أن الفئة القليلة من الذين يمارسون هاته الحرف كانوا بأغلبية الذين بيوتهم في حالة جيدة ، بحيث سمحت لهم هاته الوضعية بالقيام بهاته الحرف دون خشية وقوع المنزل على رؤوسهم من ضغط الحركة والمعدات ، وعليه نستنتج أن للحالة الفيزيقية للمنزل دور مهم في الحفاظ على بعض من الحرف التقليدية بالقصبة ،ولأن جل هاته الدويرات في حالة متوسطة إلى سيئة التدهور، فإن لم تستدرك وترمم فإن هاته الحرف ستتراجع وتنقرض مع مجالها العمراني الذي احتواها.

جدول رقم 22: توزيع المبحوثين حسب حالة المنزل وسيرورة تبادل الزيارات الجوارية فيما بينهم .

تقييم حالة المنزل	تبادل الزيارات بين الجيران		المجموع
	نعم	لا	
حسنة	36 % 92.3	3 % 7.7	39 % 100
متوسطة التدهور	83 % 78.3	23 % 21.7	106 % 100
سيئة التدهور	47 % 78.3	13 % 21.7	60 % 100
المجموع	**166** **% 81**	**39** **% 19**	**205** **% 100**

لقد قمنا بصياغة هذا الجدول لمعرفة مدى العلاقة بين الحالة الفيزيقية للمنزل وتأثيرها على مستوى تبادل الزيارات بين الجيران، بحيث لاحظنا أن الاتجاه العام له يقول أن نسبة 81 % من الجيران يتبادلون الزيارات فيما بينهم مقابل 19 %من الذين لا يتبادلونها.

بأغلبية الذين يتبادلون الزيارات ويسكنون ببيوت في حالة حسنة وذلك بنسبة 92.3 %، تليها نسبة 78.3 % لكل من الفئتين التي بيوتها في حالة متوسطة وسيئة التدهور.

وعليه نستنتج من خلال قراءتنا هاته أن لازالت القصبة تحتفظ بهاته السمة التي تميزها عن باقي "العاصميين" وهي علاقات الجوار بدليل أن أغلبهم متمسكين بها ويتبادلون الزيارات الجوارية فيما بينهم ، لكن هناك علاقة وثيقة بين هاته العلاقات الجوارية و الحالة الفيزيقية للمنزل ، إذ لاحظنا أن أغلب الذين يعيشون ببيوت حالتها حسنة ، كيف لا ومثل هاته الزيارات تتطلب مكانها وحيزها الذي من خلاله تستطيع استقبال ضيوفها وزوارها من الجيران

فامتلاكهم لهاته المجالات سواءا الغرف الكافية أو وسط الدار والسطح، فهم يحافظون على هذا التقليد والجيرة ولا يشعرون بأي حرج في استقبال أي جار بأي وقت من الأوقات ،عكس الذين يعيشون في بيوت مهترئة لا تستوعب ساكنيها ناهيك عن استقبال الضيوف والجيران لشعورهم بالإحراج من حالة بيوتهم بحيث يتفادونها درءا لواقعهم المزري ،وعليه نستنتج من أن هناك تأثير لحالة الدويرة على سيرورة تبادل الزيارات بين الجيران بالقصبة ،إذ أنه كلما كانت البيوت في حالة حسنة كان هناك تبادل للزيارات وكانت هناك علاقات جوارية قوية ،وكلما كانت البيوت في حالة سيئة تراجعت علاقات الجوار وضعفت ،لكن وجب علينا توضيح فقط أن هاته الأغلبية لازالت محافظة على تبادل الزيارات ليس بالمحتوى التقليدي "القصباجي" لها لكن تبقى زيارات تسمها السطحية والمنفعة في التعاملات بين الجيران مع بعضهم البعض .

جدول رقم 23: توزيع المبحوثين حسب حالة منازلهم ومدى مساهمتهم في حل مشاكل حييهم:

تقييم حالة المنزل	هل تساهم في حل مشاكل حيك		المجموع
	نعم	لا	
حسنة	31 % 79.5	8 % 20.5	39 % 100
متوسطة التدهور	83 % 78.3	23 % 21.7	106 % 100
سيئة التدهور	42 % 70	18 % 30	60 % 100
المجموع	**156** **% 76.1**	**49** **%23.9**	**205** **% 100**

لقد قمنا بصياغة هذا الجدول لتبيان العلاقة بين حالة المنزل بمدى مساهمتهم في حل مشاكل حييهم ، بحيث وجدنا الاتجاه العام للجدول يميل إلى أن نسبة 76.1 %من العينة المبحوثة تساهم في حل مشاكل حيها مقابل 23.9 % منها لا تساهم في ذلك.

بأغلبية 79.5 % لدى الذين يساهمون في حل مشاكل حييهم وبيوتهم في حالة حسنة و78.3% للذين بيوتهم في حالة متوسطة التدهور و70% للذين بيوتهم في حالة سيئة من التدهور.

إن هذا التفاؤل التي تحمله نتائج الجدول الذي يبين أن هناك مساهمة من طرف السكان في حل مشاكل الحي مشروع ،لكن وجب التأكيد على أن هاته المساهمات هي مساهمات ظرفية أي وقت الكوارث والانهيارات من خلال رفع الأردام عنه أو بتنظيفه بالمناسبات ،وعليه ليست بالوتيرة نفسها التي كان عليها سكانها الأصليين من خلال اعتبار الحي بيتهم الثاني لما يوفره لهم من أمن وطمأنينة لسكانه ، بحيث سعوا دائما على إظهاره بشكل لائق لأنه بطاقة تعريف ثانية لهويتهم ،فقد اعتبرت المساهمة في حل مشاكله من أولى أولياتهم، لكن

لا يمنع ذلك أن نقر بهاته النتائج ، وعليه يتضح لنا جليا من خلال نتائج هذا الجدول أنه لا تزال هناك مساهمة من طرف سكان القصبة في حل مشاكل حييهم خصوصا لدى الفئة التي منازلها بحالة جيدة ، كيف لا إذا ماعلمنا أن للحي رمزية كبيرة ومكانة لدى سكانه الأصليين فهو امتداد لمنازلهم ، فإن استطاعوا أن يحافظوا على جمال بيوتهم ورونقها فأكيد أنهم سيحافظوا على الحي الذي يحتويها وتشكل جزءا منه، ضف إلى ذلك فإن الذي يملك هذا الحس من المسؤولية اتجاه منزله فهو يمتلكه اتجاه حييه إذ يعتبروه واجهتهم العاكسة لمدى تحضرهم من عدمه، أما بالنسبة للذين لا يساهمون فقد وجدنا أن أغلبهم يسكنون ببيوت آيلة للسقوط ،فإن كانوا لا يهتمون أصلا ببيوتهم فكيف يسعون إلى حل مشاكل حييهم ،وعليه فقد نقلوا هاته السلبية في تعاملهم مع بيوتهم وعدم اكتراثهم لحالتها بحجة عدم امتلاك الماديات أو عدم امتلاك الصلاحيات لذلك إلى أحيائهم بحيث يعتبرونها مجرد طريق أو معبر يسلكونه للولوج إلى منازلهم لا أكثر ولا أقل ،وعليه نستنتج من كل هذا أن حالة دويرات القصبة لها تأثير مهم ومباشر في مساهمة سكانها في حل مشاكل حييهم ، وإنماء روح المسؤولية لديهم اتجاهه، أو القضاء عليها في حالة العكس وهذا ما يؤكد رأي كثير من الباحثين في هذا الشأن ، بأنه إذا كان حالة ووضعية السكن المزرية والهشة تولد لدى ساكنيه سلبية في السلوك وعدوانية تظهر على مستوى المنزل والحي والعلاقات بين الجيران ، وهذا فعلا ما تشهده القصبة ، فعدم الاكتراث ببيوت القصبة وعمرانها بغض النظر عن من كان السبب فيه ، ولد لدى أفرادها سلبية اتجاه أحيائهم تجلت في عدم مشاركتهم في أدنى مساهمة بشأنها تحسين أوضاعها وفضلوا الهروب عنها .

جدول رقم 24: توزيع المبحوثين حسب حالة المنزل ورأيهم في احتواء القصبة لبعض الخصائص المميزة لها عن غيرها.

تقييم حالة المنزل	احتواء القصبة لبعض الخصائص التي تميزها عن غيرها		المجموع
	نعم	لا	
حسنة	34 % 87.2	5 % 12.8	39 % 100
متوسطة التدهور	84 % 79.2	22 % 20.8	106 % 100
سيئة التدهور	41 % 68.3	19 % 31.7	60 % 100
المجموع	**159** **% 77.6**	**46** **% 22.4**	**205** **% 100**

لقد قمنا بصياغة الجدول التالي لتبيان العلاقة بين حالة المنزل وتأثيرها على رأي المبحوثين في الخصائص التي تتميز بها القصبة، إذ لاحظنا أن الاتجاه العام لهذا الجدول يقول أن نسبة 77.6 %من سكان القصبة يقرون إلى وجود عدة أمور مميزة للقصبة مقابل 22.4 % ممن لا يجدون أي شيء مميز لها.

بأغلبية 87.2 % لدى الذين بيوتهم في حالة حسنة و79.2% للذين بيوتهم في حالة متوسطة من التدهور، ثم 68.3 % للذين بيوتهم في حالة سيئة من التدهور.

وعليه نستنتج من خلال قراءتنا الإحصائية هاته، أن أغلب سكان القصبة من العينة المبحوثة يقرون بوجود بعض الخصائص المميزة للقصبة مقابل قلة ينكرونها ،بحيث هناك علاقة قوية بين حالة المنزل وتعدد آراء السكان بنظرتهم للقصبة ، بدليل أن أغلب الذين أقروا أن القصبة تمتلك لميزات وخصوصيات إيجابية عدة سواءا في هويتها وعاداتها وتقاليدها أو عمرانها،

كانوا من الذين يسكنون ببيوت حالتها حسنة، بحيث وصفوا لنا منازلهم على أنها متاحف مفتوحة على المدينة ، كل ركن من أركانه يعبر عن تحفة أثرية بكل ما تحمله من عبقرية في الانجاز ورونق وجمال في الهندسة عكست رقي ساكنيه ممن سبقوهم إلى المكان ، ولا يمكن لأي بيت عاصمي مهما كان أن يحتوي مثلها،وعليه فالعيش في مثل هاته المتاحف الصغيرة على حد تعبيرهم ، ولد لهم الفخر والاعتزاز بالانتماء لها ولمجالها ، وجعلهم يعيشون بها بشعور التميز عن غيرهم من السكان.

أما بالنسبة للذين يعيشون ببيوت في حالة سيئة ومزرية، فقد وجدناهم لا يرون أي خصوصية وتميز للقصبة عن غيرها من الأحياء العاصمية ، بل بالعكس فهم ينظرون إليها بنظرتهم لواقعهم المرير داخلها وسكناتهم التي تكاد تهوي على رؤوسهم ، وعليه فقد حصروا مميزاتها في التهميش والفقر سواءا لها، كتراث مادي أو لسكانها كمنتجين لتراثها المعنوي،هذا ما جعلنا نستنتج أن حالة المنزل الذي يعيش به السكان هي بمثابة مولد لأحاسيس الانتماء والاعتزاز به أو الإقصاء والتبرؤ منه ومنها يطبع ذلك الشعور على وجهة نظرهم ورؤيتهم لما يعيشونه و يدور حولهم ،بحيث أنه كلما كان المنزل بحالة سليمة وجيدة كان انطباع ونظرة ساكنيه عنه وحييهم إيجابية ومتفائلة، وكلما ساءت حالة البيت انعكس ذلك سلبا على رأيهم ونظرتهم للحي بأكمله وجعلهم لا يرونه إلا من عين واقعه ومعاناتهم به، لا بتاريخه أو عراقته.

جدول رقم 25: توزيع المبحوثين حسب حالة المساحات المشتركة لدويراتهم وعلاقتها بوجود تعاون بين الجيران في المناسبات.

حالة المساحات المشتركة للدويرة	وجود تعاون بين الجيران		المجموع
	نعم	لا	
حسنة	28 % 96.6	1 % 3.4	29 % 100
متوسطة التدهور	94 % 87.9	13 % 12.1	107 % 100
سيئة التدهور	55 % 79.7	14 % 20.3	69 % 100
المجموع	**177** **% 86.3**	**28** **% 13.7**	**205** **% 100**

أردنا من خلال جدولنا هذا تبيان العلاقة بين حالة المساحات المشتركة وأثرها على وجود تعاون بين الجيران في المناسبات و الأفراح ، بحيث يوضح الاتجاه العام للجدول التالي أن 86.3 %من المبحوثين يقرون بوجود تعاون بينهم وجيرانهم ، مقابل 13.7 %ممن نفوا ذلك. وهذا بأغلبية 96.6 % للذين حالة مساحاتهم المشتركة حسنة ، و87.9% للذين حالة مساحاتهم المشتركة متوسطة التدهور و79.7% للذين حالة مساحاتهم المشتركة سيئة التدهور .

وعليه نستنتج من خلال قراءتنا الإحصائية لنتائج الجدول، أن أغلبية العينة المبحوثة يوجد تعاون بينهم وبين جيرانهم بمناسباتهم وأفراحهم ، وهذا ليس بالشيء الغريب عنها ، إذا ما علمنا أن مجال القصبة ككل بدويراتها و أحيائها ومرافقها العمومية صمم للحياة الاجتماعية وما تلك الممارسات المدينية الراقية إلا نتاج للاستعمال الحضري لمساحاتها المشتركة بين

جيرانها في الدويرة الواحدة ، كما وجدنا تعاون إجباري بحيث أن الجيران الذين يقطنون بدويرة واحدة هم مجبرون على التعاون فيما بينهم من اجل الاحتفال بمناسباتهم خصوصا الشخصية منها، إذ وبامتلاك لكل أسرة منهم لغرفة أو غرفتين لا تستطيع بها إحياء مناسباتها التي تتطلب تلك المساحات المشتركة كوسط الدار والسطح، ضف إلى ذلك فقد وجدنا أن أغلب هذا التعاون كان متمثل في استعارة لوازم مادية وغرف وغيرها ، فقد كان لزاما عليهم التعاون فيما بينهم ، كما وجدنا أن هذا التعاون بين الجيران هو مرتبط كثيرا بحالة مساحاتهم المشتركة ، إذ أن وتيرته تزداد بشكل ملحوظ لدى الذين مساحاتهم هاته بحالة جيدة ،لأنهم استطاعوا الحفاظ عليها باعتبارها الوعاء الذي يضم كافة أشكال تكافلهم وتعاونهم فيما بينهم في وقت السراء والضراء ، كما أن حالتها هاته ما كانت لتكون على هذا الشكل لو لم يكن هناك هذا التفاهم والتعاون بينهم في تدبر شؤون حياتهم وتسيير مناسباتهم ، عكس تلك الفئة التي كانت مساحاتها المشتركة في حالة سيئة ،بحيث أننا وجدنا غالبيتهم لا تتعاون مع جيرانها ، وتعيش في خلافات ونزاعات دائمة معها انعكست على حالة مساحاتهم المشتركة التي صارت مسرحا لهاته الصراعات بدل من أن تكون مجالا اجتماعيا للالتقاء لهم لتبادل الخبرات والأخبار والتكافل من أجل التغلب على تكاليف الحياة .

وهذا ما جعلنا نخلص لأن نقول أن هيئة وحالة المساحات المشتركة بالدويرة تدل بشكل كبير عن طبيعة العلاقات بين الجيران داخلها، إذ أنه كلما كانت هاته الأخيرة بحالة سيئة دل ذلك على وجود تنافر بين الجيران ومن ثم انعدمت فرص التعاون والتكافل بينهم، وكلما كانت هاته المساحات بحالة حسنة عبر ذلك عن مدى تفاهمهم وانسجامهم مع بعضهم البعض ،ومن ثم زادت فرص التعاون فيما بينهم في مناسباتهم وأفراحهم.

جدول رقم 26: توزيع المبحوثين حسب حالة المساحات المشتركة وكيفية احتفالهم بمناسباتهم وأفراحهم.

حالة المساحات المشتركة	كيف تحتفلون بهذه المناسبات				المجموع
	على طريقة التقليدية القصباجية	حسب تقاليد الأصول الجغرافية	بطريقة عصرية	بطريقة إسلامية	
حسنة	21 % 72.4	4 % 13.8	1 % 3.4	3 % 10.3	29 % 100
متوسطة التدهور	78 % 72.9	10 % 9.3	10 % 9.3	9 % 8.4	107 % 100
سيئة التدهور	47 % 68.1	9 % 13	10 % 14.5	3 % 4.3	69 % 100
المجموع	**146** **% 71.2**	**23** **% 11.2**	**21** **% 10.2**	**15** **% 7.3**	**205** **% 100**

لقد قمنا بتصميم هذا الجدول لتبيان العلاقة بين حالة المساحات المشتركة في الدويرة وتأثيرها على طريقة احتفال السكان بمناسباتهم وأفراحهم ، بحيث وجدنا أن الاتجاه العام له يبين أن نسبة 71.2 %من العينة يحتفلون بمناسباتهم على الطريقة "القصباجية" ،تليها 11.2% للذين يحتفلون على الطريقة التقليدية لأصولهم الجغرافية ثم 10.2 % للذين يحتفلون بشكل عصري ، و 7.3 % للذين يحتفلون بمناسباتهم بشكل إسلامي.

بحيث رصدنا نسبة 72.9 % من الذين مساحاتهم المشتركة في حالة متوسطة التدهور يحتفلون بمناسباتهم بشكل تقليدي قصباجي ، ثم نسبة 72.4 % لدى الذين حالة مساحاتهم المشتركة حسنة ،ثم نسبة 68.1 % للذين مساحتهم في حالة سيئة.

وعليه نستنتج من خلال قراءتنا الإحصائية هاته ، أن أغلب سكان القصبة يقومون بالاحتفال بمناسباتهم بشكل تقليدي عاصمي "قصباجي" ، وهذا بغض النظر عن حالة مساحاتهم المشتركة ، بحيث وجدنا أن هناك تقارب جد شديد بين الفئتين التي مساحاتها المشتركة متوسطة وجيدة ، لكن تبقى الغلبة للفئة التي مساحاتها المشتركة في حالة متوسطة ،وهذا شيء طبيعي إذا ما علمنا أن أغلب دويرات القصبة بما فيها مساحاتها المشتركة هي في حالة متوسطة إلى سيئة، وهذا ما فسر التفاوت الضئيل فيما بينها، ما جعلنا نستنتج أنه لا توجد علاقة قوية بين حالة المساحات المشتركة في "الدويرة" على الطريقة المعتمدة من طرف سكانها للاحتفال بمناسباتهم ، وهذا لأن الاحتفال على الطريقة "القصباجية" أصبح مجرد آلية للتباهي تظهر من خلالها الأسر لحضريتها ومدنيتها أو اندماجها داخلها إن كانت وافدة جديدة على الحي ، ضف إلى كل هذا ،فهم يتبنون لهاته الطريقة لأنها تتماشى ومبادئ القصبة وسكانها في الحفاظ على الحرمة والحرص على عدم الاختلاط ، وكذا في احترامهم للجار والحرص على دعوته للمساهمة في إحيائه وحضوره كفرد من الأسرة ، وعليه فإن هاته المبادئ صالحة لمثل هذا المكان والمناسبات ، لهذا فهم يتبنونها حتى وإن لم تكن بشكلها الكامل، لأن لدى الفئة التي حالة مساحاتها المشتركة سيئة خصوصا وسط الدار والسطح ، و الذي عادة ما تقام فيه طقوس هاته المناسبات ، فهم يضطرون إلى أخذ عاداتهم وممارساتهم الاحتفالية "القصباجية" إلى خارج القصبة بقاعات الحفلات وغيرها من المساحات أين يختزلونها في تقديم بعض الأكلات المشهورة بها "كالشربة البيضاء واللحم لحلو" وبعض الحلويات "كالفانيد والمقروط" وغيرها ، وكذا في طريقة اللباس كاختيارهم "الكراكو ومحرمة الفتول" و"الحايك مرمة" والتزيين أو طريقة خروج العروس من بيت العائلة،وعليه فهم يأخذون ما يستطيعون حمله من تقاليد توحي إلى حضريتهم و"قصباجيتهم" ، لهذا لم نجد هذا التأثير القوي والمباشر لحالة لمساحات المشتركة على طريقة احتفالهم.

جدول رقم 27: توزيع المبحوثين حسب حالة مساحاتهم المشتركة وعلاقتها باختيار أماكن إقامة الأفراح والمناسبات.

حالة المساحة المشتركة	مكان إقامة الأعراس				المجموع
	في المنزل	في قاعة الحفلات	عند الأقارب	في الريف	
حسنة	18 % 51.4	16 % 45.7	1 % 2.9	- -	35 % 100
متوسطة التدهور	66 % 47.1	65 % 46.4	8 % 5.7	1 % 0.7	140 % 100
سيئة التدهور	35 % 39.8	48 % 54.5	4 % 4.5	1 % 1.1	88 % 100
المجموع	**119** **% 45.29**	**129** **% 49.04**	**13** **% 4.94**	**2** **% 0.76**	**263** **% 100**

*المجموع 263 : سؤال متعدد الإجابات.

لقد قمنا بصياغة هذا الجدول، لتبيان العلاقة بين حالة المساحات المشتركة للسكان القاطنين بالدويرة الواحدة وتأثيرها على اختيار مكان إقامة الأفراح، إذ نلاحظ أن الاتجاه العام للجدول يقول أن: نسبة 49.04 % يحتفلون بمناسباتهم في قاعة الحفلات، تليها نسبة 45.24 % للذين يقيمونها في المنزل، و نسبة 4.94% للذين يقيمونها لدى أقاربهم ، و0.76 % للذين يقيمونها في الريف.

و هذا بأغلبية 54.5 % لدى الفئة التي مساحاتها المشتركة سيئة ويقيمون أفراحهم بقاعة الحفلات ، ثم 46.4 % للذين مساحاتهم المشتركة بحالة متوسطة التدهور و45.7 % للذين مساحاتهم المشتركة بحالة حسنة، دائما لدى الذين يقيمون أفراحهم بقاعة الحفلات.

يتضح لنا جليا من خلال قراءتنا الإحصائية هاته أن أغلب سكان القصبة يقومون بالاحتفال بأفراحهم بقاعة الحفلات، عكس ما كان شائعا بها في الماضي، ما جعلنا نلحظ خلو أعراسها

من كثير من العادات والطقوس المدينية التي كانت تتميز بها ، وذلك لأن هاته الأخيرة تتطلب لمجالها الأصلي الذي لا غنى عنه كالاحتفال بطقس الحنة، تخضيب يد العروس بالحنة، وختان الأطفال الذي لا يكون إلا بوسط الدار المزينة بالشموع والمعطرة بالياسمين، وتميز العروس عن مثيلاتها بمشيها بالحي حتى موكب عريسها وغيرها من الخصوصيات والتفاصيل التي لا يمكن أن تكون خارج القصبة، وعليه فنجد أنهم حتى وإن كانوا يقرون بأنهم يحتفلون بشكل "قصباجي "فإنه فارغ كثيرا من محتواه الأصلي ،أما بالنسبة لعلاقة المساحات المشتركة للسكان على اختيارهم لمكان إقامة الأعراس ،فقد وجدنا أن هناك علاقة قوية ومباشرة باعتبار أن أغلب هؤلاء الذين يختارون قاعة الحفلات لإحياء أفراحهم كانوا من الفئة التي مساحاتها المشتركة في حالة سيئة، وعليه فكيف لهم أن يحتفلوا داخل بيوتهم وتلك المساحات الاجتماعية المشتركة بينهم والمخصصة للمناسبات كوسط الدار والسطح مهدمة، وغير صالحة للاستعمال واستقبال ضيوفهم أو مدعويهم ،لهذا فهم يضطرون إلى التوجه خارجها . بالمقابل فقد وجدنا أن الفئة التي حالة مساحتها المشتركة حسنة تفضل الاحتفال بأفراحها ومناسباتها بدويراتها وبمساحاتها المشتركة تلك ،وذلك لما تضفيه من نكهة وخصوصية حضرية على جو أفراحهم .

أما بالنسبة للذين يحتفلون بأعراسهم عند أقاربهم الذين لديهم بيوتا بمساحات واسعة، وأولئك الذين يتوجهون لأريافهم لإحيائها ،فقد وجدنا أغلبهم من ذوي الدخل المحدود والنازحين الجدد الذين لا يملكون الماديات اللازمة لتأجير قاعة حفلات، ولا لشبكة العلاقات الاجتماعية مع جيرانهم في الحي، وعليه فهم يستعينون بمنازل أقربائهم أو يذهبون إلى مسقط رأسهم بالأرياف للاحتفال بطريقتهم المتعارف عليها هناك.

هذا ما جعلنا نستنتج أن حالة المساحات المشتركة والتي هي بمثابة قاعة حفلات لسكان القصبة، خصوصا وسط الدار والسطح لها دلالة مهمة وفارقة لدى سكانها عند اختيارهم لأماكن إقامة أفراحهم، بحيث كلما كانت هاته الأخيرة بحالة جيدة كانت دويرات القصبة المكان الأمثل لهم للاحتفال، وكلما ساءت حالة هاته المساحات اضطروا للخروج عنها وبالتالي إفقاد هاته المناسبات والاحتفالات الكثير من محتواها الاجتماعي والثقافي المميز لها.

جدول رقم 28: توزيع السكان حسب حالة المنزل وعلاقتها بنظرة السكان لأهم الخصائص التي تميز القصبة.

تقييم حالة المنزل	أهم الخصائص					المجموع
	علاقة الجوار	عادتها و تقاليدها	نمطها المعماري	قدم بنايتها	انتشارالآفات الاجتماعية	
حسنة	21 % 53.8	11 % 28.2	4 % 10.3	1 % 2.6	2 % 5.1	39 % 100
متوسطة التدهور	61 % 57.5	22 % 20.8	13 % 12.3	7 % 6.6	3 % 2.8	106 % 100
سيئة التدهور	29 % 48.3	12 % 20	7 % 11.7	9 % 15	3 % 5	60 % 100
المجموع	**111** **% 54.1**	**45** **%21.95**	**24** **%11.70**	**17** **%8.29**	**8** **% 3.90**	**205** **% 100**

لقد قمنا بصياغة هذا الجدول لتبيان العلاقة بين حالة المنزل الفيزيقية وتأثيرها على انطباع ورؤية سكان القصبة لحييهم، بحيث أن الاتجاه العام للجدول يشير إلى أن نسبة 54.14 %من العينة ترى في علاقات الجوار بينهم أهم ميزة للقصبة ، ثم نسبة 21.95 % للذين يجدون في عاداتها وتقاليدها الخصوصية، و11.70 % للذين يعتبرون نمطها المعماري أهم خصوصية، ونسبة 8.29 % للذين يجدون الخصوصية في قدم بناياتها، وأخيرا 3.90 % للذين يرون انتشار الآفات الاجتماعية خاصية تميزها.

أما بشأن علاقة ذلك بحالة بيوتهم، فقد سجلنا نسبة 57.5 % للذين بيوتهم في حالة متوسطة التدهور ينظرون لعلاقات لجوار أنها ميزة لها، و 53.8 % للذين بيوتهم في حالة حسنة و 48.3 % للذين بيوتهم في حالة سيئة .

وعليه نستنتج من خلال قراءتنا هاته أنه، لا زالت القصبة محافظة على الأقل على صورتها الجميلة في المخيال الجماعي لسكانها بعد كل ما تمر به من واقع مرير ، ما جعلنا نجد أن غالبيتهم يقرون أن أهم خاصية لها هي علاقات الجوار المميزة لسكانها، وهي التي قدست الجار وأعطته مكانة رفيعة وجعلت من حقوقه أولى الأولويات ، بحيث كانت مضربا للمثل لدى كل المؤرخين والباحثين مثل "حمدان بن خوجة" بتصريحه على أن الجزائريين يحترمون جيرانهم كما لو كانوا أقرباء ...بالتصرف، وعليه فقد اعتبرت هاته الميزة من قديم الأزل سمة لسكان القصبة ، بحيث ظهرت هاته القدسية للجار في تصميم منازلهم التي لم تكن أبوابها تتقابل ولا علوها متفاوت ، وهذا كله من أجل ضمان حرمة الجار ، وهذا ما رسخ هاته السمة في مخيال سكانها حتى وان تغيرت ظروف القصبة وسكانها ولم تعد كما كانت عليه، لكن لا يعني هذا إلغاء تأثير هاته الأخيرة على انطباعاتهم وتصوراتهم ، إذ وجدنا أن هاته الخصوصية برزت بشكل كبير لدى الفئة التي منازلها في حالة متوسطة وهذا باعتبارها غالبية بالقصبة، وكذا لدى الفئة التي منازلها بحالة حسنة، وهذا ما يؤكد أن لحالة البيت الفيزيقية أهمية كبيرة في خلق وتكوين صورة عن الحي الذي يقطنونه، فعلى رأي "شومباردلو" ترتبط تفاصيل المسكن وحاجاته بنظرة الأفراد لواقعهم ولعملية انتماءهم الاجتماعي و الثقافي" لذا فقد وجدنا ان اغلب الذين يعيشون في منازل حالتها متوسطة إلى جيدة لديها هذا الانطباع الايجابي والصورة الجميلة لحيها في مخيالها، رغم كل ما يعانيه هذا الأخير من صعوبات وما تصريحها هذا الا دليل على انتمائها الاجتماعي والثقافي لحيها والذي قد يساعدها على إعادة إنتاج مثل هاته العلاقات ، لكن بدأت تتلاشى هذه الصورة لدى الذين يعيشون ببيوت في حالة سيئة باعتبارهم ينظرون للقصبة وخصائصها من نافذة بيوتهم الهشة وواقع أحيائهم المزري، لا من نافذة تاريخها الاجتماعي والحضري العريق مما يعيقهم من تحقيق اندماجهم الاجتماعي والحضري والذي قد يقضي على هكذا علاقات اجتماعية مثالية.

جدول رقم 29: توزيع المبحوثين حسب حالة المنزل وأهم التفاصيل التي يحرصون عليها في احتفالاتهم .

تقييم حالة المنزل	الأمور المميزة في الاحتفالات					المجموع
	الحرص على الحرمة و عدم الاختلاط	تجهيز البيت و تنظيف الحي	طقوس التخضيب بالحناء	دعوة كل الاقارب و جيران و اكرامهم	بدون خصوصية مميز	
جيدة	8 % 15.7	11 % 21.6	4 % 7.8	27 % 52.9	1 % 2	51 %100
متوسطة التدهور	33 % 23.7	30 %21.6	13 % 9.4	60 % 43.2	3 % 2.2	139 %100
سيئة التدهور	25 % 30.5	9 % 11	8 % 9.8	36 % 43.9	4 % 4.9	82 %100
المجموع	**66** **% 24.26**	**50** **% 18.38**	**25** **%9.19**	**123** **% 45.22**	**8** **% 2.94**	**272** **%100**

*المجموع 272 :سؤال متعدد الإجابات.

لقد قمنا بتصميم هذا الجدول من أجل تبيان العلاقة بين حالة المنزل على أهم التفاصيل التي يحرص عليها سكان القصبة في الاحتفال بمناسباتهم ،إذ لاحظنا أن الاتجاه العام له يميل إلى: أن نسبة 45.22% من العينة يرون أن من أهم التفاصيل التي يحرصون عليها في مناسباتهم هي دعوة الأقارب والجيران، ثم 24.26 % منهم من يحرصون على عد الاختلاط بين النساء والرجال أو تحقيق مبادئ "الحرمة"، ونسبة 18.38 % يحرصون على تجهيز البيت وتنظيف الحي، تليها نسبة 9.19 % من الذين يحرصون على الحفاظ على طقوس "الحنة" أو تخضيب يد العروس بالحناء، و2.94 % منهم لا يحرصون على أي تفصيل في احتفالاتهم.

أما بشأن علاقة كل هذا بحالة بيوتهم، فقد وجدنا أنه في الفئة التي بيوتها مصنفة بحالة حسنة أقرت بأن أهم تفصيل تحرص عليه بمناسباتها هو دعوة كل الجيران و الأقارب فقد كانت نسبتهم 52.9 %، تليها نسبة 43.9 % للتي بيوتها في حالة سيئة ، وأخيرا نسبة 43.2 % للذين بيوتهم في حالة متوسطة التدهور.

وعليه نستنتج من خلال هاته النتائج أن لازالت احتفالات القصبة طابعها الاجتماعي وذلك بجعل دعوة كل الجيران و الأقارب وإكرامهم، من أهم تفاصيل التي تحرص عليها مما يظهر أهميتي علاقات الجوار والقرابة لديهم، خصوصا لدى الفئة التي بيوتها في حالة جيدة وهذا شيء طبيعي بالنسبة إليهم باعتبار أن المجال الذي سيستقبلهم جاهز وفي حالة تسمح بذلك فهي حتما ستحرص على دعوة الكل من جيران والأقارب لأنه لاشيء يدعوها للقلق والحرج من ذلك، عكس تلك الفئة التي تسكن ببيوت بحالة سيئة من التدهور، والتي ترى كل الإحراج في هذا التفصيل وهذا لعدم امتلاكها للمجال المناسب والمشرف لاستقبال مدعويها ، لهذا السبب صرحت لنا عدم حرصها على أي تفصيل في مناسباتها هاته، فصارت ترى في اللاخصوصية و اللاميزة في كل هاته الاحتفالات بالقصبة بسبب وضعيتها الكارثية التي آلت إليها.

لذا فإن دل هذا على شيء فانه يدل على أن لحالة البيت أهمية في شكل علاقات السكان ببعضهم البعض وفي تحديدهم لأولويات التفاصيل التي لطالما شكلت تراثا معنويا وحققت التمايز الحضري والمديني عن غيرها من المناسبات العاصمية، لكن لا يكف هذا التفصيل أو الأولوية بأن يحتفظ الاحتفال القصباجي بنكهته بحيث أن دعوة الجيران والأقارب في المناسبات هي من ضمن أهم التفاصيل والأولويات التي يحرص عليها الكل سواء أكانوا من القصبة أو خارجها بالمدن والقرى، مما يوضح لنا أكثر أنه قد تم إفراغ الاحتفال "القصباجي" عن كثير تفاصيله التي خلقت له محتواه المديني المميز ، بحيث تم حصره واختزاله في بعض من التفاصيل العادية ، وهذا ما ذكرناه في الجدول السابق المتعلق بحالة المساحات المشتركة وعلاقتها بالطريقة المعتمدة في احتفالات السكان بمناسباتهم، مما يثبت لنا أهمية حالة الدويرة ككل بغرفها وبيوتها ومساحاتها المشتركة في الحفاظ على التقاليد والممارسات الحضرية لسكان القصبة.

جدول رقم 30: توزيع المبحوثين حسب حالة المنزل ورغبتهم بالبقاء أو الرحيل عن القصبة.

تقييم حالة المنزل	هل تقبل بالرحيل عن القصبة		المجموع
	نعم	لا	
حسنة	19 % 48.7	20 %51.3	39 % 100
متوسطة التدهور	80 % 75.5	26 % 24.5	106 % 100
سيئة التدهور	55 % 91.7	5 % 8.3	60 % 100
المجموع	**154** **% 75.1**	**51** **%24.9**	**205** **% 100**

لقد قمنا بتصميم هذا الجدول لتبيان العلاقة بين حالة المنزل والرغبة بالبقاء أو الرحيل عنها من طرف سكانها، إذ يبين لها الاتجاه العام أن نسبة 75.1 % من العينة المبحوثة فضلت الرحيل عن القصبة ، مقابل 24.9 %منها فضلت البقاء بها.

بأغلبية 91.7 %من الذين فضلوا الرحيل من فئة التي بيوتها في حالة سيئة و 75.5**%** من الذين فضلوا البقاء بها لدى الفئة التي بيوتها في حالة متوسطة التدهور، ثم 48.7**%** للفئة التي بيوتها في حالة حسنة.

وعليه ومن خلال قراءتنا الإحصائية لنتائج هذا الجدول يتضح لنا جليا أن العلاقة القوية بين حالة المنزل ومستوى الرغبة لدى السكان في البقاء أو الرحيل من القصبة، بحيث أن أغلب سكان القصبة يرغبون في الرحيل منها ، بل ويطوقون إلى ذلك وهكذا عكس كان شائعا عن أهلها الذين كانوا لا يستطيعون مفارقتها والذي ظهر في تعريفهم بهويتهم المرتبط

بها، وكذا في فنونهم ومناسباتهم وكفاحهم بحيث كانت كلها مظاهر وأدلة تثبت افتخارهم بالانتماء لها ، أما بخصوص العلاقة بين هاته الرغبة في الرحيل وحالة منازلهم أو دويراتهم فهي واضحة جدا بدليل أننا وجدنا أن أغلبية الذين أبدوا رغبتهم في الرحيل كانوا من الذين يعيشون بيوت في حالة سيئة وهشة، ينتظرون انهيارها في أي لحظة ، وسط لامبالاة وإهمال من السلطات المعنية، جعلهم يفقدون الأمل والثقة في أن تسترد القصبة وجهها الأصلي وسط بطء وتقف عمليات التدخل والترميم، مما جعل حلم الرحيل هو الحل الأمثل للخروج من مأساتهم ومعاناتهم مع مسلسل الانهيارات، ضف إلى ذلك فهناك الكثير منهم من أتوا خصيصا للقصبة من أجل مغادرتها إلى سكنات اجتماعية تمنحها الدولة للمتضررين ،وعليه فشيء طبيعي أن ترتفع هاته الرغبة لديهم، أما بشأن الذين يعيشون بمنازل حالتها حسنة فقد صرحوا لنا برفضهم للرحيل منها وتمسكهم بدويرتهم وحييهم الذي يحتوي على كل ذكرياتهم ولازالوا ينظرون له بنظرة نوستالجية لزمنه الجميل رغم واقعه المرير ،كما أن أغلب هاته الفئة كانوا من الملاك القدامى الذين تعيش كل أسرة بدويرة لوحدها لا تشكو لا من أزمة سكن ولا من اكتظاظ ، إذ هناك من صرح لنا منهم أن السلطات عرضت عليهم أكثر من شقة للرحيل ورفضوا ذلك تمسكا بتراث أجداده الذي من المستحيل أن تعوضه هاته السكنات المراقد .

وعليه نستنتج من خلال كل هذا أن لحالة المنزل أثر بليغ مباشر في رغبة سكان القصبة بالرحيل أو البقاء بها ،إذ أنه كلما كانت البيوت في حالة سيئة ضعف ارتباط السكان بالبيت والحي وازدادت رغبتهم في الرحيل ، وكلما كانت حالة المنزل حسنة قوي ارتباط السكان ببيوتهم وافتخارهم بالانتماء لأحيائهم وازداد رفضهم للرحيل عنها .

استنتاج الفرضية الثالثة:

نستنتج من خلال نتائج الفرضية الثالثة التي كان مفادها تدهور النسيج العمراني بالقصبة يؤدي إلى اندثار عديد الممارسات الثقافية والاجتماعية المميزة للقصبة وسكانها الأصليين. أنها تحتوي على شق من الصدق أو النجاعة، وشق شكك في ذلك، أما بخصوص الجانب الذي أظهر لنا نجاعتها فكان ذلك المتعلق بحفاظ سكانها على حرفهم التقليدية التي لطالما ميزتها وميزتهم وعلاقة ذلك بحالة بيوتهم، بحيث وجدنا أن هناك علاقة مباشرة وقوية بينهما باعتبار أن أغلب السكان الذين تخلو عن هاته الصنائع والحرف كانوا من الذين يقطنون ببيوت هشة وفي حالة مزرية، والذين أرجعوا هذا لافتقارهم للمكان المناسب لوضع المعدات اللازمة لهاته الحرف، وكذا لافتقارها للهدوء والجو المناسب التي يتطلبه تجسيد هاته الفنون، مما أوضح لنا التأثير السلبي لسكان القصبة لحالة نسيجهم العمراني والحضري على إمكانية حفاظهم على هاته الحرف التقليدية، إذ وحتى الفئة القليلة التي وجدناها تمارسها كانت تعيش ببيوت في حالة جيدة، وتختص بحرفة الخياطة والتطريز وهذا لما يذره عليها من أرباح لا غير، أما باقي الحرف كالجلود والنحاس والصياغة فقد كان أصحابها يعدون على الأصابع وكذا بالنسبة لاختيار أماكن إقامة الأفراح والمناسبات، أين وجدنا أن أغلب سكان القصبة يقومون بالاحتفال بأفراحهم في قاعات الحفلات، خصوصا لدى الفئة التي مساحاتها المشتركة في حالة سيئة التدهور، وهذا ما يؤكد الأثر المباشر لتدهور البيوت أو الدويرات على الحفاظ ببعض الممارسات الحضرية والثقافية والتي لا يمكن لها أن تقام إلا في مجالها الأصلي خصوصا إذا ما علمنا أن تلك المساحات الاجتماعية المشتركة بين الجيران في الدويرة الواحدة، كانت بمثابة قاعة للحفلات كوسط الدار والسطح لاتساع مساحتها وجمال هندستها ووظيفتها الرمزية بحيث احتوى كل ركن من أركانه عل طقس معين أو ممارسة ثقافية وحضرية طبعت الخصوصية على ذلك الاحتفال، كطقس"الحنة" و"الختان" و"البوقالات" أو تنوع الفرق الموسيقية، النسوية المتمثلة في "المسمعات" والتي يتم جلبها إلى وسط الدار، والفرق الموسيقية الذكورية التي يتم تنصيبها بالحي والمعروفة بفرق "الآلي" وغيرها... فبخروج سكان القصبة للاحتفال خارج دويراتهم هو تغييب لعدة ممارسات ثقافية وحضرية لا يمكن إنتاجها إلا بوسطها الأصلي، وحتى وإن أرادوا أن يحملوها معهم إلى قاعات الحفلات فستكون فقيرة جدا من محتواها ومضمونها الأصلي، مما رسخ لدى أغلب

سكانها المفهوم الناقص للاحتفال"القصباجي" ، ليسموا كل احتفالاتهم ومناسباتهم سمة "القصباجية" من خلال اختزالها في ارتداء بعض الألبسة التقليدية "كالكاراكو" و"الحايك مرمة" أو باقتناء بعض المصوغات "كخيط الروح"أو بتقديم بعض الأكلات المشهورة بها "كالشربة البيضاء والبوراك "والشاربات" و الحلويات "الفانيد" و المقروط"و غيرها، أما تلك المضامين والطقوس الأخرى للاحتفالات القصباجية المذكورة سابقا لا وجود لها، ومنه نستنتج أن لتدهور هاته المساحات الاجتماعية المشتركة أثر بالغ في غياب عديد الممارسات والطقوس "القصباجية" في الاحتفال .

أما بشان ثالث مؤشر مهم يدل على صدق فرضيتنا فكان، ذلك المتعلق بتأثر رغبة السكان في الرحيل من القصبة من عدمها بحالة منازلهم ، بحيث وجدنا أن هناك تأثير وعلاقة قوية إن لم نقل أنه دافع وراء رغبة وحلم سكان القصبة بالرحيل عنها، خصوصا لدى الفئة التي سكناتها في حالة سيئة التدهور، وهذا ما اعتبرناه نتيجة طبيعية إذا ما علمنا ما للسكن من أهمية نفسية وصحية واجتماعية تؤثر في قرارات الفرد وتوجهاته ومطالبه ،فعلى حد تعبير "برنار" في كتابه:"...أنا أسكن إذا أنا موجود" وعليه فسلامة البيت يعطي شعورا بالأمان وهذا ما يعزز العلاقة بينه وبين ساكنه ، لتصبح فيما بعد علاقة انتماء يتولد عنها ممارسات اجتماعية وثقافية، وعليه فإن كان أغلب سكان القصبة يعيشون تحت خطر الانهيار وفي خوف دائم وسط إحساس بالتهميش والإهمال، فأي شعور بالانتماء يمتلكونه أو فعالية ننتظرها منهم اتجاه حييهم وتراثهم تجعلهم يحرصون على المقاومة والتشبث به، وهذا ما جعلهم يتخلون عنه بكل إرثه وتاريخه مقابل أي سكن اجتماعي يحمي حياتهم. بالمقابل فقد وجدنا تلك الفئة القليلة منهم الراغبة في البقاء هي التي تعيش ببيوت في حالة جيد، بحيث لم ترض بالتخلي عن دويراتها لأنها حاملة لذكرياتهم وتاريخ أجدادهم ولا عن حييها الحضري العريق رغم كل ما يشهده من ظروف صعبة، وعليه ومن خلال كل هذا يتضح لنا جليا التأثير السلبي لحالة التدهور الذي يشهده نسيج القصبة في اندثار عديد ممارساتها الحضرية و المدينية المميزة لها.

أما بخصوص الشق الثاني الذي أظهر عدم نجاعة أو صدق فرضيتنا هاته، تعلق بنتائج بعض الجداول التي أثبتت أنه لا تزال القصبة تحتفظ على عديد ممارساتها الاجتماعية

والثقافية والحضرية رغم تدهور نسيجها العمراني، وذلك من خلال تمسكهم بعلاقات الجيرة واستمرارية تبادلهم للزيارات وتعاونهم وتكافلهم فيما بينهم في المناسبات والأفراح، وكذلك باعتبار هاته الأخيرة كأهم ميزة أو خاصية تتميز بها القصبة وسكانها، وكذا بحفاظهم على حس المسؤولية اتجاه أحيائهم بمساهمتهم في حل مشاكله، ضف إلى كل هاته التصريحات الايجابية لهم، تبنيهم للطريقة "القصباجية" في كافة احتفالاتهم بمناسباتهم ، وعليه فكل هاته النتائج شككت في فرضيتنا، لكن كل هذا التشبث والحفاظ بهاته المظاهر والممارسات الاجتماعية والثقافية المميزة للقصبة ، والتي أثبتت النتائج بقائها واستمراريتها، ارتبطت ولو بشكل ضعيف بحالة النسيج العمراني لقصبة، باعتبار أننا وجدنا أن تلك العينة المصرحة بذلك كانت من الذين يعيشون ببيوت بحالة متوسطة وسيئة التدهور، وبما أن أغلب عينتا المأخوذة وليست المختارة بشكل مطلق، تعيش بدويرات أو منازل بحالة متوسطة التدهور هذا ما جعلها تؤثر على نتائج البحث وتظهر استمرارية هاته الممارسات والعادات التقليدية بقوة ، وعليه فقد أخفت جزءا كبيرا من الواقع الاجتماعي والحضري لهاته الممارسات التي تأثرت كثيرا بتدهور النسيج العمراني لمباني القصبة، وهذا ما يؤكد أنه كلما ساءت وتقهقرت حالة الدويرات انخفضت حدة التمسك بهاته الطقوس والممارسات لعدم امتلاكها لمجالها الأصلي المنتج لها بشكلها المتكامل، هذا ما جعلنا نخلص بأن نقول أن خروج هاته الممارسات الاجتماعية والثقافية عن مجالها الأصلي المتمثل في دويراتها بمساحاتها الاجتماعية المشتركة وأحيائها إلى قاعات الحفلات أفقدها الكثير من مضمونها وجوهرها، حتى وإن وجدت آثارها على القصبة وتم التصريح بها ، إلا أن تأثير تدهور النسيج العمراني عليها باق حتى وإن ظهر بشكل ضعيف، لأن أغلب الأجوبة الجانبية التي تحصلنا عليها المتعلقة ببعض التفاصيل الفارقة والدقيقة في الطقوس والممارسات القصباجية الأصيلة كانت غائبة وقريبة إلى السطحية ، بعيدة عن التميز والخصوصية التي تقتضيها الثقافة الحضرية القصباجية في احتفالاتها وممارساتها، ونأخذ على سبيل المثال أن أهم تفصيل ذكر من طرف المبحوثين أنهم يحرصون عليه في احتفالاتهم التي يطلقون عليها لقب "القصباجية" كان دعوة كل الأقارب والجيران؟ بحيث يعد هذا الأخير ضروري وبديهي لكل مناسبة في كل مكان وزمان وليس حصريا بالقصبة، هذا جعلنا نتساءل عن ما إذا كان فعلا هذا هو

المضمون الاجتماعي والثقافي لهاته الممارسات، وما تجعلنا أمام موقف متردد في الحكم على فرضيتنا بالنجاعة من عدمها.

تحليل نتائج الفرضية الرابعة

تمهيد

لقد قمنا بصياغة هاته الفرضية القائلة أن ضعف آلية الرقابة والمتابعة الميدانية من طرف السلطات لسير أشغال الترميم، و كذا التدخلات المنجزة من طرف السكان على دويراتهم، يعرقل تحقيق الأهداف الأولية لمخطط حفظ تراث القصبة.

وعليه قمنا باختيار المؤشرات المناسبة لها، وهذا من خلال ربط متغير الاستفادة بعمليات الترميم من عدمها بعدة متغيرات تابعة، كعلاقتها بتبني الترميم الذاتي للسكان، وعلى رأي المستفيدين منها، ومدى رضاهم عنها، وكذا مع نوع ملكية السكن بالنسبة للمستفيدين وأخيرا على تأثيرها في مدى رغبة السكان بالبقاء أو الرحيل من القصبة، بحيث صبت كل هاته الارتباطات من أجل تبيان آثار هاته العمليات التي تدخل في المخطط الدائم لحفظ التراث ورد الاعتبار للقصبة على حالة نسيجها العمراني ومكانتها كتراث تاريخي وحضري لدى سكانها وغيرهم، فكانت الجداول التالية:

جدول رقم31: يمثل توزيع السكان حسب استفادتهم من عمليات الترميم وحالة المساحات المشتركة للدويرة.

الاستفادة من عمليات الترميم	حالة المساحات المشتركة			المجموع
	حسنة	متوسطة التدهور	سيئة التدهور	
نعم	14 % 34.1	17 %41.5	10 %24.4	41 % 100
لا	15 % 9.1	90 % 54.9	59 % 36	164 % 100
المجموع	**29** **%14.1**	**107** **% 52.2**	**69** **%33.7**	**205** **% 100**

لقد قمنا بتصميم هذا الجدول من أجل تبيان أثر الاستفادة من عمليات الترميم مع حالة المساحات المشتركة للسكان في الدويرة الواحدة، إذ لاحظنا أن الاتجاه العام له يقول أن نسبة 52.2% من الذين مساحات بيوتهم في حالة متوسطة التدهور و33.9 % منهم مساحات بيوتهم في حالة سيئة و14.1 %مساحات بيوتهم في حالة حسنة .

وهذا بنسبة 54.9 % من الذين لم يستفيدوا من عمليات لترميم في الفئة التي مساحاتها في حالة متوسطة التدهور، مقابل 41.5% من المستفيدين من هاته العمليات ومساحاتهم المشتركة بحالة متوسطة التدهور.

وعليه يتضح لنا جليا من خلال نتائج الجدول، أن للاستفادة من عمليات الترميم أثر واضح مادي ومعنوي على سكان القصبة من حيث حفاظهم على مساحاتهم المشتركة من عدمها ،وعليه فقد وجدنا أنه بخلاف الفائدة المادية لعمليات الترميم هذه للحفاظ على تراث القصبة العمراني ،فهناك فائدة معنوية أخرى تجلت على السكان من خلال تحفيزهم على الحفاظ على

تراثهم هم كذلك، إذ أن أغلب الذين لا يولون اهتماما للمحافظة على هاته المساحات الاجتماعية المشتركة بينهم ،تبين أنهم لم يستفيدوا من عمليات الترميم لدويرات القصبة ،

وعليه بنظرهم أن كانت الدولة بكل إمكانياتها المادية والبشرية لم تستطع ترميم دويراتهم بما فيها هاته المساحات الاجتماعية بينهم التي تعد أهم أوعية لتراثها والتي تكاد تنهار عليهم من فرط الاستعمال الجماعي العشوائي، فكيف لهم وبإمكانياتهم المحدودة هاته أن يرمموها ويحافظوا عليها، فإهمال الدولة بغض النظر إن كان متعمدا أو لا، ولدّ لدى السكان لا مبالاة بهذه المساحات المشتركة فأصبح كل واحد من سكان الدويرة يلقي اللوم على الآخر، وبالتالي فالكل يبقى في انتظار إعانة الدولة للتكفل بهاته المساحات التي تتطلب ماديات ضخمة بالنسبة لهم، بالنظر لما تحتويه من مكونات وخامات ثمينة كالرخام والزليج والخشب وغيرها ... وهذا ما جعل الأمر مستحيلا بالنظر لإمكانياتهم ،كما أن هذا الإهمال ولّد نوعا من السلبية اتجاه مساكنهم وخصوصا هاته المساحات التي أصبحت تعتبر خارجة عن مسؤوليتهم بحكم الاستعمال الجماعي والمشترك وكذا بتوصيات من السلطات المعنية بها على أنها تراث لا يجوز لهم المساس بها في مقابل انهيارها كليا عليهم فقد تركوه لها بكل كوارثها.

أما بشان الذين وجدناهم لا يزالون يحافظون على مساحاتهم المشتركة في الدويرة بحالة جيدة كانوا من ضمن المستفيدين من عمليات الترميم، وعليه فحالة هاته المساحات هي تحصيل حاصل بالنسبة إليهم، فاهتمام الدولة بها و بدويراتها، و خاصة هاته المساحات المشتركة كالسقيفة ووسط الدار والسطح ،عزز من إحساسهم بمسؤوليتهم اتجاهها كتراث يجب المحافظة عليه وولد لديهم إيجابية اتجاهه تجلت من خلال تعاملهم الراقي والحضري معا بحيث بقيت دائما محافظة على وجهها السليم والجميل، كما أن هذا التكفل والاهتمام جعل من هاته الأخيرة تتخلى على نظرتها إليه على أنها مجالات جماعية عادية تخص ساكنيها الحاليين، بل على أنه تراث أجيال وجب الحفاظ عليه.

وعليه ومن خلال كل ما سبق، نستخلص أن عمليات الترميم هاته المسطرة من خلال الدولة لها تأثير مادي ومعنوي على مساحات الدويرات وكذا على ثقافة الاستعمال للسكان وتصوراتهم، إذ تؤثر عليهما بشكل طردي، فالاستفادة منها خلقت وعيا لدى السكان بأهمية

مساحاتهم المشتركة كمجال اجتماعي حضري مشترك وليس مجال جماعي عادي، بينما عدم الاستفادة منها سببت كارثة على دويرات القصبة ككل وعلى سكانها من خلال لا مبالاتهم وعدم تحملهم لأدنى مسؤولية اتجاهها جعلها في تدهور مستمر.

جدول رقم 32: توزيع المبحوثين حسب استفادتهم من عمليات الترميم واستعمالات وسط الدار .

الاستفادة من عمليات الترميم	استعمالات وسط الدار						
	للاحتفال	للأعمال المنزلية	مجال نسوي لتبادل الأحاديث	مجال مشغول بملاحق أخرى	مجال لا يستعمل	مجال يستعمل للسكن	المجموع
نعم	13 %23.8	13 23.8 %	14 % 24.6	10 %17.5	6 %10.5	1 %1.8	57 100
لا	60 % 22	86 31.5 %	57 % 20.9	38 %13.9	31 %11.4	1 %0.42	273 %100
المجموع	**73** **22.12** **%**	**99** **%30**	**71** **%21.51**	**48** **14.54** **%**	**37** **11.21** **%**	**2** **10.60** **%**	**330** **100** **%**

*المجموع 330 :سؤال متعدد الإجابات.

لقد قمنا بتصميم هذا الجدول من أجل تبيان العلاقة بين أثر عمليات الترميم على استعمالات السكان لوسط الدار، أين لاحظنا أن نسبة 30 % من العينة يستعملون وسط الدار للأعمال المنزلية فقط، تليها نسبة 22.4 % منهم يستعملونه للاحتفال بمناسباتهم، ثم 21.51 %

للذين يستعملونه كمجال نسوي للالتقاء والحديث، ونسبة 14.54 % للذين يشغلونه بملاحق أخرى ثم نسبة 11.21 % للذين لا يستعملونه و أخيرا 10.60% للذين يستغلونه للسكن.

بأغلبية 31.5 % للذين لم يستفيدوا من عمليات الترميم ويستغلونه للأعمال المنزلية فقط و نسبة 23.8% للذين استفادوا من عمليات الترميم ويستغلونه للقيام بالأعمال المنزلية فقط.

لقد قمنا في هذا الجدول بربط العلاقة بين الاستفادة من عمليات الترميم وكيفية استهلالك مجال وسط الدار من أجل إبراز الأثر المعنوي لهاته العمليات على ثقافة استهلالك المساحات الاجتماعية المشتركة والتي من بينها وسط الدار الذي يعتبر بمثابة قاعة للاجتماعات والحفلات ومجالا حيويا لتبادل الخبرات والصنائع وكذا لتسهيل كافة الأعمال المنزلية، بحيث وجدنا أن هناك علاقة متداخلة بين نوع وكيفية الاستعمال و الاستفادة من عمليات الترميم، بحيث أن أغلب الذين يستعملون وسط الدار كمجال للقيام بمختلف الأعمال والنشاطات المنزلية لا غير كانوا من الذين لم يستفيدوا من عمليات الترميم ،ما جعل هذا المجال يفقد رمزيته وخصوصيته في الاستعمال، إذ أنه من المفروض أن يكون مجالا اجتماعيا بالدرجة الأولى لا نفعيا محض، كما هو عليه حاليا، بحيث برر لنا السكان ذلك بكون هاته المساحات تشهد هذا التدهور وسط عدم مبالاة من طرف المصالح الوصية والتي جعلتهم لا يستطيعون استعمالها لا في الاحتفال بمناسباتهم ولا كمجال نسوي للالتقاء كما كان عليه في الماضي، فبتالي أصبح ينظر إليه على أنه مساحة لا بأس تسهل عليهم عملية تنظيف البيوت والغرف بنقل الأثاث إليها أو للقيام بعدة أشغال منزلية أخرى.

هذا ما جعلنا نجد أن الذين استفادوا من عمليات الترميم فقط هم من يستهلكوا مجال وسط الدار بشكل أكثر اجتماعية، لتبادل الحديث والاحتفال زيادة على القيام ببعض الأعمال المنزلية به، ففي ظل بقاء هذا الحيز بحالة سليمة وجيدة عن طريق استفادته من عملية الترميم، فهو صالح بنظرهم لاستقبال ضيوفهم لما يوفره من مساحة أوسع وكذا لرمزيته الاجتماعية وجمال معماره، ضف إلى ذلك فان اهتمام المصالح المعنية به أسهم في استرداد وسط الدار لوظيفته الثقافية والاجتماعية وعزز ثقافة الاستعمال الحضري له الذي اعتمده أسلافهم بالمكان، ضف إلى ذلك فان عدم استفادة باقي السكان من عمليات الترميم خلق فراغا رقابيا استغله السكان بشغل مجال وسط الدار بملاحق متعددة ، بإضافة مطبخ أو

غرفة أو حمام وما شابه ذلك للتقليل من حدة اكتظاظ غرفهم، ما أسهم في زيادة تدهور النسيج العمراني.

جدول 33: توزيع المبحوثين حسب الاستفادة من عمليات الترميم وكيفية استعمال مجال السطح

الاستفادة من عمليات الترميم	استعمالات السطح					
	لتجفيف الغسيل	مجال نسوي للالتقاء	مجال غير مستهلك	مجال مشغول بملاحق أخرى	غرف للسكن	المجموع
نعم	36 62,1%	16 27,6%	3 5,2%	1 1,7%	2 3,4%	58 % 100
لا	148 61,2%	49 20,2%	4 1,7%	33 13,6%	8 3,3%	242 % 100
المجموع	**184** **%61.33**	**65** **%21.66**	**7** **%2.33**	**34** **% 11.3**	**10** **% 3.33**	**300** **%100**

*المجموع 300 :سؤال متعدد الإجابات.

لقد قمنا بصياغة هذا الدول من أجل إبراز دور عمليات الترميم على كيفية استعمال السكان لمجال السطح، بحيث كان الاتجاه العام يميل إلى أن نسبة 61.33 % من المبحوثين يستعملون أسطح دويراتهم لتجفيف الملابس لا غير، و 21.66% يستعملونه كمجال نسوي للالتقاء ونسبة 11.3 % منهم يستهلكونه كمجال مشغول بملاحق أخرى ونسبة3.33% للذين يشغلونه بغرف للسكن ، وأخيرا نسبة 2.33 %من لا يقومون باستعماله .

أما بالنسبة للفئة الغالبة فقد وجدناها من تلك التي استفادت من عمليات الترميم، فقد وجدنا أن نسبة 62.1 % منها تستهلك مساحات أسطحها لتجفيف الغسيل و 61.2% من الذين لم يستفيدوا من عمليات الترميم تستهلك مساحته كذلك لتجفيف الغسيل.

وعليه نستخلص من خلال قراءتنا الإحصائية لنتائج هذا الجدول أن أغلب الفئة المبحوثة تستهلك مساحة أسطحها بشكل منفعي مادي بالدرجة الأولى، من خلال تخصيصه لتجفيف الغسيل لا غير، ثم بعدها كمجال نسوي للالتقاء لتبادل الحديث بالدرجة الثانية، سواءا استفادوا من عمليات الترميم أم لم يستفيدوا، وهذا إن دل فإنما يدل على أن لا يزال هذا المجال يمتلك لبعض من الخصوصية والرمزية باعتباره مجال نسوي سواء أاستعمل لتجفيف الملابس أو لتبادل أطراف الحديث بين النسوة ، وهذا لكونه المتنفس الوحيد في الدويرة ،الذي تستطيع من خلاله النسوة الاطلاع على ما يوجد خارج الدويرة وكذا التمتع بمنظر خليج الجزائر، وباعتبار وظيفته النسوية هاته، جعله مجالهن الحميمي الذي يحظر على الرجال الصعود إليه إلا لمهمة من المهمات، ما وفر لهن جوا مريحا لتبادل الخبرات والحديث بكل ارتياح. وعليه لم تظهر لنا علاقة قوية بين استفادة السكان من عمليات الترميم على كيفية استعمالها لمساحات أسطحها ،لكن وجب التطرق إلى أن الذين يستعملون أسطحهم بشكل عشوائي ونفعي، بإضافة غرف وملاحق وغيرها كانوا بكثرة من الفئة غير المستفيدة من عمليات الترميم مما يؤكد نتائج الجدول السابق المتعلقة بكيفية استعمال وسط الدار بأن عدم الاستفادة من هاته العمليات كرس شعور اللامبالاة وشجع مثل هاته الخروقات التي أنهكت نسيج الدويرات .

جدول رقم 34 : جدول يبين توزيع المبحوثين حسب استفادتهم من عمليات الترميم ومدى رضاهم عنها لدى السكان.

الاستفادة من عمليات الترميم	مدى الرضى عن عمليات الترميم			المجموع
	نعم	لا	غير معني	
نعم	17 % 41.5	23 %56.1	1 %2.4	41 % 100
لا	– –	- -	164 100	164 % 100
المجموع	**17** **%8.3**	**23** **%11.2**	**165** **%80.5**	**205** **% 100**

لقد قمنا بصياغة هذا الجدول من أجل قياس درجة رضى السكان عن عمليات الترميم المستفاد منها وجس نبض فعاليتها، بحيث وجدنا أن نسبة 80.5 % من المبحوثين لم يدلوا بأي إجابة لعدم استفادتهم من عمليات الترميم ، مقابل 11.2 % للذين استفادوا ولم يكونوا راضيين عنها و 8.3 % للذين أعربوا عن رضاهم عنها.

وهذا بأغلبية 56.1 % للذين استفادوا من عمليات الترميم وعبروا عن عدم رضاهم عنها.

وعليه نستنتج من خلال هذا الجدول أن غالبية سكان القصبة لم يستفيدوا من عمليات الترميم المخصصة لحمايتهم وتراثهم، والفئة التي استفادت من هاته الأخيرة كانت غير راضية عنها بنسبة ، وهذا لعدة أسباب من أهمها عدم كفاءة اليد العاملة المسخرة لذلك ، من خلال تعبير هؤلاء على أن هاته الأخيرة أرسلت فقط لإزالة خطر وقوع المنازل عليهم وهي بعيدة كل البعد عن عمليات الترميم الحقيقية لأنهم في كثير من الأحيان استعملوا موادا غير ملائمة للترميم كالطلاء بدلا من الجير والزليج المغشوش الذي استعمل في تبليط مساحات وسط الدار، ما أذهب عنها رونقها وأصالتها المعمارية، ضف إلى ذلك طول مدة التدخلات وهذا لكثرة الانقطاعات بها، مما تسبب في تلف مواد البناء لإهمالها فترات طويلة، و زاد من تدهور

الدويرة بتركها بتلك الدعائم الخشبية التي قد تسبب خطرا محدقا عليهم وسبب استياءا لدى أغلبهم لعدم راحتهم داخل منازلهم ،مما جعل البعض منهم يرفضها جملة وتفصيلا .

وعليه من خلال كل ما سبق ذكره ، فإن سبب تدهور مباني الدويرة يرجع كذلك لإسناد مهمة الترميم لعمال غير متخصصين في الميدان مما شوه معمارها الأصلي، وحط من مكانته كتراث، وأفقدت ثقة المستفيدين وغيرهم بجدية المصالح المخولة بالتراث في إنقاذ قصبتهم، والتي ألقت بظلالها وغرست تصورات وأحكام خاطئة لدى السكان عن مضمون عمليات الترميم وكذا الموكلين بالقيام والتكفل بها.

جدول رقم 35: توزيع المبحوثين حسب استفادتهم من عمليات الترميم وعلاقتها بإجراء تعديلات من طرف السكان على منازلهم.

الاستفادة من عمليات الترميم	إجراء تعديلات على المنزل		
	نعم	لا	المجموع
نعم	13 % 31.7	28 %68.3	41 % 100
لا	80 %48.8	84 %51.2	164 % 100
المجموع	**93** **%45.4**	**112** **%54.6**	**205** **% 100**

لقد قمنا بصياغة هذا الجدول من أجل تبيان العلاقة بين الاستفادة من عمليات الترميم وتأثيرها في إجراء تعديلات من طرف السكان على المنزل، بحيث لاحظنا أن الاتجاه العام يقول بأن نسبة 54.6% من العينة لم تقم بإجراء تعديلات على المنزل مقابل 45.4% للذين قاموا بإجراء تعديلات.

بأغلبية 68.3 % للذين لم يجروا أي تعديلات وقد استفادوا من عملية الترميم ،ونسبة 51.2 % للذين لم يجروا تعديلات على المنزل ولم يستفيدوا من عمليات الترميم.

وعليه نستنتج من خلال قراءتنا الإحصائية لنتائج الجدول، أن أغلب سكان القصبة لم يجرو تعديلات على منازلهم ، وهذا شيء إيجابي باعتبار أن المجال عبارة عن تراث تاريخي وحضري يحضر المساس بهندسته الأصلية ، لكن الشيء الخفي التي لم تظهره نتائج هذا الجدول هو أن وراء عزوف هاته الفئة عن التعديل سبب آخر غير ذاك الذي يتعلق بالتراث، بل هو متعلق أساسا بامتلاكهم لغرفة يصعب التعديل بها ، وكذلك لقلة إمكانياتهم المادية التي حالت دون ذلك، أما بخصوص تأثير الاستفادة من عمليات من عدمها على سيرورة هاته التعديلات أو التدخلات العشوائية ، فقد وجدنا أن لها تأثيرا مباشرا بحيث أن أغلب الذين لم يقوموا باستحداث تعديلات كانوا من المستفيدين من عمليات الترميم ، وعليه فإن اهتمام الدولة بهاته المنازل من خلال ترميمها جعل من أصحابها يقلعون عن فكرة إجراء تعديلات إما خوفا من السلطات المعنية التي تكفلت بدويراتهم ولم تترك لهم حجة للمساس به، أو لأنها نمت بداخلهم الشعور بالمسؤولية اتجاه دويراتهم بكونها تراث لا يمكن العبث به، وفي كلتا الحالتين كان لأثر عمليات الترميم بصمة إيجابية على سكان المنازل بعدم إجرائهم لأي تعديلات مقابل ذلك ، فقد لاحظنا انه بالنسبة للفئة التي أجرت تعديلات على بيوتها فكانت أغلبيتها من الذين لم يستفيدوا من عمليات الترميم، وعليه فإن إهمال الدولة لهم ولبيوتهم جعلهم يتصرفون حيال منازلهم بانتقامية كبيرة، بحيث أخذوا من عدم استفادتهم لحقهم في الترميم ذريعة ليتصرفوا بمنازلهم كيفا يشاءون وذلك بإجراء تعديلات عشوائية تخدم احتياجاتهم وتضر بهندسة بيوتهم، فأضافوا دورات للمياه ومطابخ وأوجدوا تقسيمات داخل الغرفة الواحدة لكسب بعض الخصوصية لأفراد الأسرة الواحدة .

وعليه يتضح لنا جليا بأن عجز المصالح المختصة والمعنية بترميم القصبة بتغطية كل المنازل التي هي بحاجة إلى الترميم، جعل السكان يتخذونه كشماعة يعلقون عليها كل هاته الانهيارات التي تلحق بدويراتهم والتي هي قد تكون جراء التعديلات العشوائية التي يقومون بها ، وعليه وجب على المصالح أن تأخذ بعين الاعتبار هذا الأثر السلبي الذي تولده عدم المساواة في منح حق الاستفادة من عمليات الترميم بين السكان المتضررين والوقوف على سيرها بأكمل وجه من أجل التصدي لمثل هاته الخروقات من طرف السكان على دويراتهم.

جدول رقم 36: توزيع المبحوثين حسب استفادتهم من عمليات الترميم وعلاقتها بالمعدل الزمني لتبييض منازلهم.

الاستفادة من عمليات الترميم	المعدل الزمني لتبييض المنازل			المجموع
	مرة في السنة	في المناسبات	لا أبيض	
نعم	22 % 53.7	17 %41.5	2 %4.9	41 % 100
لا	70 %42.7	74 %45.1	20 %12.2	164 % 100
المجموع	**92** **%44.9**	**91** **%44.4**	**22** **%10.7**	**205** **% 100**

لقد قمنا بتصميم هذا الجدول من أجل تبيان تأثير استفادة السكان من عمليات الترميم عل المعدل الزمني الذي يحددونه لتبييض منازلهم، وكما هو مبين فإن الاتجاه العام له يشير إلى نسبة 44.9% تقوم بتبييض منازلها مرة في السنة، ثم 44.4% للتي تتركها للمناسبات وأخيرا 10.7% للذين لا يبيضون منازلهم.

وذلك بنسبة 53.7% للذين استفادوا من عمليات الترميم و يبيضوا مرة في السنة ،ونسبة 42.7% للذين لم يستفيدوا من عمليات الترميم ويقوموا بعملية تبييض منازلهم مرة في السنة.

وعليه يتضح لنا جليا من خلال نتائج هذا الجدول التالي: أن لتأثير عمليات الترميم هذه أثر مباشر ومزدوج في حفاظ سكان القصبة على هاته الممارسة المادية والمعنوية في حفاظهم على دويراتهم ، بحيث أن الفئة التي لاحظناها لازالت محافظة على هاته الممارسة الحضرية التي تميز بها سكان القصبة، كانوا من الذين استفادوا من عمليات الترميم، وهذا لكون أن الدولة عندما تجعل من ضمن أولوياتها إنقاذ سكان القصبة و دويراتهم ،فهي تقوي بذلك لديهم حب الانتماء لمدينتهم وتضاعف توعيتهم بأهمية منازلهم كتراث يجب الحفاظ عليه، ضف إلى ذلك فإن التكفل بأشغال ترميم منازلهم هو الهم الأكبر لهم لما يكلفهم من مصاريف تفوق إمكانياتهم بكثير ،وعليه فبتكفل السلطات بهذه الأخيرة، تبقى مهمة تبييض غرفهم ومنازلهم بشكل عام مهمة سهلة وغير مكلفة ،كما أنه بعد أن يروا الفرق بين ما كانت

عليه دويراتهم قبل الترميم وبعده ،يزيد من تشجيعهم على مزيد من الاجتهاد في الحفاظ عليها ويحيي لديهم العودة إلى عادات وممارسات الأجداد في تعاملهم مع دويراتهم وعلى إبقاء وجهها الجميل، وذلك بالحرص دائما على تبييضها مرة في السنة كما كان متعارف عليه قديما .

أما بالنسبة للفئة التي تبيض في المناسبات فقد وجدنا أن نسبة كبيرة منها لم تستفد من هاته العمليات، وعليه فهي تنظر إلى نفسها على أنها طبقة مهمشة في دويرات هشة والتي لم تعاملها السلطات بمكيال واحد مع سابقاتها من الدويرات الواقعة بالقصبة العليا وعليه، فهي لا تهتم بها وإنما تجد نفسها مجبرة على التبييض عند حلول أي مناسبة شخصية تلزمها ترقيع الوجه الخارجي ببعض الجير أو حتى الطلاء الذي لا يتلائم مع طبيعة جدرانها، وهذا من أجل حجب الرطوبة والسواد على أعين الزوار، والشيء نفسه بالنسبة للفئة التي لا تبييض فعدم استفادتها من هاته العملية جعلها تتخلى تماما عن فكرة التبييض كنوع من الرد على هذا الإهمال من طرف السلطات لهم ولمنازلهم، فجعلت من منازلها مراقد تستعملها بشكل نفعي عشوائي لحين حصولها على سكن آخر لائق، أو تتكفل الدولة به باعتبارها الوصية على هذا التراث الذي لم يجدو ويتركوا أي أثر له.

وعليه يتضح لنا جليا أن لمثل هاته العمليات أثر بليغ في حفاظ السكان على بعض من ممارساتهم الحضرية اتجاه مجالهم و دويراتهم، فعندما تتكفل الدولة بهاته المصاريف الضخمة في ترميم البيوت تفتح للسكان مجال الاهتمام بداخل الدويرة والمنزل من خلال تبييضه، والعكس يحدث إذا ما همش، إذ يخلق لديهم سلبية لا مبالاة لا بالدويرات تجعلها في حالة كارثية، وتنسي سكانه تماما في رمزيته الحضرية وممارساته، مما يؤثر ذلك سلبا على تراثه المادي والمعنوي.

جدول رقم 37: توزيع العينة المبحوثة حسب استفادتها من عمليات الترميم وعلاقتها باختيار مرمم المنزل.

الاستفادة من عمليات الترميم	من رمم المنزل				المجموع
	إحضار يد عاملة متخصصة	قام بالترميم بنفسه	إحضار يد عاملة غير مؤهلة	غير معني (لم يرمم منزله)	
نعم	12 %29.3	9 % 22	7 %17.1	13 %31.7	41 % 100
لا	15 %9.1	48 %29.3	25 %15.2	76 %46.3	164 % 100
المجموع	**27** **%13.2**	**57** **%27.8**	**32** **%15.6**	**89** **%43.4**	**205** **% 100**

لقد قمنا بصياغة هذا الجدول لتبيان العلاقة بين الاستفادة من عمليات ترميم السلطات وأثرها على الطريقة المعتمدة من طرف السكان في ترميم منازلهم، بحيث وجدنا أن الاتجاه العام للجدول يوحي إلى أن نسبة 43.4% من سكان القصبة لم يقوموا بترميم منازلهم، تليها نسبة 27.8% من الذين يقومون بالترميم بأنفسهم، ثم 15.6% للذين يقومون بإحضار يد عاملة غير مؤهلة، و أخيرا 13.2% ممن يجلبون يد عاملة متخصصة.

أما بالنسبة للفئة التي لم تقم بالترميم ولم تستفد منه فقد وجدناها بنسبة 46.3% و 31.7 % من التي استفادت من عمليات الترميم ولم تقم بإجراء أي ترميم من جانبها.

وعليه يتضح لنا جليا من خلال قراءتنا الإحصائية لنتائج الجدول التالي أن أغلب الذين لم يقوموا بترميم دويراتهم، وهذا ليس بالشيء الجديد والغريب في وضعية القصبة وسكانها، بحيث أن إشكالية اعتماد السكان على السلطات بإصلاح وترميم كل الأعطاب خصوصا تلك المتعلقة بالمساحات المشتركة بينهم في الدويرة الواحدة، أو غيرها من المجالات العمومية المشتركة، جعل من المدينة تعاني الأمرين، خصوصا في حالة القصبة المصنفة

تراثا وطنيا وعالميا، وما تبعه من ترسانة من القوانين التي تحميه لكن بدون إشراك فعلي لسكانها العارفين بخباياها خصوصا القدامى منهم مما جعلهم يتذمرون من سياسة الإقصاء التي تحضر عليهم اتخاذ بعض القرارات التي تخصهم وأحيائهم، والذي انعكس سلبا على القصبة و دويراتها وسكانها، فعلى حد تعبيرهم لن تستطيع أن تتكفل بترميمه كلية إلا بمساهمة السكان فيه، وعلى كل حال ما يهمنا نحن في هذا الطرح هم أولئك الذين ضربوا بقرارات السلطات الوصية عرض الحائط، وتكفلوا هم بترميم منازلهم بدون احترام أدنى شروط الهندسة المعمارية لها، إذ وجدنا نسبة كبيرة من السكان قامت بإحضار بعض المواد وتكفلت بترقيع منازلها وهي تؤمن أن ما تقوم به هو الترميم بعينه، وهذا ما جعلنا نتساءل عن مفهوم الترميم لدى سكان القصبة هل هو مجرد إصلاح للأعطاب بأبخس التكاليف الذي لا يكون إلا عبر تكليف يد عاملة غير مؤهلة ومتخصصة بالمجال، والذي زاد في تدهور حالة نسيج القصبة بحيث أصبح يعامل على أنه عشوائيات أو ورشة يستطيع من خلالها الشباب الهاوي من سكانها أو غيرهم أن يتعلموا مهنة أو ما يسمى "بالبريكولاج" أفضل من انتظار الاستفادة من الترميم والتي قد تقع البيوت على رؤوسهم لحين وصول دورهم.

أما بشأن تلك الفئة التي أقرت باستفادتها من عمليات الترميم، ولازالت تستعين بيد عاملة غير مؤهلة في ترميم بيوتها، فقد وجدناها بررت لنا ذلك بكون لا فرق بين ترميم السلطات وترميم هؤلاء غير المؤهلين أو "لي بريكولور"، فكل يعبر عن الرداءة وتغطية الأعطاب ، لكن الدافع الذي جعلهم يستعينون بهاته اليد العاملة غير المؤهلة أنها سريعة في عملها أفضل من تلك التي تستعين بها السلطات والتي تبقى لمدد زمنية طويلة تتخللها انقطاعات لا حصر لها لتسبب في إزعاج سكان الدويرة بتلك المواد والدعائم التي أصبحت تشكل خطرا على أولادهم، بحيث صرح لنا جزء كبير منهم عدم تصريحهم ببعض الانهيارات للسلطات ويتكفلون بإصلاحها ربحا للوقت وتفاديا لأولئك المتماطلين في القيام بمهمتهم التي ينقصها الجدية والكفاءة على حد تعبيرهم.

وبالنسبة للفئة التي تستعين بيد عاملة متخصصة فقد وجدناها قلة، و لا نقصد بها تلك المتخصصة أو المتمرسة حقيقة في مجال الترميم لأنها تحسب على الأيدي وتكاد تكون مفقودة، لكن نقصد في هذا المقام تلك اليد التي لها الخبرة والمهارة في ترميم البيوت التقليدية

بالقصبة، بحيث أبدت لنا هاته الفئة رضاها النسبي عن أعمال ترميم السلطات ،وما جلبها لهاته اليد العاملة مرة أخرى إلا من أجل إتمام بعض الروتوشات على منازلهم التي لا يمكنهم إعادة انتظار السلطات مرة أخرى حتى تحضرها لهم لطول مدة الإجراءات والسيرورة البطيئة للعملية التي كان يمثل مشكلا كبيرا بالنسبة إلي كل المستفيدين سواءا الذين أبدوا رضاهم عنها أم غيرهم من الساخطين عنها .

وعليه نستخلص من خلال كل ما سبق ذكره أن مفهوم الترميم بالقصبة يعاني كما تعاني دويراتها للاستفادة من عمليات الترميم، بحيث أن هاته السمعة السيئة لعمليات الترميم في إجراءاتها وتنفيذها أثرت سلبا على تعامل السكان مع تراثهم، فأصبحوا يتبنوه على أنه شكل من أشكال "الكاموفلاج و البريكولاج" على حد تعبيرهم، والتي تسمح لهم بالبقاء في بيوتهم على قيد الحياة، وتساهم في إطالة عمر دويراتهم لحين ترحيلهم، لكن ما يخص تراثها ومعمارها الخاص لا وجود له في اعتباراتهم، وهذا ما يجعل من واجب السلطات الاعتماد على يد كفئة في هذا الخصوص وتحتم عليها كذلك ضرورة المتابعة والالتزام بمدة انتهاء الأشغال، لكي لا تكون الشماعة لهذه الفئة أو السبب في فقد القصبة لبقية تراثها وسط هاته التدخلات العشوائية.

جدول رقم 38: يمثل توزيع المبحوثين حسب استفادتهم من عمليات الترميم وتأثيرها على كيفية استعمالهم لمساحة بيوتهم.

الاستفادة من عمليات الترميم	كيفية استعمال مساحة المنزل		
	حسب الاحتياجات الخاصة للسكان	حسب الهندسة الأصلية له	المجموع
نعم	17 % 41.5	24 %58.5	41 % 100
لا	119 %72.6	45 %27.4	164 % 100
المجموع	**136** **%66.3**	**69** **%33.7**	**205** **% 100**

لقد قمنا بتصميم الجدول التالي لتبيان العلاقة بين الاستفادة من عمليات الترميم على كيفية استعمال مساحة المنزل، إذ لاحظنا أن أغلب العينة تستهلك مساحات بيوتها حسب احتياجاتها الخاصة وهذا بنسبة 66.3 % مقابل 33.7 % للذين يستهلكونها حسب نمط هندستها الأصلية.

وهذا أغلبية 72.6 % للفئة التي تستهلك مساحات بيوتها حسب احتياجاتها الخاصة ولم تستفد من عمليات الترميم ثم نسبة 41.5 % للتي استفادت من عمليات الترميم وتستهلك مساحة منزلها حسب احتياجاتها الخاصة كذلك.

وعليه، يتضح لنا جليا أن هناك علاقة قوية بين كيفية استعمال المنزل واستفادة السكان من عمليات الترميم من عدمها، بحيث وجدنا أن غالبية سكان القصبة التي تستهلك مساحات بيوتها حسب احتياجاتها الخاصة كانت تلك التي لم تستفد قط من عمليات الترميم هذه مما جعل سكانها يبرروا عدم احترامهم لثقافة استعمال دويراتها لعدم اكتراث الدولة بها وبتراثها ،

وانتهاجها لسياسة التمييز المجالي في حق الاستفادة من عمليات الترميم بحيث أقروا أنهم ، إن كانت السلطات بكل إمكانياتها قد أهملتهم وأحيائهم ودويراتهم ، فهم كذلك لن يكترثوا لها، ضف إلى ذلك فقد صرحوا لنا أنهم وإن كانوا يستهلكوا بيوتهم حسب احتياجاتهم الخاصة والتي قد تتنافى وهندستها إما بالسكن بوسط الدار أو السطح أو إضافة ملاحق وتقسيم غرف من أجل الاستفادة من كل مساحة قد تكون شاغرة وهذا للاكتظاظ الشديد بالغرف ،لكن أوضحوا لنا أن هناك من يقوم بتهديم البعض المتبقي من أركان الدويرة لكي يلفت أنظار السلطات المعنية ولتسريع الحصول على سكن اجتماعي خصوصا لدى الدويرات الواقعة نسبيا بوسط القصبة التي تشهد حالة مزرية. وعليه فقد كانت مطالبهم تتمحور حول الاستفادة من الترميم والتي من شأنها أن ترجع لدويراتهم الحياة وتمكنهم من الاستمتاع بمساحاتهم المشتركة كوسط الدار والسطح وتمكنهم على الأقل من استعمالها بشكل حضري أو تتحمل عواقب تهميشها وإقصائها من الاستفادة من هاته العمليات، والتي ستعود حتما على الدويرة بالدمار والخراب .

أما بالنسبة للفئة التي وجدناها تستعمل مساحة بيوتها بحسب نمط هندستها الأصلي فقد كان أغلبيتها من المستفيدة من عمليات الترميم هذه التي ساعدتها على حد وصفها في الحفاظ على وجه الدويرة الأصلي ومنه لإعادة إنتاجهم لتلك الثقافة الحضرية في استعمال كل ركن من أركانها، و هذا مايثبت لنا أهمية هاته العمليات ليس فقط من جانبها المادي بالحفاظ على دويرات القصبة ،لكن بجانبها المعنوي إذ أنها تسمح للسكان باستعمال دويراتهم حسب هندسته الأصلية، وتعيد لهم رمزية كل ركن من أركانه.

جدول رقم 39: يمثل توزيع المبحوثين حسب درجة رضاهم عن عمليات الترميم وعلاقتها بمساهمة السكان في حل مشاكل أحيائهم.

الرضى عن عمليات الترميم	المساهمة في حل مشاكل الحي		
	نعم	لا	المجموع
نعم	13 %76.5	4 %23.5	17 % 100
لا	17 %73.9	6 %26.1	23 % 100
غير معني	126 % 76.4	39 % 23.6	165 100
المجموع	156 % 76.1	49 % 23.9	205 % 100

لقد قمنا بصياغة هذا الجدول لتبيان العلاقة بين درجة رضى السكان على عمليات ترميم السلطات، وتأثيرها في مدى مساهمتهم في حل مشاكل حييهم، بحيث سجلنا نسبة 76.1% من العينة تساهم في حل مشاكل حيها مقابل 23.9% لا تساهم في ذلك.

أما بالنسبة لدرجة رضى السكان عن عمليات الترميم هذه فقد لاحظنا أن نسبة 76.5% من الذين صرحوا بمساهمتهم في حل مشاكل أحيائهم كانوا من الذين أعربوا عن رضاهم بشكل عام عن هاته العمليات، و 76.4% كانوا ضمن الفئة غير المعنية لعدم استفادتها من عملية الترميم و أخيرا نسبة 73.9 % من الفئة التي صرحت عن عدم رضاها عن هاته العمليات، وكانت من المساهمة في حل مشاكل أحيائها .

وعليه نستخلص من خلال نتائج الجدول أن درجة رضى السكان عن عمليات الترميم هاته مهمة، ولها تأثير مباشر على مدى مساهمة السكان في حل مشاكل حيهم، حتى وإن كان التفاوت بين الفئة الراضية وغير الراضية عنها ضئيل، إلا أنه لا يمنع أن نؤوله إلى كون اهتمام السلطات بالترميم في تدخلاتها واحترامها لآجال انتهاء الأشغال ومراعاتها لظروف السكان القاطنين تحت سقفه ،ساهم في كسب احترام سكان القصبة ورضاهم عن هاته العملية، وكذا عن ثقتهم بها كآلية فاعلة لحمايتهم وتراثهم من الزوال، لذا وجدنا لذلك أثرا كبيرا لديهم، إذ صرحت لنا هاته الفئة عن أن مثل هاته العمليات الناجعة تغذي لديهم حب الانتماء للحي وضرورة المشاركة في حل مشاكله من تنظيف وإصلاح وتوعية وإرشاد لشبابه، وللمحافظة كذلك عليه وعلى رمزيته، أما بشأن الفئة التي عبرت لنا عن عدم رضاها عن هاته العمليات والتي شبهتها بعمليات تجميل سطحية أشبه بمكياج المرأة، والتي تستعين به لإخفاء العيوب ولا يمت للترميم بصلة، ناهيك عن طول مدته التي وصلت بأحد الدويرات إلى سنوات عدة ، بدون الأخذ بعين الاعتبار لراحة السكان وخصوصيتهم ،ضف إلى تلك الانهيارات المتتالية أثناء عمليات الترميم والتي دفعت بعض السكان إلى طرد عمال الترميم، وعليه فقد ظهر هذا السخط من خلال تعاملهم مع أحيائهم بشكل جامد مجرد من روح الانتماء والاعتزاز بالحي ومن أي تحمل للمسؤولية اتجاهه، فالكل أصبح يلقي باللوم على الآخر، فكيف لها بإمكانياتها المحدودة والتي لم تمكنهم حتى التكفل بمشاكل دويراتهم أن يتكفلوا بمشاكل أحياء، وعليه نستخلص من كل هذا أن درجة رضى السكان عن عمليات الترميم المسطرة من قبل السلطات لها أثر كبير وواضح على إنماء روح الانتماء والمواطنة من خلال مشاركة السكان في حل مشاكل حييهم، إذ وبرجوع وجهه المشرق تزول عنه تلك النظرة الدونية من طرف الآخر ويخلفه اعتزاز وافتخار به، وبالتالي تضاعف روح المسؤولية اتجاهه من أجل إبقائه على ماهو عليه .

جدول رقم 40: توزيع المبحوثين حسب استفادتهم من عمليات الترميم ومدى علاقتها برغبتهم بالبقاء أو الرحيل من القصبة.

الاستفادة من عمليات الترميم	الرغبة بالرحيل		
	نعم	لا	المجموع
نعم	27 % 65.9	14 %34.1	41 % 100
لا	127 %77.4	37 %22.6	164 % 100
المجموع	**154** **%75.1**	**51** **%24.9**	**205** **% 100**

لقد قمنا بتصميم هذا الجدول من أجل تبيان العلاقة بين الاستفادة من عمليات الترميم ورغبة السكان عن الرحيل والبقاء بالقصبة، إذ لاحظنا وبشكل عام أن نسبة 75.1% من سكان القصبة يرغبون بمغادرتها مقابل 24.9% للذين يفضلون البقاء بها.

أما بالنسبة للذين عبروا عن رغبتهم في الرحيل ،ولم يستفيدوا من عمليات الترحيل هاته فقد قدرت نسبتهم ب 77.4% مقابل 65.9 % للفئة التي استفادت من عمليات الترميم وعبرت عن رغبتها في الرحيل.

وعليه نستنتج من خلال قرائتنا الإحصائية هاته أن أغلب سكان القصبة يرغبون بالرحيل عنها وهذا شيء معروف لدى الكل، في ظل هذا التدهور والانحطاط المادي والمعنوي، فكيف لهم أن يرغبوا بالبقاء في بيوت وأحياء لم يعد بإمكانها استيعابهم، ولم تعد تمثل فخرا لهم كما كانت عليه سابقا، لكن لهذا المطلب دوافع كثيرة من بينها عدم استفادة أغلب أصحاب الدويرات الهشة ممن عمليات الترميم مما يجعلهم يعيشون تحت خطر محدق للموت ردما، باعتبار أن المصالح المعنية تأتي إليهم بعد كل كارثة لتطمئنهم بأحقية

استفادتهم في القريب العاجل من هاته العمليات، لكن بعدها تتناساهم، وهذا ما حول مطالبهم في الترميم إلى مطالب للترحيل لانعدام الثقة بالسلطات بالتكفل الجدي بدويراتهم، وبالتالي فقدان الأمل لهم بالحياة الكريمة في هذا الحي ،أما بالنسبة للفئة التي عبرت عن رغبتها في البقاء داخل حييها ،فكانت تلك التي تعيش ببيوت سليمة وقد استفادت من هاته العمليات التي أحيت دويراتهم وأرجعت لها ولو جزءا من وجهها الحضاري ، ما جعلها تتشبث بدويراتها التي تشببها بالقصور و ترفض أي اقتراح بالترحيل لتلك السكنات المراقد حتى وان تعددت الشقق الممنوحة مقابلها، ضف إلى كل ما تحتويه من ماضيهم وتاريخهم الثقافي و الحضري بها ،فلا يستطيعون التخلي عنها بهاته السهولة، كما لاحظنا أن هاته الفئة هي أقلية من السكان مقارنة بسابقتها، وعليه فكلما استفادت هاته الأسر و دويراتها من عمليات الترميم أشعرهم ذلك بوجود حماية لهم وشجعهم على البقاء بالحي أملا في أن تستعيد قصبتهم تاريخها التليد، وأن رغبات السكان وانطباعاتهم تتعلق بشكل كبير بمشاكلها خصوصا تلك المتعلقة بالسكن فكلما استفاد السكان من عمليات الترميم وكانت بيوتهم بحالة سليمة توفر لديهم الاستقرار النفسي والاجتماعي، وكلما همشوا ولم يستفيدوا من أي إعانات ازدادت رغبتهم بالهروب من هاته المساكن المنسية التي تهدد حياتهم بأي لحظة.

جدول رقم 41: توزيع المبحوثين حسب نوعية امتلاك منازلهم وعلاقتها باستفادتهم من عمليات الترميم.

الاستفادة من عمليات الترميم	نوعية امتلاك المنزل				المجموع
	بدون إجابة	مالك	مستأجر	مقيم غير شرعي	
نعم	-	30	11	–	41
	-	% 73.2	%26.8	–	% 100
لا	1	99	53	11	164
	0.6	%60.4	%32.3	%6.7	% 100
المجموع	**1**	**129**	**64**	**11**	**205**
	0.5	**%62.9**	**%31.2**	**%5.4**	**%100**

لقد قمنا بصياغة الجدول التالي العلاقة بين نوعية امتلاك المنزل من طرف السكان وعلاقتها بمدى استفادتهم من عمليات الترميم المسطرة من طرف الدولة لفائدتهم، بحيث لاحظنا أن أغلب المبحوثين هم من فئة الملكين لمنازلهم وذلك بنسبة 62.9% ثم 31.2% بالنسبة للمستأجرين ، و5.4% بالنسبة للسكان المحتلين لها بطريقة غير شرعية، وأخيرا نسبة 0.5% للذين لم يزودونا بأي إجابة.

أما بالنسبة للمستفيدين من عمليات الترميم فقد وجدنا نسبة 73.2 % منهم كانوا ملاكا لمنازلهم ، مقابل 60.4% من الذين لم يستفيدوا منها.

وعليه نستنتج من خلال نتائج الجدول الذي كانت نتائجه تدل على أن أغلب الذين استفادوا من عمليات الترميم كانوا من الملاك لمنازلهم، ونسبة قليلة منهم كانوا من المستأجرين ،أما بالنسبة للسكان المحتلين لمنازلهم بطريقة غير شرعية والذين لم يجيبوننا بهذا الشأن لم يستفيدوا منها، وهذا ما يدل على أنه هناك علاقة قوية بين نوع الملكية والاستفادة من عمليات الترميم، خصوصا في حالة القصبة، باعتبار أن ملكية الدويرات وتعدد أشكالها وأنواعها من إرث إلى حبوس إلى استئجار إلى فوضوي إلى احتلال غير شرعي وغيرها...

جعل من التدخل في نسيجها أمرا صعبا جدا ،إذ أن الدولة أو السلطات المخولة بهذه العمليات عندما تريد أن ترمم منزلا تجد نفسها أمام مأزق كبيرة وهو أن في الدويرة الواحدة من مجموعة الملاك تدعى كل واحدة منها ملكيتها للدويرة، دون وجود أوراق ثبوتية لكلامها كالورثة مثلا أو الوقف ،وهذا ما يجعلها تعجز عن كيفية إبرام عقود الاستفادة من الترميم، ويصعب عليها تصنيف الطبيعة القانونية للبيت وعدم إيجاد المالك الأصلي المخول للتكلم عن الدويرة من أجل اتخاذ القرارات بشأنها، فهناك من يرحب بهذه العمليات وهناك من يرفضها، وهذا المشكل صادفنا نحن كذلك كباحثين، إذ عجزنا عن تصنيف نوعية امتلاك الدويرة، إذ كل واحد يسكن في غرفة من غرف الدويرة يعتبر نفسه مالكا لها خصوصا الورثة من العائلة الواحدة، وفي حالة وفاة صاحبها أو غياب الأوراق تجد نفسك أمام تصنيف غير ناجع بمفهومه الصحيح، وهذا ما جعل السلطات المكلفة بالترميم ،تعمل أكثر مع ملاك الدويرات التي أوراق ملكيتها للدويرة مثبتة ،وهذا للتعاون لتسيير هاته الأخيرة في أحسن الظروف، وتفاديا لكل النزاعات والاحتجاجات فيما بعد، وهذا ما عرقل ويعرقل كثيرا مخطط الحفظ، وجعل نجاعته على المحك وعطل من تقدمه، هذا ما أظهر اغلب الملاك من المستفيدين.

أما بخصوص المستأجرين في الدويرة الواحدة كانوا قلة من المستفيدين، إذ أغلبهم صرح لنا أن مالك البيت هو الذي تقدم بطلب الترميم التي استفادت منها دويراتهم، وبشأن الفئة الباقية للسكان غير الشرعيين والذين لم يصرحوا على نوع ملكيتهم للسكن، فكان أغلبهم من الذين اقتحموا الدويرات الآيلة لسقوط لهذا لم يطالبوا بالترميم ولم يستفيدوا منها، باعتبار أن السلطات لم تقرر بعد إما بتسييجها أو هدمها، كما أن هؤلاء السكان لا ينتظرون إلا الترحيل إلى سكنات اجتماعية .

وعليه نستنتج من خلال نتائج الجدول التالي أن مشكل تعدد أشكال الملكية وصعوبة تحديدها بصفة نهائية، تعتبر حجر عثرة أمام السلطات في عمليات ترميم القصبة، مما عطل من سيرورة أشغالها، وزاد من تدهور نسيجها العمراني الذي لا يتحمل التدخل فيه أي تأخر، كما أنه أدخل أحياء القصبة في دوامة صراعات وإحساس بتمييز اجتماعي ومجالي بين الأحياء المستفيدة وغيره من التي لم تستفد.

جدول رقم 42: توزيع المبحوثين حسب استفادتهم من عمليات الترميم وطريقة ترميم (إصلاح أعطاب) المساحات المشتركة بين السكان في الدويرة.

الاستفادة من عمليات الترميم	طريقة ترميم المساحات المشتركة					المجموع
	الاشتراك في ترميمها	مالك المنزل من يتكفل بذلك	التناوب على الدفع	البلدية أوالمصالح المعنية	تترك على حالها	
نعم	25 %61	5 %12.2	1 %2.4	8 %19.5	2 %4.9	41 100 %
لا	106 %64.6	23 %14	10 %6.1	19 %11.6	6 %3.7	164 100 %
المجموع	**131** **%63.9**	**28** **%13.7**	**11** **%5.4**	**27** **%13.2**	**8** **%3.9**	**205** **%100**

لقد قمنا بتصميم هذا الجدول لتبيان العلاقة بين الاستفادة من عمليات الترميم، وتأثيرها على ترميم أو بالأحرى إصلاح السكان لأعطاب مساحاتهم المشتركة بينهم في الدويرة الواحدة، إذ وكما هو مبين أغلبية العينة المبحوثة تقوم بالاشتراك فيما بينها في دفع تكاليف ترميم مساحاتها المشتركة، وذلك بنسبة 63.9%، تليها نسبة 13.7% للتي توكلها لمالك البيت، ونسبة 13.2 % للتي تتركها للمصالح المختصة، ونسبة 5.4 % للفئة التي تتناوب على دفع مستحقات الترميم، وأخيرا نسبة 3.9 % للذين يتركونها على حالها.

أما بالنسبة للفئة التي لم تستفد من عمليات الترميم المسطرة من طرف السلطات فكانت بنسبة 64.6%، والتي قامت بإصلاح وترميم مساحاتها المشتركة بالاشتراك مع بقية سكان الدويرة ، و نسبة 61% للفئة التي قد استفادت من عمليات الترميم .

نستنتج من خلال قرائتنا الإحصائية هاته ،التي كانت مسطرة لتوضيح ردة فعل السكان غير المستفيدين من عمليات الترميم على واقع مساحاتهم المشتركة ومن ثم كيفية التعامل مع تلك الاهتراءات التي تهدد هاته المساحات المشتركة التي لها مالها من أهمية ووظيفة يومية و مناسباتية للسكان، بحيث لاحظنا أن أغلبية الذين لم يستفيدوا من عمليات الترميم لأسباب عدة أرجعتها المصالح المعنية إلى وتيرة الانهيارات السريعة التي تشهدها أغلب بنايات، والتي لم تستطع تغطيتها ككل، ضف إلى ذلك مشكل تحديد ملكية الدويرات، وكذا امتناع بعض السكان عن قبول مثل هاته التدخلات، وباختلاف الأسباب ،تبقى تلك الفئة غير المستفيدة، وفي ظل عدم قدرة السلطات على الترميم وانسحاب صاحب أو مالك الدويرة عن دوره في الاهتمام بترميم وإصلاح دويرته، لجأت لأسلوبها الخاص في الإصلاح والترقيع وما شابههما لمساحاتها المشتركة كالسقيفة ووسط الدار والسطح وغيرها، وذلك بالاشتراك فيما بينها في ثمن هذا الإصلاح ،تفاديا لوقوع الدويرة، واستفادة من الحيز التي توفره هاته المساحات وتسهل عليها كثيرا أشغالها اليومية وكذا المناسباتية، وعليه فإن هذا التصرف فرضه عليهم واقع الدويرة ومساحاتها، لكن لك أن تتخيل أربعة أسر على الأقل تقوم بترميم الدويرة الواحدة كل على حسب رؤيته وإمكانياته، بحيث يسعى كل واحد منهم على الاستعانة بعمال أقل تكلفة ممكنة وبأرخص ثمن لمواد البناء، التي انعكست سلبا على هاته المساحات وأعطت لها وجها عشوائيا يظهر الرداءة ويعبر على أن مثل هذا "الترقيع" الذي يسمونه ترميم إنما جعل فقط لمواصلة استعمالهم لهاته المساحات بدون خوف، وليس بهدف الحفاظ عليها وعلى تراثها، لكن الغريب في الأمر هو غياب آلية مراقبة السلطات المسؤولة على تراث القصبة وسط هاته التجاوزات العشوائية بالدويرات، وعليه فاشتراك السكان في ترميم هاته المساحات الاجتماعية الرمزية بدلا من أن يكون معولا للبناء والحفاظ على بيوت القصبة أصبح معول هدم لها ولتراثها في غياب هذه الرقابة، بحيث أنها كان من الممكن لها أن تستفيد من مشاركتهم هاته في ترميم مساحاتهم المشتركة و دويراتهم بشكل عام بترشيد تدخلاتها والإشراف عليها بتفويض ممثل واحد عن الدويرة يعنى بمتابعة أشغال ترميمها، وتصير بذلك تدخلاتهم هاته إلى مشاركات إيجابية تهدف إلى حمايتهم وتراثهم .

استنتاج الفرضية الرابعة

بحسب النتائج المتوصل إليها من الجداول التي كانت مصممة لإثبات الفرضية الرابعة والتي كان مفادها أن ضعف آلية الرقابة والمتابعة الميدانية من طرف السلطات لسير أشغال الترميم، و كذا التدخلات المنجزة من طرف السكان على دويراتهم، يعرقل تحقيق الأهداف الأولية لمخطط حفظ تراث القصبة. نستطيع القول أنها صادقة لحد كبير، بحيث سجلنا أن عدم استفادة أغلب سكان القصبة من عمليات الترميم هاته المسطرة لصالح دويراتهم والقصبة ككل، والذي يتوجب علينا في هذا المقام الوقوف على سبب موضوعي لذلك في كون أغلب بيوت عينتنا المختارة بحالة متوسطة التدهور (والذي كان خارجا عن نطاقنا)، ما جعل السلطات المعنية ترجئ عملية استفادتهم إلى حين التكفل بالأكثر تضررا، وذلك وفقا للمخطط الاستعجالي للتدخل، وهذا ما انعكس سلبا على جوانب عدة من حياة السكان وممارساتهم ، لكن لا يمنع هذا بذكرنا لباقي أهم السلبيات بخلاف عدم استفادة هؤلاء والتي بينتها النتائج، من بينها استعمالها لمساحات منازلها حسب احتياجاتها الخاصة ضاربة بذلك عرض الحائط خصوصية هندستها المعمارية التي تتطلب استعمالا ثقافيا وحضريا خاصا بكل ركن من أركان الدويرة مما أثر سلبا على نسيجها العمراني، وجعل من هؤلاء يقومون بإجراء تعديلات عشوائية على دويراتهم، إما بإضافة ملاحق بها مياه وهو العدو الأول للدويرة وتقسيم للغرف والبيوت، وإضافة أخرى على الأسطح ووسط الدار مما أفقد هاته المساحات جمالها وأصالة تراثها و رمزيتها الاجتماعية والحضرية، وهذا ما جعلنا نلمس الأثر البليغ الذي سببه عدم الاستفادة من عمليات الترميم على حالة النسيج العمراني للقصبة من مسخ وتشويه، وكذا على سلوكيات سكانه بتعاملهم العنيف والعشوائي معه الذي يعبرون من خلاله على سخطهم وتذمرهم من سياسة السلطات المجحفة في تسيير هاته العمليات .

أما بشأن آراء المستفيدين من عمليات الترميم، فكانت واضحة من خلال إبداء عدم رضاها عنها بسبب طول مدة الأشغال لكثرة الانقطاعات بها والتي سببت لهم قلقا وانزعاجا كبيرا خصوصا للنسوة بالبيت، وكذلك نقص كفاءة اليد العاملة المرممة، والتي تركت ورائها دويرات في حالة كارثية من خلال استعمال مواد غير أصلية ومغشوشة في الترميم مثل الرخام بدل "الزليج الأصلي" الذي صرح لنا بعضهم بأن لونه يزول مع كثرة استخدامنا للماء

ضف إلى استعمال مختلف أنواع الطلاءات بدلا من الجير والاستغناء عن الخشب بأسقف الغرف وتعويضها بالإسمنت، وغيرها من التجاوزات التي أفقدت الدويرة خصوصيتها ورونقها الأصيل ،فقد شبهوا هاته العمليات ب "البريكولاج" وليست بعمليات ترميم، هذا ما جعل البعض منهم يعزف عن قبول مثل هاته العمليات، ويتكفل هو بنفسه أو على أيد عاملة يجلبها بنفسه، وذلك اختصارا لمدة انتهاء الأشغال التي تقلل خطر وقوع كوارث داخل الدويرات وكذا وللحيلولة دون دخول الغرباء للمنزل، ضف إلى ذلك فقد برروا ذلك بأن التخصص في مجال الترميم غائب في كلتا الحالتين، فالأفضل لهم الاستعانة بمعارفهم؟ وهذا ما أفقد مفهوم الترميم مضمونه الفعلي والحقيقي وجوهره لدى السكان وكذا لدى السلطات وذلك بغياب مراقبيها المتخصصين ميدانيا أثناء سير الأشغال، وترك العمال لوحدهم، مما جعلهم يتعاملون مع دويرات القصبة بشكل سطحي وعادي خال من روح المسؤولية اتجاه التراث، فكانت هاته الأخيرة عمليات تغليف للواجهات وتغطية للعيوب الظاهرة للعيان، ومجرد إبعاد لخطر وقوع الدويرة على سكانها، إلا في بعض الحالات التي أظهرت مسؤولية وجدية واتقانا في الترميم .

بحيث لاحظنا أن أثر نقص اليد التقنية المتخصصة في الترميم كان ظاهرا على مستوى الدويرات المنتهية الأشغال بها وغيرها من التي في طور الترميم، والتي اتخذها بعض السكان كذريعة لإجراء تعديلات عشوائية وصلت إلى حد إضافة طوابق، وعليه نستطيع أن نقول أن غياب المراقبة والمتابعة أثناء سير وتنفيذ عمليات الترميم، كلف القصبة غاليا ،من تدهور مادي لنسيجها وتمرد لسكانها على مجالهم بتدخلاتهم العشوائية عليه، وإذا أردنا أن نفعل هذا المخطط المتكامل نصيا، يجب إيجاد آليات و ميكانيزمات مراقبة قوية وصارمة تعمل ميدانيا وغلق الباب على مثل هاته الخروقات على المجال، وكذا للارتقاء بمفهوم الترميم الحقيقي لكسب ثقة السكان وإعادة الاعتبار للقصبة، بحيث أظهرت النتائج كذلك أن تلك القلة القليلة من التي أبدت رضاها واستحسانها لعمليات الترميم، كانوا من أولئك السكان الإيجابيين والفاعلين الذي يساهمون في حل مشاكل أحيائهم، ويهتمون بالحفاظ عليه وعلى سلامته وسمعته، ومن الحريصين على بيوتهم ونظافتها من خلال تبييضها مرة كل سنة، هذا ما يفسر كون استفادة السكان من عمليات ترميم ناجحة ومتقنة ورضاهم عنها ولد لديهم نوعا من التصالح مع محيطهم وعزز لديهم أحاسيس الانتماء والمسؤولية لمجالهم الداخلي

والخارجي وإعادة تبني الممارسات الحضرية للقصبة كتبييض المنزل مرة كل سنة وغيرها وما مشاركتهم بتلك المسابقات المتعلقة بأحسن دويرة وأحسن حي إلا دليل على ذلك ،وعليه فقد اتضح لنا جليا أن الاستفادة من عمليات الترميم الناجعة، هي بمثابة محرك يغذي سكان القصبة بطاقة إيجابية تمكنهم من المشاركة الفعالة في محيطهم وتهذب ثقافتهم في استعماله أما عدم الاستفادة منها كليا أو عدم رضاهم عنها سبب لهم إحباطا وإحساسا بالتهميش وانعدام ثقة بالمسؤولين، بحيث أولى مظاهرها تجلت في تخليهم عن قصبتهم وانتظار فرصة الهروب منه في أي فرصة تقدم لهم للرحيل، بحيث سجلنا رغبة جامحة في ذلك لدى الغالبية غير المستفيدة منها مبررين ذلك بشعورهم أنهم سكانا من الدرجة الثانية والثالثة بها، إذ ليس لديهم الحقوق نفسها مع أولئك المالكون والمستفيدون من هاته الأخيرة حتى بدون طلب منها.

عليه وكخلاصة لما جاءت به نتائج هذه الفرضية، يمكن أن نقول أن عجز السلطات المكلفة بحفظ وترميم تراث القصبة على تغطية كافة الدويرات التي هي بحاجة للترميم، خلق صراعات داخلية ومجالية بالقصبة، خصوصا بين الملاك لمنازلهم والمستأجرين لها، المستفيدين وغير المستفيدين، وبين الأحياء النظيفة وغيرها، مما أجج نزاعات ومشاكل ظهرت على شكل ألقاب ومفردات مختلفة ، يسم السكان بعضهم بعضا بها، كما أن غياب آلية المراقبة والمتابعة في أشغال الترميم، شوه مفهوم الترميم الأصلي داخل القصبة بسبب تلك التجاوزات المسجلة عليها وعلى دويراتها، الذي أفقد السكان ثقتهم بصدق نية السلطات في إرجاع وجه القصبة الجميل، وفتح المجال لهم بالتعامل مع مجالها المادي والرمزي بكل نفعية واستغلالية تمثلت في جعل حالته المزرية وسيلة للحصول على سكن اجتماعي لكل نازح ومحروم .

وعليه توجب على السلطات أن تفعّل الأهداف الأولية للمخطط من خلال السهر على متابعته ميدانيا، وتؤطر ثم تشرك في ذلك سكانه الراغبين في ترميم دويراتهم، وهذا على الأقل من أجل الحد من سيرورة هذا التدهور السريع للنسيج الحضري للقصبة.

الاستنتاج العام و الاقتراحات

تعد نتائج الاقتراب الميداني لأي بحث علمي، أهم ثمرة يجنيها الباحث، وهذا باحتوائها على بصمته وتفرده في تناوله لموضوعه، سواءا أكان قد سبق التطرق إليه أو كان حديثا وعليه فتقييم نتائجه بشكل دقيق وشامل بالوقت نفسه ليس بالأمر الهين، خصوصا إذا تعلق الأمر بتحديد مفهوم عميق ومتداخل كالهوية وفي ميدان أعمق منه وهو قصبة الجزائر. وعليه وللإجابة عن كل تساؤلاتنا التي من شأنها كشف مضامين هذا المفهوم بعلاقته مع مجاله. قمنا بصياغة فرضيات أربع خمنا أن تكون لها دلالة مباشرة وتأثيرا على سيرورة وواقع الهوية الحضرية بقصبة الجزائر، فتطرقنا في الفرضية الأولى لدور بقاء الفئة القليلة من أبناء وأحفاد سكان القصبة الأصليين القدامى، يساهم في حفاظ القصبة على بعض من رموز هويتها الحضرية، وهذا باعتبارها منتجة ومصنعة للثقافة حضرية ،أما في الفرضية الثانية فقد تطرقنا لغياب ثقافة استعمال مجال دويرات القصبة وفقا لهندستها الأصلية لدى غالبية سكانها الجدد الذي يعجّل من تدهور النسيج العمراني للقصبة، وكنتيجة حتمية للفرضية السابقة، تبلورت الفرضية الثالثة حول تدهور النسيج العمراني بالقصبة الذي يؤدي إلى اندثار عديد الممارسات الثقافية والاجتماعية المميزة للقصبة وسكانها الأصليين. أما في الفرضية الرابعة فقد خصصناها لاختبار ضعف آلية الرقابة والمتابعة الميدانية من طرف السلطات لسير أشغال الترميم، و كذا التدخلات المنجزة من طرف السكان على دويراتهم، الذي يعرقل تحقيق الأهداف الأولية لمخطط حفظ تراث القصبة. بحيث أردنا من خلال صياغتنا لفرضياتنا على هذا النحو أن نصنع توليفة من أهم العوامل المؤثرة في واقع الهوية الحضرية بالقصبة، بدءا بالعامل البشري بفئتيه القديمة الباقية والأغلبية النازحة حديثا، وتأثير ذلك على سيرورة إنتاج هوية السكان، وكذا العامل الثقافي من خلال إبراز أهمية وجود هذه الفئة لتلقينها ثقافة الاستهلاك المجالي خصوصا في المجالات التقليدية الأثرية، والتأثير المباشر له على حالة التراث المادي بدون أن نغفل العامل السياسي والتسييري إن صح التعبير في كل هذا.

وعليه فقد أفرزت الدراسة عن النتائج التالية:

- تخلي أغلبية السكان القدامى عن القصبة في ظل بقاء ثلة من أبنائهم وأحفادهم، الذين حصروا دورهم في الحفاظ على بعض من عادات وتقاليد ورموز القصبة الحضرية والتي لاتعد كافية للحفاظ على كل أبعاد الهوية الحضرية.
- غياب ثقافة استعمال مجال القصبة لدى أغلبية ساكنيه حاليا، جعل من القصبة أشبه بمركز عبور للحصول على شقق اجتماعية أو قيتو لنشر ثقافة الفقر بعد أن كان مركزا للإشعاع الحضري عبر كل تلك الممارسات الحضرية و المدينية المنبثقة عن التناغم الاجتماعي والمجالي للسكان داخل دويراتهم.
- ضعف آلية المراقبة والمتابعة الميدانية لدى السلطات المعنية بالحفاظ وترميم تراث القصبة كان له كفلا من الحالة المزرية التي يشهدها نسيجها العمراني بحيث عرقل تحقيق الأهداف الأولية لمخطط الحفظ وجعل أغلب السكان يستعملونه ويتدخلون على نسيجه بطريقة عشوائية.

وعليه وكحوصلة لكل نتائج هاته الدراسة الميدانية يمكن أن نقول أن الهوية الحضرية بالقصبة تشكو فراغا وتحريفا لمضمونها الحقيقي الذي تأثر بعدة أسباب معنوية ومادية، لكن ورغم هذا فإن بقايا ورموز هويتها الحضرية لا تزال مدفونة لدى بعض من سكانها القدامى، وتحتاج إلى من يأخذ بأيديهم لإعادة بعثها من جديد وتراثها العريق لا زال حيا حتى ولو كان يحتضر، وفي هذا السياق تقع مسؤولية النهوض بالقصبة وإعادة بعث هويتها الحضرية على جميع الفاعلين سواءا السياسيين المسيرين ،الباحثين والأثريين، المدنيين وخاصة سكانها، وهذا على الأقل للإبقاء على بعض من رموز الذاكرة التاريخية والثقافية والحضرية لهاته المدينة الأم ولسكان كانوا قد حفروا بصمتهم الحضرية و المدنية عليها.

لذا فقد أردت من خلال تصميمي للمخطط التالي أن أرسم صورة لنتائج هذه الدراسة محاولة في ذلك توصيف واقع الهوية بالقصبة.

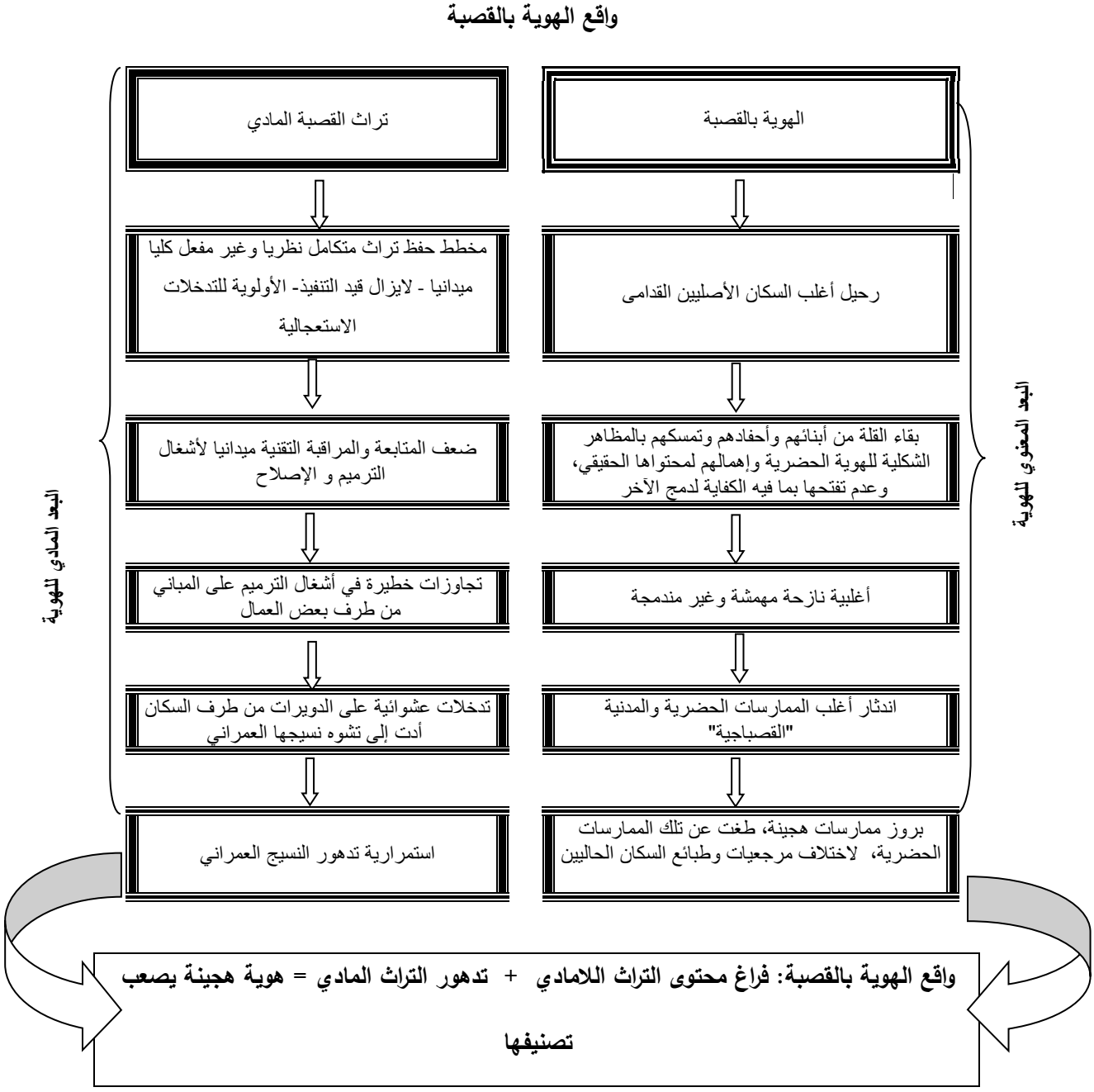

- **الاقتراحات:** تكملة للمخطط السابق عرضه بالاستنتاج العام، أردت أن ألخص مقترحاتي البسيطة والمستلهمة من نتائج دراستي و من اقتراحات بعض الباحثين المتخصصين في المجال، خاصة الأستاذ جعفر لسبت، وكذا من بعض الخطوات التي تمت مباشرتها من السلطات الوصية ميدانيا، على شكل المخطط التالي :

إعادة الاعتبار لتراث القصبة من أجل إعادة إنتاج هوية حضرية [1]

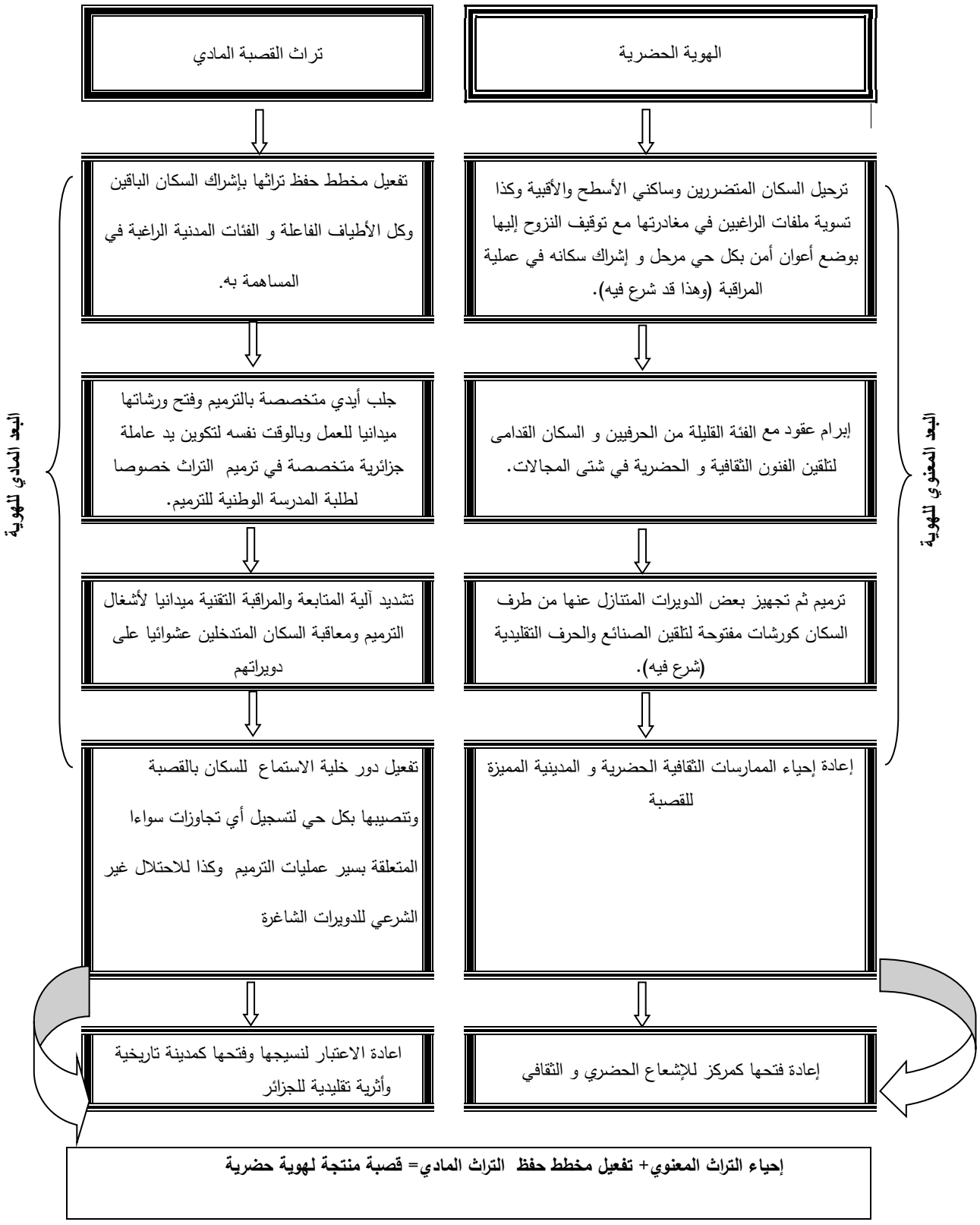

[1] المخططين من تصميم الباحثة

الخاتمة

الخاتمة:

أخيرا، وعلى ضوء النتائج المتوصل إليها، ارتأيت أن أختم وريقاتي بحثي هذا الذي آمل أن أكون قد وفقت في تناوله لحد ما، وهذا لعمق مفاهيمه وتشعبها ، وذلك بتساؤل يبقى مفتوحا على طاولة البحث مستقبلا، لي ولكل مهتم بالتراث الحضري، والمتمثل في مدى فعالية هذه الاستراتيجية الحديثة للدولة في معالجتها لموضوع الحفاظ على التراث ، وكيف لكل هذه الإجراءات والخطوات المباشر بتنفيذها ميدانيا بما فيها الشراكات والاتفاقيات الداخلية والخارجية المبرمة من أجل الحفاظ على تراث القصبة وترميمه أن يكون تفعيلا لاتجاه الانفتاح على الآخر، بعد أن استفاقت السلطات أخيرا على ضرورة إشراك كافة الأطراف الفاعلة بالمجتمع للنهوض بتراث القصبة ، وهل ستنجح تجربة القصبة بأن تكون بذلك بادرة خير على مدينة الجزائر ومن ثم باقي المدن الأثرية بالوطن للتخلص من ظاهرة "مصادرة السلطات في تسيير وإنتاج المدن" على حد تعبير د. صفار الزيتون مدني في: Alger, ville confisquée par l'Etat"[1].

[1] Safar-Zitoun, M. (2002). Alger, ville confisquée par l'Etat. In Ecole Polytechnique d'Architecture et d'Urbanisme, Centre Culturel Français à Alger & l'Institut Cervantès d'Alger (eds.), Alger lumière sur la ville : Actes du colloque international Alger lumière sur la ville (Alger, 4 -6 mai 2002) (pp. 542-553). Alger : EPAU.

المراجع

الكتب باللغة العربية

1. أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ،الجزء الأول –1500– 1830 دار البصائر، الجزائر،2007.

2. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر ،الجزء الخامس ،2007.

3.احمد السليماني :تاريخ المدن الجزائرية ،دار القصبة للنشر ، الجزائر،2007

4. أنتوني غدنز :علم الاجتماع ،ترجمة وتقديم فايز الصياغ،ط4 مؤسسة ترجمان ،عمان الأردن 2005.

5. أنتوني جيدنز: مقدمة نقدية في علم الاجتماع ،ط2،ترجمة أحمد زايد وآخرون، على مولا القاهرة، مصر 2006

6.أليكس ميكشللي :الهوية ،ترجمة د. علي وطفة ،دار النشر الفرنسية ،ط ع 1 ،دار الوسيم للخدمات الطباعية ،دمشق1993.

7. ابراهيم حركات: الصراع بين هويتين ثقافيتين، مكتبة مدبولي، القاهرة،1977.

8. إشبودان العربي :مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، دار القصبة للنشر، الجزائر 2007.

9. الدسوقي عبده ابراهيم: التغيرات الاجتماعية والوعي الطبقي، تحليل نظري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية،2004.

10. الحسين الزاوي: الشك ومكامن الغل في فلسفة المشهد الجزائري ،الجزائر رياض العلوم للنشر والتوزيع ،2005.

11. جابر عوض سيد :التكنولوجيا والعلاقات الاجتماعية ،دار المعرفة الجامعية 1996.

12. جمال عليان : الحفاظ على التراث الثقافي ،مطبعة الساسة، الكويت 2005.

13. حمدان بن عثمان خوجة :المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق ،محمد العربي الزبيري الطباعة الشعبية للجيش، 2007

14. حسن حنفي: التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ب.س.

15.خلاصي علي: قصبة مدينة الجزائر، دار الحضارة ,الجزء الأول، ط1، 2007.

16. دياب فوزية: القيم والعادات الاجتماعية ، دار النهضة العربية ،بيروت ،1980 .

17. دلال ملحس إستيتة : التغير الاجتماعي والثقافي، عمان–الأردن، دار وائل للنشر والتوزيع ،2004

18. سعاد فويال: المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة الجزائر، 2007.

19. شافا فرانكفوت–ناشمياز دافيد ناشمياز :طرائق البحث في العلوم الاجتماعية ترجمة ليلى الطويل، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا ط 1، 2004

20. شاوش صالح ،بن شريف مريامة :رحلة في تراث المغرب العربي، ترجمة محمد هشام ،تقديم مارك كوت، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ط1 ،2014.

21. عبد الحميد رشوان : المدينة في علم الاجتماع الحضري، الاسكندرية 1998.

22. عبد الباسط عبد المعطي:اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة 1981.

23. عيسى بن حدوش: التغيرات الوظيفية في الاسرة ، ،مطبوعات الكتاب والحكمة باتنة –الجزائر– 2008.

24. عمار عموره: الجزائر بوابة التاريخ، ما قبل التاريخ إلى 1962، الجزائر خاصة،ج 2 ،مطبعة دار المعرفة،2006 .

25. علي عبد القادر حليمي:مدينة الجزائر، نشأتها وتطويرها قبل سنة 1830 ،ط 1 المطبعة العربية لدار لفكر الإسلامي، 1972الجزائر .

26. عائشة كردون:المساجد التاريخية لمدينة الجزائر ،مطبعة ألفا، الجزائر 2011.

27. عبدالناصر عبدالرحمن الزهراني : ادارة التراث العمراني ، جامعة الملك سعود كلية السياحة و الاثار ، قسم ادارة مواد التراث و الارشاد السياحي الرياض 1433 هـ / 2012.

28. علي حجيج ،سعيدة مفتاح :المسار التاريخي للتطور العمراني لمدينة الجزائر خلال الفترة 1830–1999.دار عراب للنشر والتوزيع الجزائر 2007.

29. عبد اللطيف وآخرون في زيدان عبد الباقي: علم الاجتماع الحضري والمدن العصرية القاهرة ،لايوجد دار النشر ،1974.

30. عبد الله الشامي رشاد: إشكالية الهوية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،1997

31. فهد عبد الرحمان الخريف: مقرر محتوى التغير الاجتماعي، سلسلة محاضرات، جامعة الملك فيصل للتعليم عن بعد، ب ت.

32. فايزة أنور أحمد شكري: القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم ،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية 2002.
33. معن خليل : التغير الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع ط 1 عمان ، 2004.
34. مصلح الصالح :التغيرات الاجتماعية وظاهرة الجريمة ،عمان مؤسسة الوراق 2005.
35. محمد السويدي : مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري ،تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر ،ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون ،الجزائر 2005.
36. محمد الطيب عقاب :قصور مدينة الجزائر في أواخر لعهد العثماني، دار الحكمة الجزائر، 2007 .
37. موسى دهان: النظام القانوني لحماية التراث الوطني، دار الهدى ،عين مليلة الجزائر، 2007.
38. محمد العربي ولد خليفة:المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، منشورات تالة الأبيار الجزائر 2007.
39. محمد عاطف غيث :علم الاجتماع الحضري الاسكندرية ،دار المعارف الجامعية .
40. محمد الجوهري :علم الاجتماع التطبيقي ،القاهرة ،مصر، 2008.
41. محمد الجوهري وآخرون : التغير الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1995.
42. محمد عبد الكريم الحوراني: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ،التوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفة والصراع، مطبعة مجدلاوي، عمان الأردن،ط1 2008.
43. محمد عبد المولى الدقس :التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دارمجدلاوي،عمان،1989
44. نجاة أحمد عروة : من وحي التراث المعماري والحرفي في الجزائر ، دار النشر دحلب، الجزائر، 2011.
45. نادية بوزيد وسامية مقران: القصبة روح الماضي وريحان المستقبل، مؤسسة الأمير خالد بولوغين الجزائر،2006.

46. نقولا الحداد :علم الاجتماع ،الكتاب الأول ،دار الرائد،الطبعة الثانية ،بيروت 1982.
47. محمد التريكي وخالد بوريد : المعمار والممارسة الاجتماعية ، المعهد التكنولوجي للفنون والهندسة المعمارية ، تونس ، 1989.
48. نور الدين عبد القادر :صفحات من تاريخ مدينة الجزائر ،دار الحضارة الجزائر 2006
49. نحناح محفوظ الهوية والمرجعية،دار الخليفة للنشر والتوزيع ،القبة القديمة الجزائر ،2004 .
50. نفيسة لحرش: تطور لباس المرأة الجزائرية ، دار انوثة للنشر، الجزائر 2007.
51. ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي : الجزائر في التاريخ العهد العثماني المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية، الجزائر، 1984.
52. هارلمبس وهوليون :سوشيولوجيا الثقافة والهوية ،ترجمة حاتم حميد محسن ،كيوان للطباعة والنشر والتوزيع سوريا ،2010.
53. وليم سبنسر :الجزائر في عهد رياس البحر ،تعريب وتقديم عبد القادر زيادية، ب.ت
54. يوسف محمد عبد الله:الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته، جامعة صنعاء اليمن،ب.س .

المجلات والدوريات

55. أحمد محمد السيف: المهرجان الوطني للتراث والثقافة–أمسية العمارة والتراث– ، المحافظة على التراث العمراني، أهمية وسبل المحافظة عليه، مارس، 1997.
56. أحمد بوذراع: المعالم التاريخية القديمة داخل المدينة: ، عدد 12،ص ص 17–23، جامعة منتوري قسنطينة(1999).
57. أشرف صالح محمد السيد: في جائزة النور للإبداع، دورة المفكر عبد الإله الصائغ ،التراث الحضاري في الوطن العربي ،أسباب الدمار والتلف وطرق الحفاظ، 2009
58. باشا محمد : إشكالية العمارة في الجزائر، من أزمة إبداع إلى إبداع أزمة كلية العلوم الاجتماعية، مجلة الحوار الثقافي ،عدد خريف شتاء 2013 ،جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.

59.حليمي عبد القادر: أصول نشأة مدينة الجزائر،مجلة الأصالة ،الجزائر,العدد 8 سنة 1972

60. حيدر عبد الرزاق كمونه،عامر شاكر :العولمة وهوية بنية الصورة الذهنية للفضاءات الحضرية ،مجلة المخطط والتنمية العدد 17 سنة 2007.

61. خلف الله بوجمعة :المدينة الجزائرية والبحث عن الهوية ،عدد 04 جوان 2003

62. خالد كاظم أبو دوح :قراء أولية في سوسيولوجيا بيار بورديو، مجلة الحوار المتمدن عدد 1912 جويلية 2005.

63. عبد الله سعدون سلمان العموري ،انسانية العمارة العربية الإسلامية http // mirathlibya .blogspot .com2008

64. ليون تلفزيان :الخصائص البنيوية وهوية المكان الثقافية في سياسات التخطيط العمراني والحفاظ ،مجلة المهندس العدد 26 آذار ، بيروت لبنان،2011 .

65. ليلى بلعيفة :التغير القيمي السوسيو ثقافي في المدينة الجزائرية ،المظاهر والأبعاد جامعة فرحات عباس، سطيف،2009 بموقع عمران نت

66. مشاري عبد الله النعيم :العمارة في منطقة مكة المكرمة، مجلة البناء العدد 03 2008.

67. مزوز بركو: اضطرابات الوظيفة الأسرية ، التنشئة الاجتماعية في الأسرة الجزائرية،مجلة شبكة العلوم النفسية العربية ،عدد 12-22 شتاء وربيع 2009 .

68. وليد أحمد السيد: التراث والهوية والعولمة مقاربات نظرية أساسية، لندن في ltrth-wlhwy-wlwlm-mqrbt-nzry-ssy

الرسائل والأطروحات

69. بليفة ميلود: صورة الغرب في المخيال الثقافي والاجتماعي للشباب الجزائري، طلبة جامعة تلمسان نموذجا، أطروحة دكتوراه في الأنثروبولوجيا ،جامعة تلمسان 2014.

70. جوهر عبلاش : الهوية لدى المراهقين القبائل "أطروحة ماجستير، جامعة الجزائر 2001-2002.

71. جيماوي نتيجة: آثار العلاقات القرابية على الاندماج الاجتماعي، أطروحة ماجستير ،جامعة محمد خيضر بسكرة 2010.

72. خليفة حماش :الأسرة في مدينة الجزائر في العهد العثماني ،رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث 2006.

73. خويلد عبد القادر: عملية تجديد لحي بني ابراهيم ،ورقلة،مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الهندسة المعمارية ،بسكرة ،2002.

74. دريس نوري : استعمال المجال العام في المدينة الجزائرية ،رسالة ماجستير، جامعة 2006- 2007.

75. رشيد زوزو: الهجرة الريفية في ظل التحولات الاجتماعية الجديدة في الجزائر 1988-2008،أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع ،جامعة قسنطينة ،2008-2009

76. زيدان حليمة:المدن العتيقة بالجزائر بين التدهور و محاولة الحفاظ ،حالة مدينة تقرت رسالة ماجيستير ، جامعة ام بواقي، 2007 .

77. سليماني جميلة: علاقة الفضاء المنزلي بالصحة النفسية لدى سكانأحياء القصبة، جامعة الجزائر ، أطروحة دكتوراه ،2008 .

78.سقاي نوال، يوسف عشيرة شريفة: الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني،أطروحة تخرج أستاذ تاريخ وجغرافيا ،المدرسة العليا للأساتذة،2007-2008.

79. شائم بن لافي الهمزاني: التغير الاجتماعي في منطقة حائل، دراسة علمية غير منشورة للدكتور ،1990.

80. عطاء الله النوعي :القيم البدوية بين الثبات والتغير، دراسة ميدانية على عينة من شباب مدينة القصر الحيران..2008-2007.

81. غادة عاطف سند وآخرون:بحث في الحفاظ على التراث ،جامعة طنطا،مصر، ب.س.

82. دراسة أنثروبولوجية لبحث نمط الهوية في مخيال تراث الأدب الشعبي، أطروحة دكتوراه 2002-2003.

83. كوشي ابتسام: المضامين الثقافية للمجالات الاجتماعية وعلاقاتها بتشكيل وإعادة تشكيل هوية البطالين، رسالة ماجستير. جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2012 -2013.

84. لقمان سخري وآخر:واقع ومستقبل المدن التاريخية في ظل التشريع الجزائري، رسالة لنيل مهندس دولة ،أم البواقي في منتدى التسيير والتقنيات الحضرية http// :www.chemmami.com

85. محمد بوراكي:القيم الثقافية وإشكالية الهوية الوطنية في الجزائر بعد الاستقلال، أطروحة دكتوراه،2002- 2003.

86. مديحة حامد عبد الستار : العمران والعلاقة التبادلية مع المجتمع والهوية،مذكرة ماجستير في الهندسة المعمارية ،جامعة المنصورة مصر، 2010.

87. ميمونة مناصرية :هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة،جامعة محمد خيضر ،بسكرة 2011-2012.

القواميس والمعاجم

88. بدوي احمد زكي:معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية مكتبة لبنان طبعة جديدة 1993

89. الجوهري عبد الهادي: قاموس علم الاجتماع مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة 1983.

90. دينكن ميتشيل: معجم علم الاجتماع ، ترجمة و مراجعة ،إحسان محمد الحسن، ط2 بيروت دار الطليعة، مارس،1986

91. محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية 1989.

92. مراد وهبة ،المعجم الفلسفي ،القاهرة، دار النشر والتوزيع 1979.

مصادر أخرى

- وزارة الثقافة
- الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية.(OGEBC)
- الوكالة الوطنية للقطاعات المحفوظة(ANSS)

-

Centre National d'Eudes et de Recherches Appliquées en Urbanisme(CNERU), Alger, PPSMVSS de la Casbah d'Alger, édition finale 2009-2011 ,30.Rue Hassan Ben Naamane Bir Mourad Rais - Alger

- بلدية القصبة
- الديوان الوطني للإحصاء ONS 2008
- لجنة التنمية المستدامة، الأمم المتحدة أجندة 21.

الكتب الفرنسية

93. BENATIA Farouk : Alger agrégat ou cité, l'intégration citadine à Alger, SNED 1980
94. CASTELLS Manuel : Le pouvoir de l'identité, édition Fayard, 1999, Paris
95. C. camilleri : la culture et l'identité (concepts et enjeux pratiques de l'interculturels, paris édition l'harmattan1989.
96. Coulon Alain : l'école de Chicago, 2eme édition presses universitaires Paris 1994.
97. CUCHE Denys : La notion de la culture dans les sciences sociales, éd casbah, Alger 1999
98. Erikson.H : Adolescence et crise, la quête de l'identité, éd Flammarion. 1972.
99. Ichboudène Larbi : Alger histoire et capitale de destin national, édition Casbah, Alger 1997.
100. j. Deluz: l'urbanisme et l'architecture d'Alger, OPU, Alger, 1988
101. LUSSAULT (M) et SIGNOLES (P) : la citadinité en question, Tours, 1996.
102. Lucien Golvin : Palais et Demeures d'Alger à la Période Ottomane INAS, Alger 2003.
103. MISSOUM Salima : Alger à l'époque Ottomane, la Médina et la Maison Traditionnelle, INAS, Alger, 2003
104. Meyer joseph : École de Chicago : naissance de l'écologie urbaine .éd champ urbain .A.1979
105. Nadia Zaid , Samia Amokrane : la Casbah ; âme de passé et Eden de l'avenir . .copyright2006
106. Robert Campeau et Al : individu et société, introduction à la sociologie, éd Gaëtan Morin, paris, 1993.
107. Sain Saulieu (R) : l'Identité au travail, presses de fondation nationale des sciences politique, paris, 1977.
108. Sidi Boumedine Rachid, Messoud Taib:la recherche urbaine en Algérie, un état de la question, pratique urbaine, juillet 1996, université de Tours.
109. Tap et AL: identités collectives et changements sociaux, paris, 1986.

Revues

110. Robert E Park: The City,suggestions for the investigation of human behavior in the city environment, American journal of sociology n 5 March 1915 pp 577-612.
111. Ichboudène Larbi : l'Algérie est urbanisée, journal el watan, 30 juin 2011pp 1-3.
112. Ichboudène Larbi : Réflexion sur la gouvernance urbaine à Alger, prérogatives institutionnelles et monopoles politiques, insaniyates 2009 pp 97-113.
113. ICHEBOUDENE Larbi : l'Intégration Citadine, à propos de la difficulté d'être Algérois, in la ville dans tous ses états, revue de réflexion, casbah ,1998
114. Lesbet Djaafar : Relance effective et efficace sauvegarde de la casbah d'Alger.the European planed, in journal of planning www.planum.net, pp 1-8
115. Lesbet Djafaar : concours de L'ASCA 2014 « éd-Dalla »est la régence de la casbah « : la maison la mieux entretenue »
116. Lesbet Djafaar: la Casbah est sauvée, le nouveau plan de sauvegarde est arrivé, Lettre ouverte parue dans l'hebdomadaire Algérie actualité (janvier 1993).
117. E.MLipiansky et Coll : 1990 pp 17-61 in ben Meziane Taalbi :l'identité au Maghreb l'Errance éditions casbah ,Alger 2000.
118. ORIOL.M : la crise de l'état comme forme culturelle, in peuples méditerranéens .1983.
119. Nicolas Bantes : Cheminements autour de l identite urbaine (UMR ESO Caen), la France en ville, éd Atlande, 2010.
120. Camille Cammillier : Les usages de l'identité, l'exemple du Maghreb, in revue tiers monde, janvier mars 1984, n° 93.
121. Isabelle Berry Chikaoui:Les notions de citadinité et d'urbanité dans l'analyse des villes du monde arabe, essai de clarification, in cahier d'EMAM 18 /2009 pp 9-21, htttp//emam revues .org.
122. Coslado Elsa: les citadinités cosmopolites à Marrakech, espaces de vies d'habitants de quartiers periphériques ,in Séminaire régional d'Alger présentation de programme FSP(23 et 24 Février 2008) pp,25-28
123. DRIS Nassima : in actes habiter le patrimoine, sens, vécu, approche, université européenne d'été ,13-14 octobre 2003, pp 56-88
124. Nora Bouaouina : Alger a travers sa "houma" formation et déformation des espaces identitairescommunautaires de quartier, dossier esprit critique »la communauté n'est pas le communautisme »cordonnée par Ivan sensauliau et Monika Savezbrun ,labo de démographie historique,paris ,pp1 -15 .

125. Semmoud Noura:Nouvelles Significations du quartier, nouvelles formes d'urbanité, périphérie de l'est d'Alger In Séminaire régional d'Alger présentation de programme FSP(23 et 24 Février 2008) pp 14-22
126. CHACHOU Ibtissem : in Repenser le champ conceptuel de la sociolinguistique maghrébine à la lumière des impératifs du terrain, le cas de concept citadinité, université de Mostaganem, 22 mai 2012, pp12.
127. Madani Safar Zitoune : Alger d'Aujourd'hui : une ville à la recherche de ses marques sociales, Insaniyat n44-45 Avril-septembre 2009 pp33-37:2
128. Bourdieu (P) Médiation pascalienne, Seuil, 1997, p220, in Chauvie (CH) et Fontaine (O) : le Vocabulaire de Bourdieu, éd ellipses, Paris, 2003
129. Richard Engelhardf : LEAP, Développement Potentialités locales pour la Gestion et la Conservation du Patrimoine Culturel en Asie et dans le Pacifique in: patrimoine et développement durable dans les villes historique du Maghreb contemporaines, enjeux, diagnostiques et recommandations Bureau de l'UNESCO à Rabat .
130. Abulghader. A.bufayed : Ghadames, la Réhabilitation tant que Base pour Assurer un Développement Durable in: patrimoine et développement durable dans les villes historique du Maghreb contemporaines, enjeux, diagnostiques et recommandations, Bureau de l'UNESCO à Rabat
131. Diabi Fairouz : Le patrimoine se conjugue –il uniquement au passé ?qu'en est –il du rapport identité/patrimoine dans la conception des nouveaux projets ?

Thèses

1. Alex Gerber : l'Algérie de le Corbusier, les voyages de 1931, thèse de doctorat présentée par, Lausanne, EPFL, 1993
2. Sebih Reda : La mise en mots et les représentations langagières de la casbah d'Alger, mémoire de magistère, université d'Alger, 2005

المواقع الالكترونية

http://www.Algeraunecertaineepoque/photos

Ibtihalino.blogspot .com

http // mirathlibya .blogspot .com
http// :www.chemmami.com

موقع عمران نت
www .moqatel.com : موسوعة مقاتل من الصحراء

الملاحق

الاستمارة بالمقابلة

نحن بصدد التحضير لإعداد دراسة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع ،والتي تتمحور حول دور القصبة في بناء الهوية الحضرية للفرد ونشر الثقافة الحضرية ،وكذا رصد الواقع المعيش لسكانها في ظل عمليات الترميم التي تصب في إطار الحفاظ على التراث الثقافي لها ، وعليه نرجو منكم أن تساهموا في إثراء هذا البحث بكل جدية والذي ستوجه فيه أجوبتكم إلى كل غاية علمية مفيدة وشكرا.

<u>البيانات الشخصية</u>

1. الجنس :أنثى 1☐ ذكر2 ☐
2. السن: أقل من 30 سنة☐1 31-50سنة☐ 2 51-70☐ 3 ☐ أكثر من70 سنة ☐4
3. مكان الميلاد..... .....
4. الحالة المدنية: أعزب 1☐ متزوج2 ☐ أرمل3 ☐ مطلق☐4
5. مكانتك داخل الأسرة: أب1☐ أم 2 ☐ ابن☐3 بنت ☐4 آخر حدد 5☐.....
6. المستوى التعليمي: أمي1 ☐ تعرف الكتابة والقراءة ☐2 ابتدائي 3 ☐ متوسط 4☐ثانوي جامعي ☐5
7. الوظيفة: قطاع خاص1 ☐ قطاع عام2 ☐ مختلط3 ☐ غير رسمي4☐
8. الوظيفة الحالية.....
9. مكان العمل: .....
10. إذا كان لايعمل : متقاعد1 ☐ بطال☐2 طالب ☐3 ماكثة بالبيت (امرأة) ☐4
11. اسم الحي الذي تقطنه .. ..
12. كم هو عدد أفراد العائلة؟.....
13. كم هو عدد غرف البيت؟.....
14. كم يقدر دخل العائلة تقريبا؟ أقل من 18000 دج☐1 18000- 28000دج☐2 28001-38000دج☐3 38001-48000دج☐4 أكثر من 48000☐5

المحور الأول: تحديد انتماء سكان القصبة أو أصولهم الجغرافية.

15. منذ متى وأنت تقيم بالقصبة ؟ أقل من 10 سنوات ☐1 من 11 الى 20 سنة 2☐

من 21 –30 سنة ☐3 أكثر من 30 سنة ☐4

16. كيف تحصلت على مسكنك؟ إرث1☐ ملك شاغر ☐2 وقف ☐3 آخر

حدده ☐4.....

17. نوعية امتلاك البيت: مالك ☐1 مستأجر ☐2 آخر ☐3.....

18. إذا كنت مستأجر، مانوع البيت السابق الذي كنت تسكنه ؟ طراز تقليدي ☐1

كولونيالي ☐2 فوضوي3 ☐ .....

19. لماذا اخترت القصبة بالتحديد؟ 1☐زهد الايجار القرب من المدينة الكبيرة2 ☐

من أجل العمل ☐3 القرب من المرافق العمومية4☐ لايوجد مكان آخر تذهب اليه ☐5 سبب آخر حدد

☐6.....

20. رتب أهم ثلاث خصائص تميز القصبة عن باقي الأحياء العاصمية ؟ ☐ 1علاقات الجوار

☐ 2عاداتها وتقاليدها نمطها المعماري3☐ قدم بناياتها 4☐ انتشار الآفات الاجتماعية بها5 ☐

القرب من المرافق العمومية6☐ ميزة أخرى حددها ☐7....

21. هل لك أصول (أقارب) تزورها خارج المدينة؟ نعم1☐ لا☐ 2

22. إذا كان نعم؟ كم مرة في السنة؟.....

23. إذا كان لا لماذا؟.....

24. هل تشجع فريق رياضي ما ؟ نعم1☐ لا ☐2

25. إذا كان نعم من هو؟ مولودية الجزائر1☐ اتحاد العاصمة 2☐ شبيبة القبائل 3☐

فريق آخر حدده ☐4 .....

26. هل يوجد هناك تبادل للزيارات بينك وبين جيرانك؟ نعم1 ☐ لا 2☐

27. إذا كان نعم هل هي: زيارات مناسباتية ☐1 يومية ☐2 في أوقات أخرى3 ☐

مثل.....

28. إذا كان لا لماذا؟.....

29. هل تساهم في حل مشاكل حيك ؟ نعم ☐1 لا ☐ 2

30. إذا كان نعم هل ب: مساهمات مادية ☐1 مساهمات معنوية(التوعية) ☐2 مساهمات بالجهد المبذول ☐ 3 إسهام آخر حدده ☐4.....

31. فيما تمثلت آخر مساهمة لك في الحي؟ومتى كان ذلك؟.....

32. إذا كان لا لماذا؟.....

33. هل تنتمي إلى جمعية من الجمعيات التي تعنى بالحفاظ على القصبة؟ نعم1 ☐ لا☐2

34. إذا كان نعم هل يمكن ذكرها؟.....

35. إذا كان لا لماذا؟.....

36. هل تمارس أي نوع من الحرف التقليدية؟نعم ☐1 لا ☐2

37. إذا كان نعم ماهي ؟ الطرق على النحاس 1 ☐ الطرز ☐2 الجلود ☐3 النقش على الخشب4 ☐

الصيد ☐ 5حرفة أخرى حددها ☐6.....

38. إذا كان لا لماذا ؟.....

المحور الثاني :ثقافة استهلاك الدويرات

39. كيف تستهلك (تستعمل) مساحة منزلك ؟ حسب احتياجاتك الخاصة ☐1 حسب الهندسة الأصلية لها ☐2

40. ماهي استعمالات وسط الدار؟ ☐ 1 الاحتفال بالمناسبات ☐2 مجال للقيام بالأعمال المنزلية ☐

3 مجال نسوي لتبادل الحديث ☐3 مجال مشغول بملاحق أخرى ☐4 لا يستعمل ☐5 ....

41. ماهي استعمالات السطح ؟ تجفيف الغسيل ☐ 1 مجال نسوي للالتقاء ☐2 مجال غير مستهلك (غير مستعمل) ☐ 3 مجال مشغول بملاحق أخرى حددها ☐4.....

42. ماهو المعدل الزمني لديك للقيام بعملية تبييض المنزل ؟ مرة في السنة ☐1 في المناسبات ☐2 ☐ لا تقوم بتبييضها ☐3

- **في حالة ما إذا كنت مستأجر للمنزل أو مالك ومقيم مع الأقارب في المنزل نفسه أجب .**

43. كيف تقيم حالة المساحات المشتركة بينك وجيرانك كالأدراج و السقيفة ، وسط الدار السطح وغيرها ؟ حسنة ☐1 متوسطة التدهور ☐2 سيئة التدهور ☐3

44. هل تقومون بالتناوب على تنظيفها وترتيبها (دالة مسح الأرضية أي التسياق) نعم ☐1 لا ☐2.

45. إذا كان لا من يقوم بالتنظيف؟ .....

46. إذا تعرضت هاته المساحات للضرر وقمتم بترميمها من يدفع التكاليف؟ الاشتراك بينكم ☐ 1 مالك المنزل 2☐التناوب على الدفع ☐3 البلدية أو المصالح المعنية الأخرى ☐ 4 تتركوها على ماهي عليه 5☐

47. ماهو المعدل الزمني لديكم للقيام بعملية تبييضها ؟ مرة في السنة ☐1 في المناسبات ☐2 إذا اقتصت الحاجة ☐3 لا تقومون بتبييضها ☐4

48. هل قمت بإجراء تعديلات على منزلك؟ نعم 1 ☐ لا ☐2

49. إذا كان نعم فيما تمثلت: إضافة غرف1☐ إضافة ملاحق ☐2 تعديلات أخرى حددها ☐3.....

50. إذا كان لا لماذا؟.....

51. هل قمت بإجراء تعديلات على الحيز الذي تمتلكه ؟ نعم 1 ☐ لا ☐2

52. إذا كان نعم فيما تمثلت إضافة دورة مياه ☐1 تعديلات أخرى حددها ☐2 .....

المحور الثالث:حالة دويرات القصبة في ظل عمليات الترميم

53. كيف تقيم حالة منزلك ؟ حسنة ☐1 متوسطة التدهور ☐2 سيئة التدهور ☐3

54. هل قمت بترميم منزلك؟ نعم1☐ لا ☐2

55. إذا كان نعم هل أحضرت يد عاملة متخصصة في ترميم المباني القديمة☐ 1 هل قمت بالترميم بنفسك☐2 يد عاملة غير مؤهلة لذلك ☐3 .

56. إذا كان لا لماذا؟ لا يتطلب الترميم☐1 نقص الإمكانيات☐2 لا تهتم لأمره☐ 3 تنتظر إعانة السلطات4☐ سبب آخر 5☐.....

57. هل استفدت من عمليات الترميم التي مست القصبة؟ نعم☐1 لا☐2

58. إذا كان نعم ،هل أنت راض عنها؟ نعم☐1 لا☐2

59. إذا كان نعم لماذا ؟.....

إذا كان لا لماذا؟.....

60. هل أنت راض عن حياتك بالقصبة؟ نعم ☐1 لا☐2 نوعا ما☐3

61. إذا كان نعم لماذا ؟.....

62. إذا كان لا لماذا؟.....

63. إذا سنحت لك فرصة الرحيل عن القصبة هل ستقبل؟ نعم ☐1 لا☐2

64. إذا كان نعم هل لديك شروط وماهي ؟ موقع المنزل في المدينة 1☐ عدد الغرف2☐ طراز البيت☐3 شرط آخر حدده ☐4 بدون شرط ☐5.

65. إذا كان لا لماذا؟.....

66. ماذا تنتظر من السلطات أن تفعله حيال القصبة للمحافظة عليها؟

.....

المحور الرابع: العادات والممارسات بالقصبة

67. أين تقيمون أفراحكم ومناسباتكم العائلية ؟ في المنزل☐1 قاعة الحفلات 2☐ مكان آخر حدده3☐.....

68. ماهي المناسبة الأكثر احتفالية بالنسبة لكم؟ الأعياد الدينية 1☐ الأفراح العائلية 2☐ مناسبات أخرى☐3 .....

69. كيف تحتفلون بهاته الأخيرة؟ على الطريقة التقليدية "القصباجية" ☐1 حسب تقاليد أصولك الجغرافية2 ☐ بطريقة عصرية3☐ بطرق أخرى4 ☐

70. ماهو نوع الموسيقى المفضلة في مثل هاته المناسبات؟ الشعبي1 ☐ جزائري مختلط (حدد الطابع)2 ☐ أناشيد دينية 3 ☐ شرقي ☐4 غربي☐ 5 طابع آخر ☐6.....

71. ماهي الأطباق التي تحضر في مثل هكذا مناسبات؟الأطباق المعروفة بها القصبة☐1 الأطباق المشهورة بها مناطق أصولكم الجغرافية☐3 الأطباق العصرية☐4 .....

72. ماهو نوع اللباس الذي تفضلون ارتدائه بها ؟ عاصمي1☐ التقليدي الجزائري2 ☐ العصري3 ☐ آخر4☐

73. هل هناك تعاون بينكم وبين جيرانكم في إحياء مثل هاته المناسبات؟ نعم1☐ لا☐2

74. إذا كان نعم كيف ؟استعارة المنزل☐1 استعارة غرف☐2 أواني الولائم☐ 3 مساعدة بالجهد☐4 مساعدة مالية☐5 مساعدة حسب الطلب☐6 .....

75. إذا كان لا لماذا؟.....

76. ماهي التفاصيل التي تحرصون عليها أثناء إحيائكم لمناسباتكم ؟.....

77. هل يوجد ماترونه مميز في احتفالاتكم ومناسباتكم داخل القصبة ؟ نعم☐1 لا☐2

78. إذا كان نعم ماهو؟.....

79. لا لماذا برأيك؟.....

80. كيف تمضون أوقات فراغكم وعطلكم؟ تنظيف وتبييض المنزل1☐ الزيارات والجلسات الجوارية 2 ☐ الزيارات العائلية☐3 السفر 4 ☐الذهاب إلى البحر 5☐ الريف 6☐ المنزل☐7 الحي☐8 مكان آخر حدد☐9.....

81. هل هناك أي سؤال تجده مهم في هذا الموضوع ولم نطرحه عليك؟

.....